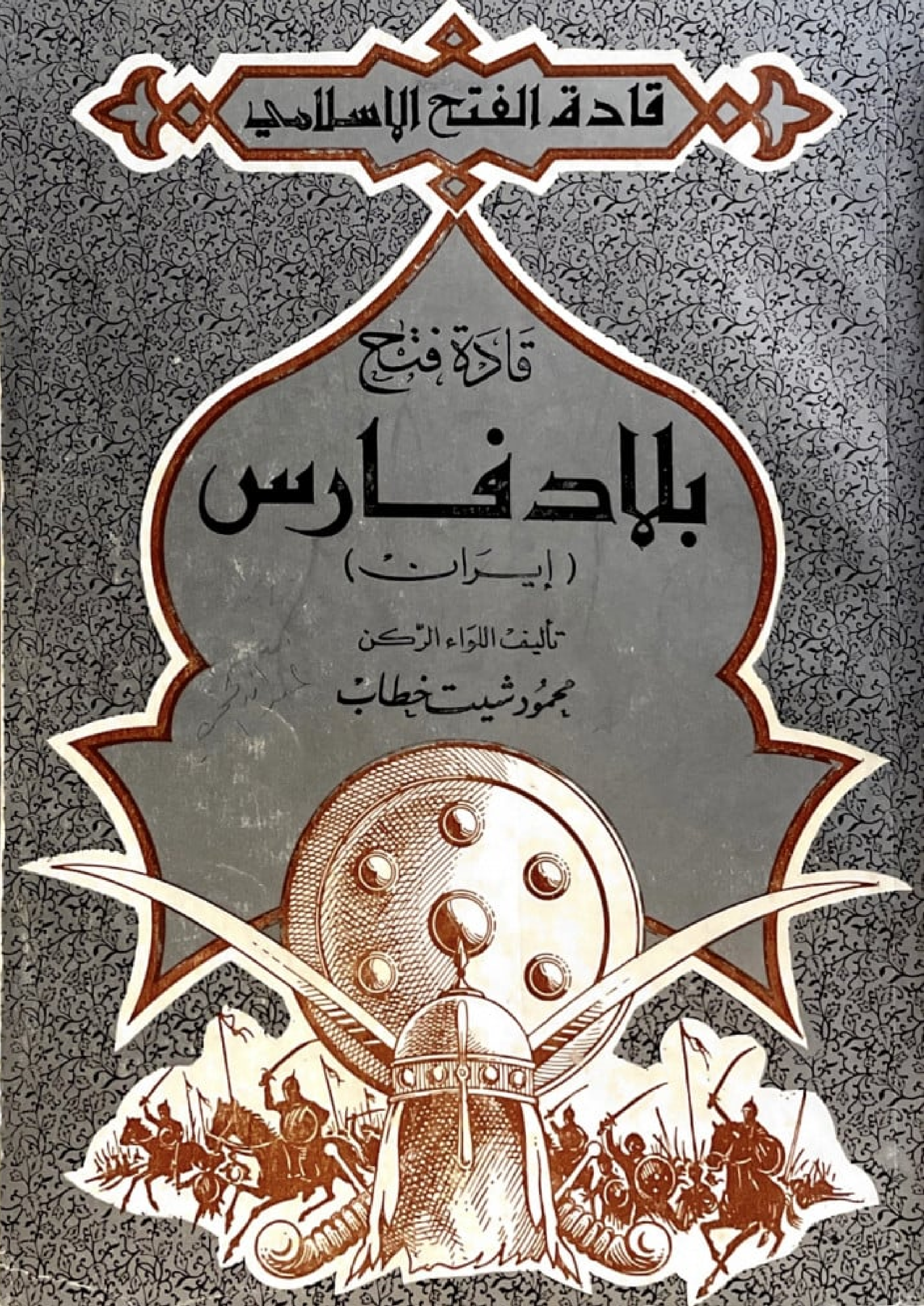

قادة الفتح الإسلامي
قادة فتح
بلاد فارس
(إيران)
تأليف اللواء الركن
محمود شيت خطاب

قادة الفتح الاسلامي

قادة فتح بلاد فارس

(ايران)

تأليف
اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

الناشر
دار الفتح - بيروت


قادة فتح بلاد فارس
(ايران)

الطبعـة الاولى
١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

" يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين . "

(القرآن الكريم)

سورة الصف

الإهداء

الى بطل الفتح الاسلامي الفاروق عمر بن الخطّاب

أعزّ الله بك الاسلام وأظهره حين أسلمت ؛

وفرّق بك بين الحق والباطل حين آمنت ؛

وجعل الحق على لسانك وقلبك .

كان اسلامك فتحاً ، وهجرتك نصراً ، وإمارتك رحمة ،

وكان عهدك هو العهد الذهبي للفتح الاسلامي العظيم .

وهذه البلاد بعض ما فتح الله على يديك وأيدي قادتك ، فمن

أولى منك باهداء هذا الكتاب عن قادتك إليك ؟ ؟

رضي الله عنك وأرضاك ، وجعلك قدوة حسنة

للحاكمين في بلاد العرب وديار الاسلام .

محمود شيت خطّاب

المقدمة

إيران في عهد الساسانيين

«وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

«قرآن الكريم»

مُسْتَهَل

استطاع العرب المسلمون في بضع سنين من انتقال الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ان يفتحوا ايران وما حولها من البلاد التي كانت تحت حكم الامبراطورية الساسانية ويحطموا عرش كسرى، وفي سنة ست عشرة هجرية (٦٣٧ م) كان سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه يصلي بالمسلمين في ايوان كسرى بالمدائن ويقرأ قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين) (١) .

فأي امبراطورية هذه التي استطاع العرب المسلمون القضاء عليها بعد ان بقيت تحكم عشرات القرون ؟

ذلك ما ستقرأه وشيكا في هذه المقدمة الموجزة عن هذه الامبراطورية العظيمة .

وقد اعتمدت (٢) كتاب : « ايران في عهد الساسانيين » الذي ألفه آرثر كريستنسن استاذ الدراسات الايرانية في جامعة كوبنهاكن وعرّبه الدكتور يحيى الخشاب وراجعه الدكتور عبد الوهاب عزام ، فهو أحسن مرجع في موضوعه هذا حتى الآن (٣) .

كما اعتمدت غيره من مصادر التاريخ والجغرافية العربية لايضاح بعض ما جاء في هذا الكتاب من معلومات تاريخية وجغرافية ، وذلك لتكون هذه المقدمة مدخلا مناسبا لكتاب« قادة الفتح »الذين قادوا الجيش العربي الاسلامي في حروب هذه الامبراطورية التي قادت المشرق ردحا طويلا من الزمن سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا .

---

(١) الطبري (٣/١٢٥) وابن الاثير (٢/١٩٩)

(٢) يقال اعتمدته واعتمدت عليه

(٣) سألت كثيرا من المعنيين بتاريخ ايران القديم من العرب والايرانيين عن أحسن مرجع في تاريخ الساسانيين ، فأيدوا أن هذا الكتاب هو أهم واقوم كتاب حول الساسانيين .

قبـل الساسانيين[4]

١ ـ النظام الاجتماعي والسياسي :

كوّن الايرانيون منذ القدم مجموعة من الاسر الكبيرة يستند نظامها الى اربع وحدات : البيت ، والقرية ، والقبيلة ، والاقليم ، وقد سمي الشعب (آريا) وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمة : (ايران) الحديثة .

وقد توارى نظام الاسر جزئيا في مجتمع (ايران) الغربية بتأثير المدنية البابلية ، وكانت الدولة الاكمينية (هخامانشية) استمرارا للدولة الآشورية والبابلية والعيلامية ، وكانت الاساليب الاكمينية هي اساليب الملوك البابليين والميديين (٥) مع ما ادخل عليها من الاصلاح بفضل العبقرية المنظمة، عبقرية كورش ودارا الاول .

ولكن التنظيم على اساس الاسر لم يمح نهائيا ، فبقي في بلاد الميديين كما عاش في فارس بالمعنى الاخص ، وكان في فارس الاكمينية سبع قبائل يجري في احداها الدم الملكي .

وكان في ايران الاكمينية ، عدا هذه الاسرات الكبيرة بحكم مولدها ، سلسلة من التابعين ، ففي آسيا الصغرى مثلا امارات قديمة حكم امراؤها تحت سيادة الملك الاعظم ، فقد جعل الملك الاعظم لنفسه اتباعا يمنحهم اقطاعات يتوارثونها مع امتيازات خاصة ، ولم تعد صلة الاسرات وثيقة بالقرى الفارسية التي نشأوا فيها فحسب ، بل تعدتها الى املاك كبيرة اخرى في شتى انحاء الدولة ، وقد اتيح لأناس من الاجانب ومن غير الاسرات الكبيرة من الفرس والميديين ، كالاغريق المنفيين ، ان يملكوا امارات يمنحها لهم الملك الاعظم ، فتمتعوا بامتيازات تتفاوت خطورة ، منها الاعفاء من الضريبة احيانا بحيث كان في مقدورهم ان يستحوذوا على الاموال التي يجبونها من رعاياهم ، وهذا هو مبدأ نظام الاقطاع في فارس .

ولم تترك التقاليد السياسية الاكمينية حينما تمكّن (الاشكانيون) من

---

(٤) اكثر هذه المعلومات مقتبسة عن كتاب : ايران في عهد الساسانيين ـ تأليف كريستنسن ، ترجمة يحيى الخشاب ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥٧ .

(٥) ميديا : اسم قديم يطلق على الجزء الشمالي الغربي من ايران ، وهو اقليم الميديين، ويتفق في الوقت الحاضر مع مقاطعات آذربيجان واردلان والعراق العجمي وبعض اجزاء كردستان ؛ ومعظم انحاء ميديا يمثل هضبة مرتفعة يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ قدم .

الحكم، اذ انتقلت السيادة بقيام الاشكانيين من الغرب الى الاقاليم الشمالية التي كانت اكثر الجهات الايرانية احتفاظا بالطابع الايراني .

وهكذا كانت دولة الاشكانيين ــ رغم طابعها الاغريقي ــ اكثر ايرانية من الدولة الاكمينية ، وقد اتخذوا عاصمة لهم (الدامغان) (٦) مدة قرنين قبل ان يلجئهم تطور الزمن الى نقلها الى المدائن (٧) على ضفاف دجلة .

وقد عاد نظام الاسر سيرته الاولى بانتقال السيادة الى ايران ، فظلت اصالة النسب مرعية في الجماعة الايرانية عدة قرون ، بل ظلت مرعية حتى بعد سقوط الدولة الساسانية بين جماعة الزردشتيين ، ويذكر في الكتب البهلوية الرياسات الاربعة : رئيس البيت ، ورئيس القرية ، ورئيس القبيلة، ورئيس الاقليم ؛ كما نجد هذا التقسيم في الكتب المانَوية .

وكان لرؤساء القرى المكانة العظمى في الدولة ، فانهم كانوا كبار امراء الملك وكانوا ينشّئون رعاياهم على الحرب ، ومعنى ذلك ان الفلاحين وعليهم يقع عبء الخدمة العسكرية ، كانوا خاضعين لضرب من الرق تحت سيطرة سادتهم الاقوياء .

ولم يكن العرش نفسه ايام الاشكانيين مماثلا لنظام الاقطاع من حيث الوراثة ، فقد كان المُلك مقصورا على اسرتهم ، ولكن الوراثة لم تكن من الوالد لولده لزاما ، فان العظماء يختارون من يلي العرش ، فاذا اختلفوا تحاربت الاحزاب وانتخب كل حزب ملكا اشكانيا ، ويظهر ان لقب (ملك) لم يكن قاصرا على الحكام من البيت المالك ، بل ان الثماني عشرة ولاية المؤلفة منها الدولة تسمى بممالك ، ولذا فان تسمية المؤرخين العرب (٨) للعهد الذي بين الاسكندر وقيام الدولة الساسانية بعهد : ملوك الطوائف ، لم تكن مجانبة للصواب .

وقد ظهرت السلطة السياسية للامراء الكبار في مجلس الشورى الارستقراطي : (مجلس الشيوخ) الذي كان يحدد سلطة الملك ، وكان قواد الجيش والحكام من بين اعضاء هذا المجلس ، وكانت هناك طائفة اخرى شاركت في تصريف شؤون الحكم هم أهل الحكمة ورجال الدين ، ولكن لم يكن لهذه الطائفة تأثير كبير في سياسة الدولة ، بينما كان مجلس الشيوخ

---

(٦) دامغان : بلد كبير بين الري ونيسابور ، وهو قصبة قومس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦/٤) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٤) وتقويم البلدان ص (٣٣٦) ومختصر كتاب البلدان ص (٣١٨) والمسالك والممالك لابن خرداذبة ص (٢٤٤)

(٧) المدائن : هي مدينة سلمان باك على دجلة في منطقة بغداد فيها قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه : انظر ما جاء عنها في معجم البلدان (٤١٢/٧)

(٨) انظر الطبري (٤٧٦/١) وابن الاثير (١٠٠/١) واليعقوبي (١٢٨/١) وابن خلدون (١٦٧/٢)

قوة حقيقية في الدولة .

واذا كانت الدولة الاشكانية لم تبلغ يوما ما كان للدولة الاكمينية من القوة والثبات ، الا انها كانت من حيث الشكل دولة استبدادية ، فلم تكن سلطة الملك محدودة بالقوانين ، وكان اذا أتاحت له الظروف القوة الكافية يحكم البلاد بكل ما لدى السلطان الشرقي من الاستبداد .

وكان الملك يخشى افراد اسرته خاصة ، ولم يكن العظماء ليجرؤوا على المخاطرة بمناواته من غير ان يعتمدوا على افراد الاسرة الاشكانية ممن يعارضونه .

والملك بعيد المنال عادة ، ومن المزايا التي احتفظ بها هي لبس التاج العالي وحق النوم على سرير من الذهب ، وكان للملك غابات تربى فيها الآساد والدببة والنمور خاصة لصيده ، وكان اذا ذهب للصيد احاطت به جماعة كبيرة من حملة الحراب والحرس ، وكان على من يقابل الملك أن يقدم له الهدايا ، وكانت خزينة الملك وخزينة الدولة شيئا واحدا ، وكانت الجزية التي تدفعها الدولة التابعة تنصب في خزينة الملك .

٢ ـ العقائد الدينية :

بني دين الآريين القديم على عبادة قوى الطبيعة والعناصر والاجرام السماوية ، وأضيف الى آلهة الطبيعة منذ زمان قديم آلهة تمثل قوى أخلاقية او آراء معنوية مجسمة .

وكان الاله مزدا (الحكيم) عند الايرانيين يتميز بالدعوة الى الاخلاق والعمران ، وفي الوقت الذي دخل فيه الايرانيون العصر التاريخي ، كان مزدا الاله الاعلى للقبائل المستقرة والمتمدنة في الشرق والغرب .

والمزدية أقدم عهدا من الزردشتية ، وليس مزدا الها لقبيلة او لشعب بل هو أله العالم والناس جميعا ، وعلى هذا كانت الصلات بين الناس والقوى السماوية اكثر صفاء في الديانة المزدية منها في ديانات آسيا الصغرى الاخرى ، ويبدو باعث الاخلاق بصفائه التام في هذا الدين، وبهذين الوصفين العموم والصفاء ، بدأ المذهب الايراني تأثيره على الافكار الدينية في الشرق الادنى .

وادّعى (زردشت) النبوة نبيا لمذهب "مزدي" معدل في الشرق في القرن (السابع ق.م) ولما بين الآلهة من تفاوت نمت عنده فكرة الصراع بين الروحين اللذين وجدا منذ خلق العالم : روح الخير وهي نوع من تجلي مزدا وروح الشر .

ودين زردشت توحيد ناقص ، فهنالك جماعة من الكائنات المقدسة ولكنها كلها تجليات لذات مزدا وهي في الوقت نفسه منفذة لارادته التي هي

الارادة الالهية الوحيدة .

فالثنائية ليست الا في الظاهر، لان المعركة بين الاصلين ستنتهي بالنصر النهائي لروح الخير ، وفي هذه المعركة يجد الانسان رسالة عليه اداؤها فكأنه بالايمان الخالص وبالجهاد في سبيل الحقيقة الدينية والاخلاق ، واخيرا بالجد في الاعمال التي تؤدي الى غلبة قوى الحياة على قوى الموت، وبالمساعي المؤدية الى الحضارة وخاصة زرع الارض، يقف بكل ذلك في صف روح الخير .

والفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب هي الاسس الثلاثة التي تنطوي عليها عبارة الاخلاق عند زردشت ، والجزاء هو الجنة والعافية والخلود في مساكن « العليين » ، بينما العذاب الطويل في (مأوى الكذب) سيكون عقاب الاشرار .

وبجانب المحاكمة التي يقضيها الفرد بعد موته مباشرة ، نجد في (كاثات الاوستا) وهي العظات المنظومة التي تحوي او تعبّر عن وعظ زردشت ، اشارات الى حساب عالمي عال يجريه الروح والنار ، اي روح مزدا وبلاء النار ، بلاء المعدن المذاب في آخر الزمان ، حين تنتهي المعركة الاخيرة بين قوى الروحين : الخير والشر ، بانتصار مزدا .

وقد ظلت الزردشتية مدة قرون كأنها غريبة في وسط المزدية الايرانية القديمة ، وكان معظم ملوك الاشكانيين زردشتيين .

ومنذ طرد بختنصر اليهود ازداد عددهم في بابل والجزيرة حيث اشتغلوا بالزراعة والتجارة وبشتى الحرف ، وفي عهد الاشكانيين كثر عددهم بنوع خاص في بابل وفي المدائن ، وكذلك كان لليهود جماعات في ميديا وفارس ، وكان هؤلاء يهتمون دائما بدراسة الشريعة (شريعة موسى) والتاريخ .

وفي القرن الاول الميلادي انتشرت المسيحية عن طريق الشام وآسيا الصغرى ، فكان هناك جماعة في (أربل) ، وعلى كل حال فانه لم يكن للنصارى اي دور سياسي في عهد الاشكانيين .

وقد أتاح اختلاط الشعوب والاجناس في آسيا الوسطى ارضا صالحة لمزج المدنيات والديانات، فقد توحدت الفلسفة الاغريقية مع الاديان الشرقية، ونتج عن ذلك تشابك كثير ومتنوع ؛ وكانت الآراء الايرانية والسامية قد امتزجت في البيئة الارمينية منذ زمن طويل ، فالديانات الغامضة — ديانات شعوب آسيا الصغرى — قد ادخلت هناك عنصرا جديدا، والآراء الفلسفية اليونانية قد سرت الى هذا المزيج الذي أضيفت اليه نظريات كيماوية وسحرية والامور المعنوية والقوى الطبيعية التي كانت تعد آلهة قد ظهرت في أسماء اغريقية ، والاساطير الاغريقية والبابلية والايرانية قد امتزجت

ايضا ، واختفت الصور الاسطورية الشرقية تحت اسماء آلهة يونانية ، والتفرقة الدقيقة بين عالمين احدهما خير الطبيعة والثاني خبثها ، دنيا النور ودنيا الظلمات ، وما على الانسان من واجب خاص في حياته ، والجنة والنار ويوم الحساب وبعث الدنيا والروح الكلية ، وما بين الانسان والقوى الملكوتية من ارتباط تام، كل هذه العلاقات المميزة للمزدية الايرانية دخلت في مجموعة الافكار العامة في آسيا الصغرى .

أيّام السَاسَانيين

١ ـ قيام الدولة الساسانية

سادت الفوضى اقليم فارس في اول القرن الثالث الميلادي واضمحلت قوة الاشكانيين ، ويبدو ان كل بلد ذي اهمية كان له مليكه الخاص ، وكان اهم هذه الامارات امارة مدينة (اصطخر) (٩) عاصمة ملوك فارس القدماء.

وعيّن (ساسان) وهو رجل من عائلة نبيلة متزوج من عائلة ملوك (اصطخر) سادنا لبيت نار في (اصطخر) ، وقد استفاد ابنه (بابك) الذي خلفه في وظيفته من صلته ببيت الملك فنصب واحدا من اولاده الصغار وهو (أردشير) في الوظيفة العسكرية الكبرى على مدينة (دارابجرد) (١٠) ، وابتداء من سنة (٢١٢م) او حوالي هذا التاريخ اصبح اردشير سيدا على كثير من مدن هذا الاقليم وذلك بالقضاء على حكامها بينما ثار (بابك) على قريبه ملك اصطخر (جوتجهر) ودهمه في مقره وقتله وولي مكانه .

ومات (بابك) بعد قليل ، فارتقى ولده (سابور) عرش فارس ، واشتعلت الحرب بينه وبين اخيه (أردشير) ، ولكن سابور توفي فجاة ، فمنح اخوة (أردشير) الآخرون التاج له ولكنه قتلهم بعد ذلك خشية ان يخونوه .

وبعد ان أخمد (اردشير) ثورة في (دارابجرد) عمل على تثبيت سلطانه بغزو اقليم (كرمان) (١١) المجاور ، فأسر ملكه ، كما غزا سواحل الخليج العربي فسقط ملكه بسيف الغازي .

واخيرا شبت الحرب بين (اردشير) وكبير ملوك الاشكانيين ، فقد امر

---

(٩) اصطخر : بلدة بفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٥/١) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٦٨) وتقويم البلدان ص (٣٢٨) .

(١٠) دارا بجرد : ولاية بفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٤) وتقويم البلدان (ص ٣٣٠) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٧٦) .

(١١) كرمان : ولاية مشهورة بين فارس ومكران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٧)

هذا الملك ملك (الاهواز) (١٢) ان يذهب لقتال (أردشير) وأن يحمله مصفدا بالاغلال الى (المدائن) ، ولكن أردشير نفسه بعد ان هزم ملك (أصفهان) (١٣) اتجه لقتال ملك الاهواز فغلبه في معركة حاسمة واستولى على ولايته ، ثم أخضع ولاية (مَيْسان) (١٤) التي كان يحكمها وقتذاك العرب الوافدون من (عُمان) (١٥) سابقين في ذلك القبائل العربية التي وفدت واستقرت في (الحيرة) (١٦) غربي الفرات في نفس الوقت الذي أقامت به الدولة فيه الدولة الساسانية .

وأخيرا نشبت معركة بين جيش (أردشير) وجيش الاشكانيين بقيادة ملك الملوك الاشكاني نفسه الذي سقط في تلك المعركة قتيلا بيد (أردشير) ، وبعد هذه المعركة التي حدثت في نيسان (ابريل) (٢٢٤ م) دخل اردشير المدائن دخول الظافر معتبرا نفسه وارث الاشكانيين .

وفي السنين التالية أخضع (بابل) و (ميديا) ومعهما (همذان) (١٧)، وبعد أن حاصر المدينة الحصينة (الحضر) (١٨) هاجم (أذربيجان) (١٩) و (ارمينية) (٢٠) فلم يفلح في غزو هذا الاقليم أولا ولكنه تمكن منه اخيرا .

---

(١٢) الاهواز : جمع هوز وأصله خوز ، وكان اسمها ايام الفرس : خوزستان ، وهي سبع كور بين البصرة وفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٨٠) والمسالك والممالك للاصطخري (٦٢ ـ ٦٥)

(١٣) اصفهان : وهي اصبهان ، مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وأصبهان اسم للاقليم بأسره . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٦٩)

(١٤) ميسان : ولاية صغيرة عند مصب نهر دجلة في الخليج العربي ، وقد وردت ميسين في كتاب : ايران في عهد الساسانيين ص (٧٥) والصحيح : ميسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٢٤)

(١٥) عُمان : اسم كورة عربية على ساحل الخليج العربي ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢١٥)

(١٦) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٧٦) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٥٨) وتقويم البلدان ص (٢٩٨)

(١٧) همذان : مدينة كبيرة في ولاية الجبال من ايران ، أنظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١١٧) ومعجم البلدان (٨/٤٧١)

(١٨) الحضر : اسم مدينة بأزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٩٠)

(١٩) أذربيجان : منطقة واسعة بين قهستان وارن ، انظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد (٢٨٤) ومعجم البلدان (١/١٥٩) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٠٨)

(٢٠) ارمينية : اسم صقع واسع من برذعة الى باب الابواب ، والى بلاد الروم . وقيل ، ارمينية الكبرى خلاط ونواحيها وارمينية الصغرى تفليس ونواحيها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٠٣) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٠٨) وتقويم البلدان ص (٣٨٧)

ومد سلطانه على الاقاليم الشرقية وذلك باخضاعه (سجستان) (٢١) واقليم (خراسان) (٢٢) و (خوارزم) (٢٣) وعاصمته بلخ (٢٤)

ومن المحتمل ان يكون أردشير قد توّج ملكا لملوك أيران (شاهنشاه) بعد استيلائه على العاصمة (المدائن) بزمن قليل .

وكان للملوك الساسانيين الاول ولع طبيعي باقليم فارس الذي هو مسقط راسهم ، وقد أصبحت (اصطخر) المدينة المقدسة في التاريخ الساساني وبذلك أعاد الفرس سلطانهم على شعوب ايران وقامت في الشرق دولة جديدة سادت على قدم المساواة مع الامبراطورية الرومانية ، وكانت المدنية الساسانية استمرارا لمدنية الاشكانيين ، وفي الوقت نفسه كانت تجديدا وتكملة لها .

ولكن اقليم فارس وعاصمته (اصطخر) لم يعودا صالحين لاقامة الشاهنشاه ، فقد صارت بلاد ما بين النهرين المركز الرئيسي للامبراطورية الشرقية تبعا لضرورة التطور التاريخي ، وانتقل دور بابل السياسي الى (المدائن) .

٢ ـ تنظيم الدولة

لم يكن تغير الاسرة الحاكمة حادثا سياسيا فحسب ، ولكنه يمتاز بظهور روح جديدة في الدولة الايرانية . والطابعان المميزان لنظام الدولة الساسانية هما : تركيز السلطان واتخاذ دين رسمي للدولة .

وقد لقيت أحوال الحياة العامة والتنظيم الاداري للدولة الساسانية

---

(٢١) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة يحدها من الشرق مفازة بين مكران وأرض السند وشيء من عمل الملتان ومن الغرب خراسان وشيء من عمل الهند ومن الشمال ارض الهند ومن الجنوب المفازة بين سجستان وفارس وكرمان ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٣٩) ومعجم البلدان (٣٧/٥) وتقويم البلدان ص (٣٤٠) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٠١) .

(٢٢) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها من الشرق نواحي سجستان وبلد الهند ومن الغرب مفازة الغزية ونواحي جرجان ومن الشمال ما وراء النهر وشيء من بلد الترك ومن الجنوب مفازة فارس وقومس ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٤٥) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣)

(٢٣) خوارزم : اسم إقليم يحده من الشمال والغرب الغزية ومن الجنوب والشرق خراسان وما وراء النهر ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (٦٨) ومعجم البلدان (٤٧٤/٣)

(٢٤) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٣/٢) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٣١)

تغييرا مختلفا في القرون الاربعة التي دامت فيها الامبراطورية التي أسسها (أردشير) ، ولكن الهيكل الاجتماعي والاداري الذي انشاه او أكمله مؤسس الاسرة الساسانية قد بقي حتى النهاية في الامور الكبرى .

كانت هناك الطبقات الاربع الآتية ايام الساسانيين : طبقة رجال الدين اولا ، وطبقة رجال الحرب ثانيا ، وطبقة كتّاب الدواوين ثالثا ، وطبقة الشعب من الفلاحين والصناع أخيرا .

وقد قسمت كل طبقة الى عدة أقسام ، فرجال الدين منهم الحكام والعباد والزهاد والسدنة والمعلمون .

وتتكون طبقة المحاربين من الفرسان والرجالة ، ولكل من القسمين رُتَبُه وموظفوه المختصون به .

وتنقسم طبقة الكتّاب الى كتّاب الرسائل وكتّاب المحاسبات وكتاب الاقضية والسجلات والشروط وكتّاب السير ويدخل فيهم الاطباء والمنجمون والشعراء .

وأخيرا فان الشعب يشمل الزراع والرعاة والتجار وسائر ارباب الحرف .

وكان لكل طبقة من هذه الطبقات رئيس .

وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة ، التقسيم الذي يجعلها أربع ايالات ، ومنذ القرن الخامس سمي حكام الايالات بالمرازبة ، وهؤلاء المرازبة الاربعة الكبار كانوا من طبقة الاسر المالكة ويحملون لقب : شاه ، وكان الشاهنشاه يستطيع عزل هؤلاء كلما رأى ذلك من مصلحة الدولة ، وكانوا ملزمين بالحضور الى البلاط كل في نوبته ليقدموا حسابا عن أعمالهم .

وقد ورث الساسانيون نظام الاشكانيين الاقطاعي ، وليس لدينا معلومات محددة عن الامتيازات التي كان يتمتع بها أصحاب الاقطاعات ، ولا نعلم أكان لحكومة الملك بعض سلطان على المقاطعات التي تقع في حكمهم وهل كان لهؤلاء حصانة كاملة او جزئية ، ولكن الذي نعلمه علم اليقين هو أن الرعايا كانوا ملزمين بأداة الخدمة العسكرية تحت رئاسة صاحب الاقطاع .

ونجد في أيام الساسانيين ــ اتباعا للتقاليد القديمة ــ بعض المناصب العامة التي تورّث ، منذ كان لبعض الاسر وظيفة تتويج الملك ، وكان بعضها يتوارث ادارة شؤون الحرب، وثالثة تتولى الادارات المدنية، ورابعة يعهد اليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين في التحكيم ، وخامسة تتولى

قيادة الفرسان ، وسادسة تتولى جباية الضرائب ورعاية الكنوز الملكية ، وسابعة تتولى العناية بالاسلحة ونظام التعبئة الحربية .

أما الوظائف الوراثية الست الباقية ، فمنها ثلاث وظائف حربية وثلاث مدنية ، أما الوظائف الحربية فهي : رياسة الشؤون العسكرية ورياسة الفرسان والقيام على الاهراء (الميرة والتموين) .

اما الوظائف المدنية فهي : رياسة الشؤون المدنية والقيام على تحصيل الخراج ورئيس تفتيش الخزائن الملكية .

ومع ملاحظة أن الوظائف الوراثية كانت مهمة جدا ، الا أنها لم تكن أعلى وظائف الدولة وأهمها ، فليس من المعقول أن تكون الوظائف الاولى في الدولة مثل وظائف رياسة الوزارة وقيادة الجيش وغيرها خاضعة لان تنقل بالميراث من رجل الى آخر ، كذلك ليس معقولا الا يكون للملك حق الخيار بين مستشاريه بل أن يكون له اذا أراد أن يتخلص من موظف كبير أن يقتله لكي يخلفه ابنه الاكبر .

والوظائف الوراثية في الدولة الساسانية كانت وظائف (شرف) تبين مكانة شاغليها ، وكانت قوة الاسر الكبيرة تستند كذلك على دخل اقطاعاتهم ثم على ما بينهم وبين رعاياهم في الاقطاع من صلة قوية ، وأخيرا يستمدون قوتهم من انهم يستطيعون في يسر مقابلة (الشاهنشاه) ، فكان هذا يعطيهم بعض المزايا لكي يعيّنوا في أسمى وظائف الدولة .

وقد لبث ابناء البيوتات يتساندون زمنا طويلا بعد سقوط الدولة الساسانية . كتب ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) يقول : « وبفارس سُنّة جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل أهل البيوتات القديمة والتزام أهل النعم الاولية ، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم الى يومنا هذا » . ويذكر المسعودي أيضا أهل البيوتات في فارس .

ونجد في تاريخ الساسانيين الذي رُوي بعضه في تاريخ الطبري ذكرا لاصطلاح العظماء والاشراف ، فكلما ذكر ارتقاء ملك جديد للعرش قيل : ان العظماء وأهل البيوتات اجتمعوا ليقدموا له فروض الولاء وليستمعوا الحديث الذي يتقدم به الى الشعب ، واحيانا نجد الاصطلاح المركب : العظماء والاشراف ، والاصطلاح : أهل البيوتات والعظماء والاشراف ، وليس هناك أدنى شك في معرفة أي فريق من الناس يشار اليه بهذا التعبير : انهم الضباط الكبار للدولة ، انهم أعلى ممثلي الادارة ، والعظماء يشملون الوزراء ورؤساء الادارة .

ومن المحتمل أن نعد الفرسان وهم زهرة الجيش الساساني من طبقة الاشراف ، والمفروض ان الفرسان (الاساورة) كانوا يعيشون ابان السلم من ريع أراضيهم ، فكانوا يزرعونها ويباشرون فلاحتها .

والى جانب هذا كانت طبقات النبلاء الذين هم في الدرجة الثانية وهم : رؤساء العائلة ورؤساء القرية يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للادارة المحلية ، وكان الدهاقين كعجلات لا غنى عنها في آلات الدولة قليلا ما يظهرون في الحوادث التاريخية الخطرة ، ومع هذا كانت لهم قيمة لا تقدر من حيث انهم أساس متين للادارة وبناء الدولة . والدهاقين هم الرؤساء وملاك الاراضي والقرى ، ولكن في أغلب الاحوال لم تكن الاراضي المزروعة التي تؤول الى الدهاقين بالميراث واسعة جدا ، وأحيانا لم يكن الدهقان نفسه الا أول فلاحي الناحية ، فلم يكن اذاً للدهقان ما للسادة مالكي الاراضي من الارستقراطية الرفيعة ، بل كانوا يمثلون الحكومة امام حراث الدولة ، وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين الاصلية ان يستلموا الضرائب واليهم يعود الفضل ـ خاصة وان الدولة القليلة الخصب ـ استطاعت بوجه عام ان تتحمل النفقات التي اقتضتها الميشة المترفة في بلاط الملك وان تقدر على الحروب التي تتطلب تكاليف باهظة من غير أن تنوء بهذا العبء ، اذ كانوا يعرفون البلاد وسكانها معرفة جيدة ؛ وبعد الفتح الاسلامي لم يستطع الفاتحون أن يستولوا على ما في ايران من النقود التي جمعها ملوك الساسانيين دون أن يتحالفوا مع الدهاقين .

٣ ـ الادارة المركزية

أ ـ رئيس للوزراء

كان كبير الوزراء رئيسا للادارة المركزية ، وكان مكلفا بادارة دفة الامور في الدولة تحت رقابة الملك ، وكان في كثير من الامور يتصرف بما يرى ؛ وكان يقوم مقام الملك حين يكون هذا في رحلة او في الحرب ، وكانت المفاوضات الدبلوماسية من اختصاصه ، وكان يحصل على قيادة الجيش أحيانا .

والخلاصة انه وهو مستشار رئيسي للملك كان يجمع في يديه كل ادارة الدولة ، وكان يتدخل في كل شيء . ورئيس الوزراء الامثل كان الكامل في ثقافته ، الممتاز في سلوكه ، المتقدم على أهل زمانه ، النبيل الطبع ، الحذر ، الذي له من الحكمة العملية والنظرية ، القادر على التأثير على الملك الا اذا اتبع الهوى .

وكانت سلطة رئيس الوزراء محدودة بثلاثة تحديدات : الاولى : أنه

لم يكن في سلطته ان يعين بنفسه خلفه أو من يقوم مقامه . والثانية ، لا يجوز له أن يطلب اقالته من الشعب لانه يتصرف باسم الملك لا باسم الشعب . والثالثة ، لا يستطيع ان يعزل او ينقل الموظفين الذين عينوا بناء على أمر ملكي من غير استئذان الملك .

لقد كان ملوك فارس يمجدون وزراءهم أكثر من أي ملك آخر ، وكانوا يقولون : « ان الوزير هو منظم اعمالنا وزينة دولتنا ، انه لساننا الذي نعبر به وسلاحنا الذي اتاح لنا أن نضرب أعداءنا في البلاد البعيدة » .

ب ــ رجال الدين :

كان رجال الدين في الاصل قبيلة ميدية او بالاحرى كانوا طبقة خاصة بين الميديين ، وكان لهم الرياسة الروحية في الديانة المزدية غير الزردشتية ، وعندما اجتاحت الزردشتية الاقاليم الغربية : ميديا وفارس بمعناها الخاص اصبح هؤلاء هم السادة الروحانيين للدين الجديد ، وكان يطلق عليهم أيام الاشكانيين والساسانيين (المغان)

وقد استمر (المغان) يعدون انفسهم قبيلة ويعتبرون انفسهم طبقة من الناس نشأوا من قبيلة واحدة وجبلوا على خدمة الآلهة .

وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الاقطاع جنبا الى جنب ، وفي أثناء عهود الانحلال كان رجال هاتين الطبقتين : رجال الدين والنبلاء يتحدون ضد الملك ، ولكنهما ظلا دائما طائفتين منفصلتين ، لكل منهما تطوراتهما الخاصة بها .

وكان الرؤساء الروحانيون يختارون دائما من بين قبيلة المغان التي تزايدت على مر العصور ، وكان رجال الدين ينسبون أنفسهم نسبا يرجع ألى التاريخ الخرافي المجيد لايران ،

وقد اسبغت السلطة الروحية على السلطان الدنيوي طابعها المقدس ، وكانت تدخل في الوقت نفسه في حياة كل فرد في كل أمر مهم ، فهي بهذا المعنى كانت تلازم الرجل من المهد الى اللحد ؛ فكان الجميع يجلئون المغان وينظرون اليهم بكثير من التعظيم ، فالاشغال العامة منسقة وفق نصائحهم وارشادهم ، وهم يتولون بنوع خاص قضايا المتخاصمين فيقومون عليها بعناية تامة ثم يقضون فيها ، ولا يحل الفرس أي شيء أو يرونه عادلا ما لم يقل رجال الدين بذلك .

ولا يستند تأثير المغان الى سلطانهم الروحي والى حق القضاء الذي خولتهم الدولة ، والى سلطانهم في اثبات شهادات الميلاد وعقود الزواج

وغيرها ، والى قيامهم بالتطهير ورعاية القرابين فحسب ، ولكن تأثيرهم يستند أيضا الى أراضيهم التي يملكونها والى مواردهم الفزيرة التي يجنونها من الفرامات الدينية والعشور والهبات ،ومن ناحية أخرى كانوا يتمتعون باستقلال بعيد المدى ــ انهم كانوا يكوّنون دولة داخل الدولة تقريبا .

وفي أيام سابور الثاني ، كانت ميديا ــ وخاصة اذربيجان أقليم المغان ، وهناك كانت أراضيهم الخصبة ، وكانت لهم بيوت قروية لم تكن لها أسوار لحفظها ، وكانوا يعيشون وفقا لقوانينهم الخاصة ، وبالجملة كان كبار رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة .

ورجال الدين الزردشتيون يكوّنون جماعة منظمة غاية التنظيم ولها درجات منسقة ، والمغان كانت الطبقة الكبيرة من رجال الدين الصغار ، وكان رؤساء المعابد يلقبون (مغان مغ) والطبقة العليا من رجال الدين تشمل الموابذة ، وكانت الدولة كلها مقسمة الى مراكز دينية على راس كل منها (موبذ) .

ورئيس الموابذة جميعا الذي هو عند الزردشتيين بمثابة (البابا) عند النصارى يدعى : موبذان موبذ ، ولم يكن لهذا المنصب اهمية بالغة ، الا حين اصبح الدين المزدي دينا رسميا للدولة الساسانية .

وكان للموبذان موبذ السلطة العليا في المسائل الدينية ، فاليه يرجع الفصل في المسائل النظرية في الاصول والفروع ، وهو الذي يفتي في المسائل العلمية وفي السياسة الروحية ، وهو الذي يعين ويعزل الموظفين الدينيين ، ومن ناحية أخرى كان الملك يعيّنه ، وهو يشترك في تكوين محاكم التفتيش وخاصة الاقاليم التي يشتد فيها العداء للدين ، وكان مستشارا للملك في جميع الاحوال التي تمس الدين ، وكان له تأثير قوي في جميع شؤون الدولة بوصفه الرائد الخلقي والمرشد والمسير الروحي للملك .

وكان الهرابذة (٢٥) يديرون المراسيم الدينية في المعابد الدينية مما يتطلب معارف خاصة وتجربة عظيمة ، والدليل على ما كان يتمتع به الهرابذة من الشرف أن أحدهم كان يحكم أقليم فارس أميرا دينيا في القرن السابع حين فتح العرب المسلمون هذا الاقليم .

والرئيس الاعلى للهرابذة هو الهربذان هربذ ، وهو يظهر في بعض عصور العهد الساساني بين أعظم الشخصيات تاليا للموبذان موبذ ، وكانت الوظائف القضائية من اختصاص الهربذان هربذ ، وهو رجل دين ومشرع يلجأ اليه

---

(٢٥) الهرابذة : جمع هربذ وهو خادم النار ، أنظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ، نشر « فان فولتن » ص (٢١٦) ــ نقلا عن هامش : ايران في عهد الساسانيين ص (١٠٧)

الناس لحسم القضايا المشتبه فيها .

وكان لرجال الدين في علاقاتهم مع الجمهور ، وظائف متعددة ومتفاوتة : اجراء أحكام الطهارة ، والاعتراف ، والعفو ، والغفران ، والحكم بالفرامة بعد الاقرار بالذنب ، واقامة المراسيم العادية في المواليد وفي وضع الحزام المقدس والزواج والجنائز وسائر الاعياد المختلفة .

واذا عرفنا كيف أن الدين يتدخل في أقل أمور الحياة اليومية شأنـا والى أي حد كان الفرد العادي معرضا ، ليلا ونهارا ، لأن يقع في الاثـم او النجاسة لأقل غفلة تبدو منه لفهمنا ان وظيفة رجال الدين لم تكن قط وظيفة تشريف ، وأن رجل الدين الذي لم يرث منقولا أو عقارا يستطيع بسهولـة ان يجني ثروة طائلة بفضل أعماله المختلفة .

وكان على الفرد أن يصلي للشمس أربع مرات اثناء النهار ، وعليـه أن يصلي للقمر وللنار وللماء ، وعليه ان يرتل الادعية قبل النوم وحين يصحو واثناء الاستحمام والتمنطق بالحزام واثناء الاكل وحين يذهب الى الضرورة واذا عطس واذا حلق شعر راسه أو قلّم أظافره وحين يضيء السراج وهكذا ، ونار البيت لا يجوز ان تخبو ولا يجوز ان تقع الشمس على النار ، ولا يجوز أن يقترب الماء والنار ، وآنية المعدن ينبغـي الا تصـدأ لان المعـادن كانـت مقدسة ، والمراسيم الضرورية للتطهير من لمس ميت او امـــراة حائض او نفساء وخاصة اذا وضعت طفلا ميتا ـ كل هذه التكاليف كانت متبعة للغاية وصعبـة جـــدا .

ولم يكن تنفيذ مراسيم الحفلات الدينية كل ما على رجال الدين مـن أعباء ، بل كان عليهم توجيه الشعب أخلاقيا ، وكانت لهم حكومـة الارواح ، وكان التعليم الابتدائي والعالي بوجه عام في أيدي رجال الدين وهم يختصون وحدهم بجميع فروع علوم الزمان ، وقد كان هناك آداب دينية وفقهيـة منسقة للغاية ، عدا الكتب المقدسة وشروحها .

ج ـ الماليـــة :

يلي (رئيس الزراع) (٢٦) رياسة الضريبة العقارية ، فان على الزراعة يقع عبء الضريبة العقارية ، وبما أن الضريبة تفرض حسب الخصوبة وجودة زراعة القرى او رداءتها ، فقد أصبح على رئيس الزراع أن يسهر على زراعة الارض وريها وغير ذلك .

ورئيس الزراع يلقب أيضا : رئيس الصناع أو رئيس كل من يمتهـن

---

(٢٦) رئيس الزراع : يطلق عليه ـ واستر بوشانسالار .

حرفة يدوية عبيدا او حراثين او تجارا ، فكان عليه في الجملة أن يكون وزير المالية ، وكانت هذه الوزارة تتضمن وزارات الزراعة والعمل والتجارة .

ومن بين كبار موظفي المالية ، ولاة الخراج ، ورئيس محاسبي البلاط أو القصر الذي يقيم به الملك ، ووالي الخراج الذي تتقاضاه الدولة ، ووالي خراج اذربيجان ، وحارس المسكوكات . وكانت المصادر الرئيسية للدخل في الدولة تتكون من ضريبتين : العقارية والشخصية ، وكانت الضريبة الشخصية تحدد مرة واحدة بمبلغ سنوي محدد .

وكانت الضريبة العقارية تجبى بنفس الطريقة ، فان التقدير يتم حسب ما تنتجه الارض من غلات ، وعلى كل قرية أن تدفع من السدس الى الثلث حسب خصوبة الارض .

ولكن توزيع وتحصيل الضرائب كثيرا ما كان سببا في الجور وسوء الحصيلة من ناحية الموظفين ، ولانه تبعا لهذه الطريقة كانت تتفاوت كثيرا من سنة لأخرى ، فانه كان من غير الممكن عمل حساب تقريبي مقدما للحالة المالية واستخدام ما يجبى منها ؛ ومن ناحية أخرى كانت الرقابة على ذلك غاية في الصعوبة ، وكان ينتج عن كل ذلك غالبا أن تفاجيء الحرب الدولة فيعوزها المال ، وفي هذه الحالة كان ينبغي فرض ضرائب أستثنائية ، وكان عبؤها الفادح يقع غالبا على الاقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق .

وكثيرا ما يشار الى اعفاء الزراع من الضرائب الباقية عليهم حسب النظام القديم ، وقد كان ذلك للملك الجديد وسيلة لتقربه من الشعب .

ويضاف الى الضرائب المنظمة الهبات العادية والتي يحسب منها التحف التي تقدم للملك جبرا في عيدي النوروز والمهرجان . ومن أهم موارد الدخل ما تغله الاملاك الخاصة (أملاك الملك) وما كان للملك من حقوق على الموارد الاخرى ، وقد كان من بين هذه الحقوق ــ حقوقه في مناجم الذهب بأقليم فارس وارمينية ، وكانت غنائم الحرب موردا غير منظم من موارد الدخل .

وكذلك كان دخل الجمارك موردا من موارد الدخل .

ونفقات الدولة كانت تنصب غالبا على الحرب ومصاريف البلاط ورواتب الموظفين وعلى الابواب اللازمة لتسيير دولاب العمل العادي في الدولة ثم في الاشغال العامة لتيسير زراعة الارض وانشاء الجسور والمحافظة عليها وحفر الترع وهكذا ، ولو أن المتبع غالبا ان تفرض على اهل الجهة التي تستفيد من مشروع عام ضرائب استثنائية حتى يتيسر تنفيذه .

وكان الملك حين يعفي رعاياه من المتأخر عليهم من الضرائب يوزع أحيانا

هبات مباشرة ، على الفقـراء .

ان ما ينفق من الميزانية في سبيل الخير العام لم يكن كثيرا ، لان ملـوك ايران من عادتهم أن يجمعوا في خزائنهم أقصى ما يستطيعون من الامـوال والنفائس .

وعند ارتقاء ملك جديد كانوا يذيبون النقود المتداولة ثم يعيدون سكها باسم الملك الجديد ورسمه ، وكذلك تكتب الوثائق المحفوظة من جديد باسمه مع التغييرات التي لا غنى عن اجرائهـا .

د ـ الصناعة والتجارة والمواصلات :

كانت البلاد تنتج الذهب والفضة والبلور الصخري والجواهر النادرة والمواد الثمينة المختلفة ، وصناع ايران يجيدون نسيج السندس الحريري والاقمشة الصوفية والسجاد وغيرها .

وقد اعتاد الإيرانيون انشاء مستعمرات من أسرى الحرب لادخـال فروع جديدة في الصناعة ولزرع الارض البور وللقيام بالاعمـال الهندسية كانشـاء السـدود .

وكانت التجارة البرية تتبع طرق القوافل القديمة .

اما عن المواصلات مع الامبراطورية الرومانية فقد كانت مدينة (نصيبين) مركزا هاما لها ، وكانت التجارة البحرية مهمة ، وقد أخذت السفن الفارسية تمخر عباب البحار الشرقية كلها ، فبدت منافسة للاسطولـين الرومانـي والحبشي أول الامر ، ثم صارت قوة متفوقة بعد ذلك .

وكان الحرير أهم أصناف تجارة الترانزيت عند الفرس ، ولكن كـان يحجز بفارس مقدار كبير جدا من الحرير الخام المستورد من الصين لينسج بهـا ، وكان الفرس يستطيعون دائما بيع منتجاتهم الحريرية للبلاد الغربية بالاسعار التي يحددونها بأنفسهم .

وكان الصينيون يشترون ضمن البضائع الفارسية الكحـل الايرانـي المشهور ، وكانوا يدفعون فيه ثمنا باهظا ، كذلك كانت السجاجيد البابلية من البضائع المطلوبة ، وكان الفرس يصدرون للصين الاحجار الثمينة السورية ـ طبيعية وصناعية ـ والمرجان واللؤلؤ من البحر الاحمـر والاقمشـة المنسوجة في الشام ومصر والمواد المخدرة من آسيا الصغرى .

واما نظام البريد فقد كان مسخرا لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعيـة ، فكان غرضه الاول ضمان مواصلات سريعة مريحة بين الحكومة المركزيـة

وادارة الاقاليم ، فكانت الاشخاص والرسائل تسير في طرق معبدة ، وكانت المنازل (المحطات) مزودة حسب اهميتها بالموظفين والخيل ، وكان هنـاك سعاة للبريد يركبون الخيل وآخرون من العدّائين ، وهؤلاء كانوا يستخدمون بنوع خاص في الاقاليم الايرانية الخالصة ، حيث المسافـات بين المحطات اقصر كثيرا جدا مما في البلاد السورية او العربية ، التي كان يستخـدم في جزء منها بريد الجمـال .

هـ ـ الجيـش :

كان الجيش خاضعا لقائد عام واحد ، ولكن سيطرة هذا القائد كانت اوسع من سيطرة قائد الجيش بالمعنى الحديث ، فقد كانت وظيفته تشتمل أعباء ثلاثة : وزارة الحرب ، وقيادة الجيش العليا ، والقيـام بمفاوضـات الصلـح .

أما انه كان يسيطر على تنظيم الجيش الامبراطوري وتدبير اموره فلانه عضو في الدائرة الصغيرة من مستشاري الملك ، وكانت أمور الحرب ترفـع اليـه بوصفه وزيرا ، ولكنا مع ذلك نذكر أن سلطة رئيس الوزراء لـم تكن محدودة بالدقة ، فكان يستطيع دائما أن يتدخـل في ادارة الجيش ، وان الملك كان يتدخل في معظم الاوقات في المسائل الهامة المتعلقة بالحرب ، وكان أكثر ملوك الساسانيين شغوفين بالحرب واشتركوا فعلا في اعمالها .

وكان من مزايا القواد أن يدخلوا المعسكرات على صوت الطبل .

وكان هناك رئيس للحرس الملكي ، وكانت فرق من المشاة بأمرة رئيسهم تحت تصرف موظفي الاقاليم شُرَطا او جلادين وغير ذلك ، وكانت فـرق الرماة بامرة قائدها تلحق بالقرية في بعض انحاء المملكة على الاقل ، وكان في البلاط جنود الحرس غالبا ملزمين بعمل الجلادين .

وكان هناك موظف كبير هو مؤدب الاساورة ، واجبه أن يعمـل علـى تعليم أبناء المحاربين في المدن والرساتيق (٢٧) حمل السلاح وآدابه .

و ـ الكتّاب وموظفو الادارة المركزية :

ان الجاه الذي كان يتمتع به طبقة الكتاب في ايران واضح غاية الوضوح، فان الايرانيين كانوا دائما يُعْنَوْن بالشكل ، فالوثائق الرسمية ومراسلات الافراد ينبغي ان تصاغ صوغا انيقا ، فتختلط بها نبذ مـن أقوال الحكمـاء والحكم الخلقية والدينية والاشعار والالفاز الرائقة لكي تكون الرسالـة او

---

(٢٧) الرستاق : كل موضع فيه مزارع وقرى ، انظر معجم البلدان (١/٣٧ ــ ٣٨)

الوثيقة قطعة جميلة ، كما ان الطريقة التي يصاغ بها الكتاب ويوجه يراعى فيها الفوارق بين رتبتي المرسل والمرسل اليه مراعاة دقيقة .

ويبدو الميل الى البلاغة الشكلية في الآداب البهلوية أو في أحاديث العرش التي يبدأ بها كل ملك جديد ، كما يظهر ذلك أكثر وضوحا بين الهيئات المختلفة أيام الدولة الساسانية ، وبين الدولة وغيرها من الدول .

وكانت الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطابية وبلاغية ، ينتفع بها في المخاطبات بين الناس على سبيل المحاورة والمشاورة والمخاصمة في المدح والذم ، والاحتيال والاستعطاف والاغراء وتكبير الاعمال وتصغير الامور ، والتصرف في وجوه الاعتذار والعتاب ، وفي أحكام العلائق ، والتذكير بالسوابق ، وترتيب الكلام وتنظيمه في كل واقعة على الوجه الاول والمناهج الاخرى ، فينبغي ان يكون الكاتب كريم الاصل شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، ثاقب الراي ، وأن ينال الحظ الاوفر والنصيب الاكبر من الادب وثمراته ، وينبغي أن يكون بعيدا من القياسات المنطقية غريبا عنها، وأن يعرف مراتب ابناء الزمان ومقادير أهل العصر ، والا يشغل بحطام الدنيا وزخارفها ، ولا يلتفت الى التحسين والتقبيح من الاغراض وأولي الاغماض ولا يفتر بهم ، وينبغي بعد هذا أن يكون حسن الخط ، وكان أذكى الكتاب وأحسنهم خطا يستخدمون في البلاط الملكي ، أما الآخرون فكانوا يرسلون الى الاقاليم .

كان الكتاب اذاً دبلوماسيين حقيقيين ، فقد كانوا يمثلون كل أنواع الوثائق ويسيطرون على مراسلات الدولة ويصوغون جميع الاوامر الملكية ، وينظمون قوائم الضرائب وحسابات الدولة ، وكان عليهم في الكتابة للاعداء وخصوم الملك ان يقسطوا في كتابتهم ويراعوا الظروف التي يكتبون فيها ، فيطبعوا كتابتهم بالمسالمة او التهديد والوعيد .

وكان رئيس كتاب الدولة في بعض الاحيان يعين من بين حاشية الملك ، وكان الملك يعهد اليه حسب الظروف بمهام دبلوماسية .

وكان كتاب الدولة كما عدّدهم الخوارزمي (٢٨) كما يلي : كاتب الاحكام – كاتب البلد للخراج – كاتب حساب دار الملك – كاتب الخزائن – كاتب الاصطبلات – كاتب حسابات النيران ، كاتب الاوقاف (٢٩) .

وكان في بلاط ملك ايران كاتب مختص بالشؤون العربية ، وكان يتخذ أيضا مترجما ، وكان يؤجَّر من عرب الحيرة .

---

(٢٨) نقلا عن كتاب : ايران في عهد الساسانيين ص (١٢٤)

(٢٩) كاتب الاوقاف : هو القائم على اعمال البر .

وكان هناك كاتب يعمل معلما لابناء الاسر الكبيرة باسم : معلم البلاط . وهناك موظفون آخرون كانوا قوّاما على الاختام ورؤساء لديوان الاخبار ، وكان لأمناء سجلات الملك مرتبة عالية كذلك .

وكان الوزراء والكتاب يعينون غالبا من طائفتين من العظماء ينـوب بعضهم عن بعض .

ز ــ ادارة الاقاليم :

ومن كبار موظفي الدولة حكام الاقاليم (المرازبة) ، وهـم يقيمون بأقاليمهم ، ومن الاقاليم ، ارمينية وفارس وكرمان وأصفهان وأذربيجان وطبرستان(٣٠) وزرنج(٣١) والبحرين وهراة(٣٢) ومرو(٣٣) وسرخس (٣٤) ونيسابور (٣٥) وطوس (٣٦)

وكانت مساحة بعض هذه الولايات صغيرة نسبيا ، وبالجملة فانه يبدو أنه لم يكن للولايات أيام الساسانيين حدود ثابتة ، وكان الملك يرسل مرزبانا الى احدى الولايات حيث يحتاج اليه فيها ، وكـان الملك يجمع أو يقسم الولايات حسب المصلحة ؛ ويبدو أن معظم المرازبة كان يغلب عليهم الطابع العسكري على الطابع المدني ، فان الادارة المدنية في جزء كبير من الولايات والنظام المركزي القوي في العهد الساساني كانت بأيدي موظفين مرؤوسين فيما يخص الجهات الصغيرة (المدن والقرى) ، وفي أثناء الحرب كان المرازبة يعملون قوادا في الجيش .

وكان المرازبة يختارون من بين النبلاء ، وكان لبعض المرازبـة قصر في

---

(٣٠) طبرستان : أكبر مدنها (آمل) وهي منطقة كثيرة المياه والثمار والانهـار . انظـر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٤) ومعجم البلدان (٦/١٧)

(٣١) زرنج : مدينة هي قصبة سجستان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٨٥) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٣٩) .

(٣٢) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٥) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٤٩) وتقويم البلدان ص (٤٥٤)

(٣٣) مرو : أشهر وأكبر مدن خراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢ ــ ٣٣) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٥٢) وتقويم البلدان (٤٥٤) .

(٣٤) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان ، انظر التفاصيـل في معجـم البلدان (٥/٦٥) وتقويم البلدان ص (٤٥٤) .

(٣٥) نيسابور : مدينة عظيمة من مدن خراسان ، أنظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧٣) ومعجم البلدان (٨/٣٥٦) .

(٣٦) طوس : مدينة بخراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٧٠) وتقويم البلدان ص (٤٥٠)

العاصمة ، ومن التشريف الممتاز للمرزبان أن يمنح عرشا من الفضة .

وكانت الولايات مقسمة الى مديريات يرأسها وال لـه جماعـة من الجند تحت تصرفه ، وكان هؤلاء الولاة مديرين للاملاك الملكية ولعلهم كانوا يستمرون في مباشرة هذه الوظيفة حتى ولو كانوا حكاما عسكريين في الاقاليم التي توجد بها هذه الاملاك .

أما التقسيم الى كُوَر (جمع كورة) (٣٧) ، فكان تقسيما اداريا بحتا ، وكان على رأس الكورة : رئيس الكورة ، والكورة تقسم الى قرى على رأسها : رئيس قريـة .

الزَرَدَشـتيّة دينُ الدَّولة

اتحد الساسانيون منذ بداية عهدهم مع رجـال الدين الزردشتيين ، وقد استمرت الصلات الوثيقة بين الدولة والدين طوال العهد الساساني .

امر اردشير الاول بعد أن ولي عرش ايران بجمع النصوص المبعثرة من الاوستا (٣٨) الاشكانية ، وبكتابة نص واحـد منها ، ثـم أجيز هـذا النص واعتُبر كتابا مقدسا .

ثم جاء سابور الاول ابن اردشير وخليفته ، فأدخل في هذه المجموعة من الكتب المقدسة التي لا تتعلق بالدين والتي تبحث في الطب والنجوم ومـا وراء الطبيعة التي كانت موجودة في الهند واليونان وغيرها من البلاد .

وقد أمر سابور بوضع نسخة من الاوستا في بيت (آذركشنسب) في (شيز) (٣٩) ، وأضيفت اليها الزيادات الجديدة ، ولكن الخلافات الدينيـة ظلت مستمرة ، فأمر سابور الثاني لكي يضع حدا لهذه الخلافات بعقد مجمع مقدس يرأسه الموبذان موبذ الذي حدد نهائيا نص الاوستا وقسمها الى واحد وعشرين سورة على عدد كلمات الصلاة المقدسة تقع كـل سورة في مائتـي ورقة (٤٠)

والاوستا الساسانية التي لم يبق منها اليوم غير اقلها ، جمعٌ لنصوص بهلوية ترجع الى القرن التاسع ، لم تكن قاصرة على النصوص الخاصـة بالعبادات فحسب ، بل كانت في الوقت نفسه نوعا من دائرة معارف تحوي العلوم كلها ، فعلوم المبدأ والمعاد وأساطير الاولين والنجـوم وعلـم التكوين

(٣٧) الكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها ، ذلك اسم الكورة ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦/١)

(٣٨) الاوستا : الكتاب المقدس للزردشتيين

(٣٩) شيز : اقليم باذربيجان

(٤٠) فجر الاسلام (١٢٤/١ — ١٢٥)

والعلوم الطبيعية والتشريع والحكمة العملية للعهد الساساني ، كلها مقتبسة من الواحد والعشرين سورة التي تنقسم اليها الاوستا .

ومختصر الاوستا الموجود حاليا غير متناسب الاجزاء ، ففي بعضه وخاصة فيما يتناول المسائل الفقهية نجد بيانات مفصلة ، بينما أجزاء أخرى ولا سيما ما يتناول المبدأ والمعاد منها ملخصة في بضع كلمات ؛ كما يحتوي على مُقتطفات في الشعائر الدينية وفي قوانين المعابد الزردشتية .

وقد عامل المسلمون في الفتح الزردشتيين معاملة أهل الكتاب ، وعدّوا كتابهم كأنه كتاب منزل ، وجرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك لما روي له الحديث الشريف ، « سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، الخ » (٤١) ، وقد رأينا ان معظم الاوستا الساسانية كان موجودا الى القرن التاسع الميلادي في الترجمة البهلوية ، فلا شك ان الظروف المادية القاسية التي كان عليها المجوس في ذلك الوقت جعلت من الصعب عليهم الاستمرار في استنساخ هذه المجموعة الكبيرة من النصوص المقدسة ؛ ونفهم من ذلك أنهم تركوا الاجزاء المتعلقة بمسائل الفقه يطويها النسيان ذلك لانها قليلة الخطر لعدم وجود دولة مجوسية تطبق أحكام هذا الفقه .

فمن هو زرَدُشْت Zoroaster وما هي تعاليمه وفلسفته ؟

اشتهر الفرس ــ والجنس الآري عامة ــ بأنهم ميالون الى عبادة مظاهر الطبيعة ، فالسماء الصافية والضوء والنار والهواء والماء ينزل من السماء ، جذبت أنظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات الهية ، حتى سموا الشمس : عين الله ، والضوء : ابن الله ، كما أن الظلمة والجدب ونحوهما كائنات الهية شريرة ملعونة .

ثم جاء بعد (زردشت) نبي الفرس ، فدعا الى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعد اصلاحها .

وقد كان وجود (زردشت) نفسه موضع شك عند كثيرين وموضوع جدل بين النافين والمثبتين ، واختلف المثبتون في تاريخ وجوده على أقوال تتردد بين سنة (٦٠٠٠) قبل الميلاد و (٦٠٠) قبل الميلاد ، وقد الف الاستاذ (جاكسن Jackson) كتابا قيما في حياته (٤٢) كان له أثر كبير في ترجيح كفة المثبتين لوجوده ، وقد وصل في بحثه الى أن زردشت شخص تاريخي لا خرافي ، وانه كان من قبيلة ميديا (في الجزء الغربي الشمالي من فارس) ، وقد ظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ومات نحو

---

(٤١) فجر الاسلام (١ / ١٢٤ ــ ١٢٥)
(٤٢) اسمه : (Life of zoroaster)

سنة (٥٨٣) قبل الميلاد بعد أن عمر (٧٧) سنة ، وان موطنه كان أذربيجان(٤٣)، ولكن أول نجاح ناله كان في (بلخ) ، وأن دينه انتشر من بلخ الى فارس كلها .

لقد بنى الفرس قبل زردشت تعاليمهم على أساسين : الاول ، أن لهذا العالم قانونا يسير عليه ، وأن له ظواهر طبيعية ثابتة . والثاني ، أن هناك نزاعا وتصادما بين القوى المختلفة ، بين النور والظلمة ، والخصب والجَدْب .. الخ ، فجاءت تعاليم زردشت مبنية على هذين الاساسين ايضا ، الا أن مَنْ قبله كانوا يعبدون الارواح الخيّرة وهي كثيرة فوحّدها زردشت في اله واحد هو : (أهورا مزْدا) ، وكذلك فعل في قوى الشر فحصرها في شيء واحد سمي (دْرُوج اِهرْمن) ، وبذلك عنده قوتان فقط : قوة الخير وقوة الشر .

والمشهور من تعاليمه أنه يقول : ان للعالم أصلين او الهين : أصل الخير وهو (أهورا) او (أهورا مزدا) ، وأصل الشر وهو (أهرمن) (٤٤) ، وهما في نزاع دائم ؛ ولكل من هذين الاصلين قدرة الخلق . فأصل الخير هو النور وقد خلق كل ما هو حسن وخير ونافع ، فخلق النظام وخلق الحق وخلق النور وكلب الحراسة والديك ونحو ذلك من الحيوانات النافعة ، والواجب على المؤمن العناية بها . وأصل الشر هو الظلمة ، وقد خلق كل ما هو شر في العالم ، فخلق الحيوانات المفترسة والحيات والافاعي والحشرات والهوام ، وعلى المؤمن قتلها ، والحرب بين هذين الروحين سجال ، ولكن الفوز النهائي لروح الخير ، والناس في الحرب ينحازون الى الروحين ، فمنهم من ينصر (اهورا) ومنهم من ينصر (أهرمن) ، وليس الروحان يباشران الحرب لانفسهما بل بمخلوقاتهما .

وكان الانسان موضع نزاع بين الروحين ، لانه مخلوق (مزدا) ، ولكنه خلقه حرّ الارادة ، فكان في الامكان أن يخضع للقوى الشريرة ؛ والانسان في حياته تتجاذبه القوتان ، فان هو اعتنق دينا حقا ، وعمل عملا صالحا ، وطهّر بدنه ونفسه ، فقد أخزى روح الشر ونصر روح الخير واستحق الثواب من (مزدا) ، والا قوّى روح الشر وأسخط عليه (مزدا) .

كذلك من أهم مبادئه ، أن أشرف عمل للانسان : الزراعة والعناية بالماشية ، فحبب الى الناس ان يزرعوا وأن يعيشوا مع ماشيتهم ، وأن يجدّوا ، ويعملوا ، حتى حرّم على اتباعه الصوم لانه يضعفهم عن العمل ، وهو

(٤٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢/٧٧ – ٨١)

(٤٤) يسمى أيضا اله الخير (يزدان) وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري :

قال أناس – باطل زعمهم ... فراقب الله ولا تزعمن
فكّر (يزدان) على غرة ... فصيغَ من تفكيره أهرمن

يريدهم أقوياء عاملين .

وعلّم أن الهواء والماء والنار والتراب عناصر طاهـرة يجب الا تنجّس، وكان من مظاهر هذا تقديس النار واتخاذها رمزا ، وتحريـم تنجيس المـاء الجاري ، وتحريم دفن الموتى في الارض ونحو ذلك (٤٥) .

ومع هذا فان مكانة النار أعظم في الدين الزردشتي ، وتميّز الاوستا بين خمسة أنواع من نار المعابد وهي أيضا النار التي ينتفع بها الناس عادة ، وهي النار التي توجد في جسد الانسان والحيوان ، وهي النار التي توجد في النباتات ، وهي النار الكامنة في السحاب أي الصاعقة ، وهـي النار التـي تشتعل امام (أهورا مزدا) في الجنة ، وقد أعتبر المجد الذي يصاحب الملوك الشرعيين الآريين تجليا لهذه النار ، النار السماوية .

كان الزردشتيون يقدسون الماء الى حد انهم لا يغسلون به وجوههم ولا يلمسونه ، الا ان يكون ذلك للشرب او ريّ الزرع .

وللانسان حياتان : حياة أولى ، وفيها قد أحصيت أعماله في كتـاب ، وعدّت سيئاته ديوانا عليه ، وفي الايام الثلاثة التي تعقب الموت تحلّق نفس الانسان فوق جسده ، وتنعم او تشقى تبعا لاعماله ، ومن أجل هذا تقـام الشعائر الدينية في هذه الايام ايناسا للنفس ؛ وعند الحساب تمـر النفس على صراط ممدود على شفير جهنم ، وهو للمؤمن عريض سهـل المجـاز ، وللكافر أرق من الشعرة ؛ فمن آمن وعمل صالحا جاز الصراط بسلام ، ولقي (أهورا) فأحسن لقاءه وانزله منزلا كريمـا ، والا سقط في الجحيـم وصار عبدا لأهرمن ، وان تعادلت سيئاته وحسناته ذهبـت الروح الـى الاعراف الى يوم الفصل .

وقد غيّب على الانسان في حياته الدنيا ما أعدّ له بعد موته ، ولم يعلم الخير من الشر ، فكان من رحمة الله ان ارسل رسولا يهدي به الناس .

ويذكر زردشت أن يوم القيامة قريب ، وأن نهاية هذه الحياة ليسـت بعيدة ، وسيجمع (مزدا) قوته ، ويضرب اله الشر ضربة قاضية ، ويعذبـه بالجحيم هو ومن اطاعه (٤٦) .

بجانب هذه التعاليم الدينية كانت لزردشت فلسفة فيما وراء المادة ، ولكن لم تكن بحوثه شاملة كالذي كان عند اليونان ، بل كانت بحوثا جزئية ، كذلك نرى له امتزاجا فيما وراء الطبيعة والدين والتوفيق بينهما .

---

(٤٥) فجر الاسلام (١٢٦/١٢٣/١)
(٤٦) فجر الاسلام (١٢٥/١ — ١٢٦)

فمن أبحاثه الفلسفية بحثه في النفس ، فالديانة الزردشتية ترى أن نفس الانسان قد خلقها الله بعد أن لم تكن ، وتستطيع أن تنال الحياة الابدية السعيدة اذا حاربت الشرور في العالم الارضي ، وقد منحها الله حرية الارادة ، فهي تستطيع أن تختار الخير او الشر ، وللنفس الانسانية قوى مختلفة : الضمير والوجدان ، والقوة الحيوية ، والقوة العقلية ، والقوة الروحية ، والقوة الواقية ... الخ .

فهل دين زردشت "ثنوي" يرى أن العالم يحكمه الهان ، اله الخير واله الشر ، وأن لكل اله ذاتا مستقلة ؟؟ أو هو موحد يرى أن العالم يحكمه اله واحد ، وان ما في العالم من خير وشر وما فيه من قوتين متنازعتين ليستا الا مظهرين او أثرين لاله واحد ؟؟

اختلف الباحثون في الاجابة على هذا السؤال ، فيرى كثيرون أنه ثنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه ، وقد ذهب الى هذا الرأي بعض كتاب الفرنج ، ومنهم من يرى أنه موحد والى ذلك ذهب الشهرستاني في الملل والنحل والقلقشندي في صبح الاعشى وغيرهما . ويقول هوك (Haug) : ان زردشت كان من الناحية اللاهوتية موحدا ومن الناحية الفلسفية ثنويا » (٤٧)

وكان للزردشتيين بيوت للنار يقيمون فيها شعائرهم الدينية ، وقد رأينا أن جد (أردشير) الاول كان قيّما على بيت نار في مدينة (اصطخر) وأن الاسرة الساسانية حافظت دائما على صلتها القريبة بهذا البيت ، وكانت هناك معابد يختص كل منها باله ، ومن المحتمل ـ مع ذلك ـ أن تكون المعابد بصفة عامة مخصصة لعبادة آلهة الشريعة الزردشتية جميعا ، وأنها كانت من نوع واحد ، فكان مركز الخدمة المقدسة هو الهيكل الذي فيه النار المقدسة ، وكان لبيت النار عادة ثمانية أبواب وعدة أبهاء من ثمانية أركان ، ويمثل هذا النوع من المعابد في ايامنا هذه معبد نار (يزد) (٤٨) ، وقد حول الى مسجد كبير منذ الفتح الاسلامي ؛ ويصف المسعودي خرائب بيت النار القديم في اصطخر ، وكان في أيامه مسجد سليمان : « وللفرس بيت نار باصطخر تعظمه الفرس ... وهو على نحو فراسخ من مدينة اصطخر ، وقد دخلته فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما وأساطين صخر عجيبة في أعلاها صور من الصخر طريفة من الخيل وغيرها من الحيوانات عظيمة القدر والاشكال ، محيط بذلك حيّز وسور منيع من الحجر وفيه صور الاشخاص قد شكلت واتقنت صورها ، يزعم من جاء هذا الموضع انها صور الانبياء » .

---

(٤٧) فجر الاسلام (١٢٧/١)

(٤٨) يزد : مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة من أعمال فارس ثم من كورة اصطخر ، وهو اسم للناحية وقصبتها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٠٦/٨)

وباختلاف الدرجات في نظام الاسرة عند الايرانيين القدامى وجدت درجات متفاوتة من النار فكان هناك : نار البيت ، ونار القبيلة ، ونار القرية ، ونار لكل كورة او اقليم ، وبينما نار البيت كانت منوطة برب البيت ، كان اثنان من الهرابذة على الاقل لازمين للقيام بخدمة نار القرية ، وكانت نار الكورة او الاقليم تتطلب هيئة من الهرابذة اكثر عددا يرأسها موبذ .

وقد جاء في احدى سور الاوستا الساسانية تفاصيل عن طريقة عبادة النار مؤيدة بالقصص الدينية ، ففي المعبد حيث الهواء مفعم بالبخور يقف الهربذ ، وقد اخفى فمه برباط لكي لا تلوث انفاسه النار ، ليغذي النار بقطع من الخشب طهّرت تطهيرا دينيا ، مادا يده بحزمة الخشب المسوّى والمهيأ طبقا لمراسيم الدين ، مرتلا الادعية الدينية ، ويأخذ هرابذة المعبد بعد ذلك في نثر (الهوما) (٤٩) والاغصان المطهرة من نبات الهوما تدق في الهون بينما الهرابذة يرتلون الادعية او يتلون بعض آي الاوستا .

وفي معبد النار يرتل رجال الدين الادعية المقررة للاوقات الخمسة المحددة في النهار ، ثم يقومون بكل أعمال المذهب وهي تأخذ شكلا علنيا رائعا في الاعياد السنوية الستة والتي تساير فصول السنة على اختلافها ، ولكن الطبقات من غير رجال الدين لم يكونوا مبعدين عن المعابد بل على العكس كان من الواجبات الدينية على كل فرد منهم أن يذهب ليرتل دعاء مجد النار ، ومن يذهب منهم ثلاث مرات ويرتل هذا الدعاء يظفر بالمال والسعادة الروحية . وقد كان منظر المعبد يبعث المؤمنين على الاستغراق ، وذلك بقاعاته المظلمة حيث تشتعل النار فوق المذبح والآلات المعدنية تلمع ، وحيث الهرابذة يتلون الاوراد التي لا تنقطع بصوت مرتفع ولحن جميل حينا وبصوت منخفض الى حد التمتمة حينا آخر ، وهم يرددون الادعية والصلوات دائما في أوقاتها على قدر المرات المحدودة لكل حالة .

وبالجملة كانت هذه النار التي توقد في المعابد رمزا للوحدة الملكية والدينية ، رمز الملكية الساسانية التي قويت بتحالفها مع رجال الدين ، على خلاف الملكية الاشكانية التي كان لكل ملك مقاطعة فيها معبد خاص به .

وتعتبر الاعياد السنوية أيام الساسانيين (٥٠) أعيادا زراعية تتصل بأعمال المزارع ، ولما اعترف الدين الرسمي بهذه الاعياد صار الاحتفال بها ذا مراسيم دينية مع احتفالات مهيبة .

وتتألف السنة الزردشتية من اثني عشر شهرا ، وهذه الاشهر تحمل

---

(٤٩) نوع من النبات .

(٥٠) يعتبر كتاب البيروني : الآثار الباقية ، من المصادر الرئيسية لمعرفتها .

اسماء الآلهة الرئيسيين ، وكل شهر يَعُد ثلاثين يوما ، وكل يوم يحمل اسم الـه من آلهة الزردشتيين ، ويضاف الى هذه الايام الثلاثمائة والستين خمسة أيام اضافية او مسترقة توضع في نهاية الشهر الاخير من السنة .

ولكي تكون السنة الزردشتية مطابقة للسنة النجمية كانوا يضيفون شهرا في كل مائة وعشرين سنة ، وحينئذ كانت الايام الخمسة المسترقة تضاف عقب هذا الشهر ، ولكنهم كانوا لاسباب شتى ، يضيفون شهرين دفعة واحدة لمدة (٢٤٠) سنة .

وكان النوروز أكبر الاعياد الشعبية كما هو اليوم في ايران ، وهو يوم رأس السنة ، وكان الملوك يُسعدون رعاياهم في جميع الولايات في هذا اليوم السعيد ، وكان من يشتغل يستريح به ويحتفل بالعيد ، وكانت الضرائب المجبية تقدم للملك في النوروز ، وفيه يعين أو يستبدل حكام الاقاليم ، وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار ، ويستمر العيد ستة أيام متوالية ؛ وفي هذه الايام يجلس ملوك الساسانيين للعامة ، ويقابلون العظماء وآل ساسان في نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا ، وفي اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته . والواقع أن اليوم الاول واليوم الاخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالا يحوي كل المظاهر الشعبية ، وكانوا يصحون مبكرين في اليوم الاول ويذهبون الى مجاري المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضا بالماء ، وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى ، وكانوا في الصباح قبل ان ينطق احدهم بكلمة يأكلون السكر ويلعقون العسل ثلاث مرات ويدلكون أجسادهم بالزيت ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا انفسهم من الامراض والآفات .

اما عن أعياد السنة الاخرى ، فسنقتصر على الاشارة الى اهمها : في كل شهر عيد اليوم المسمى باسمه الشهر ، وفيه يغتسل الفرس ويطبخون الحنطة والفواكه .

وكان هناك عيد النار ، وهو عيد النيران التي في دور الناس ، وفيه يوقدون النيران العظيمة في بيوتهم ويكثرون من عبادة اللـه وحمده ، ويجتمعون على الاكل والفرح ، ولكن يظهر ان هذا اليوم لم يكن عيدا الا في بعض ولايات ايران .

وكان المهرجان عيدا كبيرا جدا ، وهو عيد ميترا (٥١) ، وكان في الازمنة

---

(٥١) اسم الـه .

القديمة يوم رأس السنة وقد احتفظ بكل تقاليده ، وقد كان المهرجان كالنوروز احتفالا بخلق الانسان والارض وغير ذلك من حوادث التاريخ الخرافي ، ومن رسوم الاكاسرة في هذا اليوم التتويج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها ، ومنه جرى الرسم بأن يقف في صحن دار الملك رجل شجاع وقت اسفار الصبح ويقول بأعلى صوته : « يا أيها الملائكة ! انزلوا الى الدنيا وامنعوا الشياطين والاشرار وادفعوهم عن الدنيا » ، ومن طَعم يوم المهرجان شيئا من الرمان وشمّ ماء الورد رفع عنه آفات كثيرة .

وفي اول آذار يحتفل بعيد الربيع .

وهناك عيد اليوم السعيد ، وكان الملك فيه ينزل عن السرير ويلبس الثياب البيض ويجلس على الفرش البيض في الصحراء ، ويرفض الحجبة وهيبة الملك ، ويتفرغ للنظر في أمور الدنيا واهلها ، ومن احتاج ان يكلمه في شيء دنا منه رفيعا كان او وضيعا وخاطبه غير ممنوع من ذلك ، ويجالس الدهاقين والمزارعين ويواكلهم ويشاربهم ويقول : « انا اليوم كواحد منكم وانا أخوكم ، لان قوام الدنيا بالعمارة التي تجري على أيديكم ، وقوام العمارة بالملك ، ولا استغناء بأحدهما عن الاخر » (٥٢)

وهناك عيد يسمى بعيد الثوم ، وفيه يؤكل الثوم ويشرب الخمر ويطبخ النبات باللحوم التي يتحرز بها من الشيطان ، وبها يتداوون من العلل المنسوبة الى ارواح السوء .

وهناك عيد السقي ، وفيه يصب كل فرد الماء ، وهو عمل سحري يقصد به جلب المطر ، ويقال : ان هذا اليوم أصبح عيدا احتفالا بنزول المطر بعد جدب طال أوانه .

وهناك عيد اسمه : عيد النساء ، وفيه يجود الرجال على النساء .
وهناك عيد اسمه : نوروز الانهار والمياه الجارية ، وفيه يطرحون الطيب والماء ورد وغير ذلك في المياه الجارية .

وهناك عيد ابادة الكائنات الشريرة ، وهو عيد ديني من أعظم الاعياد عند الايرانيين ، وفي هذا العيد يقتل عدد كبير من الزواحف والحشرات التي تعيش في الصحارى وتقدم الى المغان ، اثباتا لتقوى القاتلين .

وكانت قراءة الطالع من الاعمال التي يقوم بها (المغان) ، فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون الى النار المقدسة ، وكانوا يحصرون الطالع

---

(٥٢) البيروني ص (٢١١ ـ ٢١٢)

بما لهم من معرفة بعلم النجوم ، ولكن مع ذلك كان هناك طريقة شعبية لمعرفة النجوم ، فالبيروني (٥٣) يذكر قائمة بأسماء ايام السعد والنحس ، كما انه يبين أحكام الحية ورؤيتها في أيام الشهر : العلة والمرض ، موت او ذهاب شيء من أهل البيت ، منفعة ومعونة من أهل البلد ، ذِكْر ومَحْمدة ، سفر فيه منفعة كثيرة ، دخول على السلطان ، تزويج ونكاح ، مال بلا تعب ، وكانت ايام قِران النجوم او تقابلها من أيام النحس .

تلك هي مجمل حياة زردشت وتعاليمه وفلسفته ومجمل العقيدة الزردشتية ومجمل طقوسها وبيوت عبادتها وتقويمها واعيادها كافية لاعطاء فكرة عن الحياة الدينية للساسانيين .

المانويّة والمزْدَكيّة

١ ـ ماني والمانوية

توفي مؤسس الاسرة الساسانية سنة (٢٤١ م) ، ولم يقم الاحتفال الرسمي بتتويج خلفه سابور ، الا في سنة (٢٤٢ م) ، وكان أول خطبة دينية لماني حسب رواية ابن النديم ، في يوم تتويج سابور وذلك يوم الاحد أول نيسان ، فاذا استطعنا تصديق هذه الرواية فان اليوم العشرين من شهر مارس سنة (٢٤٢ م) شهد حادثين تاريخيين ؛ ولكن جاء في عبارة من كتاب (كفلايا (٥٤) : « أن ماني نفسه يحدثنا بأنه منذ أيام أردشير قام برحلة في بلاد الهند ليدعو الى مذهبه فيها ، وأنه قد عاد الى ايران حين سمع بوفاة اردشير وتولية سابور ، وانه قابل سابور في (خوزستان) » (٥٥) .

كان ماني ايرانيا من أسرة عريقة ، وتقول الروايات : ان أمه كانت من العائلة المالكة الاشكانية وكانت لا تزال تحكم أيران حين ولد ماني ، وليس بعيدا ان يكون أبوه (فاتك) من الاصل نفسه ، وقد هاجر (فاتك) هذا من بلدة (همذان) الى بابل حيث أقام في قرية وسط ولاية (ميسان) وفي هذه القرية ولد ماني سنة (٢١٥ م) او (٢١٦ م)

وقد نشأ الطفل الصغير ماني على مذهب (المغتسلة) (٥٦) ، ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه : الزردشتية والمسيحية ... الخ ، فترك

---

(٥٣) البيروني ص (٢١٨)

(٥٤) كفلايا : كتاب يشمل تعاليم ماني التي جمعت بعد موته ، انظر كتاب : ايران في عهد الساسانيين ص (١٨٨)

(٥٥) خوزستان : هي الاهواز ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٨٨)

(٥٦) المغتسلة : احدى الفرق الدينية التي وجدت في الاقاليم الواقعة بين دجلة والفرات

مذهب (المغتسلة) وزعم ماني انه (الفارقليط) الذي بشر به عيسى عليه السلام .

ويرى ماني أنه كان في مبدأ العالم كونان : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأن الاول هو (العظيم الاول) او الاله ، وهو يتجلى في خمسة اشياء هي بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمثابة آقانيم الأب الخمسة : الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة ؛ وفي رواية شائعة في بلاد ما بين النهرين ، ان العناصر الشريرة الخمسة قد كونت العوالم الخمسة لاله الظلمات هي : الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة .

ولكن اله الظلمات هاجم النور بكل قواه حين رآه ، فنظم (العظيم الاول) دفاعه عن مملكته ، وذلك بخلقه أول المخلوقات ، فدعا (أم الحياة) أو (والدة الاحياء) ودعت هي بعد ذلك (الرجل القديم) ، و (العظيم الاول) و (أم الاحياء) و (الرجل القديم) يكونون التثليث الاول : الآب والام والولد ، وبعد هذا ولد (الرجل القديم) خمسة ابناء هم النسيم والريح والنور والماء والنار .

وحينما احاط (الرجل القديم) نفسه بالعناصر الخمسة كأنها جُنّة له ، نزل ليقابل اله الظلمات الذي تسلح بعناصره الخمسة ، وقد وجد (الرجل القديم) ان عدوه اشد منه قوة فتركه يزدرد عناصره المنيرة ، فاختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمسة فنتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفتا الطيبة والخبث .

لقد أثّرت الآراء المسيحية تأثيرا عظيما على مذهب ماني ، (فالعظيم الاول) و (الرجل القديم) و (أم الحياة) ، التثليث المانوي الاول ، كانوا يقدّسون كالآب والابن وروح القدس ، وفي النصوص المانوية عبارات مأخوذة عن الاناجيل المسيحية .

وكانت تعاليم ماني مزيجا من الديانة المسيحية والزردشتية ، وهي كما يقول الاستاذ (بِرَوْن) : « ان تُعدّ زردشتية منصرة اقرب من ان تعد نصرانية مزردشة » .

ومن ذلك يتضح ان خلاصة مذهبه ، ان العالم نشأ كما قال زردشت عن أصلين وهما : النور والظلمة ، وعن النور نشأ كل خير ، وعن الظلمة نشأ كل شر ، والنور لا يقدر على الشر ، والظلمة لا تقدر على الخير ، وما يصدر عن الانسان من خير فمصدره أله الخير وما يصدر من شر فمصدره اله الشر ، فان هو نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ، ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة ؛ وكذلك جميع الحواس ، وقد امتزج الخير والشر في هذا العالم امتزاجا تاما .

وهو في هذا لا يخرج كثيرا عن تعاليم زردشت ، ولكن يخالفه بعد في امر جوهري : هو أن زردشت كان يرى : أن هذا العالم الحاضر عالم خير ، لما فيه من مظاهر نصرة الخير على الشر ، في حين أن ماني يرى أن نفس الامتزاج شر يجب الخلاص منه ، وزردشت يرى أن يعيش الانسان عيشة طبيعية فيتزوج وينسل ويعني بزرعه ونسله وماشيته ويقوي بدنه ولا يصوم ، وانه بهذه المعيشة ينصر اله الخير على اله الشر ، واما ماني فنزع منزعا آخر هو اشبه ما يكون بالرهبنة .

فقد راى ماني ان امتزاج النور بالظلمة في هذا العالم شر ، ومن اجل هذا حرّم النكاح حتى يستعجل الفناء ، ودعا الى الزهد وشرع الصيام سبعة ايام في كل شهر وفرض صلوات كثيرة يقوم الرجل فيغتسل بالماء ويستقبل الشمس قائما ، ثم يقوم ويسجد وهكذا ، اثنتي عشرة سجدة ، يقول في كل سجدة منها دعاء ، ونهى أصحابه عن ذبح الحيوان لما فيه من ايلام ، واقر بنبوة عيسى وزردشت (٥٧)

اما الاخلاق المانوية فقد وسعها سلسلة من القواعد ، وخاصة الخواتيم السبعة التي منها اربعة روحانية تتعلق بالعقائد وثلاثة تبحث في سلوك المؤمنين ، وهذه الثلاثة هي : خاتم الفم (الكف عن الكلام المؤدي الى الكفر او الخبث) ، وخاتم اليد (الاحتراز من كل فعل او تصرف يغضب النور) ، وخاتم القلب (تجنب الاستسلام للشهوات الجنسية المحرمة) .

وقد لقيت دعوة ماني نجاحا كبيرا منذ البداية ، لا في بابل وحدها بل بين الايرانيين ، وكان ماني ذا حظوة عند سابور أيام حكم أردشير الاول ، وقد نجح في ادخال أخوين لسابور في دعوته هما مهرشاه حاكم (ميسان) وفيروز .

وقد ذهب ماني الى الهند والصين داعيا لمذهبه في كل مكان ومؤلفا للكتب والرسائل التي يبعثها الى الرؤساء والجماعات في بابل وايران وبلاد المشرق ، واخيرا توفي سابور سنة (٢٧٢ م) وخلفه ابنه هرمزد الاول سنة (٢٧٣ م) فتجرأ ماني وتحدى خصومه الموابذة ، وكان اثيرا عند هرمزد الاول .

ومات هرمزد ملك الفرس الذي اعتنق مذهب ماني وأيده ، فخلفه بهرام الاول : اخو هرمزد ، وهو ملك شهواني قليل النشاط ، فترك ماني تحت رحمة رجال الدين فجرت بين ماني والموبذان موبذ (قاضي القضاة) مناظرة ، فقال الموبذان : « أنت الذي تقول بتحريم النكاح لتستعجل فناء العالم ؟ » ،

---

(٥٧) فجر الاسلام ص (١٣١ ــ ١٣٢) والملل والنحل للشهرستاني (٢/٨١ ــ ٨٦)

فقال ماني : « واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل » . فقال الموبذان موبذ : « فمن الحق الواجب ان يعجل لك هذا الخلاص الذي تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم » ، فبهت ماني (٥٨) وغلب على أمره فأدخل السجن حيث عذب عذابا مبينا مات على أثره ، وكان ذلك عام (٢٧٩ م) .

وقد الف ماني كثيرا من الكتب والرسائل التي ضمنها مذهبه ، وادخل اصلاحا على الكتابة البهلوية بوصفه احد كتابها ، وذلك بأن استبدل بالكتابة البهلوية التي كانت لغموضها قابلة لقراءات كثيرة مغلوطة ـ الالف باء السريانية التي استطاع تطبيقها بغاية الدقة على اللهجتين الايرانيتين : (لهجتي الجنوب الغربي والشمال) ، وقد عبر عن الحروف البهلوية الصوتية بأقرب الحروف السريانية لها .

وكان ماني ماهرا في الخط والنقش ، وقد نقش صورا منفرة لابناء الظلمات ليبغضها الى الناس ، بينما صور ابناء النور صورا جذابة ليحبب جمالها الى الناس .

ومع الاضطهاد الذي لقيه المانويون في ايران من رجال الدين الزردشتيين ، فان هذا الدين الجديد قد عاش في صورة شبه سرية .

وقد وجد كثير من المانوية في بابل بنوع خاص لانها مهد هذا الدين ، وفي المدائن عاصمة الدولة ، ومن ناحية أخرى ادى الاضطهاد الى هجرة كثير منهم الى اقاليم الشرق والشمال حيث يقيم كثير من الايرانيين ، كما انتشرت المانوية في أوربا الى فرنسا الجنوبية ، وقد ذكروا أن سانت اوغسطين ظل مانويا عهدا طويلا قبل ان يعتنق النصرانية .

فلماذا اضطهد بهرام المانوية ؟

ان الذي دعا بهرام لقتل ماني واصحابه هي الناحية العملية ، فقد كان زردشت يدعو الى العمل .

وكان في تعاليمه مؤيدا للقومية والنزعة الحربية ، مما يتفق وميول الايرانيين اذ ذاك ؛ وعلى العكس من ذلك تعاليم ماني ، فهي أميل الى الزهد والرغبة عن ملاذ الحياة واستعجال الفناء ، وهي بلا شك ـ في منتهى الخطورة لمملكة حربية كفارس ، ويؤيد هذا ما جاء في الآثار الباقية : « ان بهرام قال ، ان هذا خرج داعيا الى تخريب العالم فالواجب ان نبدأ بتخريب نفسه قبل ان يتهيأ له شيء من مراده » .

---

(٥٨) فجر الاسلام ص (١/١٣١)

٢ ـ مزدك والمزدكيــة

يستفاد من روايات المؤرخين العرب ان زردشت كان رجل دعوة فقط ، وأن مزدك كان رجل التنفيذ ، وقد استطاع هذا ان يقضي على شهرة سابقه .

أما شخصية مزدك فلا نعرف عنها الا قليلاجدا ، ويقول الدينوري : «أن أصله من (اصطخر) » ، أما صاحب «تبصرة العوام» فيرى أن مزدك ولد في مدينة (تبريز (٥٩) وقد ظهر مزدك حول سنة (٤٨٧ م) في فارس ، ويقول الطبري : « انه من (نيسابور) » (٦٠) .

ومذهب مزدك كان طابعه اصلاح مذهب ماني ، وهو كالمانوية الاولى بدأ يناقش الصلة بين الاصلين القديمين : النور والظلمة ، وهو يختلف عن مذهب ماني لانه يقول ان الظلمة لا تعمل كما يعمل النور بالقصد والاختيار ، ولكنها تفعل على الخبط والاتفاق ، وعلى هذا النحو يكون امتزاج النور بالظلمة ــ وهو الامتزاج الذي نشأت عنه الدنيا ــ غير ناتج بالقصد والاختيار كما قال ماني ولكنه كان على الاتفاق والخبط ، وعلى ذلك فعلو النور اكثــر توكيدا في النظرية المزدكية منه في المانوية .

وقد قال ماني بوجود خمسـة اركان للنور : الاثير والهواء والنور والمــاء والنار ، ولكن مزدك قال بثلاثة أركان : الماء والنار والتراب ، ولما اختلطت : النور والظلمة حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ، فما كان من صفوها فهو من مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو من مدبر الشر ، ومدبر الخير هو اله النور (ملك النور) عند المانوية ؛ وقد صوّر مزدك معبوده وهو قاعد علــى كرسيه في العالم الاعلى على هيئة قعود كسرى في العالم الاسفل ، وبين يديه اربــع قوى : قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور .

وقد نهى مزدك الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ، ولما كان أكثــر ذلك إنما يقع بسبب عدم المساواة بين الرجال ، فقد أوجب ازالة هذا السبب، وقد وجب في الجماعة المانوية على (الصدّيقين) ان يعيشوا بلا نســاء ولا يملكوا من الغذاء غير قوت يوم واحد ومن الملابس غير ما يكفي سنة واحدة ، والمفروض ان قواعد مماثلة فرضت على الطبقة العليا في الفرقــة المزدكية ، لاننا نجد فيها هذا الميل نحو الزهد ورياضة النفس ، ولكن رؤساء المزدكية قد ادركوا أن الرجال العاديين لا يستطيعون التخلص من حب اللذات المادية،

---

(٥٩) تبريز : مدينة عامرة ذات أسوار محكمة وهي قصبة منطقة اذربيجــان ، انظــر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٣٩)

(٦٠) نيسابور : مدينة عظيمة ، من الري اليها مائة وستون فرسخا ومنها الى سرخس اربعون فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٧/٨) وانظر فجر الاسلام (١٣٤/١)

اي الرغبة في تملك الاموال والنساء ، أو المرأة التي يحبونها ، الا في اللحظة التي يستطيعون فيها اشباع هذه الحاجات بالاختيار ، وبهذه الفكرة ظهرت النظرية الاجتماعية للمزدكية : فان الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي بحيث لا يكون لاحدهم اكثر مما لغيره ، ولقد نتج عدم المساواة بالقوة فكل يريد اشباع رغباته على حساب اخيه ؛ والحقيقة ان من كان عنده فضلة من الاموال والنساء والامتعة فليس هو أولى بها من غيره ، فينبغي ان يأخذوا من الاغنياء للفقراء وأن يردوا من المكثرين على المقلين ، وذلك ليقيموا المساواة البدائية ، وينبغي ان تكون الاموال والنساء شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ .

وأكد مزدك ان ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب ، وانه لو لم يكن الذي أمرهم به وحثهم عليه من الدين لكان مكرمة في الفعال ورضاء في التفاوض .

وقد أصر المزدكية على وجوب القيام بأعمال الخير ، فانهم لم يحرموا القتل فحسب ، ولكنهم حرموا أيضا ادخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب في الضيافات يوصي بان لا يمنع الضيف من شيء يلتمسه كائنا ما كان .

واتصل مزدك بالملك (قباذ) ، وقد ذكر الثعالبي والفردوسي ، أن مزدك استطاع أثناء قحط ، أن يستدرج قباذ بالاسئلة الماكرة الى أن يعلن ان من منع رجلا من الطعام والشراب ينبغي أن يقتل به ، فخرج مزدك عند ذلك فقال للسوقة المتجمعين حول القصر : ان الملك قد اباح لكم ما في الاهراء من الغلات ، فابسطوا أيديكم ؛ واينما وجدتم شيئا فأستبيحوه . (٦١)

ونستطيع بدراسة عميقة لما في أيدينا من تاريخ المزدكية أن تكون لانفسنا فكرة تقريبية عن هذه الحركة أثناء حكم قباذ المديد . كانت المزدكية في الاصل مذهبا دينيا ، ولم يكن لمظهر المذهب الاجتماعي الا شأن قليل فيه ، والقوانين التي اصدرها قباذ في المدة الاولى من حكمة ليحقق الى حد ما المثل الاعلى الدنيوي للمزدكية ، كانت في الحقيقة قوانين ثورية . كانت المبادىء الشيوعية قد بدات تتأصل في السوقة ، وكانوا منذ أجيال في ضيق من ظلم الطبقات الممتازة ، وقد انتشرت هذه المبادىء بطيئة في أول الامر ، ثم لم تلبث أن اسرعت ، وظهرت اعمال لا تنطوي على الرحمة الدينية ولا تتمثل فيها النزاهة عن الهوى ، واستفحل الاستيلاء ، وجزء السوقة التكاثر ، فبدأوا العدوان ؛ ولا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان العبارة الآتية من كتاب

---

(٦١) الملل والنحل (٨٦/٢ — ٨٨)

(تنسر) تعبر عن هذا الحال (٦٢) « فاذا حجاب الحفاظ والادب قد ارتفع وظهر قوم لا يتحلون بشرف الفن اوالعمل ، لا ضياع لهم موروثة ولا حسب ولا نسب ولا حرفة ولا صناعة ، عاطلون مستعدون للغمز والشر وبث الكذب والافتراء ، بل هم من ذلك يحيون في رغد من العيش وسعة المال » .

وهكذا عم التطاول في كل مكان ، واقتحم الثوار قصور الاشراف ناهبين الاموال مغتصبين الحرائر ، وكانوا يملكون هنا وهناك اراضي قد بارت لان السادة الجدد لا يعرفون الزراعة .

ونرى الى اي حد بلغت الفوضى حينذاك مما جاء في روايات المؤرخين العرب عن الوسائل التي اتخذها كسرى الاول (انوشروان) من بعد لاصلاح ما نتج عن المفاسد .

فقد بدأ كسرى اصلاحاته بالقضاء على الفوضى التي أحدثها اتباع مزدك ، فرد الاموال الى أهلها منقولة كانت او ثابتة ، وجعل من الاموال التي لا وارث لها رصيدا لاصلاح ما فسد . وأما من غلب على أمره من النساء فكان ينظر لحالة كل منهن على حدة : فاذا كانت المرأة المغتصبة من طبقة الغاصب ، ولم تكن قد تزوجت من قبل أو كان زوجها قد توفي عنها ، يؤخذ الغالب لها حتى يغرم لها مهرها ويرضى أهلها ، فاذا لم يكونا من أهل طبقة واحدة ـ فالطلاق واجب على راي ، وفي راي آخر يكون لها الخيار في أن تكون زوجة لغالبها او أن يطلقها ، وعلى الزوج أن يدفع لزوجه المهر وان يُرضيَ أهلها على أية حال ، واذا كان للمرأة زوج وجب ردّها الى زوجها وألزم الغالب أن يدفع لها مهرا مساويا للمهر الذي دفعه زوجها الشرعي من قبل .

وامر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف ابوه وأن يعطى نصيبا من مال الرجل الذي ينسب اليه اذا قبله الرجل ، وأمر بكل من كان اضر برجل في ماله أو ركب احدا بمظلمة أن يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه .

وامر بعيال أهل الاحساب الذين مات قيّمهم فكتبوا له ، فأنكح بناتهم الاكفاء وجعل جَهازهم من بيت المال ، وانكح شبانهم من بيوتات الاشراف ، وساق عنهم وأغناهم وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في أعماله .

وامر بكري الانهار وحفر القنى واسلاف اصحاب العمارات وتقويتهم ، وأمر باعادة كل جسر قطع أو قنطرة كسرت أو قرية خربت ، وان يرد ذلك

---

(٦٢) دار مستتر ص (٢١٥) و (٢١٩) ، مينوى ص (١٣) ، الترجمة العربية للخشاب ص (٣٥)

الى احسن ما كان عليه من الصلاح .

وأمر بالنظر فيما تهدم من المساكن والقرى حيثما عجز الملاك عن المحافظة عليها ، وعلى أدوات الري والزرع ، فاعان أهلها لاصلاح حالهم وامدهم بالمواشي ، واعيد بناء القرى التي خربت واقيمت الجسور الخشبية التي كسرت وبنيت الجسور الحجرية التي انهارت ، ثم أقيمت الحصون في الاماكن المعرضة للعدو .

لقد أخذت المزدكية فيما بعد تتخذ رويدا رويدا طابع نظرية اجتماعية ثورية وهي تنتشر في الطبقات الدنيا من المجتمع ، وقد بقي أساسها الديني وكان لها دائما أنصار بين الطبقات العالية ؛ واخيرا احست الجماعة المزدكية بالقوة الكافية لانشاء المراتب الدينية ، فكانوا ينتخبون رئيسا يدعى : (المستشار) او (المعلم) ، وبقيت المزدكية فرقة سرية وعاشت على هذا النحو أيام الدولة الساسانية ، ثم عادت الى الظهور من جديد في العصور الاسلامية .

نرى من هذا ان تعاليم مزدك اشتراكية من أسبق الاشتراكيات في العالم ، ويقول الاستاذ نولدكه : « ان الذي يميز مزدك عن الاشتراكية الحديثة ما لتعاليمه من الصبغة الدينية » وقد كانت له تعاليم روحية أخرى، فقد كان يعلم القناعة والزهد وحرمة الحيوان فلا يذبح .

وقد اعتنق مذهبه الآلاف من الناس ، ولكن قباذ نكَّل به اخيرا وبقومه ودبر لهم مذبحة سنة (٥٢٣ م) كاد أن يستأصلهم بها .

مع هذا ظل قوم يتبعون مذهبه حتى الى ما بعد الاسلام ، وذكر الاصطخري وابن حوقل أن سكان بعض قرى (كرمان) كانوا يعتنقون المزدكية على عهد الدولة الاموية (٦٣) .

٣ ـ اثر الدين على الفرس

كان الفرس ميالين الى عبادة المظاهر الطبيعية ، فالسماء الصافية والضوء والنار والهواء والماء ، جذبت انظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات الهية ، حتى سموا الشمس عين الله ، والضوء : ابن الله ، كما ان الظلمة والجدب ونحوهما كائنات الهية شريرة ملعونة .

عبدوا آلهة الخير وصلوا لها وسبحوا بحمدها وقدموا الضحايا والقرابين لها واستمدوا العون منها ، ورأوا أن آلهة الخير في نزاع دائم مع

---

(٦٣) أنظر فجر الاسلام (١/١٣٧ ـ ١٣٨)

آلهة الشر ، وأعمال الإنسان من صلاة وغيرها تعين الآلهة في منازلتها آلهة الشر ، وقد اتخذوا النار رمزا للضوء ، وبعبارة أخرى رمزا لآلهة الخير ، يشعلونها في معابدهم وينفحونها بامدادهم حتى تقوى على آلهة الشر وتنتصر عليها .

وجاء زردشت ، فدعا الى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعد اصلاحها ، ثم جاء (ماني) وكانت تعاليمه مزيجا من الديانة النصرانية والزردشتية ، ثم جاء (مزدك) وكان يقول ايضا بالظلمة والنور وامتاز بتعاليمه الاشتراكية في المال والنساء ، وهكذا كانت الفرس تعيش موزعة بين (رمزية) ، زردشت الذي مهد للمجوسية و (عدمية) ماني الذي حرم الزواج استعجالا للفناء ، و (وجودية) مزدك الذي جعل الناس شركة في الاموال والنساء (٦٤)

ذلك بعض اثر الدين على الفرس : تفريق للصفوف وتبديد للقوى ، وتخبط في الظلام ، ومضيعة للوقت والجهود ، بدون هدف ولا انسجام فكري .

الجيش

اتسعت دولة (أردشير) في ظل نظام عسكري متين ، وقد أحس أنه وارث (دارا) وأن عليه أن يجدد الجهود التي بذلها الاشكانيون فكان نجاحهم فيها غير متكامل ، وذلك لكي يحيي الامبراطورية الشرقية التي قضى عليها الاسكندر ، وعلى هذا نجد اتجاها نحو التوسع في السياسة الخارجية التي انتهجها أردشير وخلفاؤه الاوائل ؛ وكانت هذه السياسة متجهة أولا الى حماية الحدود في الشرق والشمال والغرب ، تلك الحدود التي كانت مهددة دائما ، فكان لزاما اعداد خطط دفاعية محكمة عنها .

وقد عدلت النظم الاقطاعية القديمة وفقا للاوضاع ومقتضيات الاحوال في نظام الدولة الساسانية العسكري ، فأدمجت طوائف الجند التي كانت تتبع صاحب الاقطاع في الجيش النظامي .

لقد كان أكبر الإلقاب العسكرية وهو لقب (أرجبذ) وراثيا في الاسرة المالكة وأن وظيفتين عسكريتين أخريين ـ وهما رئيس شؤون الجيش وقائد الفرسان ، كانتا كذلك وراثيتين في أسرتين من الاسر الكبيرة ، وكان تحت امرة حكام المقاطعات التي على الحدود جنود مرتزقة في كل زمان ، وكانت تقيم دوما حاميات عسكرية في الاماكن الحصينة من الحدود .

---

(٦٤) فجر الاسلام (١٢٢/١)

وكانت نخبة الجيش ــ كما كانت في عهد الاشكانيين ، مؤلفة من الفرسان الدارعين ، الفرسان النبلاء ، وكان لهؤلاء (أسواران) المقام الاول في المعارك ، وكان النصر يتوقف على قوتهم وشجاعتهم في كل شيء ، فقد كان الايرانيون يزجون في الحرب ضد الرومان بكتائب منظمة من الفرسان الدارعين في صفوف كثيفة كل الكثافة ، فكان بريق الدروع يعكس هيبة تبهر الابصار ، وكانت فرق الفرسان كأنها صيغت من حديد ، وقد غطي جسد كل منهم بألواح من الحديد ملتصقة به الى درجة تجعل مفاصيل الدروع الحديدية الصلبة تتحرك في يسر وفقا لحركة أعضاء الجسد ، كما كان للوجه قناع مدرع يحميه ، لذلك كان من المتعذر تصويب سهم الى الفارس ما لم يسدد نحو الفتحات الصغيرة قبالة العينين أو الى الثقبين الدقيقين أمام الانف اللذين كان الفارس يتنفس منهما ؛ وكان بعض الفرسان المسلحين بالحراب يقفون بلا حراك حتى ليظن أنهم شدوا الى سلاسل من حديد وبجانبهم يقف الرماة وقد مدوا أذرعهم ليشدوا الاقواس المرنة بحيث يلمس الوتر الجزء الايمن من صدورهم بينما السهم معلق في ايديهم اليسرى ، وكان السهم ينطلق بضغط محكم بالاصبع فيدوي في الفضاء ويصمي من يصيبه .

ومع ذلك لم يكن الايرانيون ذوي بأس في الوغى ، فهم لم يتعودوا النضال في جسارة الا ان يكونوا على مسافة بعيدة من أعدائهم ، واذا أحسوا أن فرقهم تتراجع يتقهقرون سراعا كالريح العاصف ، مطلقين سهامهم من خلفهم كي يخففوا من جراة عدوهم وهو يطاردهم .

وكان لدى الساسانيين كما كان للاكمينيين ــ فرقة من الفرسان المختارين تسمى : (فرقة الخالدين) ، وهي تتكون كأنموذجها الاكميني ، من عشرة الاف فارس لهم رئيس خاص ، وأما الفرسان الفدائيون فهم فرقة أخرى ممتازة معروفة بالجرأة وتحدي الموت .

وكانت الفيلة تتخذ مكانها خلف الفرسان ، وكانت أصواتها ورائحتها ومناظرها المخيفة تلقي الذعر في خيل العدو ، وكان (الفيالة) يركبون وفي أيديهم اليمنى سكاكين طويلة المقابض ، فاذا ما ذعر فيل ــ وكان هذا يحدث أحيانا ــ فانقلب يتخبط في صفوف الايرانيين يوقعهم ويدوسهم ، فان الفيّال يبادر الى قتله بأن يغمد السكين في عظام رقبته .

وأما مؤخرة الجيش ، فكانت مؤلفة من المشاة يقودهم رؤساؤهم ، وكان المشاة من أهل القرى ، وكانوا يتخذون جندا لحفظ النظام ، يذهبون للحرب من غير أن يشجعهم أحد بالاجر او بغيره من المثوبة : انهم كانوا جمهرة الحراثين الخاضعين للنظام العسكري ، وقد كانوا على الاقل مصفحين بدروع مستطيلة ومقوسة من الخيزران المتشابك المغطى بجلد غير مدبوغ ،

وكان المشاة جنودا غير ماهرين بوجه عام .

وكانت الفرق الاحتياطية (الرديف) التي تتكون من الشعوب المحاربة القاطنة في أطراف الدولة أكثر غناء من المشاة الحراثين ، وربما كان بعض هذه الشعوب مستقلا استقلالا تاما ، ولكنهم كونوا بالمال فرقا من الجنود المرتزقة ، وكانت هذه الفرق تحارب راكبة كالاساورة الايرانيين .
وكان تنظيم الفرق يتلخص بوجود فرق كبيرة وفرق وسطى وفرق صغيرة ، وكان للايرانيين رايات وشارات عسكرية ، فهناك راية من النسيج طويلة ورفيعة تشبه كثيرا (الرباط) وهي تخفق على عصا .

وفي احدى الصور نقش رستم ، يرى حامل الراية ممسكا القناة بيده وقد الصق بها عارض من الخشب تعلوه ثلاث كرات : واحدة على كل من طرفيه ، والثالثة فوق القناة مباشرة .

وكان لديهم علم ناري اللون ، ونجد في قول الفردوسي ، وصف علم ملكي عليه صورة الشمس بلون بنفسجي ومن فوقها قمر مذهب ، كما نجد علماً محلّى بصورة أسد أمسك في مخالبه بدبوس وسيف ، وآخر أسود عليه صورة الذئب ، ورابعا عليه صورة النمر ، وأعلاما أخرى مزينة بغزال أو خنزير بري أو نسر ملكي او تنين له سبعة رؤوس متقابلة ، ثم هناك علم عليه صورة الشمس وآخر عليه صورة حمار الوحش ، وعلم قد جعلت له أهداب قد صور عليه القمر بلون أرجواني ، وعلم عليه صورة ثور .

وكان العلم الساساني (درفش كاويان) يتكون من فوطة الحداد الذي كان في الازمنة القديمة الخرافية قد أثار الناس على الملك الظالم (الضحاك) ، ولكن الاوصاف الباقية من هذا العلم الملكي لا ترقى الا الى العصر الاخير من حكم الساسانيين .

وفي المعارك الكبيرة التي كان يديرها الملك نفسه ، كان يحمل له عرش كبير ، يوضع وسط الجيش ، ويلتف حول العرش خدم الملك وحاشيته وفرقة من الجند كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت ؛ وقد رفعت الاعلام في أركان العرش ، وخلف هذه الاعلام يقف حرس من الرماة والرّجل ؛ فاذا لم يكن الملك حاضرا وكان قائد الجيش هو الذي يتولى المعركة ، فانه يجلس على العرش ، ومن فوق عرش كهذا قاد رستم معركة القادسية ؛ وكانت معابد نار مستقلة توضع في خيمة خاصة ، لان الملك لا يحارب مطلقا من غير أن يصحبه رجال الدين (المغان) وبيوت النار .

وقد تعلم الساسانيون من الرومان فن الاستيلاء على القلاع ، فكانوا يستخدمون آلات الهدم والمجانيق والابراج المتحركة وآلات الحصار الاخرى

التي كانت تستعمل قديما ؛ وكانوا اذا حوصروا هم أنفسهم يعلمون كيف يفسدون آلات عدوهم ، وذلك بايقاع آلات الهدم التي يستعملها عدوهم في الكمينات او بصب الرصاص المذاب او المواد الملتهبة عليها .

وكان الايرانيون يحرقون حقول القمح اذا توغل العدو في أراضيهم لكي يحرموه من الاستفادة منها للتموين ، وكانوا يفتحون السدود فيغرقون الاراضي لوقف تقدم العدو .

وكان أسرى الحرب عامة يساقون وقد قيدت أيديهم خلف ظهورهم ليباعوا رقيقا او كانوا يرحّلون الى الاماكن المهجورة من الدولة حيث يكوّنون مستعمرات زراعية .

وقد اتخذ الايرانيون طريقة بديعة لاحصاء القتلى في الحرب ، فقبل نشوب القتال كان يجري استعراض امام الملك الجالس فوق عرشه وامام القائد الذي أسندت اليه أدارة دفة الحرب ، وكان الجنود يمرون الواحد تلو الآخر ، وكل منهم يرمي سهما في أسفاط كبيرة وضعت هناك لهذا الفرض ، ثم تختم الاسفاط بالختم الملكي ، فاذا انتهت الحرب فتحت الاسفاط فيأتي الجند ويأخذ كل واحد منهم سهما واحدا ، فالاسهم التي تبقى تنم عن عدد القتلى او الاسرى .

وهكذا يتسنى للملك ان يعرف هل اشترى القائد نصرا بثمن غال ؟؟

وفي زمن السلم كانت الاسلحة ومعدات الحرب تحفظ في المخازن وفي المخابىء ، وقد كان على المسؤول عن ذلك أن يراعي كون كل شيء منظما ومعدا للتسليم في أقصر مدة ، فاذا انتهت الحرب أعيدت المعدات العسكرية الى مستودعاتها الخاصة بها .

وكانت الخيول موضع عناية خاصة ، وكان الطبيب البيطري ذا شأن ، وكانوا يجمعون له الاعشاب ليستخدمها في علاج الحيوانات ، ولم يكن الاستيلاء على خيول الشعب مباحا الا اذا أعلنت الحرب فعلا ولم تتيسر لدى الجيش الخيل اللازمة لادامة الحرب .

أما عن تموين الجيش ، من اللحم واللبن والخبز ، فان هذه المواد كانت توزن وتوزع يوميا على المحاربين بالتساوي ؛ ويظهر أن الجنود والخيل كانوا يتناولون موادا تموينية اضافية في يوم المعركة اكثر مما يأخذونه اعتياديا .

وكانت هناك ملاحظات مدونة عن خطط الحرب وعن الاحوال التي يجب الاشتباك في المعركة والحالات التي يتفادى فيها النزال ؛ وكان يشترط في القائد أن تتوفر فيه المزايا الضرورية لادارة القتال والقدرة على وضع الخطط ،

والنظرة السليمة ، والالمام بحالة جيشه ، ودقة سلوكه ، وعليه أن يعرف مزايا وحدات جيشه وقابلية كل وحدة منها ، وعليه الا يبدي غضبه يوم المعركة ، ولا يتخذ عملا يوقع الخوف في نفوس جنده ، ويجب أن يرتبط الجندي بأخيه بميثاق المحبة ، ويجب أن يطيع الجنود قائدهم طاعة عمياء . وعلى القائد ان يشجع جنده يوم المعركة حتى لا يبالوا بالموت وذلك بأن يذكرهم بواجبهم الديني الذي يحتم عليهم قتال الكفار ، وبالجزاء والاجر الذي سينالونه في الدنيا ، وبالذكر الطيب الذي سيكون لهم في الآخرة .

وكان الجيش يثار للقتال على قرع الطبل ، ويبدأ القتال بعد أن يصب الماء المقدس في أقرب مجرى ماء ، وبعد أن يرمى غصن مقدس على أنه السهم الاول .

وجرت العادة بأن القائد ينصح عدوه قبل المعركة بأن يخضع للشاهنشاه وأن يؤمن بدين زردشت ، وأن يدعو للحرب بالمبارزة بين رجل ورجل ، كل رجل له شجاعة في القتال .

وهناك تعاليم مدونة عن المكافآت التي تمنح للفرق المحاربة بعد الظفر ، ومعاملة العدو المنهزم ، والاسرى والرهائن ، وتخيير الشعب المغلوب بين الموت أو قبول الجنسية الايرانية ، ويحتمل أن يكون معنى ذلك الالزام بخدمة ايران بالسلاح ـ أي الاندماج في جيشها ـ وكان سلاح الفارس يتكون من : تجافيف ودروع وجوشن وساقين وسيف ورمح وترس وحزز تلزمه منطقة وعمود وجعبة فيها قوسان بوتريهما وثلاثين نشابة ووترين مضفورين يعلقهما الفارس في مغفر له ظهريا .

وكان السلاح الرئيسي : القوس والنشاب ، وهو السلاح القديم الذي كان الفرس يحسنون استعماله منذ أقدم العصور .

لقد كان الجيش الايراني مرتكزا على الحكم الاقطاعي ، فكان المرازبة والدهاقين يتولون قيادته ويتحكمون في الاراضي والعقارات الشاسعة للقيام باعاشة رجالهم ، ولم يكن للجيش الايراني هدف يوحّد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق ، كما كانت قيادته وراثية غالبا وكان قادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الاكاسرة لا على مواهبهم العسكرية وكفاءتهم في القتال (٦٥)

كما لم يكن الجنود الايرانيون على درجة عالية من الشجاعة والفداء ، كما أن الحروب التي دارت رحاها بين الفرس والرومان أضعفت قوى الجيشين على حد سواء .

---

(٦٥) أنظر : قادة فتح العراق والجزيرة ص (١٥)

الملوك

الملوك الساسانيون هم من نسل (ساسان) الذي كان سادناً لبيت نار في (اصطخر) ، وقد استفاد ابنه (بابك) الذي خلفه في منصبه من صلته ببيت البارزنجيين فنصب واحدا من اولاده الصغار (أردشير) في الوظيفة العسكرية الكبرى على مدينة (دار ابجرد) .

وتطلع أردشير الى ارتقاء عرش ايران ، ولكن الملك أعتبر بابك وولده أردشير ثائرين ، وقد مات بابك بعد ذلك بقليل ، فارتقى ولده الاكبر سابور عرش فارس .

واشتعلت الحرب بين سابور وأخيه اردشير ، ولكن سابور توفي فجأة ، فعمل أردشير على تثبت ملكه بغزوه (كرمان) وسواحل الخليج العربي و (أصفهان) و (ميسان) وقضى على آخر ملوك الاشكانيين (أردوان) في ٢٨ نيسان ٢٢٤ م ، فدخل (المدائن) دخول الظافر معتبرا نفسه وارث الاشكانيين ؛ فتوج رسميا ملكا لملوك ايران (شاهنشاه) بعد استيلائه على العاصمة (المدائن) بزمن قليل ، فكان أردشير مؤسس الاسرة الساسانية المالكة .

لقد أشاد المؤرخون بجدارة (أردشير) الحربية وبقوة روحه وبآرائه السياسية السديدة ، فقد خلق اداة سياسية ودينية ظلت اكثر من اربعمائة سنة ، كما أنشأ المدن والمعابد وحفر الترع وغيرها من المنشآت ذات النفع العام ، وقد توفي سنة (٢٤١ م) .

وتولى الملك بعد أردشير ولده (سابور) فتوج رسميا سنة (٢٤٢ م) فظهر ماني في أيامه ، فتساهل مع المانوية ورحب بهم ؛ وقد قال ماني عن ذلك : « وقد مثلت في حضرة الملك سابور ، فأحاطني برعايته ثم أتاح لي أن أجوب مملكته وأن أعظ بكلام الحياة ، وقد امضيت سنين عددا في حاشيته وسنين كثيرة في ايران ... الخ »

وتوفي سابور سنة (٢٧٢م) فخلفه ابنه هرمزد الاول سنة (٢٧٣ م) ، ولا نكاد نعلم شيئا عن الحوادث السياسية في عهد هرمزد الاول (٢٧٢ — ٢٧٣) وبهرام الاول (٢٧٣ — ٢٧٦) ابني سابور الاول .

واستؤنفت الحرب ضد روما ايام بهرام الثاني (٢٧٦ — ٢٩٣) ابن بهرام الاول ، وتقدمت جيوش الامبراطور كاروس حتى بلغت المدائن ، ولكن الروم تراجعوا عنها لوفاة كبيرهم فجأة ؛ وفي سنة (٢٨٣) عقد صلح تملكت به روما ارمينية والجزيرة ، وقد كان لتنازل الملك عن هاتين الولايتين للعدو الذي

كانت قواه قد وهنت اسباب وجيهة ، ذلك لان ثورة خطيرة قد شبت في الشرق .

وبعد موت بهرام الثاني في سنة (٢٩٣) ولي العرش ابنه بهرام الثالث ، ولكن حكمه لم يدم غير أربعة شهور ، فقد ثار أكبر اعمامه (نرسي بن سابور الاول) وانتصر عليه .

ولم يكن نرسي موفقا في حربه ضد روما ، فاضطر ان يتنازل للرومان عن مقاطعة ارمينية الصغرى ، واستمر السلم الذي عقد بين ايران وروما ما يقرب من اربعين سنة . وتولى الحكم هرمزد الثاني ابن نرسي (٣٠٢ — ٣٠٩ — ٣١٠) الذي اشتهر بأنه ملك رقيق الحاشية ، عادل ، خاض معارك حامية الوطيس ضد الروم . ثم ولي العرش آذر — نرسي أحد أبناء هرمزد الثاني من زوجته الاولى ، ولكنه لم يكن محبوبا من العظماء ، فعزل بعد أشهر من حكمه وسملت عينا احد اخوته وسجن آخر اسمه هرمزد ، فنصب العظماء احد ابناء هرمزد الثاني من زوجة أخرى ، الامير سابور الذي كان طفلا وقتذاك .

وقد حكم سابور الثاني سبعين سنة متواصلة (٣٠٩ او ٣١٠ — ٣٧٩) وحكمت امه يساعدها العظماء حين كان قاصرا ، فأبدى سابور وهو طفل اتجاها عجيبا الى الاصلاح ، فقد كان ينام ذات مرة في القصر الملكي بالمدائن، فاستيقظ على ضجة كبيرة امام القصر ، فلما سأل عن اسباب هذا الصخب اجابوه ، بانه ناجم عن تزاحم القوم على جسر دجلة حيث يتقابل الناس في الذهاب والاياب ، فأمر الملك في الحال بتشييد جسر آخر بجانب الاول ، بحيث يكون احد الجسرين للذهاب والاخر للاياب .

كان سابور الثاني ملكا عظيما جديرا بأن يخلف أردشير الاول وسابور الاول وبهرام الثاني ، وقد أطلق عليه الايرانيون لقب : (ذي الاكتاف)، لانه كان ينقب اكتاف الاسرى .

واخيرا اعد العدة لحرب روما ، فتذرع بالمنازعات الداخلية في أرمينية ليبدأ الحرب التي أراد بها استرجاع البلاد التي فقدت بهزائم نرسي ، فاجتاح ارمينية بغير صعوبة ثم اصطدم بعد ذلك بالرومان في الجزيرة ، وقد ثبتت (نصيبين) لهجمات الفرس المتوالية وظفر الرومان بمعركة (سنجار) (٦٦) ولكن هذا النصر تلته هزائم عديدة ، فكسب الايرانيون — بعد الصلح بين

---

(٦٦) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاث مراحل ، وهي على سفح جبل سنجار ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٤/٥) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٥٣) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٩٣) وتقويم البلدان ص (٢٨٢) وانظر مختصر كتاب البلدان ص (١٣٦) .

الطرفين والذي استمر ثلاثين عاما ـ نصيبين وسنجار والمقاطعات المتنازع عليها في ارمينية .

وسابور الثاني بين الملوك الساسانيين الأول ، هو الملك الوحيد الذى تتيح لنا مصادرنا ان نتعرف مزاياه ، فقد كان مهيب المظهر جريئا ، ذا قامة مديدة يفرع حاشيته كلها طولا بمقدار الرأس ، وكان مزهوا الى اقصى حد بقوته وعظمته ، سريع الغضب ، قاسيا ولم تكن الانسانية ومروءة الفروسية غريبتين على اخلاقه ، وكان قائدا عظيما ، ولم تحدث مذابح بدون جدوى في أيامه عند الاستيلاء على بلاد معادية غالبا ، وقد شيد عدة مدن كبيرة .

وخلف سابور اخوه أردشير الثاني (٣٧٩ ـ ٣٨٣) وسابور الثالث ابن سابور الثاني (٣٨٣ ـ ٣٨٨) وبهرام الرابع ابن سابور الثاني (٣٨٨ ـ ٣٩٩)، وكانوا ملوكا ضعفاء استعاد عظماء الدولة في عهودهم ما فقدوه من الارض ايام سابور الاكبر ، وقد عزل العظماء الاول ، وذاق الآخران الموت الزؤام .

وفي السنوات الاولى من حكم بهرام الرابع ، اقتسمت ايران وروما ملك ارمينية ، فدخل قسمها الشرقي ـ وهو اكبرها تحت حماية ايران ، وخضع القسم الغربي لحماية الرومان .

وتولى العرش يزدجرد الاول (٣٩٩ ـ ٤٢١) وكان ملكا مملوءا بالنشاط ميالا بطبعه الى الخير ، وفي ايامه ساد السلام بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية ، فأمر باعادة بناء الكنائس المخربة واطلاق سراح المسجونين بسبب عقيدتهم من النصارى وسمح لرجال الدين المسيحي بالتجول في كل مكان بالدولة ، ولكنه غيَّر سياسته مع النصارى في اواخر ايام حكمه لانهم عتوا وتحدوا الرأي العام ، فلم يكن مفر من مقابلة الشر بمثله .

وترك يزدجرد الذي توفي سنة (٤٢١) من بعده ثلاثة ابناء : سابور ، وبهرام ، ونرسي ، وكان يزدجرد قد اقام ابنه سابور ملكا على قسم ارمينية الخاضع لايران ، وكان بهرام يقيم عند ملك الحيرة العربي التابع للملك الفارسي ويحتمل أن يكون نرسي ابن يزدجرد الثالث قاصرا عند وفاة ابيه .

وقد اراد الاشراف ورجال الدين انتهاز الفرصة لكي يوطدوا جاههم، فتألفت جماعة من الاشراف لكي يبعدوا ابناء يزدجرد جميعا عن وراثة العرش ، فسارع سابور ملك ارمينية الى المدائن ليضمن العرش ، ولكن العظماء ، قتلوه ونصبوا اميرا اسمه : كسرى ، ملكا عليهم وهو من فرع بعيد من الاسرة الساسانية .

ولكن الامير بهرام لم ينتظر ان يهزم بغير معركة ، فتقدم نحو المدائن يساعده العرب ، فارتاع العظماء واهل البيوتات وبداوا يفاوضون المنذر بن

النعمان ملك الحيرة وربيبه بهرام ، وعزل كسرى وولي بهرام العرش .

ولم يكن لأحد من ملوك الساسانيين ـ عدا اردشير الاول وكسرى انوشروان وكسرى برويز ـ ما كان لبهرام الخامس من ميل قلوب الناس اليه ، فانه خفض الضرائب عن أصحابها عطفا منه على الناس اجمعين ، وكان مطبوعا على الجلد والنشاط فدعا الناس الى التمتع بالحياة ، وكان يقول الشعر العربي ويتكلم بسائر اللغات ، وكان محبا للموسيقى فسوّى بين الطبقتين من الندماء والمغنين ورفع من اطربه، وقد توفي سنة (٤٣٨) او (٤٣٩) وكانت وفاته طبيعية في قول الفردوسي ولكن معظم المصادر العربية تجعل موته ضحية حبه للصيد .

ولم يكن يزدجرد الثاني ابن بهرام وخليفته متحليا بصفات ابيه الحميدة ، وقد حدثت حرب صغيرة ضد الروم في اول عهد يزدجرد (٤٤٢)، وانتهت من غير حوادث خطيرة الى صلح لم يبدل من جوهر الاوضاع السابقة .

ومات يزدجرد ميتة طبيعية سنة (٤٥٧) فتوج من بعده ولده هرمزد الثالث ، ولكن اخاه الاصغر منه فيروز كان يتطلع الى العرش ، فجمع جيشا وهاجم هرمزد وكان في (الري) (٦٧) وبينما كان الاخوان يتقاتلان كانت امهما تحكم في المدائن ، فقتل هرمزد وانتصر اخوه فيروز .

وكان عهد فيروز (٤٥٩ ـ ٤٨٤) غير موفق ، فقد كان الدفاع عن الحدود الشمالية والشرقية يتطلب جهودا حربية ، وقد زاد على متاعب الحرب قحط طويل على اثر الجفاف ، فرفع فيروز عن الناس جزءا من الضرائب ونظم توزيع الغلال ، وقد قتل فيروز في أحد حروبه سنة (٤٨٤) ولم يعثر على جثمانه .

وتولى بلاش اخو فيروز الملك ، فتحولت أيران في عهده الى دولة ذليلة بتبعيتها الى ملك الهياطلة ، وقد قضي على خير رجال الجيش ، ولم يكن لدى الملك من المال ما يدفع منه اجور الجند ، ومع ذلك كان مخلصا توفرت فيه اطيب النيات لاسعاد رعيته ، ويقال : انه كان لا يبلغه ان بيتا خرّب وجلا اهله عنه الا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركه انعاشهم وسد فاقتهم حتى لا يضطروا على الجلاء عن اوطانهم .

ولكنه لم يكن الرجل الذي يجب ان يكون لاحياء الدولة ، فشاع التذمر

(٦٧) الري : مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٥/٤) والمسالك والممالك للاصطخري (١٢٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٧٥)

بين العظماء وعزل بلاش بعد حكم اربع سنوات وسملت عيناه .

وحل محله قباذ بن فيروز (٤٨٨) فأشعل غضب العظماء لصلاته بفرقة المزدكية الكافرة والبدع التي ترتبت على ذلك ، وقد باشر قباذ حكمه متبعا سبيل العنف ثم ادخل على النظام الاداري بدعا ، وكان مستعدا للتطويح بالنظام القائم ولقلب حياة الافراد قلبا ثوريا وللقضاء على الآداب القديمة، وقد اتصل بمزدك ودخل في مذهبه وتصرف على هذا الاساس ، فأصدر قوانين تبيح النساء والاموال ، وقد تحالف مع المزدكية بقصد تحطيم قوة الاشراف ، فقامت ثورة في القصر اثارها بعض كبار رجال الدين الزردشتيين، ونصب الثوار (جاماسب) اخا قباذ على العرش .

واجتمع الاشراف الذين كوّنوا مجلس شورى الملك تحت رياسة جاماسب ليتداولوا في مصير قباذ ، فأشار بعضهم بأن الافضل قتل الملك المعزول ، ولكن الاكثرية رفضوا اقتراحه واشاروا برأي اقل غلوا ، فحبس قباذ .

ولكنه لم يلبث طويلا في سجنه ، فقد خلصه احد أصدقائه وهرب معه الى بلاط ملك الهياطلة او الخاقان ، فاستقبله استقبال صديق قديم وزوّجه ابنته ، واخيرا امده صهره بجيش وتعهد قباذ باداء الجزية اذا نجح في استعادة عرشه ، وفي سنة (٤٩٨) او (٤٩٩) دخل قباذ مملكته بدون حرب تقريبا .

ولم تتحدث المصادر جميعا عما جرى من حوادث ايام جاماسب، فثورة الارمن والاضطرابات الاخرى التي بدات من قبل ، قد استمرت ولم يتم كبحها الا بعد سقوط جاماسب ، وهذا الملك الذي اكتسب شهرة الملك الرحيم العادل لم يثبت انه نشيط عامل ، ولما لم يجد مدافعين عنه متحمسين آثر ان ينزل باختياره عن العرش لاخيه ، وعفا قباذ عن جاماسب ولم يقتله، كما قبل اعتذار الاشراف الذين تآمروا عليه وعفا عنهم ، ولم يعاقب غير من كانت عداواتهم بالغة الخطر .

وقد عرف قباذ كيف يثبت سلطان الملك ، فقد أخضع اعداءه وشن حربا على الروم ، واما الارمن فقد أخضعوا وأقر قباذ بحقهم في حرية العقيدة على شرط ان يعاونوه مخلصين في الحرب ضد الروم ، فقبلوا كارهين .

وحوالي سنة (٥١٩) اثيرت مسألة وراثة العرش ، وكان قباذ قد وطد سلطانه حينذاك الى حد ان حاول اعادة النظام القديم الذي يخول للملك ان يختار خليفته ، ونجح في ذلك .

واختار قباذ ابنه كسرى انوشروان ، فعارض المزدكية (قباذ) في وراثة

العرش ، فدعا قباذ الى مؤتمر ديني حضره كبير المزدكية مع رؤساء الفرقة، واجتهد في دعوة جماعة كبيرة من المزدكية . وترأس قبـاذ نفسه المجلس ، ولكن كسرى ولي العهد الذي رأى حقوقه مهددة ، عمل وسعه لانهاء هـذا الامر بضربة قاضية يصوبها نحو هذه الفرقة ، وجيء بأقوى المناظرين مـن الموابذة كما حضر الموبذان موبذ واسقف نصارى ايران . وارتج على انصار المزدكية وغلبوا ، وفي هذه اللحظة انقض الجند الذين كـانوا يحـاصرونهم وانهالوا عليهم بأسلحتهم ، فقتل مزدك وعدد كبير من اصحابه كمـا استبيح دم المزدكية بعد ذلك وبدأت المذابح ، فلم يستطع اهل هـذا المذهب وهـم مشتتون لا رئيس لهم ، مقاومة اعـدائهم الألداء فقتلوا وصودرت املاكهم واحرقت كتبهم الدينية .

وبعد هلاك المزدكية خطا قباذ اول خطواته الى تحقيـق برنامجـه في الاصلاح ، الذي انتهى نهاية طيبة في عهد خليفته ، ولعله قد اقترح وأعد في هذا البرنامج نظام الضرائب الذي أكسب كسرى المجد .

وفي سنة (٥٣١) أصيب قباذ بالمرض ، فأملى وصيته الاخيرة بولايـة كسرى من بعده ، وقد توفي بعد ذلك بقليل .

***

يعتبر ارتقاء كسرى الاول عرش ايران ــ وهـو المعروف في التاريـخ بلقب (انوشروان) ــ افتتاحا لأزهى عصر من عصور الدولة الساسانية، فانه قد قضى على البدع التي اتت بها جماعة مزدك ، كما ساد في حكمه الامن في داخل البلاد ، ولكنه كان امنا جزئيا لقوم منهكين فقراء من كثرة ما لقوا من الفتن وسوء الحكم الذي عم جميع الطبقات .

لقد كان انوشروان عماد السلطات كلها ، فهو يحكم على النبلاء كمـا يحكم على أفراد الشعب ، وكذلك خضع له رجال الدين .

وقد بدأ اصلاحاته بالقضاء على الفوضى التي احدثهـا اتباع مزدك ، فقضى بحكمته وعدله على المظالم واعطى كل ذي حق حقه .

واتجه كسرى الاول لاصلاح نظام الضرائب ، فمسحت الأراضي المزروعة بدقة وحدد ما يدفع عنه المال منها ، ثم اتخذ هـذا النظـام وسيلة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد : درهم واحد في السنة عن كل جريب (٦٨) مـن القمح او الشعير ، وثمانية دراهم في السنة عن كل جريب من الاعناب، وسبعة

(٦٨) الجريب : (٢٤٠٠) متر مربع

دراهم في السنة عن كل جريب برسيم ، وخمسة اسداس درهم في السنة عن كل جريب ارز ودرهم واحد عن كل اربع نخلات ايرانية او ست آرامية او ستة اصول من الزيتون .

واعفيت كل المحصولات الزراعية الاخرى من الضرائب ، كذلك اعفي النخل المتفرق الذي لا يكون حديقة واحدة ، والذي لا شك فيه ان هذا النظام كان مرضيا للشعب بصفة عامة ، كما انه امدّ الخزينة بدخل اوفر واكثر استقرارا .

وقد عدّل انوشروان الضريبة الشخصية وفقا للقانون الذي اعده المختصون ، ففرضت هذه الضريبة على من يتفاوت عمرهم بين العشرين والخمسين من الرجال ، واستثني منها أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك .

وقسم من فرضت عليهم الضريبة الى طبقات كثيرة حسب ثرائهم : فمنهم من كان يدفع اثني عشر درهما ، ومنهم من يدفع ثمانية ، ومنهم من يدفع ستة ، واكثر الشعب كانوا يدفعون اربعة دراهم .

واعفى من الضريبة العقارية من بارت زراعة قمحه او تلفت اشجاره وقت جباية الضريبة ، وكان على قضاة المراكز ، ان يرفعوا الى الحكومة المركزية بيانا بالاراضي المعفاة ليتسنى للحكومة أخبار الجباة عنها ، وقد اراد كسرى بهذه الرقابة ان يقضي على الظلم الذي كان يقع على الناس عادة من تعسف الجباة في استعمال حصتهم .

وادخل على النظام العسكري اصلاحات جديدة ، فقد كانت أسر النبلاء الفقيرة ــ حتى ذلك الوقت ــ هي التي تتكون منها نواة الجيش ، وكانوا مجبرين على القيام بالجندية بلا اجر ، بل كان عليهم ان ينفقوا على أسلحتهم، ولكن كسرى تفقد الاساورة (الفرسان) فمن لم يكن له منهم يسار قوّاه بالدواب والعدة واجرى لهم ما يقويهم من مال ، وكان المشاة من الحراثين الفقراء ، ولم يكن لهم في الحرب ــ في جميع العهود ــ شأن كبير، منهم جماعة من الحراثين البؤساء يعملون في الجيش لهدم الاسوار وسلب القتلى ثم خدمة الجند من الفرسان .

وكان هناك طابع للاصلاح العسكري أيام انوشروان ، فقد حصّن مدن الحدود واتخذ منها مسالح لها حاميات خاصة مؤلفة من مقاتلي الامم المغلوبة على امرها الاشداء .

واستتبع النظام العسكري الجديد تغييرا في القيادة العليا ، فألغى انوشروان وظيفة القائد العام لايران وكانت له الرياسة على الجنود ، ففرق

كسرى سلطة هذا المنصب بين اربعة قادة ، منهم واحد للمشرق وخراسان وما والاها ، والثاني من العراق حتى حدود الدولة البيزنطية ، والثالث لليمن والرابع لاذربيجان وما والاها وهو بلاد الجزيرة .

لقد اجرى كسرى اصلاحات عظيمة في الجيش ، فجعل منه اداة عظيمة في الحرب وفي حفظ الامن .

وكان النزاع بين دولة الغساسنة وهي تابعة للروم وبين ملك الحيرة وهو تابع لملك ايران سببا في قيام الحرب بين الدولتين الكبيرتين ، وفي سنة (٥٤٠ م) استولى كسرى على (انطاكية) وخربها ، وبعد سلسلة من الحروب اعلنت الهدنة بين الطرفين سنة (٥٤٥ م) ، وبعد ذلك نشب القتال حين حاول كسرى اخضاع بعض نصارى القوقاز ، وكانت محاولة عقيمة بسبب تدخل الروم ، وعقد الصلح النهائي بين الدولتين سنة (٥٦٢ م) لمدة خمسين سنة .

ونجح كسرى بين سنتي (٥٦٣ ــ ٥٦٧ م) في ابادة دولة الهياطلة ، وكان نهر (جيحون) هو الحد بين ايران واراضي الخاقان التركي الذي اصبح عدوا شديد المراس لا يقاس به ملك الهياطلة ، وظهرت في القوقاز قبائل الترك ايضا ، ولكي يدفع كسرى عن هذه الحدود هجماتهم ، جدد تحصينات قلعة باب الابواب (٦٩) (دربند) وقواها .

ومد كسرى نفوذه جنوبا على اليمن ، وقد تحالف احد قواد كسرى مع العرب وطرد الاحباش منها سنة (٥٧٠ م) .

لقد كان كسرى مثالا للملك العادل ، وقد طبقت القوانين في ايامه بدقة وعدالة .

وبلغت (المدائن) عاصمة الدولة في عهده اقصى اتساعها ، وكانت محاطة بأسوار حصينة عليها ابواب محكمة .

وقد بدات النهضة الفلسفية والادبية في ايران ايام كسرى انوشروان، وحالف رجال الدين الزردشتي لكي يخلص نهائيا من المزدكية ، ولا شك أن كسرى كان زردشتيا ، الا انه كان حر التفكير ، وكانت عقليته قابلة لبحث الاراء المختلفة في المسائل الدينية والطبيعية ، وقد منح النصارى حرية العقيدة .

---

(٦٩) باب الابواب : ويقال لها : الباب أيضا ، ميناء كبير على بحر الخزر وهي مدينة كبيرة محصنة ، أنظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٠٩ ــ ١١٠) ومعجم البلدان (٩/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦)

ان عهد كسرى الاول من امجد العهود الساسانية ، فقد بلغت ايران في ايامه مجدا فاق ما بلغته ايام الملوك العظام .

وخلف كسرى الاول على العرش هرمزد الرابع سنة (٥٧٩ م) ، فكان خير خلف لخير سلف .

وقد كان بوسعه ان يدّعي لنفسه لقب : العادل ، ولعله كان أكثر استحقاقا له من كسرى ، فقد كان كثير العطف على الضعفاء والمظلومين شديدا على الاشراف والظالمين .

وقد عرّضه تسامحه في امور الدين لحقد رجال الدين الزردشتي ، وحينما ولي العرش كانت مفاوضات السلم تدور بين بيزنطة وايران ، فعمل على اخفاقها .

فتجددت الحرب سنة (٥٨١ م) على غير طائل .
واخيرا ثار عليه القائد (بهرام) الذي مني بالهزيمة امام الروم فانتزعه هرمزد بطريقة مهينة ، فانتشر التمرد في البلاد كلها ، ونجحت الثورة وخلع الملك وادخل السجن وسملت عيناه .

وتولى ابنه كسرى الثاني (ابرويز المظفر) العرش سنة (٥٩٠ م) ، ولكن القائد الثائر بهرام جوبين لم يكن مستعدا لمبايعة الملك ، فتجرا على المطالبة بالعرش فولى كسرى فرارا امام قوات بهرام المتفوقة ، ودخل بهرام مظفرا الى العاصمة ووضع التاج على مفرقيه رغم معارضة لفيف من العظماء ، ثم سك النقود باسمه بينما كان كسرى يعبر الحدود البيزنطية ويحتمي بالامبراطور موريس .

وكان عهد بهرام السادس سلسلة من الاضطرابات والمعارك ، فقد كان رجال الدين خصوما له وكذلك كان عدد كبير من العظماء الذين لم يريدوا المبايعة لمغتصب من طبقتهم انفسهم ، فدبرت فتنة ضد بهرام ، ولكن المؤامرة فشلت وقتل زعماؤها .

وعمل الامبراطور موريس على مناصرة كسرى وامده بالعون العسكري، وبعد معارك عنيفة هزمت قوات بهرام ، فلجأ آمنا الى بلاد الترك حيث قتل بعد زمن قليل .

وعاد كسرى الثاني الى عرشه ، فتغلب في الاخير على مؤامرات ودسائس داخلية ، ثم هاجم بيزنطية متذرعا بمقتل الامبراطور موريس سببا لهجومه، ففزا آسيا الصغرى واستولى على الرها وانطاكية ودمشق وبيت المقدس حيث انتزع (الصليب) وبعث به الى المدائن ، ثم استولى على الاسكندرية

واجزاء اخرى من مصر ، وفي ذلك الوقت حوالي سنة (٦١٥م) بلغت قوة كسرى اوجها .

وقد اوقف هرقل آخر الامر الزحف المظفر الذي قامت به جيوش الفرس ، فاستعاد آسيا الصغرى وتقدم طاردا جيوش كسرى في ارمينية واذربيجان .

وبعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة لقي كسرى الثاني المصير الذي اعده لأبيه من قبل ، فانه بعد أن رفض عروض الصلح الذي قدمها هرقل عاد الى قصره في المدائن ، ثم لم يلبث ان عبر دجلة ليقيم مع عشيقته (شيرين) في سلوقية ، وحينئذ ثار القواد الفرس وكانوا ساخطين على اصرار كسرى على مواصلة حرب لا أمل فيها . ومرض كسرى بالزحار فنقل الى المدائن ليرتب وراثة العرش ، وكانت معه شيرين وولداه مردانشاه وشهريار ، وكانت نيته تثبيت مردانشاه على العرش . ولما علم قباذ الملقب بشيرويه وهو ابن كسرى ولعله اكبر الامراء ، عزم على الدفاع عن حقوقه واستوثق من مساعدة القائد العام الجديد ، وانضم لشيرويه عظماء آخرون .

وهكذا نصب شيرويه نفسه ملكا ، وفي الصباح الباكر سمع كسرى الثاني الناس يصيحون فرحين : (قباذ شاهنشاه) ، ففر كسرى وقد اخذ الهلع منه كل مأخذ واختبأ في حديقة القصر حيث عثر عليه فقتل غداة هذه الحوادث ، وامر شيرويه بأن تقطع ايدي اخوته وارجلهم ثم قتلهم بعد ذلك .

وقد توفي قباذ الثاني (شيرويه) بعد ان حكم حوالى الستة اشهر مسموما او فريسة لطاعون مروع اجتاح الدولة واهلك الكثير من سكانها .

وتولى العرش ابن شيرويه : أردشير الثالث ، وكان طفلا فنصب عليه الرئيس الاعلى (ماه آذركشب) رائدا فكان الوصي الحقيقي له ، وقد ابى (فرخان شهربراز) قائد كسرى برويز المشهور ان يخضع لاوامر واحد من اكفائه ، فاتفق مع هرقل ملك الروم وزحف بجيشه على المدائن فدخلها وقتل الملك الصغير الذي لم يكن قد حكم غير سنة ونصف ، ونصب شهربراز نفسه ملكا بالرغم من انه لم يكن من الاسرة المالكة .

ولكن مؤامرة دبرت ضد الملك الجديد ، فقتل الغاصب وبويع كسرى الثالث ابن الامير قباذ اخي كسرى الثاني ملكا على القسم الشرقي من الدولة ، ولكن لم يلبث ان قتله حاكم خراسان .

وفي المدائن وضعوا التاج على راس السيدة بوران بنت كسرى برويز ، فعقدت سلما نهائيا مع بيزنطة . وتوفيت بعد أن حكمت حوالي سنة واربعة اشهر ، وكان الفرس قد ردوا قبيل محادثات الصلح الاخيرة ، الصليب الذي

كانوا قد اخذوه من بيت المقدس ، وقد كان الاحتفـال بهذا الحادث سنـة (٦٢٩ م) في بيت المقدس .

وتولى الملك فيروز الثاني لمدة قصيرة جدا ، ثم نصبت (آزر ميدخت) اخت بوران ملكة في المدائن ، ولم يلبث حكمها غـير بضعـة شهور حيث ثار عليها احد القادة وسمل عينيها .

وحوالي هذا الوقت نفسه بين سنتي (٦٣٠ م) و (٦٣٢ م) حكم هرمزد الخامس وكسرى الرابع ، ولا نعرف عنهما غير الاسم .

وفي مدة أربع سنوات تقريبا ولي عرش ايران عشرة ملوك على الاقل ، واخيرا عثر على امير من نسل كسرى برويز هو يزدجرد ابن الامير شهريار، وكان يعيش مختفيا في اصطخر ، وقد بايعه عظماء اصطخر ملكا وسار اعوانه الى المدائن فاستولوا عليها بمساعدة رستم (٧٠) ، وهكذا اتحدت المملكـة للمرة الاخيرة تحت حكم يزدجرد الثالث .

هذا هو حال أيران ، حين أغارت عليها جيوش العرب المسلمين بروح لا يقاوم .

وكان من اسباب انتصار العرب المسلمين على الفرس تسلط القـادة العسكريين ومحاولاتهم اغتصاب العرش وتسلط حكام الولايات واعتبارهم ولاياتهم كأنها اقطاع وراثي ، فكانوا شبه مستقلين عن الدولة المركزية .

وفي سنة (٦٣٦ م) التقى الجيش الفارسي بقيادة رستم بجيش العرب المسلمين بقيادة سعد بن ابي وقاص الزهري فيالقادسية غير بعيد عنالحيرة، واستمر القتال ثلاثة ايام وانتهى بهزيمة الفرس وقتل رستم .

وتقدم العرب المسلمون نحو المدائن سنة (٦٣٧ م) ففتحوها ودخل سعد بن ابي وقاص مظفرا في العاصمة المهجورة وعسكر بجيشه امام طاق كسرى.

وحاول الملك محاولة اخيرة فجمع جيشا من جميع اجزاء المملكة ووضع على راسه قائدا مسنا اسمه (بيروزان) ، فاشتبك بالعرب المسلمين سنة (٦٤٢ م) في موقعة نهاوند التي كانت معركة جامية الوطيس والتي انتهت بهزيمة الفرس ، فلم يبق بعد ذلك جيش للملك .

وترك الملك الدفاع عن المملكة للمرازبة او الى الولاة المحليين ، وقـد ابلى بعض هؤلاء مثل الهرمـزان في الاهـواز بلاء حسنـا في مقاومة العرب المسلمين ، ولكن بغير جدوى .

---

(٧٠) هو قائد الفرس في معركة القادسية

وفتحت همذان والري واذربيجان وارمينية ، وتراجع يزدجرد الى اصفهان حيث اقام ومن حوله عدد كبير من النبلاء . وبعد دخول العرب المسلمين اصفهان آوى يزدجرد الى اصطخر ثم هرب منها بعد فتحها وفتح فارس كله وهو الاقليم الذي نشأت فيه الاسرة الساسانية .

ولجأ يزدجرد اخيرا الى خراسان ، وعبثا حاول استنهاض همم الولاة المحليين لحمل السلاح وكان قد طلب سنة (٦٣٨ م) عون امبراطور الصين .

وسار من نيسابور الى طوس ، فلم يرد حاكمها ان يأويه ورده برفق، فاتجه الى (مرو) آخر الامر لعله يجد مأوى ، ولكنه هرب منها خوفا من اسره في ظلام الليل وقد اتشح بثوب مطرز بالذهب ، وبعد ان سار حينا على غير هدى احس بالتعب فدخل طاحونة وسأل الطحان ان يأويه سواد الليل ، فلم يعرف الطحان ضيفه ، ولكن ما عليه من فاخر الثياب اثار طمعه ، فقتله وهو يغط في النوم (٧١) .

وبذلك انقضى ملك العجم بعد عشرين سنة مضت من ملك يزدجرد في سنة احدى وثلاثين للهجرة (٦٥١ م)

فما هي حقوق الملك وما هي واجباته ؟

نستطيع ان نقول : انها خلاصة للنظرية الدينية في السلطة الملكية ايام الساسانيين ، وقد عدلت هذه النظرية تعديلا طفيفا بحكم التطور ايام كسرى الاول ، ولكنها ليست دينية دائما .

وصفات الملك وواجباته هي : ١ ــ الصفات والواجبات التي تتصل بالدين ، ٢ ــ العقل السليم ، ٣ ــ الخلق القويم ، ٤ ــ القدرة على العفو ، ٥ ــ حب الرعية ، ٦ ــ القدرة على تهيئة الراحة للرعية ، ٧ ــ السرور ، ٨ ــ التذكر دائما بان السلطة فانية ، ٩ ــ تقدير الاكفاء برفع درجاتهم ، ١٠ ــ تنبيه الغافلين ، ١١ ــ حسن السلوك مع رؤساء الاقاليم ، ١٢ ــ اصدار الاوامر العادلة ، ١٣ ــ مراعاة عقد اجتماعات عامة في حضرته ، ١٤ ــ الكرم ، ١٥ ــ طرح الحرص ، ١٦ ــ تأمين الناس من الخوف ، ١٧ ــ مكافأة الطيبين بجعلهم مع رجال البلاط او برفع درجاتهم، ١٨ ــ العناية بتعيين المديرين في الدولة ، ١٩ ــ طاعة الله طاعة تامة .

ومن خلال هذه الصفات والاوامر ، نستطيع ان نتبين بوضوح النظرية الدينية في الدولة ونرى الى اي حد كانت هذه النظرية تعتمد على الطابع

---

(٧١) انظر تفاصيل روايات مقتله في الطبري (٣٤٢/٣ ــ ٣٤٨) وابن الاثير (٤٥/٢ ــ ٤٧) وتاريخ أبي الفدا (١٦٨/١) وابن خلدون (١٣٦/٢)

الديني للدولة على اساس الاستبداد . وقد قام دستور الدولة الساسانية قولا وفعلا الذي يلطفه (جزاء) العزل او القتل ، وفي هذا حد من سلطة الملك، حد لا يستند الى نصوص في دستور مسطور ولكن يستند الى الروح الديني والخلقي في الدولة ، وكان عجز الملك يتجلى بطرق مختلفة منها ضرورة اتباع نصائح كبار رجال الدين وتوجيههم ، وكانت نظرية عزل الملك سلاحا قويا في ايدي الموابذة ، واذا كثر المرشحون للملك وكان يشد أزر كل واحد منهم حزب النبلاء ، كان رأي كبير الموابذة فاصلا في تعيين الملك الذي يرضاه ، فانه يمثل القوة الروحانية وفي شخصه يتجسد ايمان الامة وشعورها الديني .

وكان الملوك الساسانيون الاول يعيّنون خلفاءهم ، ولكن ولاية العهد لم تكن مرتبطة بقواعد محددة ، والعادة ان ينصب الملك احد ابنائه لولاية عهده، ولكنه اذا اراد يستطيع ان يعين فردا آخر من بيته .

وفي المدة التي ضعف فيها سلطان الملك ، استطاع ملوك مثل بهرام الخامس ويزدجرد الثاني ان يسيروا في حكمهم بلباقة ، فقد اظهر هذان الملكان للناس التقوى وتركا امور الدولة للعظماء يسيرونها ، وفي هذه المدة لم يكن الملك يختار ولي عهده ، بل جرى العمل في الواقع على اختيار الملك من بين افراد اسرة الساسانيين ، وقد اعطي حق انتخاب الملك لرؤساء رجال الدين والجيش والكتّاب ، وفي حالة اختلافهم الى كبير الموابذة وحده .

ويجري انتخاب الملك بالطريقة الآتية : كان الملك يكتب بيده ثلاث وصايا يودع الاولى للموبذان موبذ (قاضي القضاة) والثانية كبير الكتّاب ، والثالثة كبير رجال الجيش ، ولم تكن هذه الوصية لتحوي غير نظرات عامة وآراء في اخلاق المرشحين المختلفين واستعدادهم وحاجات الدولة ، فهي لا تتضمن توصية محدودة ، ولو كان الامر كذلك لما كان هناك حاجة للمداولة واختيار واحد من اولئك الثلاثة الكبار ، وحينما يموت الشاهنشاه يدعى الموبذان موبذ ومعه الرجلان الآخران ، ثم يجتمعون للمداولة ويفضون الرسائل ويتشاورون في اختيار احد أبناء الملك ، فاذا اتفق رأي الموبذان موبذ مع رأي الآخرين ، يذاع الرأي على الناس ، اما اذا كان اختلاف لم يذع شيء في الخارج ، ولا يعلم احد شيئا عن الوثائق المكتوبة او عن رأي الموبذان موبذ الى ان يدعو هذا الى مجلس سري فيه الهرابذة وعلماء الدين والزهاد، فيصلون ، ويقف الاتقياء من خلفهم يقولون : آمين ، ويسجدون ويرفعون ايديهم وهم خاشعون ، وينتهي هذا بصلاة المساء ، ويؤمن الحاضرون بما أوحى الله الى قلب الموبذ الكبير ، وفي تلك الليلة يحضرون الى القاعة الكبرى في القصر ، ويأخذ كبار الضباط مكانهم ، ثم يدخل كبير الموابذة مصحوبا بالهرابذة والعظماء والوزراء الى مجلس امراء البيت المالك فيصطفون جميعا امام الامراء ويقولون : لقد تشاورنا امام الاله الاعلى ، فأرشدنا والهمنا

وهدانا الى الخير ، ثم يصيح كبير الموابذة عاليا : « ان الملائكة قد ارتضوا فلان ابن فلان ملكا ، فبايعوه ايها الناس ، وانها لبشرى لنا » ، وحينئذ يرفعون هذا الامير ويجلسونه على العرش ويضعون التاج على رأسه ، ثم يمسكون يده ويقولون له : « اتقبل من الله دين زردشت الذي قواه كشتاسب بن لهراسب والذي أحياه اردشير بن بابك ؟ » ، فيجيب الامير بالايجاب ويقول : « سأعمل لخير رعيتي ان شاء الله » ، ويمكث رجال القصر والحرس معه ، وتعود الجماعات الاخرى الى اعمالها وشؤونها .

وهكذا كان انتخاب الملك متوقفا في نهاية الامر على الموبذان موبذ ، الذي كان يحتفظ ، من ناحية اخرى ، بالمهمة العظيمة وهي تتويج الملك ، وهذا ما يبين بجلاء مركز رجال الدين الزردشتيين ومكانة كبيرهم .

وكان للعدالة حرمة عظيمة في ايران القديمة ، وهناك دلائل كثيرة على أن الملوك منذ عهد الاكمينيين ، كانوا يراعون بدقة التوجيه الصحيح من القضاة وعدل القضاة ، وكان اسم القاضي ايام الساسانيين ايضا له حرمة تامة ، وكان القضاة يختارون من بين ذوي التجارب والعدل من الرجال ، الذين لا يحتاجون الى المشاورة .

وكان الملوك يجلسون للعامة مرتين في السنة ، يوما في النوروز ويوما في المهرجان ، ولا يحجب عن الملك أحد في هذين اليومين لا صغير ولا كبير ولا جاهل ولا شريف ، وكان الملك يأمر بالنداء قبل جلوسه بأيام ليتأهب الناس لذلك ، فيهيىء الرجل القصة ويهيىء الآخر الحجة في مظلمته ، ثم يامر الملك الموبذ ان يوكل رجالا من ثقات اصحابه فيقفوا بباب العامة ، فلا يمنع احد من الدخول على الملك ، وينادي مناديه : «بأن من حبس رجلا عن رفع مظلمته فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد اذن بحرب منه ومن الملك » ، ثم يؤذن للناس بالدخول وتؤخذ رقاعهم فينظر فيها ، فان كان فيها شيء يتظلم فيه من الملك بدىء به اولا ، فيخبر الملك الموبذ الكبير وراس سدنة الناس ، ثم يقوم مع خصومه حتى يجثو بين يدي الموبذ ، فيقول له : « انه ما من ذنب اعظم عند الله من ذنب الملوك ، وانما خولها الله تعالى رعاياها لتدفع عنهم الظلم وتذب عن بيضة الملك جور الجائرين وظلم الظالمين، فاذا كان الملك هو الظالم الجائر ، فحق لمن دونه هدم بيوت النيران وسلب ما في النواويس من الاكفان ، ومجلسي هذا منك وانا عبد ذليل ، يشبه مجلسك من الله غدا ، فان آثرت الله آثرك ، وان آثرت الملك عذبك » . فيقول له الموبذ : « ان الله اذا اراد سعادة عباده اختار لهم خير اهل ارضه، فاذا اراد ان يعرفهم قدره عنده اجرى على لسانه ما اجرى على لسانك» ، ثم ينظر في امره وامر خصمه بالحق والعدل ، فان صح على الملك شيء اخذه به ، والا حبس من ادعى عليه باطلا ونكل به ونودي عليه : « هذا جزاء

من اراد شين الملك وقدح في المملكة » . فاذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام فحمد الله ومجده طويلا ، ثم وضع التاج على رأسه وجلس على سرير الملك ، واخذ ينظر في شكاوى الناس .

وكان الملك اعتياديا في ايام السلم يدير دولته من ايوانه في المدائن ، وهناك كان يقيم الملك محاطا بحاشيته العظيمة ، وكانت الادارة العامة للدولة تستقر في المكاتب (الدواوين) التي كان يسودها نظام أحكم تحديده، وكانت للملك اختام عدة : خاتم للسر وخاتم للرسل ، وخاتم للتخليد يختم به السجلات والاقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشريف ، وخاتم للخراج ، وكان هناك دواوين للحرب وللبريد وللنقود والمقاييس والمكاييل وللاملاك الملكية الخاصة .

وكانت الاوامر الملكية والمعاهدات ووثائق الدولة الاخرى تختم بخاتم الملك ، وكان خاتما نقش عليه صورة خنزير بري ، فاذا تضمنت الوثيقة التزاما قبل دولة اخرى ، مستقلة كانت او تابعة لايران ، فانها تشفع بكيس من الملح وتختم بخاتم الملك ، وذلك علامة للعهد الذي لا ينقض .

وكان يحيط بالملك كثير من رجال الحاشية الممتازين المقربين ، فكان هناك رئيس الديوان الملكي ، ورئيس التشريفات ، والموكل بالحجاب . وكان هناك نظام القصر ورؤساء المخازن والسقاة والذواقون ورئيس اصحاب المائدة والحجاب والقوام على الصقور ورئيس الاصطبلات وكبير البوابين وغيرهم ، وكان يحيط بالملك حرس عديد قوي مهمته الدفاع عن الملك والقيام بحراسته ، وكان رئيسهم يتمتع بأوسع جاه في البلاط ، وكان هذا الحرس في آخر عهد الساسانيين مؤلفا من النبلاء . وحين يمتطي الملك حصانه يقف الحرس صفين عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبأيديهم السلاح، فاذا حاذاهم الملك وضع كل رجل ترسه على قربوس سرجه (مقدم السرج) ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود .

وكانت هناك طوائف اخرى ذات شأن كبير في الدولة الساسانية لما كان لرجالها من تأثير شخصي على الملك ، وهؤلاء هم : اولا المنجمون ورئيسهم ، وكانوا من طبقة الكتاب ، والكهان ، وكان الملوك الساسانيون يستشيرونهم كما كان يفعل أسلافهم ، وكان رجال الدين انفسهم يمارسون قراءة الغيب ، وكان هناك اطباء البلاط وشعراء البلاط ، واما الخصيان فكانوا من ذوي الخطر ولعلهم لم يدخلوا في زمرة النبلاء قط .

وكانت الجلسات الملكية العامة في بهو الاستقبال الملكي بالايوان ، وفي تلك الايام كانت الجماهير تتدفق امام البوابة العظيمة التي هي باب بهو الاستقبال ، ولا تلبث القاعة الكبيرة ان تغص بالوافدين ، وكانت ارض القاعة

مفروشة بالسجاجيد العظيمة ، كما كانت تعلق السجاجيد على الجدران ، والجدران العارية كانت عليها لوحات من الفسيفساء أعدت بأمر كسرى الاول، وكان العرش موضوعا في اقصى القاعة خلف الستارة وقد احاط به الضباط العظام والنبلاء ، وكانوا يقفون على بعد من الستارة وفقا لسنن المراسيم ، وكان هناك حاجز بين رجال البلاط والعظماء وبين جمهرة الشعب ، وفجأة ترتفع الستارة ويظهر الشاهنشاه وقد جلس فوق عرشه على وسادة من الديباج المذهب ، وكان يرتدي ثوبا ثمينا موشى بالذهب ، وكان التاج موشى بالذهب والفضة ومطعما بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، معلقا بسلسلة من الذهب في رأس طاق مجلسه ، ذلك لان عنقه كانت لا تحمل تاجه انما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في التاج، وهو يزن واحدا وتسعين ونصف كيلوغرام . ومنظر هذا الايوان الفخم الذي ينفذ اليه ضوء أخاذ من خلال الخمسين ومائة كوة التي في القبة والتي يبلغ قطر كل واحدة منها من اثني عشر الى خمس عشرة سنتمترا ، هذا المنظر الفخم كان يدهش من يراه لاول مرة ، فيركع لهيبته ، وعندما يغادر الملك القاعة بعد انتهاء المجلس ، يبقى التاج معلقا ، فيلف بستار من الديباج حتى لا يتسرب اليه التراب .

وكان منظر الملك وقد تزين بحليه كلها عظيما رائعا ، وكان على من يمثل في الحضرة الملكية ان يسجد حسب التقليد القديم .

وكان ضابط كبير من حرس الباب ، يرفع الى الملك اسم من يريد ان يتكلم معه ، فاذا اذن الملك بذلك دخل الرجل وهو يجذب من كمه منديلا ابيض نقيا يغطي به فمه لمنع انفاسه من تلويث الاشياء المقدسة ويستخدم ذلك في هذه الحالة لوقاية جلال الملك ، فاذا احتاط الداخل هذا الاحتياط اقترب ثم ألقى بنفسه على الارض امام الملك ، ويبقى على هذه الهيئة الى ان يأمره الملك بالوقوف ، فاذا دعاه الملك للكلام بدأ حديثه ببعض الجمل المناسبة التي تعبر عن دعائه للملك ، وكانت الصيغة الشائعة ان يقول : « خلدك الله » او : « حقق الله رغباتك » ... وهكذا .

وكان الملوك الساسانيون يلقبون : (انتم الكائنات الاولية) أو (قدسيتكم) ، ويقال للملك : الانسان الاول ، فكان المخاطب له لا يذكر اسمه، وكان من المحرم ان يدعو الناس اذا كان الملك يصلي ويقول : آمين ، لان الملك الطيب له امتياز ، وواجب ان يصلي لرعيته الطيبة ، ولكن الشعب الطيب لا يصلي للملك الطيب ، لان دعاء الملك الصالح أقرب الى الله .

ومن ناحية اخرى كانت الفوارق بين الملك والرعية ظاهرة بطرق مختلفة ، فقد كانت ملوك العجم تمنع ان يشاركها الرعية في الحجامة والفصد وشرب الدواء يوم تفعل ذلك .

واما نظام المراسيم او الآداب الصارم الدقيق الذي كان يسود البلاط الساساني ، فلدينا معلومات ذكرها الجاحظ في كتابه : التاج ، في مناسباتها، فيصف طبقات خاصته الثلاث : الاولى الاساورة وابناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة اذرع من الستارة ، ثم الطبقة الثانية وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة اذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم ، ثم الطبقة الثالثة وكان مجلسهم على عشرة اذرع من الثانية وهم المضحكون واهل الهزل والبطالة ، ولم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيعه ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش الطول والقصر ولا مصاب بآفة ولا مرمى بابنة ولا مجهول الابوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك او حجام .

وكانت ملوك الفرس تحتجب عن الندماء بستارة ، والستارة من الملك على عشرة اذرع ، وهي من الطبقة الاولى على مثل هذا القدر ، فبين الملك وبين اول طبقة عشرون ذراعا .

واذا هم الملك بالمسير في نزهة او لبعض اموره ، فان الاساورة ، وخاصة الملك ، يعرضون دوابهم على راضة دواب الملك وصاحب دوابه ، لانه لا ينبغي ان يكون حصان احدهم بليدا او كثير النفور او العثار او الجماح فيكون على الملك من ذلك بعض ما يكره ، ولا يحاذي حصان احدهم حصان الملك وان اراد ذلك منعه راكبه ، ويجب الا يبول او يروث او يشغب ، ولذا كان على الاساورة الا يطعموا دوابهم في اليوم السابق على الخروج مع الملك، فمسايرة الملك في رحلة كان واجبا ثقيلا وشرفا غير مستساغ عند العظماء ، وكذلك لم يكن الملك يثابر على مسايرة احد من بطانته بعينه لما كان يعلم من طيرتهم من ذلك وكراهتهم له .

وكان حرمة مجلس الملك ، اذا غاب كحرمته اذا حضر ، وكان للملوك عيون على مجالسها اذا غابت عنها ، فمن حضرها فكان في كلامه واشارته وقلة حركته وحسن الفاظه وادبه ــ حتى انفاسه ــ على مثل ما يكون اذا حضر الملك سمي ذا وجه ، ومن خالف اخلاقه وشيمه وظهر منه خلاف ما يظهر بحضرة الملك سمي : ذا وجهين ، وكان عند الملك منقوصا متصنعا .

وقد احتاط الملوك الساسانيون لانفسهم خشية الاعتداء عليهم ، فلم يكن احد يعرف اين ينامون ، اما اردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وبرويز وكسرى انو شروان فكان يفرش للملك منهم اربعون فراشا في اربعين موضعا ليس فيها فراش الا ومن رآه من بعيد على الانفراد فانه لا يشك انه فراش الملك خاصة وانه نائم فيه ، ولعله لا يكون على احد منها ، بل لعله ينام على مجلس رقيق وربما توسد ذراعه فنام .

ولم يكن لأحد الحق في أن يدخل غرفة الملك الخاصة ، حتى ابن الملك كان عليه ان يستأذن قبل ان يدخل .

وعلى الملك ان يكون جوادا لرعاياه ، وعلى حاشيته خاصة ، فان جود الملك هو مظهر عظمة المملكة ويبقى له ذكرى طيبة من بعده .

وكان الملك الساساني يقدر للرجل من خاصته وبطانته تقديرا وسطا بين الاسراف والاقتصاد في مؤونتـه كلهـا وحوائجـه خاصهـا وعامهـا ؛ فاذا كان التقدير على الجهة التي وصفنا عشرة آلاف درهم في الشهر وكانت للرجل ضيعة فانه لا يخصم منه في نظير هذه الضيعة التي افادها من صلات الملك ، وامر ان يدفع اليه في ثلاثين ليلة عشرة الاف درهم لضيوفه ونفقاته وحوائجه بحيث لا يحتاج الى طلب المال من الملك .

وكان الملك اذا زار وزيرا من وزرائه او عظيما من عظمائه (للتعظيم لا لغيره) ، أرّخت الفرس تلك الزيارة وخرجت بذلك التاريخ كتبهم الى الآفاق والاطراف ، وكانت السنّة ان من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه (تعفى من الضرائب) وتوسم خيله ودوابه لئلا تسخر ولا تمتهن ، ويأتيه خليفـة صاحب الشرطة كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة راجل ، يكونون ببابه حتى غروب الشمس ، فان ركب كانت الرجالة مشاة امامه والفرسان من خلفه، وكان عليه ان يقدم الهدايا للملك ومنها حصان سريع معد أحسن اعـداد سرجه مذهب يضعه تحت تصرف الملك اثناء اقامته ، وكان هذا يأخذه معه في عودته ، والشرف الذي يسبغه الملك على مضيفه يؤدي الى مزايا دائمـة له : فلا يحبس احد من عامته وخاصته لجناية جناها ، ولا يحكم على أحد من عبيده بحكم ، وان وجب على احد من بطانته حد وجه به اليـه ليرى فيـه رأيه ، ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج ارضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه في النوروز والمهرجان على كل هدية ، وتعرض على الملك ويكون اول من يأذن له الحاجب ، ويكون من الملك اذا ركب عـن يمينـه منزويا ، وتكون مرتبته اذا قعد عن يمينه ، واذا خرج من دار المملكة لم يقعد بعده احد .

وكان العظماء يقدمون الهدايا للملك في عيدي النوروز والمهرجـان ، والسنّة في ذلك عندهم أن يهدي الرجل ما يحب من ملكه اذا كان من الطبقة العالية ، فان كان يحب مسكا اهدى له مسكا لا غير ، وان كان يحب عنبرا اهدى عنبرا ، وان كان صاحب بزة ولبسة اهدى كسوة وثيابا ، وان كان الرجل من الشجعان والفرسان فالسنة ان يهدي فرسا او رمحا او سيفا ، وان كان راميا فالسنة ان يهدي نشابا ، وان كان من اصحاب الاموال فالسنة ان يهدي ذهبا او فضة ، ولمن كان من عمال الملك وكانت عليـه بقايا ديون للسنة الماضية جمعها وجعلها في بدر من حرير صيني وشريحـات فضـة

وخيوط ابرسسم وخواتيم عنبر ثم وجهها هدية الى الملك ، وكـان يهـدي الشاعر الشعر والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والباكورة من الخضراوات .

وعلى خاصة نساء الملك وجواريه ان يهدين الى الملك ما يؤثرنه ويفضلنه كما قدمنا في الرجال، غير انه يجب على المراة من نساء الملك، ان كانت عندها جارية تعلم ان الملك يهواها ويسر بها ، ان تهديها اليه بأكمل حالاتها وافضل زينتها واحسن هيئتها ، فاذا فعلت ذلك فمن حقها على الملك ان يقدمهـا على نسائه ويخصها بالمنزلة ويزيدها في الكرامة ويعلم انها قد آثرته عـلى نفسها وبذلت له ما تجود النفس به وخصته بما ليس في وسع النساء ــ الا القليل منهن ــ الجود به .

ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا ان تعرض عليـه وتقوّم قيمة عدل ، وقد وكل بذلك رجل يرعى هذا وما اشبهه ويتعهده ، فاذا أصابت صاحب الهدية نائبة من مصيبة يصاب بها او اضطر الى المال لظرف قاهر ، نظر الى ماله في الديوان فرده الملك مضاعفا ليستعين به على نائبته ، واذا كان المهدي قد قدم هدية رمزيـة ليست لها قيمة مادية كأن يكون قد قدم تفاحة او اترجة ، فانه اذا نزلت به مصيبة او اضطر الى المال ردت اليه التفاحة مثلا ولكن ملؤها الدنانير المنظومة ، وكان من تقدمت لـه هدية صغرت ام كبرت ، قلت ام كثرت ، ثم لم تخرج من الملك صلة عنـد نائبة تنوبه او حق يلزمه ، فعليـه ان يأتي ديوان الملك ويذكّر بنفسه والا يغفل عن احياء السنة ولزوم الشريعة ، فان أغفل ذلك عن عمد فمن سنـة الملك ان يحرمه ارزاقه لستة اشهر وأن يدفعها الى عدوه ان كان له ، اذ أنه أتى شيئا فيه شين على الملك وضعـة في المملكـة ، وكـان بعض الملـوك الساسانيين يأمرون باخراج ما في خزائنهم في المهرجان والنوروز من الكسى فتفرق على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس على مراتبهم ، وكانوا يقولون : ان الملك يستغني عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف .

واكبر النياشين الملكية (الاوسمة) هو عصابة محلاة باللآلىء ، وقـد حرم على الناس ان يلبسوا خواتيم الذهب والاحزمة والاقراط وغير ذلك الا من انعم عليه الملك بهـا ، واذا ادى احـد الافراد للدولة او للملك خدمـة تستحق التخليد ، فان اسمه ينقش على الآثار الملكية .

وكان من علامات التمييز منح الالقاب ، فكان الافراد الذين استحقوا الاكبار من المملكة او الملك كانوا يمنحون علاوة على الاراضي الواسعـة لقب (الخيّر) ، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الالقاب المختلفة في أيام الساسانيين.

وكانت الالقـاب والالطاف الملكية ووظـائف البـلاط او الدولة اكثر المسائل استعمالا لمكافأة الاحسـان ، كما انها استخدمت وسيلة تبذل ليرجع الى دينه من اعتنق النصرانية من الزردشتيين . وحين يمنح الملك التـاج لأحد ، فهذا يمنحه الحق في أن يتخذ لنفسه مكانا على المائدة الملكية وأن يشارك في مجلس الملك ، وقد منح هرمزد الرابع الملك العربي النعمان الثالث تاجا يساوي ستين الف درهم ، وكان هذا اكثر من منحة عادية ، فهو يشبه ما يسمى « الوسام » في العصور الحديثة .

وكان من بين تقاليد بلاط انوشروان ان يوضع على يمين العرش كرسي من الذهب وكرسيان آخران من الذهب عن يساره ووراءه ، فأحد هـذه الكراسي الثلاثة كان خاصا بملك الصين ، والثاني لملك الروم والثالث لملك الخزر ، بحيث انهم اذا اتوا الى بلاط كسرى جلسوا عـلى هـذه الكراسي، وهذه الكراسي الثلاثة توضع طول السنة ، فلم تكن لترفع ولا يجرؤ احـد على الجلوس عليها ، وكان امام العرش كرسي من ذهب يجلس عليه رئيس الوزراء ومن تحته كرسي الموبذان موبذ ومن تحته كراسي حجـزت للمرازبة والعظماء ، وكان لكل كرسي خاص بحيث لا يتنازعون على الاماكن ، وكان كسرى اذا غضب على احدهم اقصى كرسيه عن المجلس .

وحينما تكون البلاد ساهمة لأمر قد حزبها تلغى الموائد الملكية ويقتصر على مائدة لطيفة تقرب من الملك ويحضرها الموبذان موبـذ ورئيس الوزراء ورأس الاساورة ، فلا يوضع عليها الا الخبز والملح والخل والبقل فيأخذ منه شيئا هو ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بنوع مـن البيض المضروب مع اللحم والخضر يلف بالخبز في طبق فيأكل منه لقمة ، ثم ترفع المائدة ويتشاغـل بتدبير حربه وتجهيز عساكره ، ولكن عندما تأتي الاخبار مبشرة بالنصر يأمر الملك ان يتخذ له طعام مثل طعامه الاول ويأمر الخاصة والعامة بالحضور، ويقوم الخطباء اولا بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له، ثم يقوم الموبذ فيتكلم ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء ... ثم يمد الناس ايديهم الى الاطعمة على مراتبهم ، فاذا فرغوا بسط للعـامة ظهر الايـوان وللخاصة في صحنه بحضرة الملك ، ويقعد صاحب الشرطة للعامة كقعود الملك للخاصة ، وكانوا لا يتكلمون وهم يأكلون ، فاذا اراد احدهم شيئا اشار بما يريد ، ثم يدعى بالمغنيين واصحاب الملاهي .

واذا علم احدهم ان الملك غاضب عليه ، فعليه الا يلجأ الى احد المعابد والا يهرب ، بل عليه ان يذهب فيجلس على كرسي ذي ثلاثة ارجل من حديد امام القصر ، وان ينتظر حتى يقضي الملك في امره ، وقبل هذا ، لا يجرؤ احد على حمايته ، وكان القتل يوقع في ساحة مكشوفة بالقصر ، فهنـاك تقطع الرقاب او الايدي او الارجل من المجرمين او ممن استحقوا سخط الملك .

وكان على الملك ان يتغاضى عن تافه الجرائم .

وكان في بلاط الملك كل حين ، مبعوثون من البلاد الاجنبيـــة النائية ، وكان السفراء الاجانب يكرمون كل الاكرام ، وكان اذا قدم سفير ارسل قائد الحدود تقريره في الحال ، فيسرع حكام الاقاليم التي سيمر بها السفير الى اتخاذ التدابير لاعداد المنازل اللائقة به ، فاذا علم حاكم الاقليم بمهمة السفير فانه يبلغ الامر الى الملك فيرسل هذا جماعة لاستقباله ومصاحبته الىالقصر الملكي حيث يستقبله الملك في حفل عام وهو جالس على العرش وحوله عظماء الدولة ، ثم يسأل عن اسمه وعن رحلته ثم عن رسالته وعن حالة بلاده وملكه وجيشه ، ثم يصحبه الملك الى قصره بكل مظاهر الابهة الواجبة للسفير ، ثم يدعوه الى مائدته ، ثم يصحبه الى الصيد ، واخيرا يسرحه بما يليق بمقام السفير من الحفاوة ، بعد ان يهديه خلعة .

واما الدبلوماسية الايرانية ، فكان الملك لا يحتاط في اختيار سفرائه، فكان يختبر رسوله اختبارا طويلا قبل ان يفوض اليه القيام برسالة : كان الملك يوجهــه الى بعض خاصته ثــم يرسل عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه ، فاذا رجع الرسول بالرسالة جاء العين بما كتب من الفاظه واجوبته، فقابل بها الملك الفاظ الرسول ، فان اتفقت او اتفقت معانيهـــا عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته ، ثم جعله الملك رسولا الى عدوه وجعل عليه ايضا عينا يحفظ الفاظه ويكتبها ، ثم يرفعها الى الملك ، فاذا نجح في هذه التجربة ايضا جعله رسوله الى ملوك الامم ووثق به .

هؤلاء هم ملوك الساسانيين ، وتلك هي مجمـل تقاليدهم واسلوب حكمهم وطريقة تصريفهم للامور .

الشَّعبُ

كل الايرانيين تقريبا في مظهرهم الخارجي ممشوقو القوام سمر البشرة او لونهم أدكن ، نظراتهم حادة وحواجبهم مقوسة كنصف دائرة ومقرونة ، لحاهم جميلة ، وشعورهم طويلة شعثاء ، وهم شكاكون حذرون الى اقصى حد ، وقد يجتازون احيانا ، وهم في بلاد العدو ، البساتين والحدائق فـلا يمسون منها ثمرة خوف السم او السحر ، وهم يحرصون على الا يقعوا في عيب ، فقلّ ان ترى فارسيا يبول واقفا او يبتعد ليتغوط ، وهم يتركون ثيابهم الخارجية مفتوحة من الامام والجانبين بحيث انها تخفق مع الهواء ، ويستعملون الاحجار الكريمة وخاصة اللؤلؤ ، وتراهم دائما قد تمنطقـوا

بالسيوف حتى في الولائم والاعياد ، وهم يكثرون من لغو الكلام ويتحدثـون سقطا ، وهم صلفون قساة ، عتاة متوعدون مقبلين كانوا او مدبرين ماكرون، منكرون ، يمشون الهوينى بخطى متبخترة لعلها توصف بالتخنث مـع انهم امهر محاربي العالم ، والحق ان مهارتهم ترجع للفن لا للشجاعة ، وهم دهاة في الحرب خاصة اذا كانوا بعيدين من خصمهم ، وهم يدعون حـق المـوت والحياة على عبيدهم وطغام الناس ، ولم يكن يجرؤ خادم ممن يخدمونهم أو يقفون على موائدهم ان يفتح فاه لينطق بكلمة او ليبصق ، ميالون للعشق والقليل بينهم من يقنع بسراريه الكثيرات .

هذا هو وصف جماعة الاشراف الايرانيين ، وهم على العموم يقضـون حياتهم في نشاط ، قسمة عادلة بين ممارسة السلاح للحرب او الصيد وبين اللذات المائعة ، ولم يفرض عليهم الدين الزردشتي عدو الزهد ايا كان اي قيد ، ولكن حياة الجد في وضح النهار قد خففت الى حد ما من اثر اللذات التي تضعفهم ، وكانت فيهم عيوب كثيرة ولكنهم يتحلون بصفة لا نجدها غالبا في الشعوب القديمة هي : التأدب وروح الفروسية ، وهذه الصفة ملحوظة في ايران منذ بدء العصور التاريخية .

والمعلومات التي لدينـا عـن التعلم في ايران قليلة ، ولكـن يظهر ان الحراثين كانوا غالبا اميين ، واما الدهاقين فكانوا في جميع العهود مثقفين الى حد ما ، واما التجار فكان كثير منهم يستطيع القراءة والكتابة وفهـم الحسـاب ، وعدا ذلك فثقافة افراد الشعب الادبية كانت ضئيلة جدا ، فقد كانوا لا يعنون بالتعليم كثيرا ولكنهم يهتمون بأعمالهم .

وليس من شك ، في أن التعليم الاولي وجزءا من التعليم العالـي علـى الاقل ، كانا محصورين في رجال الدين ، وكان طابعهما دينيا ظاهرا ؛ أمـا تعليم أطفال وشباب طبقات المجتمع العالية فكانوا يتلقون جزءا من تعليمهم مع أمراء البيت المالك في القصر تحت اشراف معلم الاساورة ، وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ورمـي القرص والشطرنـج وركـوب الخيـل والصيد ، ومما لا يحتاج الى بيان أن النبلاء الشبان كانوا يتلقون فن الحرب قبل كل شيء . وفي الخامسة عشرة يكتمل التعليم الجسماني والذهنـي ، فيجب على الشاب في هذا السن أن يعرف أصول الدين وأن يعرف تاريخ الرجال وواجباتهم ، وفي العشرين يمتحنه الحكماء والهرابذة ، ويصف خادم صغير في بلاط كسرى الاول تفاصيل التعليم الذي تلقاه ، ففي السن المعينة ألحق بالمدرسة حيث حفظ عن ظهر قلب كالهربذ ، الاجزاء الرئيسية مـن الاوستا مع شروحها ، ثم في التعليم المتوسط اهتم بدراسة الادب والتاريخ والفصاحة والفروسية ورمي السهام وتسديد الرمح وأعمال البلطة ، ثـم

عرف الموسيقى والغناء وعلم النجوم وأتقن الشطرنج وأنواع الالعاب الاخرى، وأخيرا تعلم فن اعداد انواع المأكولات وفن اللبس .

اما تعليم البنات ، فالاغلب انه كان يقتصر على التعليم المنزلي ، ولكن نساء الطبقات العالية كن يلقين أحيانا درسا عميقا في العلوم .

اما العلوم فقد كان اليونان والرومان أساتذة للايرانيين ، وكان هناك اناس انصرفوا انصرافا تاما الى الدراسات العلميـة ، وقد كانت الاوستا الساسانية هي المصدر الرئيسي لكل العلوم ، وكان العلماء من رجال الدين .

اما عن الطب ، فقد كانت هناك قواعد لأجور الاطباء التي كان للطبيب ان يطلبها : آلات طبية وملابس جميلة وخيل سريعة الجري ، أما الاجور النقدية فقد حدد ما يدفعه رب البيت العادي ورئيس القرية ورئيس الكورة ورئيس الاقليم ثم ما يستطيع الطبيب أن يطلبه من الفقراء ، وكان أجر الطبيب يختلف حسب ما قام به اذا كان قد عالج الجسد كله أو عضوا منه ، وكان على الطبيب ان يعالج المريض باخلاص وفي حزم وحذر ، ويرتكب الطبيب جريمة اذا تباطأ أو تردد في زيارة مريض . وكان هناك نوع من الاجازة للاطباء ، ولكن كان من المتعذر ان تجد دائما الطبيب الحائز لهذه الاجازة ، ويجوز ان يستعين الرجل بطبيب أجنبي اذا استحال الالتجاء الى الطبيب الايراني ، ولكن من الجرم أن يستعين الرجل بالطبيب الاجنبي مع وجود ايراني ، ولكن ملوك الساسانيين كانوا يستخدمون غالبا الاطباء من الروم او السريان النصارى .

وكان هناك أطباء عيون وأطباء بيطريون ، وهناك عادة كانت جارية في ايران وهي الابقاء على مجرم حكم عليه بالاعدام ليستفيد الطب باجراء التجارب عليه .

والطب نوعان : طب الصحة الروحية وطب الصحة الجسمانية ، وهناك أطباء يمارسون علاج الروح وآخرون صناعتهم علاج الجسد ، ولكن يبدو أن العناية بالناحية الروحية كانت تدخل في ممارسة الطب بالمعنى الاخص الى حد ما .

وأصول الطب الايراني زردشتية كلها بنيت على تقاليد الاوستا ، ولكن أثر الطب الاغريقي يظهر في كل ناحية . وهناك ثلاث طرق للعلاج كما يقول الطب البقراطي ، فما لا تنجع فيه الادوية يشفى بالحديد (أي بالجراحة) ، وما لا ينجع فيه الحديد يشفى بالكي (النار) ، وأما المرض الذي لا يمكن علاجه بالكي فانه مستعص لا علاج له .

والطبيب الحاذق هو الذي يعنى عناية فائقة بمرضاه ، والذي يطلع كثيرا ، وعليه أن يعرف أعضاء الجسد والمفاصل وأن يعرف الادوية ، وأن

يكون رقيق الحاشية ، حلو الحديث ، صبورا مع المرضى .

وطبيب الروح الماهر الذي يتبع رجال الدين ، وطبيب الجسد الماهر ، يجب ان يثبتا كفاءتهما ، وعلى طبيب الجسم أن يكون قد عالج كافرا حتى يجوز له ان يمارس مهنته في تطبيب المؤمنين ، فاذا عالج ثلاثة أشخاص فماتوا فانه يحرم نهائيا من ممارسة مهنته . والطبيب ملزم بعيادة المريض كل يوم طوال المدة اللازمة للعلاج ، وله في نظير ذلك أن يقدم له غذاء فاخر وحصان سريع ومسكن أنيق في موقع عامر ، ولكن عليه الا يسرف في حب المال . ومن ناحيتي الاخلاق والدين كان هناك عدة أصناف من الاطباء : وخيرهم من يمارس مهنته بالشفقة الدينية المحضة ، ويأتي بعده من يتوسط بين الرحمة التي يقول بها الدين وحب المال ، ولكنه يكون أميل الى الرحمة ، ثم يأتي من يؤثر المال ، وهكذا .

كان رجال الدين الزردشتيون شديدي التعصب ، ولكن مثار تعصبهم كان لاسباب سياسية خاصة ، ولم يكن الدين الزردشتي دين دعاية ، فلم يكن رؤساؤه مملوئين بالحماس لبث سعادة الارواح في العالم كافة ، ولكنهم ادعوا السيادة المطلقة في داخل حدود الدولة ، وكانوا لا يطمئنون كثيرا الى من يدينون بدين آخر ، وخاصة اذا انتموا الى دين دولة أجنبية قوية ، وكان في ايران جماعة من يهود ولكنهم لم يكونوا خطرا على سلطة رجال الدين الزردشتيين ، كما انتشرت النصرانية على نطاق ضيق في كل مكان من ايران .

وكانت وظيفة الوسيط او الحكم ـ وربما كانت بين النبلاء وحدهم ـ من الوظائف السبع الوراثية في الاسر الممتازة ، ولكن ما بين الدين والاخلاق والقانون من الارتباط الوثيق الذي هو من طبيعة الدين الفارسي ، استلزم أن تكون السلطة القضائية بالمعنى الصحيح في يد رجال الدين ، وكانت العلوم كلها منحصرة فيهم ، وكان الرئيس الاعلى للقضاة هو (قاضي الدولة) ، وكان أحد القضاة الروحانيين يقوم على القضاء في كورة ، وكان عليه بوجه عام أن يراقب سير العدالة حتى في سلوك السلطات المدنية العليا في الاقليم ، وكان لزاما ان يكون لكل قرية مرجع قضائي أدنى ، كان هو الدهقان او قاض خاص يعين بالقرية . وكان هناك قضاة صلح درسوا القانون عشر سنوات واحدى عشر سنة او أثنتي عشرة أو ثلاث عشرة او أربع عشرة او خمس عشرة سنة ، والظاهر أن أحكامهم وفتاواهم كانت تتفاوت في درجاتها ، وقد نيط القضاء العسكري بقاض خاص ، والمفروض أن كثيرا من الموظفين القضائيين الذين يلقبون بألقاب خاصة كانوا من الموابذة او الهرابذة ، وكان الهرابذة يصدرون احكاما قضائية بوصفهم قضاة .

وكانت مصادر القانون ، الاوستا مع الشروح ، ومجموع فتاوى الفقهاء الدينيين الطيبين ، ولم يكن هناك مجموعة قانونية بالمعنى الصحيح ، ولكن

يظهر من مختصر أجزاء الاوستا الساسانية أن اجـزاء كثيرة قـد تناولـت المسائل القانونية .

وكانت الكلمة العليا في الدعاوى المدنية للموبذان موبذ ، ويسري ذلك ايضا على القضايا ـ الجنائية ، فان قرار الموبذ الكبير أقوى من اليمين ... ان قراره لا يخطىء .

وقد حدد القانون مدة لاستدعاء الشهود كما حددت القواعـد مـدة المرافعات كلها ، وهناك قيود محددة لثرثرة المتخاصمـين الذيـن يحاولون اطالة المرافعات او عرقلة سير القضايا ، كما كان من الممكن التظلم من القاضي الذي يقدم ، لمصلحته الخاصة ، قضية مشكوكا فيها على انها ثابتـة ، أو قضية ثابتة على أنها مشكوك فيها .

وقد كان للابتهال شأن كبير في الفصل حين الشك في ادانة المتهـم او براءته ، وكانت طريقة الابتهال تتفاوت في خطورتها ، وكانوا يفرقـون بـين (الابتهال الحار) و (الابتهال البارد) ، فالابتهال الحار كان يتم مثلا باختراق المتهم النار ، وهناك قواعد معينة لوصف الخشب الذي يتخذ للوقود ، وكان الابتهال يجري في احتفالات دينية ، واما الابتهال البارد فانه يكون بأفنـان مقدسة ، وهناك نوع آخر قديم جدا من الابتهال يصحب اداء اليمين ، قوامه شرب الماء المختلط بالكبريت ، ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون استخدام الماء الكبريتي في حالة اداء اليمين امام الساسانيين أمرا صوريا ، وكان هنـاك موظف من رجال العدالة مهمته الاشراف على صحة الابتهال .

ونظرية العقاب تبرز بين ثلاثة انواع من الجرائم التي يعاقـب عليهـا القانون : الجرائم في حق الله حينما يرتد رجل عن الدين أو يحدث البدع في الشريعة ، والجرائم في حق الملك حـين يعصي الفـرد او يخـون أو يغش ، والجرائم بين الافراد حين يظلم بعضهم بعضا ؛ وكان عقاب النوعين الاوليين من الجرائم ، أي جرائم الكفر والعصيان والجناية والهرب مـن الجيش ـ الموت ، وذلك في القرون الاولى من العهد الساساني . واما جرائم الافراد : السرقة وقطع الطريق وهتك العرض والظلم وغير ذلك ، فكان يعاقب عليها بعقوبات بدنية شديدة أو بالموت . وقد كان قانون العقوبات صارما جـدا حينذاك : ان القوانين بالغة الصرامة عند الفـرس ، والقوانـين الزاجـرة للجاحدين او الهاربين من الجيش كانت قاسية بوجه خاص ، والقوانـين الخاصة بالجرائم الاخرى كانت فاحشة ، فربما تجر جريمة فرد الهـلاك على اقاربـه جميعـا .

وقد تضمن القانون قواعد الاتهام واقامة الدعوى في قضايا السرقـة وقطع الطريق والاضرار المختلفة والقتل وهتك العرض والتهديد بالاغتصاب

والسجن بدون حق ، والحرمان من الزاد ، والتخفيض الجائر لأجور العمال ، والاضرار برجل السحر وغيرها ، وقد تناول أيضا مسائل قانونية أخرى مثل حدود مسؤولية الطفل والتحريض على قتل أجنبي وغير ذلك ..

فمثلا ، ان السارق الذي يضبط متلبسا كان يساق الى القاضي وقد علّق ما سرقه برقبته ، وكان يُلقى به في السجن مكبلا بالحديد ، وكان عدد السلاسل يختلف باختلاف خطورة الجريمة ؛ وأعضاء الجسد التي تم بها الاثم كان يضيق عليها الوثاق أكثر من غيرها ، وواضح أن هذه السلاسل لم تكن ضمانا من الهروب فحسب ، بل كان لها صبغة رمزية أيضا ، وكان قاضي التحقيق يتوسل اذا اقتضى الامر في اسئلته بالمحبة المصطنعة والالفاظ الخداعة كي يحمل المجرم على الاعتراف ، وكان من يخون شركاءه في الجريمة فيعترف عليهم يكافأ ، وكان مخفي الاشياء المسروقة يعاقب بمثل عقوبة السارق .

ومن المشكوك فيه أن يكون القانون الايراني قد اتخذ السجن الى امد عقوبة ، ولكن من الممكن أن يمتد الحبس الاحتياطي الى ما شاء الله ، وكان المجرمون يحبسون في مكان قذر خاصة ، حيث يطلق عليهم عدد من الحيوانات المؤذية تعيّن لكل حالة ، ومن ناحية أخرى استخدم السجن وسيلة لابادة أفراد الطبقة الرفيعة لخطرهم على الدولة او تأمينا للملك ، ابادة بغير جلبة.

وهناك عقوبة مشهورة جدا ، يعاقب بها خاصة الامراء الثائرون ، وهي سمل العيون بابرة محماة او بصب الزيت المغلي في مآقي الفريسة ، وكان الاعدام ينفذ عادة بالسيف ، أما بعض الجرائم مثل خيانة الوطن أو الخروج على الدين فكان يعاقب عليها بالصلب .

وكانت أشد أنواع التعذيب فظاعة (التسع موتات) ، وها هو تفصيلها: فان الجلاد يقطع أولا أصابع اليدين ، ثم أصابع القدمين ، ثم يقطع اليدين حتى الرسغين ، ثم القدمين حتى الكعبين ، ثم الذراعين حتى المرفقين ، ثم الساقين حتى الركبتين ، ثم الاذنين فالانف ، ثم يختم بالرأس ، وكانت جثث القتلى تترك للحيوانات المفترسة .

وكانت قائمة عظماء الدولة مؤلفة من كبير الوزراء والموبذان موبذ (كبير الموابذة) وهو القائم بأمور الدين وقاضي القضاة وهو رئيس الموابذة ، والهرابذة هربذ (كبير الهرابذة وهم رجال الدين) ، وكبير الكتاب وقائد الجيش ، واصحاب تدبير الملك : كل واحد منهم قد أُفرِد بتدبير جزء من أجزاء المملكة ، فكل واحد منهم صاحب ربع منها ، ولكل واحد منهم مرزبان وهو خليفته ، وصاحب الخراج .

وكانت ملابس الايرانيين مصنوعة من الجلود أو الصوف او اللبـاد او الحرير ذي الصـور .

وكان الحراثون يصفـفون شعورهم ويسيرون عراة الرأس ، وكانت طبقة النبلاء تعيش عيشة وادعة هادئة ، وكانت طبقة النبلاء الاقل شأنـا تقضي وقتها في أراضيها وتهتم بالاعباء الادارية في جهاتها .

لقد كانت الحالة الاجتماعية ورزايا المعيشة العامة في الجملـة أخف وطأة أيام كسرى الاول مما كانت عليه في العهود السابقة ، ولكن ها هي صورة لهذا العهد كما ذكرها (برزويه) في تاريخ حياته : « ... فانا نرى الزمان مدبرا بكل مكان حتى كأن الفضل قد ودّع ، وأصبح مفقودا ما كان عزيزا فقدُه ، موجودا ما هو ضار لمن ظفر به ، وكأن الخير أصبـح ذابلا والشر نضـيرا ، وكأن الغيّ أقبل ضاحكا وأدبر الرشد باكيا ، وكأن العـدل اصبـح غابرا ، وأصبح الجور غالبا ، وكأن العلم أصبح مستورا ، واصبح الجهل منشورا ، وكأن اللؤم أصبح آمرا ، واصبح الكرم موطوءا ، وكان الوُدّ أصبح مقطوعا ، وأصبح الحقد موصولا ، وكأن الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوخى بهـا الاشرار ، وكأن الغدر أصبح مستيقظا ، وأصبح الوفاء نائمـا ، وكأنما الكذب أصبح غضا والصدق قاحلا ، وكأن الحق ولى عاثرا وأصبح العدوان قـد جرى سبيله ... والانصاف بائسا والباطل مستعليا ، والمظلـوم بالخسف مقرا والظالم لنفسه فيه مستطيلا ، والحرص فاغرا فاه يتلقف من كل جهة ما قرب منه وما بعد عنه ، والرضا مجهودا مفقودا ، والاشرار يسامون السماء والابرار يريدون بطن الارض ، وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل مهواة ، والدناءة مكرمة ، والرفعة مجفوة ، والسلطان متنقلا مـن أهل الفضل الى أهل النقص ، والدنيا جذلـة مسرورة تقـول : قد غيَّبت الحسنات واظهرت السيئات » .

لقد عاش رجل الشارع كما عاش قرونا طويلة في الجهل والظلم ، وكانت روح القبيلة والهوة التي تفصل بين الطبقات والحالة التعسة التي كان عليها الشعب من الامور الملموسة الاعتيادية : القـوي يظلـم الضعيف ، وطبقات الشعب ترتكب كثيرا من القسوة والوحشية فيما بينها ..!

الخاتمة

كيف كانت الامبراطورية الساسانية قبيل الفتح العربي الاسلامي وفي اثنائـه ؟

ان الجواب على هذا السؤال يلقي ضوءا على الظروف الراهنة التـي جابهها القادة الفاتحون ، ويقدّم صورة واضحة لحالة تلك الامبراطورية من النواحي السياسية والاجتماعية والعسكرية في أيام الفتح الاسلامي .

كانت عوامل الفساد والاضطراب قد استفحلت في القـرن السادس الميلادي واشتد أثرها في أرجاء تلك الامبراطورية التاريخية التي قادت جزءا كبيرا من أرجاء المشرق قرونا طويلة عسكريا واقتصاديا وفكريا .

كان البلاط الفارسي مضطربا تنتشر في جـوّه دسائس الطامعـين بالعرش ، وكان الملك يخشى أفراد أسرته خاصة ؛ اذ اتخذ بعضهم الغـدر سلاحا لتولي الملك ، فابتذل عرش الملك بالقتل والاغتصاب ، وضعف الولاء له في نفوس قادة الجيوش وحكام المناطق والعظماء والنبلاء .

وكثرت مذاهب الشعب وتبلبلت عقائد الناس ، وانحلت العصبيـة القومية وانهارت القوى المعنوية وتدهور مثلهم الاعلى الـى حيث لا يعـدو متـع الحيـاة .

وكان الفرس من الناحية الدينية موزعين بين (رمزية) زردشـت و (عدمية) ماني و (وجودية) مزدك !

وانتشر الظلم وشاع الجهل وتفشى المرض والفقر بين عامـة أفـراد الشعب الذي كان يعيش تحت وطأة نظام طبقي اقطاعي قاس .

وكانت خيرات البلاد محتكرة لفئة قليلة مـن الاقطاعيين واصحاب البيوتات والنبلاء والاساورة بينما يعانـي باقي الشعب كـل انواع المذلة والحرمـان .

أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المغيرة بن شعبة الثقفي الـى رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية ، فأقبل المغيرة حتى جلس مـع (رستم) على سريره ، فوثب عليه رجال رستم وانزلوه ، فقال لهم : « قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ، ولا ارى قوما أسفه منكـم ! انـا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا ، فظننت أنكم تواسـون قومكم كما نتواسـى ، فكـان احسن من الذي صنعتم أن تخبرونـي أن بعضكم أرباب بعض !!! » ، فقال

عامة الناس : « صدق والله العربي » ، وقال رؤساؤهم : « والله لقد رمى بكلام لا زال عبيدنا ينزعون اليه » (٧٢)

فما أصدق قول المغيرة : « ان بعضكم أرباب بعض » !

وكان الجيش الفارسي مرتكزاً على الحكم الاقطاعي ، فكان المرازبة والدهاقين يتولون قيادة الجيش ويتحكّمون في الاراضي والعقارات الشاسعة، ولم يكن لجيش فارس هدف يوحّد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق ؛ كما كانت قيادته وراثية وقادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الملوك لا على مواهبهم العسكرية وكفاءتهم القيادية (٧٣) ، وكانت معنويات الجيش متردية وتدريبه ضعيفاً وضبطه قليلاً واخلاصه لقضية بلاده معدوماً .

لقد كانت علل الفناء قد اصطلحت على بنية الامبراطورية الساسانية قبيل الاسلام وأيام الفتح الاسلامي .

ولكن الاسباب التي قضت على الفرس بالهزيمة أمام العرب المسلمين – كائنة ما كانت – ليست هي الاسباب التي قضت للمسلمين بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لان استحقاق اناس للزوال لا ينشيء لغيرهم حق الظهور والبقاء .

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس لانهم عرب وكفى ، فقد كان هناك عرب كثيرون في العراق يدينون للفرس بالطاعة وينظرون اليهم نظرة الاكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال أوفر من مقاتلة المسلمين عدداً وامضى سلاحاً وأقربَ الى ساحات القتال من أولئك النازحين اليها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام العرب المسلمين ، وهم كذلك أوفر عدداً وسلاحاً واغنى بالخيل والابل والاموال .

فهي نصرة عقيدة لامراء ! ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول .

فالواقع أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالاً اولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائهم .

انها عقيدة منشئة يذود عنها حماة قادرون . (*)

---

(٧٢) الطبري (٣٦/٣) وابن الاثير (١٧٩/٢) ، وانظر قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٩٤)

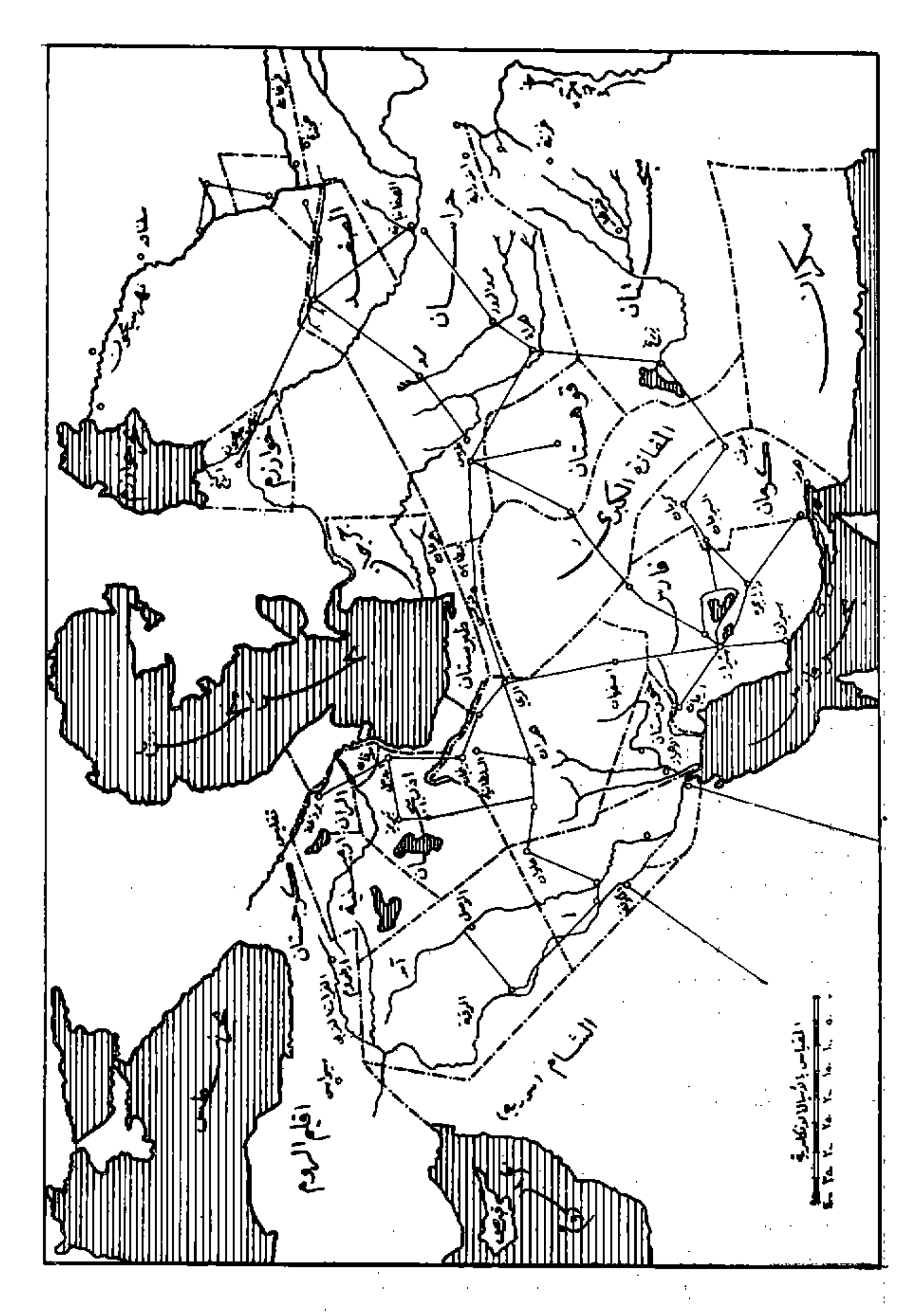
(٧٣) كان قادة المسلمين يقاتلون في الصفوف الامامية لرجالهم دائماً ، وكانوا يبارزون

(*) عبقرية خالد ص (١٢٦ – ١٢٨) وانظر قادة فتح العراق والجزيرة ص (١٨ – ١٩)

وستقرأ في هذا الكتاب وشيكا عن القادة القادرين الذين ذادوا عن عقيدتهم وحملوا رايات العرب المسلمين شرقا وغربا ، هؤلاء القادة الذين يندر امثالهم في كل أطوار التاريخ لكل الشعوب في العالم .

والحمد لله الذي يسر لي اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود ، وادعوه ان يأخذ بيدي لاخراج الاجزاء الباقية من كتاب : قادة الفتح الاسلامي ، حتى استكمل بين طياته قصة حياة كل قائد فاتح ضم بلدا الى الدولة الاسلامية .

وصلى الله على سيد القادات وقائد السادات النبي العربي محمد بن عبدالله ، ورضي الله عن قادته الميامين ، خريجي مدرسته ، ومعتنقي مبادئه ، وحاملي راياته : قادة الفتح الاسلامي .



أقاليم آسية الجنوبية الغربية

قادة فتح بلاد الفرس

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

التسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ هـ	م	الملحوظات
١	القعقاع بن عمرو التميمي	١- حُلْوان ٢- هَمَذان	الجبل	١٦	٦٣٧	١- فتحها بقواته الخفيفة ٢- انظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٣٠١ - ٣٢٤)
٢	جرير بن عبد الله البجلي	١- حُلْوان ٢- قَرْمِيسين ٣- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	١- فتحها بقواته الضاربة ٢- انظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٣٢٤ - ٣٣٩)
٣	ضرار بن الخطّاب الفهري	ماسَبَذان	الجبل	١٦	٦٣٧	
٤	حرملة بن مُرَيطة التميمي	١- مَنَاذِرْ ٢- نهرتِيرَى	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٥	سُلمى بن القَين التميمي	١- مَنَاذِر ٢- نهر تِيرَى	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٦	العلاءُ بن الحضْرمي	أول من هاجم فارس		١٧	٦٣٨	فاتح البحرين وجزيرة دارين، وأول من هاجم فارس
٧	حُرْقُوص بن زهير السّعدي	سوق الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٨	جُزء بن معاوية التميمي	دَوْرَق	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٩	النُّعمان بن مُقرِّن المزني	١- رَامَهُرْمُز ٢- نَهَاوَنْد	١- الأهواز ٢- الجبل	١- ١٧ ٢- ٢١	٦٣٨ ٦٤١	
١٠	أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم العامري	١- تُسْتَر ٢- السُّوس ٣- جُنْدَيْسابور	الأهواز	١٧	٦٣٨	

التسلسل	القـائـد	البلاد التي فتحها	الاقليم	التاريخ هـ	التاريخ م	الملحوظات
١١	زِرُّ بن عبد الله الفقيمي	جُنْدَيْسَابُور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٢	الربيع بن زياد الحارثي	١- بَيْرُوذ ٢- مناذر	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٣	سلمة بن قيس الاشجعي	جبال الأهواز	الأهواز	٢٣	٦٤٣	
١٤	أبو موسى الأشعري	الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٥	حُذَيْفَة بن اليَمان العَبسي	١- ماه ٢- الدَّيْنَوَر	الجبل	٢١	٦٤١	
١٦	المغيرة بن شُعْبَة الثقفي	أرَّجَان	فارس	٢٢	٦٤٢	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٣٨٧ - ٤١١)
١٧	السَّائب بن الأقرع الثقفي	١- مِهرجان قُذَق ٢- الصَّيمرة	الجبل	٢١	٦٤١	
١٨	نُعَيْم بن مقرّن المُزَني	١- هَمَذان ٢- الرَّي	الجبل	٢١ الى ٢٢	٦٤١ الى ٦٤٢	
١٩	عبد الله بن عبد الله بن عِتبان الأنصاري	أَصبهان	الجبل	٢١	٦٤١	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٢ - ٤٤٨)
٢٠	البراء بن عازب الأنصاري	١- أَبْهَر ٢- قزوين ٣- جيلان ٤- زَنْجان	الجبل	٢٢	٦٤٢	

التسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ هـ	التاريخ م	الملحوظات
٢١	سُوَيد بن مُقرّن المزني	١- قُومِس ٢- بِسْطام ٣- جُرْجان ٤- طبرستان ٥- جبل جيلان	طبرستان	٢٢	٦٤٢	
٢٢	بُكَيْر بن عَبْد الله الليثي	١- أَذْرَبَيجان ٢- مُوقان	أَذْرَبَيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٣	عُتبة بن فَرْقَد السُّلَمي	أَذْرَبيجان	أَذْرَبيجان	٢٢	٦٤٢	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ - ٤٢٢)
٢٤	سُراقة بن عمرو ذو النور	باب الأبواب	أَذْرَبَيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٥	الأحْنَف بن قيس التميمي	خُراسان	خُراسان	٢٢	٦٤٢	
٢٦	مجاشِع بن مَسْعود السُّلَمي	١- أَرْدشير خُرّه ٢- سابور	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٧	عُثمان بن أبي العاص الثقفي	١- إصْطَخْر ٢- بلاد فارس	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٨	الحكم بن أبي العاص الثقفي	١- جزيرة بَرْكاوان ٢- تَوَّج	١- بحر عُمان ٢- فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٩	سارية بن زُنيم الكناني	١- فَسَا ٢- دَارابجرد	فارس	٢٣	٦٤٣	
٣٠	سُهيل بن عَدي الخزرجي	كِرْمان	كِرْمان	٢٣	٦٤٣	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤٣٦ - ٤٤١)

التسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		الملحوظات
				هـ	م	
٣١	عاصم بن عمرو التميمي	سِجِسْتان	سِجِسْتان	٢٣	٦٤٣	
٣٢	الحكم بن عُمير التغلبي	مُكْران	مُكْران	٢٣	٦٤٣	

ملحوظة : ١ ـ اعتمدنا ما جاء في الطبري وابن الاثير في توقيت سني الفتح .

٢ ـ اعتمدنا ما جاء في تقسيم البلاد المفتوحة على الاقاليم على :

أ ـ معجم البلدان

ب ـ أحسن التقاسيم

جـ ـ تقويم البلدان

د ـ المسالك والممالك للاصطخري

هـ ـ المسالك والممالك لابن خرداذبة

٣ ـ اعتمدنا أطلس التاريخ الاسلامي لتوقيت التاريخ الميلادي بالنسبة للتاريخ الهجري .

قادة فتح الجبل

١ ـ القعقاع بن عمرو التميمي *
٢ ـ جرير بن عبدالله البجلي **
٣ ـ ضرار بن الخطاب الفهري
٤ ـ النعمان بن مقرّن المزني
٥ ـ حذيفة بن اليمان العبسي
٦ ـ السائب بن الاقرع الثقفي
٧ ـ نعيم بن مقرّن المزني
٨ ـ عبدالله بن عبدالله بن عتبان ***
٩ ـ البراء بن عازب الانصاري

---

* انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٠١ ـ ٣٢٣)
** انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٢٤ ـ ٣٣٩)
*** انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٤٢ ـ ٤٤٨)

ضِرار بن الخطّاب القرشي الفِهْري

فاتح ماسبذان[1] في إيران

نسبه وأيامه في الجاهلية

هو ضِرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فِهْر القرشي الفهري (٢)

كان ابوه الخطاب بن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرْباع لقومه ؛ وكان ضرار بن الخطاب يوم الفجار على بني محارب بن فهر ، وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجوّدين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم (٣) .

قاتل المسلمين اشد القتال (٤) : قاتلهم يوم (بدر) قتالا مريرا ورثى قتلى قريش في (بدر) رثاء حارا (٥) ، وقاتلهم يوم (أحُد) فلحق عمر بن الخطاب وجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : « انج يا ابن الخطاب لا أقتلك »، فكان عمر بن الخطاب يعرفها له بعد اسلامه (٦) ؛ وهذا يدل على حبه لعمر ابن الخطاب وتقديره له على الرغم من اختلافهما بالعقيدة ، ولولا ذلك لقتله كما قتل غيره من المسلمين ؛ فقد اختلف الاوس والخزرج فيمن كان اشجع يوم (أحد) ، فمر بهم ضرار فقالوا : هذا شهدها وهو عالم بها ، فسألوه عن ذلك فقال : « لا أدري ما أوسكم من خزرجكم ، ولكني زوّجت منكم يوم (أحد) أحد عشر رجلا من الحور العين (٧) » .

---

(١) ماسبذان : مدن عدة منها : أريوجان ، وهي مدينة حسنة في الصحراء بين الجبال ، ومدينة الرذ والسيروان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٧) ، وهي منطقة واسعة أطلق عليها اسم مدينة ماسبذان ، وهي مدينة مشهورة بقرب السيروان كثيرة الشجر . انظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٦٠) وقد ورد اسمها في هذا المصدر : ماسبدان بالدال بدلا عن الذال . وهي تقع في وسط الطريق بين حلوان وجنديسابور .

(٢) الاستيعاب (٧٤٨/٢) واسد الغابة (٤٠/٣) مع اختلاف في الاصابة (٢٧٠/٣)

(٣) الاستيعاب (٧٤٨/٢) وأسد الغابة (٤٠/٣) . والمرباع : الربع : والمعشار : العشر ، ويأخذ المرباع لقومه ، أي يأخذ لهم ربع أموال بعض الناس دلالة على عزّته .

(٤) الاصابة (٢٧٠/٣)

(٥) سيرة ابن هشام (٣٧٧/٢)

(٦) سيرة ابن هشام (٢٥/٢)

(٧) أسد الغابة (٤٠/٣) والاستيعاب (٧٤٩/٢)

وقاتل المسلمين يوم (الخندق) ، فكان أحد الاربعة الذين وثبوا الخندق (٨) ، وكان أحد قادة قريش يوم (الخندق) يهاجم مواضع المسلمين بين حين وآخر ويجعل خيله فيها ويناوش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم رماته فيرمون (٩) . قال ضرار يوما لأبي بكر الصديق : « نحن خير لقريش منكم : أدخلناهم الجنة وانتم ادخلتموهم النار » (١٠) ؛ يريد : انه قتل المسلمين فدخلوا الجنة ، وقتل المسلمون الكفار من قريش فادخلوهم النار .

والحق انه كان شديد العداوة للدين الحنيف ، فكان عنيفا في خصومته له ولمعتنقيه ، ولولا أن الاسلام يجَبّ ما قبله لكان حسابه عند الله عسيرا .

اسلامه

أسلم ضرار يوم فتح مكة (١١) فحسن اسلامه ، فلما التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وارتدّت العرب ، ثبت ضرار واهل مكة على الاسلام ، فكان أهل مكة من الدعامات القوية التي دافعت عن حياض الاسلام .

جهاده

شهد ضرار يوم (اليمامة) تحت راية خالد بن الوليد (١٢) ؛ فلما انتهت حروب الردة توجه خالد الى العراق وكان ضرار مع قوات خالد ، فشهد كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك (١٣) ، وكان هو الذي حاصر قصر (الفَرِيَّيْن) في فتح الحيرة (١٤) . وتحرك ضرار مع خالد الى

---

(٨) أسد الغابة (٣/٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) وفي طبقات ابن سعد (٢/٦٨) أن الذين عبروا الخندق كانوا خمسة رجال لا اربعة وهم : عكرمة بن ابي جهل ، وهبيرة بن ابي وهب وعمرو بن عبد ود ونوفل بن عبدالله وضرار بن الخطاب .

(٩) طبقات ابن سعد (٢/٦٧)

(١٠) الاصابة (٣/٢٧٠) ، والاستيعاب (٤/٧٤٩)

(١١) طبقات ابن سعد (٥/٤٥٤) والاستيعاب (٢/٧٤٨)

(١٢) الاصابة (٣/٢٧٠) وفي طبقات ابن سعد (٥/٤٥٤) : انه خرج الى اليمامة فقتل بها شهيدا . وهذا خطأ ، والذي قتل يوم اليمامة هو ضرار بن الازور . انظر ابن الاثير (٢/١٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) ، كما استشهد يوم اليمامة زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب . أنظر الطبري (٢/٥١١) وطبقات ابن سعد (٣/٣٧٦) والاصابة (٣/٢٧) واسد الغابة (٢/٢٢٨) والاستيعاب (٢/٥٥٠)

(١٣) الطبري (٢/٥٦٥)

(١٤) ابن الاثير (٢/١٤٩)

ارض الشام بعد نقله اليها من العراق ، فقد كان ضرار من جملة من اختاره خالد ليعاونه في مهمته الجديدة (١٥) ، فشهد تحت لواء خالد كافة معاركه في طريقه من العراق الى ارض الشام ، كما شهد معه معركة (اليرموك) الحاسمة ، وشهد مع أبي عبيدة بن الجراح فتح الشام (١٦)

وعاد ضرار الى العراق مع هاشم بن عتبة الزهري فشهد (القادسية) وفي هذه المعركة غنم ضرار علم الفرس الاكبر ، فعوض منه ثلاثين الفا ، وكانت قيمته الف الف ومائتي الف (١٧) !

وشهد ضرار فتح (المدائن) (١٨) القديمة على الضفة الغربية من النهر ، فلما رأى ضرار من المدائن القديمة ايوان كسرى في الضفة المقابلة من النهر ، نادى بأعلى صوته : « الله اكبر ! هذا أبيض كسرى ... هذا ما وعد الله ورسوله » ، وكبر ضرار وكبر الناس معه (١٩) .

وشهد ضرار تحت لواء هاشم بن عتبة الزهري معركة (جَلُوْلاء) ، فلما رجع هاشم منتصرا من (جلولاء) الى (المدائن) بلغ سعد بن ابي وقاص، ان الهرمزان قد جمع جمعا من القوات الفارسية في سهل (ماسبذان) ، فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب ، فكتب عمر : « ابعث اليه ضرار بن الخطاب في جند ، واجعل على مقدمته الهذيل الاسدي وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي حليف (بجيلة) والمضارب بن فلان العجلي » (٢٠) ؛ فخرج ضرار بمن معه حتى انتهى الى سهل (ماسبذان) والتقى بالفرس . وأسرع المسلمون في الهجوم على الفرس واخذ ضرار قائدهم أسيرا ، فانهزم عنه جيشه وتفرقوا في الجبال المحيطة بالمنطقة ، فدعاهم ضرار فاستجابوا له . واقام ضرار بماسبذان حتى تحوّل سعد بن ابي وقاص من المدائن الى الكوفة ، فأرسل الى ضرار فنزل الكوفة واستخلف على (ماسبذان) (٢١)؛

---

(١٥) الطبري (٢/٦٠٥)

(١٦) أسد الغابة (٣/٤٠) وذكر ابن الاثير في (٢/١٦٠) : انه استشهد في معركة (اجنادين) مع ان ابن الاثير نفسه في (٢/٢٠٣) ذكر : انه فتح ماسبذان !

(١٧) ابن الاثير (٢/١٨٦)

(١٨) أسد الغابة (٢/٢٧٠)

(١٩) ابن الاثير (٢/١٩٧)

(٢٠) الطبري (٣/١٤٣)

(٢١) ابن الاثير (٢/٢٠٣) ومعجم البلدان (٧/٣٦٤) .

وقد كان فتح ماسبذان بعد فتح (حلوان) (٢٢) .

الشاعـــر

كان ضرار من شعراء قريش المطبوعين المجودين (٢٣) ولـم يكن في قريش أشعر منه (٢٤) . كان عبد الرحمن بن عوف في طريقه الى مكة ، فقال لرجل : « غننـا ! » ، فقال عمر بن الخطاب : « ان كنت آخذا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب (٢٥) » ، مما يدل على اعجاب الناس، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بشعر ضرار المتين .

وشعره الذي بين أيدينا كثير لا مجال لذكره هنا ، وسنورد بعض مـا قاله في الجاهلية وفي اسلامه وفي فتوحاته كنماذج فقط لشعره الرائع .

فمن شعره في الجاهلية ، قوله في مدح أم غيلان التي أراد قومها قتـل ولدها غيلان فقامت دونه وخلصته من القتل (٢٦)

جزى الله عنا أم غيـلان صالحـا ... ونسوتها اذ هن شعث عواطل (٢٧)

فهن دفعـن الموت بعـد اقترابـه ... وقـد برزت للثائريـن المقاتـل

دعت دعوة (دوسا) فسالت شعابها ... بعز وأدتها الشراج القوابل (٢٨)

وعمرا جزاه اللـه خيرا فما ونـى ... وما بردت منه لدي المفاصـل (٢٩)

فجردت سيفي ثـم قمت بنصله ... وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل (٣٠)

---

(٢٢) حلوان : هناك حلوان العراق ، وهي مدينة عامرة ليس في أرض العراق بعد البصرة والكوفة وبغداد وواسط وسامرا والحيرة مدينة أكبر منها ، وهي بقرب الجبل (الجبـل الواقع على حدود العراق ـ ايران حاليا) وليس بالعراق مدينة قرب الجبل غيرها . انظـر المسالك والممالك ص (٦١) . وحلوان بلاد الجبال (في ايران حاليا) ، فهي مدينة في سفـح الجبل المطل على العراق . انظر المسالك والممالك ص (١١٨) وانظـر التفاصيـل في معجـم البلدان (٣٢٢/٣) . اقول : وحلوان العراق اليوم اطلال دوارس تقع بين جلولاء وخانقين .

(٢٣) أسد الغابة (٤٠/٣) .

(٢٤) الاصابة (٢٧٠/٣) .

(٢٥) الاصابـة (٢٧٠/٣) .

(٢٦) سيرة ابن هشام (٢٤/٢) . وانظر القصة كاملة في الاصابة (٢٧٠/٣) . وانظر نماذج من شعره قبل اسلامه في سيرة ابن هشام (٤٨/١) و (٥٩/٢) و (٣٧٧/٢) و (٣٩٧/٢) و (١٠٢/٣) و (١١٢/٣) و (١٥٠/٣) و (٢٧٥/٣) .

(٢٧) الشعث : جمع شعثاء ، وهن المتغيرات الشعور . والعواطل : جمع عاطلة ، وهي التي لا حلي لها .

(٢٨) دوس : اسم قبيلة عربية . والشعاب : جمع شعب . والشراج : جمع شرجة ، وهي مسيل الماء من الحرة الى السهل . والقوابل : التي تقابل بعضها بعضا .

(٢٩) ونى : برد وفتر .

(٣٠) نصل السيف : حده .

وقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح : (٣١)

يا نبي الهدى اليك لجا	حي قريش وأنت خير لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار	ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو	م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر	بأهل الحجون والبطحاء

وقال في أسر قائد الفرس في معركة (ماسبذان) : (٣٢)

ويوم حبسنا قوم (آذين) جنده	وقطراته عند اختلاف العوامل
وزَرْدَ وآذيناً وفهداً وجمعهم	غداة الوغى بالمرهفات الصواقل
فجاءوا الينا بعد غب لقائنا	بماسبذان بعد تلك الزلازل

لقد كان ضرار شاعرا فحلا ، لا تقل شهرة شعره عن شهرة فتوحاته .

الانسان

لا نعلم شيئا عن اعمال ضرار العامة بعد الفتح ، فقد سكت عنه التاريخ سكوتا مطبقا بعد أن كان ملء السمع والبصر شاعرا وفارسا وفاتحا.

لقد كان في الجاهلية رئيسا لقومه ، ورِثَ الرئاسة عن أبيه، ولكنه كان أهلا لها ؛ فقد كان شاعر قريش كلها دون منازع تفخر به بين العرب ، وكان شجاعا يحمي الذمار كريما مضيافا وفيا شهما غيورا .

وكان في جاهليته عنيفا في عدوانه للمسلمين : حاربهم بلسانه وسيفه حربا لا هوادة فيها ؛ ولكنه بعد اسلامه سخَّر لسانه وسيفه لحماية الاسلام ولنشره في البلاد .

وقد اختلف المؤرخون في موعد موته ، فذكر بعضهم أنه قتل في اليمامة شهيدا (٣٣) ، وهذا غير صحيح بالطبع ، لانه عاش وشهد المعارك التي ذكرناها جنديا وقائدا في عهد عمر بن الخطاب ، وقد قال عمر لأم جميل التي حمت ضرارا من القتل في أيام الجاهلية ، وقد أتته وهي ترى أنه اخو ضرار : « اني لست بأخيه الا في الاسلام ، وهو غاز وعرفت منَّتك (٣٤) عليه » (٣٥)

---

(٣١) أسد الغابة (٣/٤٠) والاصابة (٣/٢٧٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) وتمام القصيدة في ترجمة سعد بن عبادة . انظر الاستيعاب (٢/٥٩٨)

(٣٢) معجم البلدان (٧/٣٦٤)

(٣٣) الاصابة (٣/٢٧٠) وطبقات ابن سعد (٥/٤٥٤)

(٣٤) المنة : يريد بها يدها عنده ونعمتها عليه .

(٣٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٥)

وذكر بعضهم انه قتل شهيدا في معركة (أجنادين) (٣٦) ، وهذا غير صحيح ايضا ، لان هذه المعركة كانت في سنة ثلاث عشرة للهجرة (٣٧) ، وفي رواية اخرى : انها كانت في سنة خمس عشرة للهجرة (٣٨) ؛ بينما شهد ضرار معارك كثيرة كانت بعد هذين التاريخين كما اسلفنا ـ يكفي ان نذكر : انه كان قائد المسلمين يوم فتح (ماسبذان) التي كانت سنة ست عشرة للهجرة (٣٩) .

والثابت انه كان حياً سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م) ، اذ أن سعد ابن أبي وقاص استدعاه فنزل الكوفة ، وكان قبل ذلك واليا على (ماسبذان) (٤٠) ، ثم انقطعت اخباره بعد هذا التاريخ . والظاهر أنه توفي حوالي سنة سبع عشرة للهجرة أو بعدها بقليل ، اذ أنه شهد حرب الفجار التي كانت بعد عام الفيل (٤١) بعشرين سنة ، وعام الفيل كان سنة (٥٧٠م) لان النبي صلى الله عليه وسلم ولد في عام الفيل ، وقد كان ضرار في حرب الفجار قائداً لعشيرته ، ومعنى ذلك انه كان كبير السن ، يوم الفجار لا يقل عمره عن العشرين عاما ، فليس من المعقول أن يطول عمر ضرار اكثر من حوالي سنة سبع عشرة للهجرة ، لذلك أرجح انه توفي حوالي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨م)

القائد :

كان ضرار من فرسان قريش وشجعانهم (٤٢) ، وابرز ما في قيادته شجاعته الفائقة التي تستهين بالاخطار .

وكان في شجاعته واقدامه مثالا رائعا لرجاله ، يثير نخوتهم ببطولته الشخصية النادرة وبشعره الحماسي المتين ؛ وقد ظهر أثر لسانه وسيفه واضحا عندما قاد جيشا من المسلمين لفتح منطقة (ماسبذان) ، اذ لم يكد يعرف موضع القطعات الفارسية الا وانقض عليهم بسرعة خاطفة وانقض هو بنفسه على قائد الفرس فأخذه أسيرا ، فانهارت مقاومة الفرس سريعا وتركوا ساحة المعركة هاربين !

---

(٣٦) ابن الاثير (٢/١٦٠) وقد اعتمد ذلك الزركلي صاحب الاعلام ، فذكر في (٣/٣١٠) الطبعة الثانية : انه استشهد في اجنادين .

(٣٧) ابن الاثير (٢/١٦٠)

(٣٨) ابن الاثير (٢/١٩٣) والطبري (٣/١٠١)

(٣٩) الطبري (٣/١٤٢) وابن الاثير (٢/٢٠٣)

(٤٠) الطبري (٣/١٤٣)

(٤١) ابن الاثير (١/٢١٤)

(٤٢) أسد الغابة (٣/٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨)

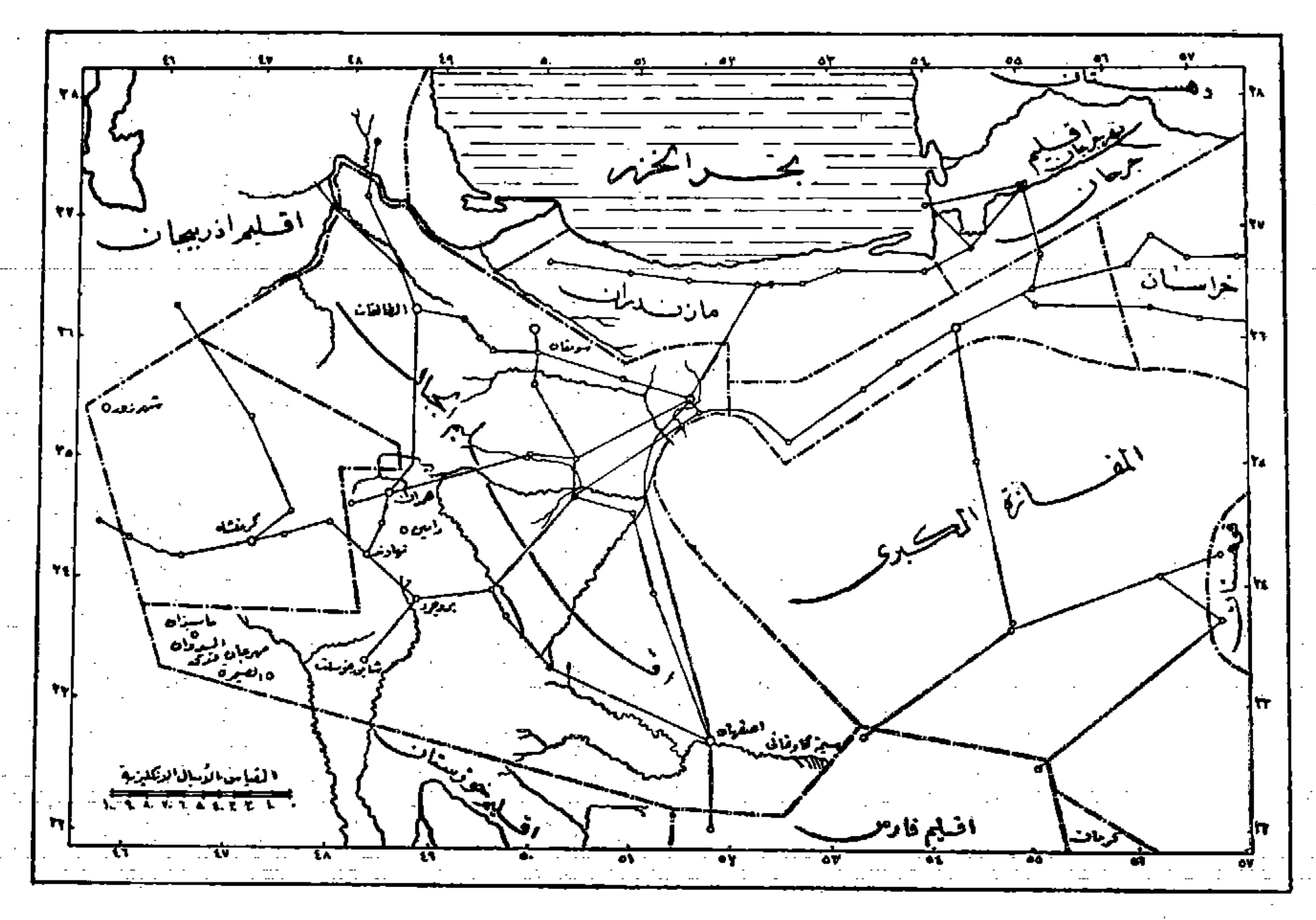
ان مفتاح مزايا قيادة ضرار هو شجاعته النادرة ، وكـان قـد مارس الحروب في الجاهلية والاسلام مدة طويلة ، فأصبحت خبرته في مكابدة العدو ومعرفته أسهل الطرق للقضاء عليه مع ذكائه اللماح، كل ذلك من العوامل البارزة لقابليته على اعداد الخطط العسكرية الصحيحة الدقيقة واعطاء القرارات السريعة السليمة ؛ كما أنه كان يطبق في معاركه بمقدرة فائقة مبدأ (المباغتة) أهم مبادىء الحرب على الاطلاق .

وكان بالاضافة الى كل ذلك ، ذا ارادة قوية وشخصية نافذة ، يسبق النظر ويحسب لكل شيء حسابه ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، يتحمل المسؤولية الكاملة بلا خوف ولا تردد ، له ماض في البطولات مشرف ناصـع .

ضرار في التاريـخ

يفخر الشعراء بضرار شاعرا مجيدا ، ويفخر الفرسان بضرار فارسا مغوارا . ويفخر الابطال بضرار بطلا مقداما ؛ أما القادة فيفخرون به قائـدا فاتحا ضم الى ربوع بلاد المسلمين منطقة واسعة لا تزال تدين بالاسلام .

رضي الله عن الشاعر الفارس ، البطل الفاتح ضرار بن الخطاب القرشي الفهـــري .



اقليما الجبال وجيلان مع أقاليم مازندران وقومس وجرجان

النُعمان بن مُقرّن المُزني

فاتح رام هرمز (١) وشهيد معركة فتح الفتوح

« هذا اميركم قد اقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة »

(معقل بن مقرّن المزني)

بيت مقرّن :

« ان للايمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وأن من بيوت الايمان بيت ابن مقـرن » . ذلك ما كان يقوله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود عن بيت مقـرن المزني .

لقد كان ابناء مقرن عشرة اخوة (٢) : سنان (٣)وسويد (٤)وعبدالله (٥) وعبد الرحمن (٦) وعقيل (٧) ومعقل (٨) والنعمان ونعيم (٩) ومرضي (١٠)

---

(١) رام هرمز : ومعنى رام بالفارسية : المراد والمقصود ، وهرمز أحد الاكاسرة ، فكأن هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز او مراد هرمز . وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢١) والمسالك والممالك ص (٦٤) .

(٢) في الاصابة (٦/١٢٦) أن ابناء مقرن سبعة أخوة ، والصحيح هو أنهم عشرة اخوة كما ذكرنا أعلاه ، وقد استدرك في الاصابة ذلك في (٦/١٢٦) ، أنظر الطبري (٢/٥٦٤) .

(٣) سنان بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وله ذكر في المغازي . انظر الاصابة (٣/١٣٥) والاستيعاب (٢/٦٥٩)

(٤) سويد بن مقرن المزني : أحد قادة الفتح الاسلامي ، سترد ترجمته التفصيلية .

(٥) عبدالله بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وكان على ميسرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من المدينة لقتال المرتدين في ضواحيها ، وله ذكر في المغازي. انظر الاصابة (٤/١٣٣) وأسد الغابة (٣/٢٦٦) .

(٦) عبد الرحمن بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، ويقال كان اسمه : عبد عمرو فغيره النبي صلى الله عليه وسلم . انظر الاصابة (٤/١٨٣) .

(٧) عقيل بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، أنظر الاصابة (٤/٢٥٥) وأسد الغابة (٣/٤٢٤) والاستيعاب (٣/١٠٧٩) .

(٨) معقل بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وقد نزل الكوفة . انظر الاصابة (٦/١٢٦) وأسد الغابة (٤/٤٩٨) والاستيعاب (٣/١٤٣٢) .

(٩) نعيم بن مقرن المزني : أحد قادة الفتح الاسلامي ، سترد ترجمته التفصيلية .

(١٠) مرضي بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وكان يحسن الكتابة فقد كتب وثيقة الصلح مع أهل الباب . انظر الاصابة (٦/٨١) .

وضرار (١١) ، وهم من مزينة مضر (١٢) ، كلهم صحب الرسول صلى الله عليه وسلم وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم ؛ نزلت فيهم الآية الكريمة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر .. الآية » (١٣) ، وكانوا من جلة الصحابة (١٤) .

اسلامه :

قدم النعمان مع أخوته على رأس اربعمائة فارس من (مزينة) (١٥) على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة (١٦) وشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (الخندق) (١٧) وغزواته الاخرى بعد اسلامهم ، وكان مع النعمان لواء مزينة في غزوة فتح مكة (١٨) ، وقد شهد تلك الغزوة من مزينة الف وثلاثة نفر (١٩) أي عشر قوات المسلمين في غزوة الفتح .

وثبت النعمان كما ثبتت مزينة على الاسلام بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ، بينما ارتدت العرب اما عامة واما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقدهم نبيهم (٢٠) ، فكان لثبات مزينة والقبائل الاخرى المقيمة بين مكة والطائف اثر في القضاء على المرتدين في تلك المناطق بصورة خاصة وفي المناطق العربية الاخرى بصورة عامة .

لقد كان النعمان قائد مزينة ورئيسها ، فلا بد ان يكون له الاثر الحاسم في اقدامها على الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكها به بعد وفاته ، وجهادها في حياته وبعد وفاته لاعلاء كلمة الله .

---

(١١) ضرار بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، أمرّه خالد حين حصار الحيرة، وله صحبة. انظر الاصابة (٢٧١/٣) وأسد الغابة (٤١/٣) والطبري (٥٦٤/٢) .
(١٢) المعارف ص (٧٥) .
(١٣) الاصابة (١٢٦/٦) .
(١٤) الاصابة (٢٤٩/٦) .
(١٥) أسد الغابة (٣٠/٥) .
(١٦) طبقات ابن سعد (٢٩١/١) .
(١٧) طبقات ابن سعد (٢٠/٦) .
(١٨) الاصابة (٢٤٦/٦) .
(١٩) سيرة ابن هشام (٤٢/٤)
(٢٠) الطبري (٤٦١/٢) .

جهـــــاده :

أ ـ في حرب الردة :

بعثت عبس وذبيان ومن انضم اليهم من بني كنانة ومن غطفان وفزارة جموعا منها أقامت على مقربة من المدينة المنورة ، وأرسل رؤساء هذه القبائل وفودا منهم الى المدينة يفاوضون أبا بكر : يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ! ؛ فكان جواب أبي بكر : « والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه » (٢١) .

وعادت تلك الوفود الى قبائلها بعد أن اطلعت على نقاط الضعف في المدينة : مداخلها ومخارجها وقلة المدافعين عنها ؛ فأنذر ابو بكر أهل المدينة بالخطر ، وحشد المقاتلين بعدة القتال في المسجد لرد العدوان الخارجي ، ووضع الحراس في مداخل المدينة لمراقبة الفزاة ليلا ونهارا .

وزحف مانعو الزكاة ليلا بعد ثلاثة ايام من عودة وفودهم ، فأحسّ الحراس المقيمون في مداخل المدينة بالخطر ، فأنذروا أبا بكر ، فخرج على رأس القوات التي حشدها في المسجد لصد هجوم المرتدين ؛ فكان استحضار المسلمين الكامل وهجومهم الفوري على الغزاة مباغتة كاملة لهم لم يكونوا يتوقعونها ، اذ لم يدر بخواطر هذه القبائل أن سيقاومهم أحد بعد الذي عرفوا من أمر المدينة وأهلها ، لذلك انسحبت هذه القبائل فطاردهم المسلمون حتى بلغوا (ذا حسا) (٢٢) ، وكانت القبائل قد تركت فيها مددا من الرجال أعدوا أنحاء (٢٣) قد نفخوها وربطوها بالحبال وضربوها بأرجلهم في وجوه الابل التي امتطاها المسلمون ، فنفرت براكبيها وعادت بهم الى المدينة !

وظن القوم بالمسلمين الوهن ، ولكن أبا بكر بات ليله يتهيأ ، فعبّىء الناس ثم خرج في الثلث الاخير من الليل ، وعلى ميمنته النعمان وعلى ميسرته اخوه عبدالله بن مقرن وعلى الساقة أخوه سويد بن مقرن ، فما طلع الفجر الاّ وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همسا ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف قبل شروق الشمس ، فلم تشرق الشمس حتى انهزم

---

(٢١) ابن الاثير (١٣١/٢) .

(٢٢) ذو الحسا : واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان . انظر معجم البلدان (٢٧٥/٣) .

(٢٣) أنحاء : جمع نحي ، وهي أوعية من جلود .

المشركون ، فطاردهم ابو بكر حتى نزل بـ (ذي القصة) (٢٤) حيث وضع فيها حامية من المسلمين بقيادة النعمان وعاد الى المدينـــة (٢٥) .

وبعد عودة بعث أسامة بن زيد الى المدينة ، خرج أبو بكر بنفسه لقتال المرتدين من قبائل عبس وبني بكر وذبيان في منطقة (الربذة) (٢٦) ، وكان على ميمنته النعمان ايضا ، فهزم العدو وعاد الى المدينـــة بعد ان طهر شمال وشمال شرقي المدينة من المرتدين (٢٧) .

لقد كان النعمان واخوته من ابرز الرجال الذين أعانوا أبـــا بكر علـــى محاربة المرتدين واعادة الهدوء والنظام والوحدة الى ربوع شبه الجزيـــرة العربيـــــة .

ب ــ في القادسيـــة :

كان النعمان مع سعد بن أبي وقاص في القادسية ، وقد رأى أن يرسله على رأس وفد (٢٨) الى كسرى (يزدجرد) ، وامرهم أن يدعوه الى الاسلام ، فان أبى فالجزية ، والا فالمناجزة .

وبلغ الوفد (المدائن) عاصمة كسرى ، فسألهم الملك : « ما جاء بكم ، وما دعاكم لغزونا والولوع ببلادنا ؟! أمن أجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتـــم علينا ؟ » ، واجابه النعمان ذاكرا له كيف بعث الله رسوله ، وما جاء بـــه من عند الله من خير ، ودعاه الى الاسلام قائلا : « ثم أمرنا ــ أي الرسول صلى الله عليه وسلم ــ ان نبدأ بمـــن يلينا من الامم فندعوهم الـــى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كلـــه ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزاء ! فان أبيتم فالمناجزة ، فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، والا قاتلناكـــم » (٢٩) .

---

(٢٤) ذو القصة : موضع على بريد من المدينة (على مرحلة) تلقاء نجد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) .

(٢٥) الطبري (٤٧٨/٢) .

(٢٦) الربذة : الربذة لغة هي الشدة ، وهي من قرى المدينة على ثلاثة اميال قريبة من ذات عرق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢١/٤) .

(٢٧) الطبري : (٤٧٩/٢) .

(٢٨) الطبري (١٧/٣) وكان بين الوفد : فرات بن حيان والاشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة الشيباني أخو المثنى . وانظر ابن الاثيـــر (١٧٥/٢)

(٢٩) الطبري (١٧/٣) وابن الاثير (١٧٦/٢) .

كبر على كسرى ان يسمع مثل هذا الكلام ، فأجاب الوفد جوابا يفريهم بما عنده من مال وألبسة وطعام ، وبعد أخذٍ وردّ ، غضب كسرى غضباً شديداً ، فخاطب الوفد قائلا : « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ! لا شيء لكم عندي » (٣٠)

لقد ترك الوفد اثرا معنويا سيئا في نفس كسرى ورجاله ، قال كسرى بعد مغادرة الوفد يخاطب رستم قائد الفرس : « ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء ! ما أنتم بأحسن جوابا منهم ، ولقد صدقني القوم . لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه » (٣١) .

ولما نشب القتال في القادسية ، ابلى النعمان فيها بلاء الابطال ، فلما نصر الله المسلمين على الفرس ، ارسله سعد الى عمر بن الخطاب بشيرا بفتح القادسية (٣٢) .

٣ ـ الفاتح :

أ ـ في الاهواز :

استقر (يزدجرد) بمدينة (مرو) بعد خروجه من (المدائن) وانتقاله من مدينة الى اخرى ، وكان يعمل على اثارة أهل فارس للدفاع عن بلادهم ولاسترجاع ما خسروه من بلاد .

واثمرت محاولاته في توحيد جهود الفرس وأهل الاهواز في سبيل صد عدوهم المشترك ، فأخبر قادة المسلمين في منطقة الاهواز عمر بن الخطاب باجتماع كلمة اتباع كسرى على قتال المسلمين ، فما كان من عمر الا ان كتب الى سعد بن ابي وقاص : « ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجّل ، فلينزلوا بأزاء الهرمزان ويتحققوا أمره » (٣٣) .

وتحرك النعمان بأهل الكوفة الى الاهواز على البغال يجنبون الخيل ، فلما وصلها بادر الى مهاجمة جيش (الهرمزان) في (رام هُرمز) فهزم الفرس وفتح المدينة . ولجأ الهرمزان الى مدينة (تُستَر) ، فسار النعمان بقوات الكوفة اليه ، وسارت قوات البصرة الى (تستر) ايضا ، وأمدهم عمر

---

(٣٠) الطبري (١٩/٣) .

(٣١) ابن الاثير (١٧٦/٢) .

(٣٢) أسد الغابة (٣١/٥) والاصابة (٢٤٦/٤) . أما الطبري في (٧٠/٣) فيذكر أن البشير بفتح القادسية كان سعد بن عُميلة .

(٣٣) ابن الاثير (٣١١/٢) .

ابن الخطاب بأبي موسى الاشعري وجعله على أهل البصرة ، وجعل ابا سبرة بن أبي رهم قائدا عاما على الجميع ، فاستولى عليها بعد حصار دام اكثر من شهر ، أما الهرمزان فالتجأ الى قلعة المدينة وتحصن بها ، ولكنه سلم نفسه للمسلمين على أن يقرر مصيره عمر بن الخطاب بنفسه .

وخرج أبو سبرة لمطاردة المنهزمين الى مدينة (السوس) ونزل عليها ومعه النعمان وابو موسى الاشعري ، وبقي النعمان محاصرا (السوس) حتى جاء أمر عمر بالحركة الى (نهاوند) ، ولكنه قبل حركته اليها استطاع قائد خيله اقتحام مدينة السوس فدخلها المسلمون عنوة (٣٤) .

ب ــ في نهاوند (٣٥)

كان ما أصاب الهرمزان حافزا لامراء الفرس الذين خافوا أن يصيبهم ما اصابه ــ ان يوحدوا كلمتهم لدفع الغزاة عن بلادهم ، فكتبوا الى (يزدجرد) ليكون على رأس وحدتهم ، وليعمل من جانبه على دعمهم ، فكتب بدوره الى الامصار يشجع أهل فارس ويحثهم على التكاتف والتضامن والثبات ، فبعث كل أمير من جنده الى (نهاوند) حتى بلغ عددهم مائة وخمسين الفا اجتمعوا بأمرة (الفيرزان) (٣٦) .

وأخبر سعد بن ابي وقاص عمر بهذا الحشد الفارسي العظيم ، فقرر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة هذا الخطر الداهم ، ولكن أصحاب الشورى وعلى رأسهم علي بن أبي طالب نصحوه أن يبقى في المدينة ويرسل قائدا يعتمد عليه ليفرق شمل القوات الفارسية (٣٧) .

قال عمر : « أشيروا عليّ برجل أولّيه ذلك الثغر وليكن عراقيا » ، فقالوا : أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك ! فقال : « والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا . . . هو النعمان بن مقرن » ، فقالوا : هو لها ! (٣٨) .

---

(٣٤) الطبري (١٨٠/٣ ــ ١٨٧) وابن الاثير (٢١١/٢ ــ ٢١٤) . أما البلاذري في ص (٣٧٣) فيذكر أن أبا موسى الاشعري هو الذي فتح (تستر) و (السوس) .

(٣٥) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همذان ، بينهما ثلاثة أيام . انظر معجم البلدان (٣٢٩/٨) والمسالك والممالك ص (١١٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧١) .

(٣٦) ابن الاثير (٣/٣) .

(٣٧) الطبري (٢١٢/٣) .

(٣٨) ابن الاثير (٣/٣) .

وكان سعد بن أبي وقاص قد ولى النعمان على (كسكر) (٣٩) ، فكره النعمان منصبه هذا وكتب الى عمر يسأله ان يعزله ، لانه لا يريد أن يكون (جابياً) بل يريد أن يكون (غازياً) ، فكتب اليه عمر : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن . سلام عليك . فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فانه قد بلغني أن جموعا من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة (٤٠) فان رجلا من المسلمين أحب اليّ من مائة الف دينار ، والسلام عليك » (٤١) .

وكتب عمر الى والي الكوفة يأمره ان يستنفر ثلثي الناس ويبقي ثلثهم (٤٢) وكتب في اليوم نفسه الى أبي موسى الاشعري : « ان سر بأهل البصرة » ، وكانت مثابة اجتماع النعمان بهذه القوة مدينة (ماه) (٤٣) ، وكتب الى كافة قادة القوات : « اذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني » (٤٤) ، كما كتب الى امراء الاجناد في الاهواز : أن يشاغلوا أهل فارس عن اخوانهم ، وأراد عمر بذلك أن يقطع الامدادات الفارسية عن أهل نهاوند من جهة ويشاغل القوات الفارسية في جبهات متعددة ليضعفها اولا وليضرب ضربته الحاسمة في نهاوند بعد اكمال تحشد قوات المسلمين فيها ثانيا .

وارسل النعمان جماعات استطلاعية لمعرفة أخبار الفرس ، فوصل طليحة بن خويلد الاسدي نهاوند ، فلما رجع أخبر النعمان بعدم وجود قوات فارسية معادية في طريقه الى نهاوند ، عند ذاك تحرك النعمان بقواته حتى نزل منزلا قريبا من حصون أعدائه : على ميمنته الاشعث بن قيس الكندي وعلى ميسرته المغيرة بن شعبة (٤٥) .

---

(٣٩) كسكر : كورة كبيرة واسعة قصبتها مدينة واسط التي بين الكوفة والبصرة وكانت قصبتها قبل أن يمصر الحجاج واسطا خسرو سابور ، ويقال أن حدكورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان الى أن تصب دجلة في البحر ـ كله من كسكر ، فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥١/٧) .

(٤٠) القيضة : الاجمة ، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر ، والجمع غياض وأغياض .

(٤١) الطبري (٢٥٣/٣) وانظر الطبري (٢١٣/٣) حول رسالة النعمان الى عمر يطلب فيها عزله عن كسكر . ومن أراد تفاصيل الروايات حول تولية عمر النعمان براجع البلاذري من (٣٠٠ ـ ٣٠١) ومروج الذهب على هامش ابن الاثير (١٣٦/٥) .

(٤٢) البلاذري ص (٣٠٠) .

(٤٣) ماه : هي ماه دينار وهي مدينة نهاوند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٧)

(٤٤) الطبري (٢٠٦/٣) .

(٤٥) البلاذري ص (٣٠٢) .

ونشب القتال حول المدينة ، وكان القتال سجالا بين العرب والفرس يومين كاملين ، فخاف المسلمون أن يطول امد القتال ، فاجتمع أهل الرأي منهم وذهبوا الى النعمان فقال لهم : « قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن ، وأنهم لا يخرجون الا اذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على القاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم ، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق ، فما الرأي الذي به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل ؟ » (٤٦) .

وأشار بعضهم بتضييق الحصار ، وأشار بعضهم بمهاجمة المدافعين في حصونهم ، وقال طليحة : « أرى أن تبعث خيلا لينشبوا القتال ، فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا ، فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ، فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب »(٤٧)، فأرسل النعمان القعقاع بن عمرو التميمي على رأس الخيل فأنشب القتال، فلما خرجوا من خنادقهم وحصونهم تراجع أمامهم ، فظن الاعاجم ان انسحاب العرب كان نتيجة لضعفهم فقاموا بمطاردة العرب المنسحبين !

كان المسلمون على تعبيتهم ، وقد أمر النعمان جيشه أن يثبتوا في أماكنهم ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ..... وأقبل الفرس عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح .

وانتظر النعمان حتى تم خروج قوات الفرس من حصونهم ... ثم ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر ، ثم قال لهم : اني مكبر ثلاثا ، فاذا كبرت التكبيرة الاولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ ، فاذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ، فاذا كبرت الثالثة فاني حامل أن شاء الله فاحملوا معي ... اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك » (٤٨) ... وهكذا استدرج النعمان اعداءه الى حرب في العراء خارج حصونهم وخنادقهم ، حتى اذا سنحت له الفرصة حمل وحمل معه الناس ، فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديدا ، مما جعل ساحة المعركة مملوءة بالدماء والاشلاء ، فزلق فرس النعمان في الدماء (٤٩) وصرع ، وقيل : بل اصابه سهم في خاصرته فقتله (٥٠) ، فسجّاه أخوه نعيم بثوبه واخذ اللواء من يده ودفعه

---

(٤٦) ابن الاثير (٤/٣) .

(٤٧) ابن الاثير (٤/٣) .

(٤٨) الطبري (٢١٧/٣) .

(٤٩) الطبري (٢١٧/٣) .

(٥٠) ابن الاثير (٥/٣) .

الى حذيفة بن اليمان حسب وصية النعمان ، واخفى نعيم استشهاد أخيه عن الناس حتى لا تنهار معنوياتهم فلما أظلم الليل انهزم الفرس .

وطاردهم المسلمون ، فلم ينج منهم الا الشريد ، حتى وصل المسلمون في مطاردتهم الى (همذان) حيث استأمنهم اميرها !

وجعل المسلمون يسألون عن أميرهم النعمان ، فقال لهم أخوه مَعْقل: « هذا أميركم قد أقرّ الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة » .

ودخل المسلمون نهاوند فاتحين بعد هزيمة الفرس ، وبذلك انتهت معركة نهاوند الحاسمة التي أطلق عليها المسلمون بحق اسم : فتح الفتوح (٥١) .

وكان عمر بن الخطاب بالمدينة يتسقط انباء المسلمين لا يكاد يذوق النوم الا غرارا ، فلما جاءه رسول المسلمين من نهاوند سأله عمر : « ما وراءك ؟ » ، قال : « البشرى والفتح » ، وسأل عمر : « وما فعل النعمان ؟ » ، فقال : « زلّت فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد » ، قال عمر وقد أفزعه النبأ وهزه : « انا لله وانا اليه راجعون ! » ولم يتمالك نفسه أن بكى حتى نشج كأنما أصيب بأعز انسان لديه .

وقال الرسول لعمر : « يا أمير المؤمنين ! ما أصيب بعده ــ يقصد النعمان ــ رجل تعرف وجهه» ، فقال عمر: «اولئك المستضعفون من المسلمين، ولكن الذي اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم ! وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ؟!! (٥٢) .

الانســـان :

كان النعمان من رؤساء مزينة ، فقد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم على رأس اربعمائة فارس من مزينة ، وكان صاحب لواء مزينة في غزوة فتح مكة ، وكان موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وموضع ثقة خلفائه من بعده حتى استشهد في نهاوند سنة احدى وعشرين للهجرة (٥٣) (٦٤٢ م) وقبره هناك بموضع يقال له : (أسفيذبان) (٥٤)

---

(٥١) الطبري (٣/٢١٩) .
(٥٢) ابن الاثير (٣/٦) والخراج ص (٤١)
(٥٣) طبقات ابن سعد (٦/١٩) والمعارف ص (١٨٣) .
(٥٤) اسفيذبان : قرية من قرى أصبهان . انظر معجم البلدان (١/٢٣١) وانظر المعارف ص (٢٩٩) حول وجود قبر النعمان هناك .

لقد كان النعمان مؤمنا حقا ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث (٥٥) ، وقد ثبت على اسلامه بعد النبي صلى الله عليه وسلم فكان ثباته هذا من العوامل المؤثرة على مزينة في ثباتهـا على الاسلام ومقاومتها المرتدين حتى عاد العرب الى الاسلام .

وكان محبا للناس محبوبا منهم ، دمث الاخلاق حسن السيرة كريمـا وفيـا ، سكن البصرة ثم تحول الى الكوفة (٥٦) واستقر أخـيرا في ثـرى نهاوند شهيـدا .

القائـــــد :

كان النعمان جنديا بمعنى الكلمة ، يفضل دائما أن يكون (غازيا) في الصفوف الاولى الامامية في ساحات القتال على أن يكون (واليـا) في المدن العامرة متنعما في المنازل والقصور . كان يحب الجهاد لا يبالي أن يكون جنديا بسيطا بين اخوانه المجاهدين أو قائداً من القادة ، اذ كل ما كان يتوق اليه هو مجابهة الاعداء ومصاولتهم لاعلاء كلمة اللـه .

وكان فارسا مقداما لا يعرف التردد والفرار ، مكيثا غـير متسرع الا لانتهاز فرصة سانحة ، ومن الواضح من سير أعماله أنه كان يقدر الموقف العسكري بكل دقة ويعد كافة متطلبات المعركة قبل الاقدام على زج رجالـه فـي المعركة .

وكان دائما في الصفوف الامامية بين جنوده ليضرب لهم مثالا شخصيا يحتذى به في الشجاعة والاقدام .

وكان يمتاز بمحاولته الحصول على أخبار عدوه قبل الحركة وفي أثنائها وقبل نشوب القتال وفي أثنائه ، وكان لا يتحرك الا على تعبية كاملة حتـى يحول دون مباغتة العدو لقواته وايقاع الخسـائر بهم دون مبرر .

وكان كثير الاستشارة لذوي الراي من رجاله ، فلا يقدم على عمل قبل أن يأخذ آراءهم ويستمع الى مناقشاتهم حتى يتوصل الى الفكرة المعقولـة فيعمل بها ، ذلك لانه كان يحرص على مصير كل جندي من جنوده أكثر مما يحرص هو علـى مصيره !!

لقد كان مثالا للقائد الذي يضحي بنفسه في سبيل مصلحة رجاله . قال أخوه معقل بن مقرن المزني : « أتيت النعمان وبه رمق ، فغسلت وجهه

---

(٥٥) اسماء الصحابة الرواة ــ لابن حزم ــ ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٨) .
(٥٦) الاصابة (٦/٢٤٦) .

من اداوة (٥٧) ماء كانت معي ، فقال : من انت ؟ قلت : معقل ! قال : ما صنع المسلمون ؟ قلت : ابشر بفتح الله ونصره ، قال : الحمد لله .. اكتبوا الى عمر » (٥٨) ...

هذا هو القائد ! لم يفكر بنفسه حتى في ساعة احتضاره بل فكر بالمصلحة العامة للمسلمين، فلما أطمأن الى أنها بخير ، أسلم روحه قرير البال مرتاح الضمير ... هذا هو القائد !..

النعمان في التاريخ :

يذكر التاريخ للنعمان جهاده تحت لواء الرسول القائد ، وموقفه الرائع في حروب أهل الردة ، وجهاده المشرف تحت لواء خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص وبلاءه المجيد في حروب خوزستان ، وأخيرا توج نهاية حياته بفتح نهاوند (٥٩) من أعظم واكبر مدن فارس حينذاك .. وتوج حياته بنهاية مشرفة هي أكبر من فتح نهاوند ومن كل فتح ... بالشهادة .

لقد كانت معركة نهاوند من معارك الفتح الاسلامي الحاسمة ، فكما أن معركة القادسية فتحت ابواب العراق العربي للمسلمين ، فان معركة (نهاوند) فتحت أبواب فارس للمسلمين ، فلا عجب اذا اطلق عليها المؤرخون اسم : فتح الفتوح .

لقد ربح النعمان معركة نهاوند ولكنه خسر نفسه، لذلك خلده التاريخ، ولو انه خسر هذه المعركة من أجل الحفاظ على نفسه لأهمله التاريخ ، فما احرانا أن نتعلم هذا الدرس من هذا القائد العظيم .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الشهيد البطل النعمان بن مقرن المزني .

---

(٥٧) اداوة : المطهرة جمعها : الاداوى بوزن المطايا ، وفي البلاذري ص (٣٠١) وردت هذه الكلمة : ادوات خطأ بدلا عن اداوة .

(٥٨) البلاذري (٣٠١) .

(٥٩) في الاصابة (٢٤٦/٦) يذكر انه فتح أصبهان ، والصحيح أن فتح أصبهان جرى بعد معركة نهاوند . راجع الطبري (٢٢٢/٣) وابن الاثير (٨/٣) والبلاذري ص (٣٠٨) .

حُذيفة بن اليمان العبسي

فاتح ماه(1) والدّينور (2)

وصاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان شئت 'كنت' من المهاجرين
وان شئت 'كنت' من الانصار
(محمد رسول الله)

أهلــــه :

هو حذيفة بن حسل (3) بن جابر بن ربيعة بن فروة بن مازن بن قطيعة بن عبس المعروف باليمان العبسي (4) حليف بني عبد الاشهل من الانصار (5) ويكنى : أبا عبدالله (6) .

استشهد والده حسل بن جابر في غزوة (أحد) ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى (أحد) ، رفع حسل بن جابر والد حذيفة وثابت ابن وقش (7) الى الآكام مع النساء والصبيان — وكانوا شيخين كبيرين، فقال أحدهما للآخر : « لا أبا لك ! ما ننتظر ؟! انا نحن هامة (8) اليوم او غد»، فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشهادة ؛ فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت ابن وقش الانصاري والتقت أسياف المسلمين على حسل والد حذيفة، فنادى

---

(1) ماه : هي مدينة نهاوند ، وانما سميت بذلك ، لان حذيفة بن اليمان لما نازلها صالح أميرها الذي أسره المسلمون على الخراج والجزية وأمن أهلها على أموالهم وأنفسهم وذراريهم ، وكان اسم ذلك الامير : دينار . فسميت نهاوند يومئذ : ماه دينار . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (7/375) .

(2) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين . بين الدينور وهمذان بنيّف وعشرين فرسخا ، ومن الدينور الى شهرزور أربع مراحل ؛ والدينور بمقدار ثلثي همذان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (4/188) والمسالك والممالك ص (117) .

(3) وفي طبقات ابن سعد (6/15) : حسيل بالتصغير ، وكذلك في فتح الباري بشرح البخاري (7/99)

(4) الاصابة (2/12) وأسد الغابة (1/390)

(5) سيرة ابن هشام (2/125)

(6) طبقات ابن سعد (6/15) والاستيعاب (1/334)

(7) ثابت بن وقش الانصاري : قتل يوم (أحد) شهيدا وقتل ولداه عمرو بن ثابت وعمر بن ثابت يومئذ شهيدين . انظر التفاصيل في الاصابة (1/204) والاستيعاب (1/204) وأسد الغابة (1/234) .

(8) هامة : جثة هامدة .

حذيفة : « أبي ... أبي ... » فقتلوه وهم لا يعرفونــه ، فقال حذيفــة : « يغفر الله لكم » وتصدّق بديته على المسلمين (٩) ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) . وكان أبوه قد أصاب دما فحالف بني عبد الاشهل ، فسماه قومه : اليمان ، لكونه حالف اليمانية (١١) .

وأمه امرأة من الانصار من الاوس من بني عبد الاشهــل ، واسمهــا الرباب بنت كعب بن عديّ بن عبد الاشهل (١٢) ، تزوجها والــد حذيفــة فولدت له حذيفة بالمدينة المنورة (١٣) .

وأخوه صفوان شهد (أحدا) ولم يشهد (بدرا) ، وأخته : ليلى بنت اليمان أم سلمة بن ثابت بن وقش ، وأخته الثانية فاطمة بنت اليمان (١٤) .

وكان لحذيفة ولدان : صفوان وسعيد قتلا (بصفّين) وكانا قد بايعا علي بن أبي طالب بوصية أبيهما اياهما بذلك (١٥) .

مــع النبي :

أسلم من بني عبس أول من أسلم منهم عشرة ، عاشرهــم اليمان والد حذيفة (١٦) ، فنشأ حذيفة في بيت اسلامي دفع حب الاسلام والاخلاص له أباه الشيخ الى الشهادة ـ وهو شيخ طاعن في السن سقط عنه فرض الجهاد . وقد كان اسلام حذيفة مبكرا ، فهاجر الى النبي صلى الله عليــه وسلــم ، فخيَّره بين الهجرة والنصرة ، فاختار النصرة (١٧) اذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان شئت كنت من المهاجرين ، وان شئــت كنــت مــن الانصار » ، فقال حذيفة : « من الانصار » ، فقال : « فأنت منهم » (١٨) ، فكان حذيفة يقول : « خيرني رسول الله صلى الله عليه وسلــم بين الهجرة والنصرة ، فاخترت النصرة (١٩) » ، ذلك لانه كان حليفا لبني عبــد الاشهل

---

(٩) انظر قصة والد حذيفة في فتح البـاري بشرح البخـاري (٩٩/٧) وجوامــع السيرة ص (١٦٤) والاصابة (٢٠٤/١) .

(١٠) سيرة ابن هشام (٣٧/٣) والاصابة (١٤/٢) .

(١١) الاصابة (٣٣٢/١) .

(١٢) الاستيعاب (٣٣٤/١) والبلاذري ص (٣٠٣) .

(١٣) الاصابة (٣٢/١) .

(١٤) المعارف ص (٢٦٣) .

(١٥) الاستيعاب (٣٣٥/١) .

(١٦) المعارف ص (٢٦٣) .

(١٧) أسد الغابة (٣٩٠/١) والاستيعاب (٣٣٥/١) .

(١٨) المعارف ص (٢٦٣) .

(١٩) الاستيعاب (٣٣٥/١) .

من الانصار ، فآثر أن يبقى مع الانصار حلفائه .

وعلى الرغم من قدم اسلام حذيفة ، الا أنه لم يشهد (بدرا) ، وكان سبب ذلك ما ذكره حذيفة فقال : « ما منعني أن أشهد (بدرا) الا أني خرجت أنا وأبي ، فأخذنا كفار قريش ، فقالوا : انكم تريدون محمدا ؟! فقلنا : ما نريده ! فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه، فقال: «انصرفا» (٢٠). وقال حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم : « هل نقاتل أم لا ؟ » ، فقال : « بل نفي لهم ونستعين الله عليهم » (٢١) . ولكنه شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم (أحدا) وما بعدها من المشاهد (٢٢) وكان له موقف مشهود يوم (الخندق) .

قال حذيفة ذاكرا قصته يوم (الخندق) : « لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله عليه وسلم هويًّا (٢٣) من الليل ، ثم التفت الينا ، فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، ثم يرجع ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ؛ فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة ! اذهب فادخل في القوم فانظر ما يصنعون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا .. فذهبت ، فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل : لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش ! لينظر امرؤ من جليسه ! فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ! انكم والله ما أصبحتم بدار مقام . لقد هلك الكراع والخف (٢٤) وأخلفتنا بنو (قريظة) (٢٥) وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون : ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار . ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فاني مرتحل » (٢٦) .

---

(٢٠) الاصابة (١٣/٢) .

(٢١) أسد الغابة (٣٩١/١) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (١٥/٦) .

(٢٣) هويا من الليل : اي جزءا منه وقطعة منه .

(٢٤) الكراع : الخيل . والخف : الابل .

(٢٥) بنو قريظة : من يهود المدينة الذين خانوا الله ورسوله يوم (الخندق) وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا مع المسلمين فأصبحوا مع الاحزاب . أنظر طبقات ابن سعد (٦٧/٢) .

(٢٦) سيرة ابن هشام (٢٥٠/٣) وطبقات ابن سعد (٦٩/٢) .

لقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عينا ، فأتاه بخبر رحيلهم (٢٧) ، وكان الواجب الذي انجزه حذيفة دليلا على ذكائه الخارق وشجاعته النادرة وحسن تصرفه في معالجة الامور .

وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لا يعلمهم احد غيره (٢٨) ، وقد أولاه النبي صلى الله عليه وسلم ثقته الكاملة، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة عامله على (دَبا) (٢٩)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى (المدينة) قد آخى بين حذيفة وعمار بن ياسر (٣٠) .

جهـــاده :

١ ــ شهد حذيفة (القادسية) تحت لواء سعد بن أبي وقاص (٣١) وشهد معه معارك الفتح الاخرى الى معركة فتح (المدائن) ، كما شهد فتح (الجزيرة) (٣٢) ونزل (نصيبين) (٣٣) .

٢ ــ وشهد حذيفة معركة (نهاوند) (٣٤) الحاسمة بقيادة النعمان بن مقرن المزني الذي كان في جيشه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٥) ، وكان حذيفة على راس اهل الكوفة في هذا الجيش (٣٦) . وفي معركة (نهاوند) هذه قاد حذيفة احدى مجنبتي المسلمين (٣٧) ، فلما استشهد النعمان بن مقرن في عنفوان هذه المعركة أخذ الراية حذيفة (٣٨)

---

(٢٧) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٩١) .

(٢٨) أسد الغابة (٣٩١/١) والاستيعاب (٣٥/١) وفتح الباري بشرح البخاري (٧٢/٧) .

(٢٩) دبا : سوق من اسواق العرب بعمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠/٤) وانظر ما جاء حول تولي حذيفة (دبا) في طبقات ابن سعد (٥٢٧/٥) .

(٣٠) سيرة ابن هشام (١٢٥/٢) وجوامع السيرة ص (٩٦) .

(٣١) الطبري (١٦/٣) .

(٣٢) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار مضر وديار ربيعة . سميت الجزيرة ، لانها بين دجلة والفرات ، وهي صحيحة الهواء جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات ، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٦/٣) وانظر حدودها بالتفصيل في المسالك والممالك ص (٥٠) .

(٣٣) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٢/٨) والمسالك والممالك ص (٥٢) .

(٣٤) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همذان ، بينهما ثلاثة ايام . انظر معجم البلدان (٣٢٩/٨) والمسالك والممالك ص (١١٨) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٧١) .

(٣٥) الطبري (٢٠٣/٣) .

(٣٦) الطبري (٢١٣/٣) وابن الاثير (٣/٣) .

(٣٧) ابن الاثير (٤/٣) .

(٣٨) الطبري (٢١٧/٣) .

حسب أوامر عمر بن الخطاب الذي كتب الى النعمان : « ان أصبت فالامير حذيفة ... الخ » (٣٩) ، فقاد المعركة الى الليل حيث انهزم الفرس وفتح المسلمون مدينة (نهاوند) (٤٠) .

٣ ــ وطارد نعيم بن مقرن المزني والقعقاع بن عمرو التميمي فلول المنهزمين من الفرس حتى وصلوا الى (همذان) (٤١)، فلما رأى قائدها ألا فائدة ترجى من المقاومة استأمنهم على الجزية ، فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا (٤٢) .

٤ ــ وفتح حذيفة (الدينور) و(الري) (٤٣)، كما فتح (أذربيجان) (٤٤) اذ كان قائدا عاما على أهل البصرة والكوفة فأرسل قادته لفتح هذه البلاد ، ففتح (الدينور) ابو موسى الاشعري (٤٥) ، وفتح (الري) نعيم بن مقرّن المزني (٤٦) ، وفتح (أذربيجان) عتبة بن فرقد السلمي وبكير بن عبدالله الليثي (٤٧) ، ثم عاد حذيفة الى الكوفة (٤٨) حيث ولاّه عمر بن الخطاب على ما سقت (دجلة) (٤٩) .

٥ ــ وفي أيام عثمان بن عفان ، تولى حذيفة قيادة أهل (الكوفة) في معارك (ارمينية) ، فغزا تلك المناطق ثلاث غزوات وكان مشتبكا بالعدو في الغزوة الثالثة حين ترامت اليه أنباء مقتل عثمان (٥٠) ، وكان حذيفة قد شهد معارك (باب الابواب) (٥١) مددا لعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي (٥٢) .

---

(٣٩) البلاذري ص (٣٠٠) .
(٤٠) الطبري (٢١٩/٣) .
(٤١) همذان : مدينة مشهورة من مدن الجبال ، وكانت اكبر مدينة بأرض الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٧١/٨) وآثار البلاد واخبار العباد (٤٨٣) والمسالك والممالك ص (١١٧) .
(٤٢) ابن الاثير (٦/٣) .
(٤٣) الري : مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٥/٤) . وانظر ما جاء حول هذا الفتح في الاستيعاب (٣٣٥/١) .
(٤٤) البلاذري ص (٣٢١) .
(٤٥) ابن الاثير (٦/٣) .
(٤٦) ابن الاثير (٩/٣) والطبري (٣٥٣/٣) .
(٤٧) ابن الاثير (١٠/٣ ــ ١١) .
(٤٨) الطبري (٢٢٩/٣) .
(٤٩) الطبري (٢٢٣/٣) .
(٥٠) الطبري (٣٥٣/٣) .
(٥١) باب الابواب : ميناء كبير على بحر الخزر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩/٢)
(٥٢) ابن الاثير (٤٣/٣) .

الانسان :

كان حذيفة من كبار الصحابة (٥٣) ، وقد روى عن النبي صلى اللـه عليه وسلم مائتي حديث وخمسة وعشرين حديثا (٥٤) ، وقد تفقه في الدين فكان من أعلام أصحاب الفتيا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم (٥٥) .

وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلـم في المنافقين لـم يعلمهم أحد غيره . وكان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين ، وقد سألـه مرة : « أفي عمالي أحد من المنافقين ؟ » ، فقال : « نعم ! واحد » ، فقال عمر : « من هو ؟ » قال : « لا أذكره ! » قال حذيفة : « فعزله ، فكأنما دُلّ عليه » . وكان عمر اذا مات ميت يسأل عن حذيفة ، فان حضر الصلاة صلى عليه عمر ، وان لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر (٥٦) .

قال عمر يوما لأصحابه : « تمنوا ! » فتمنوا ملء البيت الذي كانوا فيه مالاً وجواهر ينفقونها في سبيل الله ، فقال عمر : «ولكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان ، فأستعملهم في طاعة الله عز وجل » . وبعث عمر مالا الى أبي عبيدة وقال : « انظروا ما يصنـــع » ، فقسمه أبو عبيدة ، ثم بعث بمال الى حذيفة فقسمه أيضا ، فقال عمر : « قد قلت لكم ! » وكان عمر اذا استعمل عاملا كتب عهده : « قد بعثت فلانـاً ، وامرته بكذا .. الخ » ، فلما استعمل حذيفة على (المدائن) ، كتب في عهده : « أن اسمعوا له وأطيعوا ، واعطوه ما سألكم » ، فلما قدم (المدائن) استقبله الدهاقين فقرأ على الناس عهده هذا ، فقال الدهاقين : « سلنا ما شئت ! » قال : « أسألكم طعاما آكله وعلف حماري ما دمت فيكم ! » ، فأقام فيهم مدة؛ ثم كتب اليه عمر ليقدم عليه ، فبلغ عمر قدومه فكمن له على الطريق ، فرآه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها ، مما جعل عمر يأتيه ويلتزمه ويقول لـه : « أنت أخي وأنا أخوك » (٥٧) .

كل ذلك يدل على مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه مـن بعده بحذيفة ومبلغ ثقة الناس به : لامانته التي لا يرقى اليها الشك ، ولعمق تدينه وشدة استقامته .

---

(٥٣) الاصابة (٣٣٢/١) والاستيعاب (٣٣٤/١) .

(٥٤) اسماء الصحابة الرواة ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٧٧) .

(٥٥) اصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص(٣١٩)

(٥٦) أسد الغابة (٣٩٠/١) وانظر الاستيعاب (٣٣٥/١) .

(٥٧) أسد الغابة (٣٩٠/١) .

لقد كان كريما مضيافا شهما غيورا صادقا وفيا صابرا محتسبا ، لا يريد من الدنيا أكثر مما يوصله الى رضاء الله تعالى . وكان له اثر في حث ابي بكر الصديق على جمع القرآن ، فقد كان عبدالله بن مسعود يقرأ القرآن في مسجد الكوفة ، فجاء حذيفة فقال : « يقول اهل الكوفة : قراءة عبدالله ابن مسعود ، ويقول أهل البصرة : قراءة ابي موسى الأشعري ! والله لئن قدمت على امير المؤمنين لآمرنه أن يفرقها ! » ، ولما سأله عبدالله بن مسعود : « هل قلت هذا الكلام ؟ » ، أجابه حذيفة : « أجل كرهت أن يقال : « قراءة فلان وفلان ، فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب » (٥٨) .

ولما رجع حذيفة من جهاده في بلاد فارس ، قال لسعيد بن العاص أمير الكوفة : « لقد رأيت في سفرتي هذه امرا ، لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا : رأيت اناسا من اهل (حمص) يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم اخذوا القرآن على المقداد ، ورأيت أهل (دمشق) يقولون : ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل (الكوفة) يقولون مثل ذلك وان قراءتهم على ابن مسعود ، واهل (البصرة) يقولون مثل ذلك وانهم قرأوا على أبي موسى ويسمون مصحفه : لباب القلوب ! » . وقد أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف ، فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من التابعين ، وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر ؟! ألسنا نقرؤه على قراءة ابن مسعود ؟! فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا : « انما انتم أعراب فاسكتوا فانكم على خطأ » . وقال حذيفة : « والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك » . . ثم سار حذيفة الى عثمان بن عفان ، فأخبره بالذي رأى ، وقال : « أنا النذير العريان ، فأدركوا الامة ! » ، فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر ، فأعظموه ورأوا جميعا ما رأى حذيفة ، فجمع عثمان القرآن (٥٩) .

لقد كان لحذيفة تفكير منظم بنَّاء ، لا يقتصر على النواحي الدينية فحسب ، بل يشمل النواحي الدنيوية المهمة ، فعندما فتحت (المدائن) وجد حذيفة أن طقسها أثّر على صحة العرب أبناء الصحراء لوخومة جوها ، فبادر لاخبار عمر ، فكتب حذيفة الى عمر : « ان العرب قد رقت بطونها وجفت أعضادها ، وتغيرت الوانها » ، فكتب عمر الى سعد بن أبي وقاص : « أرسل سلمان الفارسي وحذيفة رائدين ، فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم

---

(٥٨) كتاب المصاحف لأبي داود ، مشار اليه في كتاب : الصديق ابو بكر للدكتور هيكل ص (٣٣٩) .

(٥٩) ابن الاثير (٢/٢٠٤) .

فيه بحر ولا جسر » ، فأرسلهما سعد ، فاختارا موضع الكوفة (٦٠) .

لقد كان حذيفة مخلصا غاية الاخلاص للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ولمبادئه بعد التحاقه بالرفيق الاعلى ، وكان مخلصا غاية الاخلاص لخلفائه من بعده . قال عن عمر بعد استشهاده : « انما مثل الاسلام ايام عمر مثل أمر مقبل لم يزل في اقبال ، فلما قتل أدبر فلم يزل في ادبار » (٦١) . وقال عن عثمان لما علم بقتله : « اللهم العن قتلته وشتّامه ، اللهم انا كنا نعاتبه ويعاتبنا، فاتخذوا ذلك سلّما الى الفتنة. اللهم لا تمتهم الا بالسيوف» (٦٢)

وقد أمر ولديه : صفوان وسعيد أن يبايعا علياً ، فقتلا بمعركة (صفين) (٦٣) أما هو فقد مات سنة ست وثلاثين للهجرة (٦٥٦ م) بالمدائن ، وكان موته بعد أن أتى نعي عثمان بن عفان الى (الكوفة) فلم يدرك حذيفة معركة (الجمل) (٦٤) ، وقبره اليوم موجود في مسجد سلمان الفارسي بالمدائن (٦٥) الى جانب قبر سلمان وله عقب بالمدائن (٦٦) ، وكان آخر ما نطق به عندما حضرته الوفاة : « هذه آخر ساعة من الدنيا ، اللهم انك تعلم أني أحبك ، فبارك لي في لقائك » (٦٧)

ولعل خير ما نختم به تصوير جوانبه الانسانية ، هو ما يشير به الى عمق تفكيره وشدة ورعه ، وانه رجل دولة يعرف حق المعرفة قيمة الحكم والحكام واثر الحكم الصالح والحكام الصالحين على الناس ؛ فقد سئل مرة : اي الفتن أشد ؟! قال : « ان يعرض عليك الخير والشر ، فلا تدري ايهما تركب » . وقال : « لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها ! » (٦٨)

انها حكم تنطبق على كل زمان ومكان ، ذلك لأن قائلها نسيج وحده في مزاياه الانسانية وفي قوله وعمله على حد سواء .

---

(٦٠) ابن الاثير (٢/٢٠٤) .

(٦١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص (١٧٦) .

(٦٢) ابن الاثير (٣/٥١) .

(٦٣) الاستيعاب (١/٢٣٥) .

(٦٤) أسد الغابة (١/٣٩٢) والاصابة (١/٣٣٢) وابن الاثير (٣/١١٤) والاستيعاب (١/٣٣٥) والمعارف (٢٦٣) .

(٦٥) اسمها اليوم : سلمان باك .

(٦٦) طبقات ابن سعد (٦/١٥) .

(٦٧) أسد الغابة (١/٣٩٢) .

(٦٨) الاستيعاب (١/٣٣٥) .

القــائد :

كان حذيفة كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وبتعبير آخر ، كان ضابط استخبارات الرسول صلى الله عليه وسلـم في حياته ، اختاره دون غيره من بين أصحابه ، لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشي سره لأحد ، وبحضور البديهة ، فلا يرتبك عند الشدائد ، وبتقديره العميـق لأهمية صيانة المعلومات فلا يفشي نيـاته لبشر ، وبالذكاء الخارق وبموهبة حب الاستطـلاع .

هذه المزايا كلها ، هي مزايا ضابط الاستخبارات المثالي ، وقد كان لها اثر في حياته كلها : كلما وجد (خبرا) يؤثر في مصير الاسلام والمسلمين (أخبر) به المسؤولين فورا ، وقد رايت كيف أخبر عمر بن الخطاب عندما وجد وخومة الجو تؤثر على صحة العرب ، فكان حذيفة عاملا من عوامـل بنـاء الكوفة والبصرة ، وقد رايت كيف أخبر ابا بكر الصديق وعثمان بن عفان عن اختلاف المسلمين في قراءات القرآن ، فجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد .

وهذه المزايا بالذات برزت في قيادة حذيفة ، فلم يورّط جيوشـه في في معارك دون آن يتبين موطىء قدمه ـ وذلك بالحصول على المعلومات عـن العدو وعن طبيعة الارض ، وبذلك كانت خططه العسكرية مبنيـة دائما على معلومات دقيقة صحيحة ، وكانت نتائجها دائما في صالح المسلمين .

لقد كان صحيح القرار سريعه ، يثق برجاله ويثقون به ويبادلونه حبّاً بحب وتقديرا بتقدير ، وكان قوي الشخصية نافذ الارادة ، يعـرف الناس حق المعرفة فيعامل كل واحد منهم بما يستحق ، وكان ذا نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، له ماض ناصع مجيد .

حذيفة في التاريخ

يذكر التاريخ لحذيفة كثيرا من المفاخر : يذكر له اخلاصه النادر للدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم دفعه الى تحري المعلومات عن المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الغدر به ، فكـان لجهوده أثـر في احباط مكرهم واظهار نياتهم الخبيثة للعيان .

ويذكر له اخباره الخلفاء بما يراه ضارا بالمسلمين ماديا او معنويـا ، فكان له أثر في توجيه عمر بن الخطاب الى بناء الكوفة والبصرة ، وفي توجيـه همة عثمان بن عفان لجمع القرآن الكريم .

ويذكر له جهاده الطويل في سبيل الله وفتحه مناطق واسعة من بلاد فارس ونشر الاسلام في ربوعها ، ولا تزال رايات الاســلام ترفرف فوق أمصارها حتى اليوم .

ولكن أهم جهوده في نظري ، هو حث عثمان الى جمع القرآن الكريم ، مما نرى آثاره في عقيدتنا ، وستبقى هذه الآثار حتى يرث الله الارض ومـن عليهـــا .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المحدّث الفقية ، القائد الفاتح ، كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حذيفة بن اليمان العبسي .

السّائب بن الأقرع الثقفي

فاتح مهرجان قذق[1] والصّيمرة[2] من ايران

« لم يكن للعرب امرد ولا اشيب اشد عقلا من السائب بن الاقرع »

(عبدالله بن عباس)

اسلامه :

أدرك السائب بن الأقرع الثقفي (٣) النبي صلى الله عليه وسلم ومسح برأسه (٤) ، فقد دخلت به امه مليكة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فمسح رأسه ودعا له (٥) ، فهو صحابي جليل اذ لم يكونوا يؤمّرون في الفتوح الا الصحابة (٦) ، ولكن ابن سعد عدّه من الطبقة الاولى من التابعين من اهل البصرة (٧) ، وذلك لأنه كان صغيرا ايام النبي صلى الله عليه وسلم، اما اكثر مؤرخي الصحابة فقد جعلوه من الصحابة ، وهو الصحيح .

لقد نال السائب شرف الصحبة ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد لصغر سنه .

جهـاده :

١ ـ قبـل الفتـح :

كتب عمر بن الخطاب الى النعمان بن مقرّن المزني ودفع كتـابه الى

---

(١) مهرجان قذق : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان في تلك الجبال . انظر معجم البلدان (٢٠٩/٨) .

(٢) الصيمرة : مدينة بمهرجان قذق ، وهي بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٦/٥) والمسالك والممالك ص (١١٨)

(٣) هو السائب بن الاقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم الثقفي . انظر الاصابة (٥٨/٣) فهو من بني مالك من ثقيف . انظر المعارف ص (٩١)

(٤) الاستيعاب (٥٦٩/٢) وذكر اخبار اصبهان (٧٥/١)

(٥) الاصابة (٥٨/٣) واسد الغابة (٢٤٩/٢)

(٦) الاصابة (٣٠٩/١) و(١٩٤/٢)

(٧) طبقات ابن سعد (١٠٢/٧)

السائب ، فسار بكتاب عمر الى النعمان (٨) ، وجعل عمر السائب امينا على الفيء وقال له : « ان فتح الله عليكم فاقسم ما افاء الله عليهم بينهم ، ولا تخدعني ولا ترفع الي باطلا ، وان نكب القوم فلا تريني ولا ارينك (٩)» .

وانتصر المسلمون على الفرس في (نهاوند) ، فدفع حذيفة بن اليمان الذي تولى قيادة المسلمين بعد استشهاد النعمان بن مقرن المزني ، الاسلاب والغنائم الى السائب الذي عيّنه عمر على الاقباض ، فوزعها السائب على الفاتحين ونفل ذوي النجدات واعطى من ارصدهم من الجند ليحفظوا ظهر المقاتلين حتى لا يؤتوا من خلفهم ، كما اعطى من كان ردءا للمسلمين ومنسوبا اليهم مثل الذي اعطى لأهل المعركة ، ومع ذلك بلغ نفل الفارس ستة آلاف ونفل الراجل الفين (١٠) .

وكان كسرى قد استودع صاحب المعبد الذي به بيت النار جواهر ، فأقبل صاحب بيت النار مستأمنا لنفسه ولأهله واهل بيته على أن يدل السائب على تلك الكنوز ، فأخرج العلج سفطين مملوءين جوهرا ثمينا لا يقوّم من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، فرأى المسلمون ان يجعلوا هذين السفطين لعمر خاصة ، فاحتملهما السائب الى عمر (١١) .

وانطلق السائب بالاخماس وبالسفطين ، حتى اذا دخل المدينة المنورة ادخل خمس الفيء الى المسجد ، فأمر عمر بعض الرجال بالمبيت فيه ليقسمه بين المسلمين متى أصبح .

وقام عمر فدخل منزله ، فأتبعه السائب واخبره خبر السفطين وما فيهما من جواهر لا تقوّم ، وذكر له ان اهل الغزاة جعلوهما لأمير المؤمنين خاصة . قال السائب : « فأخبرته خبر السفطين ، فقال : أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك ، فأدخلتهما بيت المال وخرجت سريعا الى الكوفة . وبات عمر تلك الليلة التي خرجت فيها ، فلما اصبح بعث في اثري رسولا ، فوالله ما ادركني حتى دخلت الكوفة وانخت بعيري واناخ بعيره على عرقوبَي بعيري ، فقال : الحَقْ بأمير المؤمنين ، فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك الا الآن . قلت : ويلك ! ماذا ولماذا ؟ قال : لا ادري والله . فركبت معه حتى قدمت على عمر ، فلما رآني قال : ما لي ولابن ام السائب، بل ما لابن ام السائب وما لي ! قلت : وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال:

---

(٨) الاصابة (٣/٥٨)
(٩) الطبري (٣/٢١٣) وانظر ذكر أخبار اصبهان (١/٧٥)
(١٠) ابن الاثير (٣/٦) والطبري (٣/٢١٨)
(١١) الطبري (٣/٢٠٤) والطبري (٣/٢١٨)

ويحك ! والله ما هو الا ان نمت في الليلة التي خرجت فيها ، فباتت ملائكة ربي تسحبني الى ذينك السفطين يشتعلان نارا يقولون : لنكوينك بهما ، فأقول : اني سأقسمهما بين المسلمين . . . فخذهما عني لا أبا لك والحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم . فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة وغشيني التجار ، فابتاعهما مني عمرو بن حُريث المخزومي بألفي الف ، ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف الف ، فما زال أكثر اهل الكوفة مالاً بعد (١٢) » .

وفي رواية ان السائب قال عن قصة هذين السفطين : « . . . . وذكرت له شأن السفطين ، فقال : اذهب بهما فبعهما ثم أقسم ثمنهما بين المسلمين (١٣) . . . » وهذه الرواية أقرب الى خلق عمر بالذات ، اذ لم يكن ليأخذ السفطين او حتى ليفكر لحظة واحدة في اخذهما لنفسه ومثله يزدهما فورا ليباعا ويقسم ثمنهما على المسلمين .

٢ ــ الفاتح :

انصرف ابو موسى الأشعري من (نهاوند) وقد كان سار بنفسه اليها على بعث أهل البصرة مددا للنعمان بن مقرن المزني ، فشهد السائب معه فتوح (الدينور) (١٤) ، و (الشيروان) (١٥) ، ثم بعث ابو موسى صهره على ابنته السائب الى (الصَيمرة) مدينة (مهرجان قذق) (١٦) ففتحها صلحاً على حقن الدماء وترك السباء والصفح عن الصفراء والبيضاء وعلى اداء الجزية وخراج الارض ، كما فتح جميع كور (مهرجان قذق) ، واثبت الروايات ان أبا موسى وجّه السائب من الاهواز لفتح هذه المنطقة (١٧) .

وسار السائب الى (أصبهان) فشهد فتحها تحت لواء عبد الله بن عبد الله بن عتبان الانصاري ، فلما انجز عبد الله واجبه في فتح منطقة (أصبهان) امره عمر ان يسير حتى يقدم على سهيل بن عدي ويتعاونا على

---

(١٢) الطبري (٣/٢٠٥) وابن الاثير (٣/٦)

(١٣) البلاذري ص (٣٠٢) وانظر الطبري (٣/٢٢٠)

(١٤) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب ترميسين كثيرة الثمار والزروع . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٨٨)

(١٥) شيروان : كورة في الجبل وهي كورة (ماسبذان) . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٩٦)

(١٦) مهرجان قذق : جاءت في البلاذري ص (٣٠٤) بلفظ : مهرجانقذف ، والصحيح ما ذكرناه اعلاه . انظر معجم البلدان (٨/٢٠٩)

(١٧) البلاذري ص (٣٠٤) وانظر ابن الاثير (٣/٦) وجمل فتوح الاسلام ، لابن حزم ، ملحق بجوامع السيرة ص (٣٤٦)

قتال مَن بكرمان على ان يستخلف السائب على (أصبهان) (١٨) ، فبقي السائب عاملا لعمر عليها (١٩) .

الانسان :

بقي السائب على (أصبهان) ، ثم ولاه عمر (المدائن) (٢٠) ، ثم تولى اصبهان ثانية في ايام عثمان بن عفان وبقي عليها حتى قتل عثمان (٢١) ومات السائب بها (٢٢) .

كان السائب كاتبا حاسبا (٢٣) امينا عاقلا ، قال عبد الله بن عباس يذكر عقل السائب : « لم يكن للعرب أمرد ولا أشيب أشد عقلا من السائب ابن الأقرع (٢٤) » .

ولم يذكر التاريخ شيئا عن اعماله بعد عثمان ، والظاهر انه توفي بعيد مقتل عثمان ، اذ لم يرد له ذكر في حروب الفتنة الكبرى بين علي بن ابي‌طالب ومعاوية ، كما ان قول ابن عباس الآنف الذكر يشعر بأنه جاء بمعرض الرثاء وأنه كان محبوبا من ابن عباس ، وهذا يدل على انه لو عاش بعد عثمان طويلا لما تخلى عنه علي بن أبي طالب ولولاه امارة او قيادة ولكان له ذكر مدوي كأمثاله في التاريخ نظرا لمزاياه العالية .

لقد روى السائب عن عمر بن الخطاب ، وكان قليل الحديث (٢٥) ، وهو ابن عم عثمان بن ابي العاص (٢٦) ، وقد سكن الكوفة فاعتبره بعضهم كوفيا (٢٧) ، وسكن البصرة ايضا فاعتبره بعضهم بصريا (٢٨) . وله عقب بأصبهان (٢٩) .

انه كان نموذجا حيا لسجايا العربي وخلق المسلم ، وكان نموذجا فريدا للاداري القوي الامين الناجح .

---

(١٨) الطبري (٣/٢٢٤) وابن الاثير (٣/٧)
(١٩) الاصابة (٣/٥٨) وأسد الغابة (٢/٢٤٩) وانظر ذكر اخبار اصبهان (١/٧٥)
(٢٠) الاستيعاب (٢/٥٦٩) وأسد الغابة (٢/٢٤٩)
(٢١) ابن الاثير (٣/٧٣) والطبري (٣/٣٧١) وانظر اسد الغابة (٢/٢٤٩)
(٢٢) ذكر اخبار اصبهان (١/٧٥) والاصابة (٤/٥٨)
(٢٣) الطبري (٣/٢٠٤) وابن الاثير (٣/٥)
(٢٤) الاصابة (٤/٥٨)
(٢٥) طبقات ابن سعد (٧/١٠٢)
(٢٦) أسد الغابة (٢/٢٤٩)
(٢٧) الاستيعاب (٢/٥٦٩)
(٢٨) طبقات ابن سعد (٢/٢٤٩)
(٢٩) ذكر اخبار اصبهان (١/٧٥)

القـــائد :

عقلية السائب المتزنة وتجربته الطويلة في الحرب وانتماؤه الى ثقيف أشجع القبائل العربية قبل الاسلام ، كل ذلك جعله قديرا على توليمناصب القيادة بجدارة وكفاءة ، ذلك لأن هذه العوامل تجعله قـادرا عـلى أعطـاء القرارات الصحيحة السريعة واعداد الخطط العسكرية الناجحة وتنفيذهـا بدقة ومرونة .

وقابليته العسكرية هذه بالاضافة الى امانته المطلقة وماضيه المجيد وخلقه الرقيع تجعله موضع ثقة رجاله وحبهم .

لقد كان قوي الشخصية والارادة ، يحب رجاله ويحبـونه ويثق بهم ويثقون به ، يعرف نفسياتهم وقابلياتهم ، لا ينهار عند الشدائد ولا يطغى عند النصر .

وكان قائدا عقائديا يعمل لهدف واضح هو اعلاء كلمة الله وحماية حرية نشر الاسلام ، وكان يقاتل بعقله وسيفه على حد سواء .

السائب في التاريخ :

يذكر التاريخ للسائب جهاده الطويل في الفتح ، فقد كان الساعد الايمن لأبي موسى الأشعري في كافة فتوحاته ، وقد فتح هو بدوره بلادا شاسعة كانت ولا تزال تدين بالاسلام .

ويذكر له قابليته الادارية الممتازة ، تلك القابلية التي جعلته يوطد اركان الفتح الاسلامي في منطقة اصبهان .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الاداري الحـازم ، الصحـابي الجليـل السائب بن الاقرع الثقفي .

نعيم بن مقرّن المُزني

فاتح منطقتي همذان[1] والرّي[2]

اسلامـــه :

قدم نعيم بن مقرن المزني مع اخوته ومنهم النعمان بن مقرن المزنـي على راس اربعمائة فارس من (مزينة) (٣) على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة (٤) ، فشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (الخندق) (٥) وغزواته الاخرى بعـد اسلامهم ؛ وبذلك نال نعيم شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائـــد .

جهـــاده :

١ ـ قبل الفتـــح :

ثبت نعيم كما ثبتت مُزينة على الاسلام بعد التحاق النبي صلى اللـه وسلم بالرفيق الأعلى ، فقاتل تحت لواء أبي بكر الصديق مانعي الزكـاة من الأعراب عندما هاجموا المدينة ، كما قاتل تحت لواء خالد بن الوليد في العراق وتحت لواء سعد بن أبي وقاص في القادسية وفي معاركه الأخرى ، فأبلى في كل ذلك أعظم البـلاء .

وكانت اخبار بلائه في الجهاد تصل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب الى عبدالله بن عبدالله بن عتبان والي الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص : « استنفر من اهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا ، فأني قد كتبت اليه بالتوجه من الاهواز الى (ماه) فليوافوه بها ، وليسر بها الى (نهاوند) ، وقد أمّرت

---

(١) همذان : مدينة مشهورة من مدن الجبال ، وكانت أكبر مدينة بأرض الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٧١/٨) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٨٣) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١١٧)

(٢) الري : مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٢) ومعجم البلدان (٣٥٥/٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٧٥)

(٣) أسد الغابة (٣٠/٥)

(٤) طبقات ابن سعد (٢٩١/١)

(٥) طبقات ابن سعد (٢٠/٦)

عليهم حذيفة بن اليمان ، فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن » (٦) .

وعندما تحرك النعمان بن مقرن بقواته الى نهاوند ، كان نعيم على مقدمته (٧) ، ولما نشب القتال في (نهاوند) قاتل نعيم تحت لواء أخيه النعمان قتال الأبطال ، فلما استشهد النعمان تناول نعيم الراية من يد أخيه قبل أن تقع وسجّى النعمان بثوب وأتى حذيفة بن اليمان بالراية فدفعها اليه (٨) وكتم خبر استشهاد أخيه النعمان حتى لا يؤثّر على معنويات رجاله في أحرج أوقات القتال .

وأقبل الليل وانتشر الظلام ، فانهزم الفرس وعلى رأسهم قائدهم (الفيرزان) يطلب النجاة لنفسه ، فرآه نعيم ، فدفع القعقاع بن عمرو التميمي في أثره ، فأدركه القعقاع في ضواحي (همذان) وقتله هناك (٩) .

وانتصر المسلمون على الفرس في (نهاوند) ففتحت أبوابها لهم ، فكان هذا النصر احسن سلوى لقلب نعيم عن استشهاد أخيه النعمان .

٢ ــ الفـــاتح :

طارد نعيم والقعقاع بن عمرو التميمي فلول المنهزمين من الفرس حتى وصلوا (همذان) ، فلما رأى قائدها الاّ فائدة ترجى من المقاومة ، استأمنهم على الجزية ، فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا (١٠) .

أ ــ في همــذان :

اعاد الفرس تحشيد قواتهم في منطقة (الريّ) ، فشجع ذلك أهل (همذان) ونقضوا الصلح الذي عقدوه مع المسلمين .

وبلغت عمر بن الخطاب أنباء انتقاض الفرس في (همذان) ، فأمر نعيم ابن مقرّن أن يسير اليها وأن يدخلها عنوة عقابا لأهلها حتى لا يعودوا لمثلها أبدا . قال عمر في كتاب تولية القيادة لنعيم : « فأن فتح اللـه على يديك

---

(٦) الطبري (٣/٢١٣) ، اما في معجم البلدان (٨/٣٢٩) فقد جاء عن تسلسل القادة بعد النعمان ، أن عمر قال للنعمان : « ان أصبت فالامير حذيفة بن اليمان ثم جرير بن عبدالله ثم المغيرة بن شعبة ثم الاشعث بن قيس » .

(٧) ابن الاثير (٣/٤)

(٨) الطبري (٣/٢١٧)

(٩) الطبري (٣/٢١٨)

(١٠) ابن الاثير (٣/٦)

همذان فالى ما وراء ذلك في وجهك ذلك الى خراسان » (١١) .

وسمع أهل (همذان) اسم نعيم وعرفوا سيره اليهم ، فسقط في أيديهم وتولاهم الرعب ، وزاد جزعهم حين علموا باستيلاء نعيم على ما حول (همذان) من البلاد ، فلما انتهى اليهم نعيم وحاصر مدينتهم بعثوا اليه يطلبون الصلح، فصالحهم وقبل منهم الجزية على المنعة (١٢) .

ب ـ في واج روذ :

وبينما كان نعيم في (همذان) على رأس أثني عشر الف جندي ، سمع بمكاتبة الديلم وأهل (الري) وأهل (آذربيجان) وحركة قواتهم الى (واج روذ) (١٣) : تحرك الديلم وعلى رأسهم اميرهم (موتا) ، وتحرك أهل (الري) وعليهم (الزينبي) (١٤) أبو الفرخان ، وتحرك أهل (آذربيجان) بقيادة (اسفنديار) أخو رستم ؛ فاستخلف نعيم على همذان وخرج بجيشه لمواجهة تحشد القوات الفارسية في (واج روذ) ، فلما وصلها نزل بقواته قبالة قوات الفرس وحلفائهم التي لم تمهل المسلمين أول ما نزلوا الميدان أن هاجمتهم هجوما شديدا . واشتد القتال بين الطرفين ، وكانت وقعة عظيمة تعدل (نهاوند) ولم تكن دونها (١٥) ، وصمد المسلمون صمودا عنيدا جعل أعداءهم يفرون مع حلول الظلام (١٦) .

وكان نعيم قد أخبر عمر عن اجتماع عدد ضخم من الفرس وحلفائهم لقتاله ، فاهتم عمر بذلك اهتماما بالغا ؛ ولكن لم يفجأ الا البريد بالبشارة مع عروة بن زيد الخيل ؛ فقد كان عمر متلهفا لسماع أخبار المسلمين وهو أشد ما يكون اشفاقا عليهم ، وانه لكذلك اذ قدم عليه عروة بن زيد الخيل وكان قدم عليه من قبل بنبأ كارثة معركة (الجسر) حيث قتل أبو عبيد الثقفي وانهزم المسلمون ، فلما رآه عمر قال : « بشير ؟ » ؛ وأجاب الرجل : « بل عروة ! » ، فقال عمر : « انا لله وانا اليه راجعون ! » ؛ عند ذاك فطن عروة فقال : « بل احمد الله فقد نصرنا وأظهرنا » ، وحدّثه بما كان (١٧) .

---

(١١) الطبري (٣/٢٢٢)

(١٢) الطبري (٣/٢٢٩)

(١٣) واج روذ : موضع بين همذان وقزوين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٧٠)

(١٤) الاسم الفارسي (الزنبدي) أو (الزبندي) ، ومؤرخو العرب يطلقون عليه اسم (الزينبي) . انظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/٤٠)

(١٥) الطبري (٣/٢٣٠)

(١٦) في رواية أن الذي فتح (واج روذ) هو جرير بن عبدالله البجلي . انظر ابن الاثير ٣٠/٩) والبلاذري ص (٣٠٦)

(١٧) الطبري (٣/٢٣٠) والفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/٤٠)

ج ـ في الـــري

بقي نعيم في منطقة (همذان) حتى عاد عروة يحمل من عمر كتابا الـى نعيم فيه : « أما بعد . فاستخلف على (همذان) وسر حتى تقدم الري وتلقى جمعهم ، ثم أقم بها فانها اوسط تلك البلاد واجمعها لما تريد » (١٨) .

وسار نعيم بجيشه الى الري ، وفي ضواحي المدينة استقبله (الزينبي) أبو الفرخان مسالما وخالفه على (سياوخش) بن مهران ملك الري الذي كان قد أساء بعد معركة (واج روذ) لقاء الزينبي وعنَّفه على ارتداده أمام المسلمين وعزله عن عمله ؛ كما أن الزينبي كان قد رأى حسن معاملة المسلمين وتسامحهم .

ونزل المسلمون في سفح جبل الري ، فلقيهم حماتها الكثيرون من اهل المدينة ومن حلفائهم الذين استنفرهم ملكها عندما تسامع بحركة قوات المسلمين اليه ؛ ولكن المعركة لم تنته آخر النهار الى ظفر قوات نعيم ، فلما كان الليل قال الزينبي لنعيم : « ان القوم كثير وأنت في قلة ، فابعث معي خيلا أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به ، وناهدهم انت فانهم اذا خرجوا اليك لم يثبتوا لك » (١٩) ، فبعث معه نعيم خيلا عليهم المنذر بن عمرو المزني (٢٠) فأدخلهم الزينبي المدينة دون أن يشعر بهم احد .

وبات نعيم يشاغل جنود الري ، فلما كان الفجر ظهرت خيول المسلمين بالمدينة وعلت أصواتهم بالتكبير ، فأصبح الفرس مطوَّقين من داخل المدينة وخارجها .

وانهزمت القوات الفارسية ، فطاردهم المسلمون مطاردة شديدة ؛ ودخل نعيم المدينة فاتحا، فأفاء الله على المسلمين بالري نحو فيء المدائن(٢١) .

وصالح نعيم الزينبي على أهل الري ونصَّبه مكان ملكها الذي انهزم ولم يقف له أحد على أثر ، فخرب نعيم مدينة الري وأمر ببناء مدينة جديدة بجوار أطلال المدينة القديمة (٢٢) .

لقد كانت الري العاصمة الكبرى للمنطقة الشمالية من فارس ، وكان بها المعابد القائمة حول بيوت النار ــ مما جعل نفوس كثير من الناس تهوى

---

(١٨) الطبري (٢٣٠/٣)
(١٩) ابن الاثير (٩/٣)
(٢٠) هو المنذر بن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني . أنظر الاصابة (٢١/٥)
(٢١) الطبري (٢٣١/٣)
(٢٢) الطبري (٢٣١/٣)

الى زيارتها في المواسم الدينية ، كما انها كانت ملتقى تجارة واسعة تجلب اليها من الشرق ومن الغرب ، لذلك كان نصر المسلمين في الري نصراً حاسماً جعل المدن والاقاليم القريبة منها تسرع للصلح وأداء الجزية : فتح سويد بن مقرن اخو نعيم (قومس) (٢٣) سلما ، وصالح نعيم أهل (دنباوند) (٢٤) ، وبفتح الري وتسليم هاتين المدينتين الكبيرتين لم يبق بين المسلمين وبين شواطىء بحر قزوين من أرض فارس غير جرجان وطبرستان وآذربيجان ، وقد سلمت جرجان وطبرستان لسويد بن مقرن صلحا ، كما فتح المسلمون آذربيجان بعد مناوشات لا ترقى الى درجة الحرب .

الانسان :

كان نعيم كأخوته من آل مقرن المزني عقائديا مخلصا غاية الاخلاص لعقيدته ، بذل أقصى جهوده المادية والمعنوية لتثبيت هذه العقيدة واعلاء شأنها بين الناس .

كان عربيا في شهامته ونخوته وكرمه وحرصه على كرامته ، وكان مسلما في خلقه الكريم ووفائه وتواضعه الجم وحبه لغيره ما يحبه لنفسه وايثاره نفسه على رجاله بالمخاطر والاهوال .

وكان فصيحا بليغا شاعرا . قال في فتح واج روذ : (٢٥)

فلما أتاني أن (مُوتا) ورهطه … بني باسل جروا جنود (٢٦) الاعاجم
نهضتُ اليهم بالجنود مساميا … لأمنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا اليهم بالحديد كأننا … جبال تراءى من فروع القلاسم (٢٧)
فلما لقيناهم بها مستفيضة … وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم في واج روذ بجمعنا … غداة رميناهم باحدى العظائم
فما صبروا في حومة الموت ساعة … لحد الرماح والسيوف الصوارم
كأنهمُ عند انبثاث جموعهم … جدار تشظى لبنه للهوادم

(٢٣) قومس : كورة كبيرة واسعة تشتمل على قرى ومدن ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٥/٧)

(٢٤) دنباوند : جبل من نواحي الري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٩/٤) . وينص صلح دنباوند على : « الا يغار على ارضهم والا يدخل عليهم بغير اذنهم ما وفوا بعهدهم ، على أن يدفعوا جزية مقدارها مائتا الف درهم كل عام » . انظر الطبري (٢٣٢/٣)

(٢٥) أنظر الطبري (٢٣٠/٣ - ٢٣١) ومعجم البلدان (٣٧٠/٨)

(٢٦) في معجم البلدان (٣٧٠/٨) ورد : خيول بدلا عن جنود .

(٢٧) قلاسم : الجبال .

أصبنا بها (موتا) ومن لف جمعه وفيهـا نهاب قسمـه غير غانـم
تبعناهـم حتـى أووا في شعابهم نقتلهم قتل الكلاب الجواجـم (٢٨)
كانهـم في واج روذ وجوههـم ضئين(٢٩)أصابتها فروج المخارم(٣٠)

سكن البصرة اولا ثم انتقل الى الكوفة ، فلما أنجز واجبه في الفتح عاد الى الكوفة حتى وافاه الاجل فيها .

لقد كان من جلّة الصحابة ومن وجوه مزينة ، وكان عمر بن الخطاب يعرف لنعيم وأخيه النعمان موضعهما (٣١) .

القائـد :

كان نعيم جندياً يهوى حياة الجندي غازياً ويفضل حياة الجهاد على حياة الدعة والهدوء والياً .

ولم يكن يحرص على تولي القيادة ، بل تولاها لكفاءته ومزاياه ، خاصة وان عمر بن الخطاب كان لا يولي أحدا قيادة الرجال الا اذا كانت له مزايـا خاصة ترشحه لمثل هذا المنصب الرفيع .. فقد أشار عليه عثمان بن عفان مرة بتولية رجل من المسلمين قيادة جيش من جيوشهم فأجاب عمر : « أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ، ولكن أخشى الا يكـون له معرفة بتدبير الحرب » (٣٢) .

لقد كان نعيم جنديا ممتازا وقائدا ممتازا .

كان جنديا ممتازا ، لأنه كان جنديا عقائديا ذا عقيدة راسخة ومعنويات عالية وضبط قوي وتدريب راق على الفروسية واستعمـال السيف والرمح والنبـل .

وكان قائدا ممتازا ، لأنه كان يتمتع بموهبة فـذة لاعطـاء القرارات السريعة الصحيحة في أحرج الظروف ، يتحلى بشجاعـة شخصيـة نادرة وارادة قوية ثابتة . ويحمل نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، كما كان يتمتع بمزية سبق النظر ومعرفة نفسيات وقابليات رجاله ، كما كـان

---

(٢٨) الجواجم : السائبة
(٢٩) ضئين : جمع ضأن
(٣٠) مخارم : جمع مخرم . وهو الابرق
(٣١) الاستيعاب (١٥٠٩/٤)
(٣٢) مروج الذهب على هامش تاريخ ابن الاثير (١١٧/٥)

يثق بجنوده ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، كما كانت له شخصية قوية نافذة وقابلية بدنية جيدة تعينه على تحمل مشاق التنقل والقتال .

وكان ذا ماض ناصع مجيد ، فهو الصحابي المجاهد الجليل الذي عمل كل حياته لخدمة عقيدته ، وكأنه نسي نفسه فلم يحسب لها اي حساب .

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادىء الحرب ، يتضح لنا بجلاء حرصه الشديد على (اختيار مقصده وادامته) . كل معاركه (تعرضية) ، يتحين الفرص (لمباغتة) اعدائه في الوقت والمكان المناسبين بالاسلوب المناسب ، ويحرص على انجاز (تحشيد قواته) كما يحرص على (أمنها) ويبذل قصارى جهده من أجل (تعاونها) كقوة موحدة في المعركة الدائرة ومع قوات المسلمين الاخرى في الجبهات الاخرى ، كما كان يعمل على (ادامة معنويات) جيشه ويؤمن لقواته كافة (أمورها الادارية) .

نعيم في التاريخ :

يذكر التاريخ لنعيم جهاده تحت لواء الرسول القائد ، وموقفه المشرف في حروب أهل الردة ، وبلاءه في معارك فتح العراق وفي معركة نهاوند ، وفتحه همذان والري ودنباوند .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، نعيم بن مقرن المزني .

البَراء بن عازب الأوسي الأنصاري

فاتح أبهر (١) وقزوين (٢) وجيلان (٣) وزنجان (٤)

اسلامــه :

أسلم ابو عمرو البَرَاء بن عازب الأوسي الانصاري (٥) قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فقد ذكر البراء : « ما قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قرات : سبح اسم ربك الاعلى ، في سور من المفصّل » (٦) . وقد أسلم البراء وهو صغير السن ، اذ رده الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة (أحد) لصغر سنه (٧) وأجازه يوم (الخندق) وهو ابن خمس عشرة سنة (٨) ؛ ومعنى ذلك انه أسلم قبل ان يبلغ العاشرة من عمره ، لأنه اسلم قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينــة كمــا ذكرنا ، ولأن غزوة الخندق كانت في السنة الخامسة للهجرة (٩) .

لقد أسلم البراء منذ نعومة أظفاره ، فشب على الاسلام وعاش في بيت اسلامي ، اذ كان ابوه صحابيا (١٠) ، فنشأ من اول نشأته ذا عقيدة عريقا

---

(١) ابهر : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩٦/١) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٢٨٧)

(٢) قزوين : مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا ، والى أبهر اثنا عشر فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٩/٧) والمسالك والممالك ص (١١٨) و ص (١٢٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٤)

(٣) جيلان : اسم لبلاد كثيرة بين قزوين وبحر الخزر صعبة المسالك لكثرة ما بها من الجبال والوهاد . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٤/٣) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٥٣)

(٤) زنجان : بلد كبير مشهور من نواحي الجبال تقع بينها وبين أذربيجان ، وهي قريبة من ابهر وقزوين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٧/٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٨٣)

(٥) أسد الغابة (١٧١/١) ويكنّى أبا عمارة ايضا . انظر الاصابة (١٤٧/٧) والمعارف ص (٣٢٦)

(٦) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)

(٧) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٥٩) وسيرة ابن هشام (١١/٣)

(٨) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)

(٩) سيرة ابن هشام (٢٢٩/٣) ، وبذلك جزم غيره من اهل المغازي والمؤرخين . ولكن في صحيح البخاري ورد : أنها حدثت سنة اربع للهجرة . انظر التفاصيل في : فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٢/٧)

(١٠) الاصابة (٣/٤)

في عقيدته ، لهذا حاول ان يبذل نفسه رخيصة في سبيل الله منذ كان صغيرا لا يتحمل اعباء الجهاد ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرده كل مرة : رده يوم (بدر) ، قال البراء : « استصغرني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابن عمر ، فردنا يوم بدر » (١١) ، ورده يوم (أحد) كما ذكرنا، ولكنه قاتل تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة (١٢) ابتداء من غزوة الخندق (١٣) ، فأبلى في تلك الغزوات أعظم البلاء .

جهاده :

١ ـ كان للبراء نصيب في مقاتلة المرتدين يناسب ايمانه الراسخ بعقيدته؛ فلما انتهت صفحة حروب الردة وابتدأت صفحة الفتح الاسلامي ، تدفقت سيول المجاهدين الى العراق وأرض الشام ؛ والظاهر أن البراء كان مع مجاهدي العراق لأنه فتح بعض بلاد فارس وهي من فتوحات مجاهدي ارض العراق كما نعلم .

٢ ـ شهد البراء فتح (تُسْتَر) (١٤) مع أبي موسى الاشعري (١٥) ، واول ما ورد ذكر البراء قائدا ، هو قيادته لمعارك تعبوية (١٦) في فتح (دستبى الرازي) (١٧)

ولما تولى المغيرة بن شعبة الكوفة ، ولي البراء (قزوين) وأمره أن يسير اليها ، فان فتحها الله عليه غزا الديلم منها وانما كان مغزاهم من قبل من (دستبى) ؛ فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل اخو عروة بن زيد الخيل حتى أتى (أبهر) وكانت محصنة ، فحاصرها وقاتله أهلها ، ولكنهم طلبوا الامان بعد ذلك ، فصالحهم البراء (١٨) ودخلها المسلمون .

ثم غزا البراء أهل حصن (قزوين) ، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم ،

---

(١١) طبقات ابن سعد (٣٦٧/٤)

(١٢) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)

(١٣) الصحيح أن البراء لم يشهد غزوة (أحد) كما جاء في الاصابة (١٤٧/١) ، اذ كان هو وابن عمر وأسامة بن زيد في عمر واحد ، ولم يشهد عبدالله يوم (أحد) . انظر الاصابة (١٠٧/٤) كما لم يشهدها أسامة . انظر جوامع السيرة لابن حزم ص (١٥٩) وانظر طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤) حول شهود البراء غزوة الخندق .

(١٤) تستر : أعظم مدينة بخوزستان وهو تعريب : شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢)

(١٥) الاصابة (١٤٧/١)

(١٦) البلاذري ص (٣١٤)

(١٧) دستبى الرازي : كورة كبيرة كانت مقسمة بين الري وهمدان ، فقسم منها يسمى : (دستبى الرازي) وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى : (دستبى همدان) وهو عدة قرى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥٨/٤)

(١٨) البلاذري ص (٣١٧)

طلبوا من حلفائهم الديلم معاونتهم فوعدوهم خيرا ولكنهم لم يبروا بوعدهم ، فلما رأى أهل (قزوين) ذلك طلبوا الصلح ، فصالحهم البراء ودخلها المسلمون أيضا (١٩) ، وفي ذلك يقول احد رجال البراء : (٢٠)

قد علم الديلم اذ تحارب ٭ حين أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب ٭ فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب (٢١)

اذ كانت المنطقة جبلية وعرة لم يألف العرب مثلها من قبل ، لأنهم من سكان السهول والصحارى ، ومع ذلك استولوا عليها .

وغزا البراء الديلم حتى أدوا له الاتاوة ، وغزا منطقة (جيلان) وفتح (زنجان) عنوة (٢٢) .

الانسان :

كان البراء في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم يرعى الابل (٢٣) عندما لا يكون مشغولا بالجهاد ، وقد سكن الكوفة وابتنى بها دارا (٢٤) وذلك ايام عمر بن الخطاب وله بها عقب (٢٥) ؛ وقد شهد مع علي بن ابي طالب معركة (الجمل) و(صفين) وقتال الخوارج (٢٦) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وخمسة احاديث (٢٧) . وروى عن أبيه عازب وعن الصديق أبي بكر والفاروق عمر وغيرهم من أكابر الصحابة (٢٨) ، كما كان من أصحاب الفتيا من الصحابة (٢٩) .

---

(١٩) البلاذري ص (٣١٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٥)

(٢٠) البلاذري ص (٣١٨)

(٢١) الدجى : الظلمة . والغياهب : جمع غيهب وهو الظلام الدامس . والسباسب : جمع سبسب ، وهي المفازة .

(٢٢) البلاذري ص (٣١٨) ومعجم البلدان (٤٠٧/٤) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٦). وفي جوامع السيرة ايضا ص (٣٤٦) ورد : فتح الري وقومس جيش بعثهم حذيفة بن اليمان عليهم البراء بن عازب .. انتهى ، وهذا يخالف ما ذكره الطبري في (٣٣١/٣ ــ ٣٣٢) وقد أخذنا بما أورده الطبري لان اكثر المؤرخين يؤيدونه ولانه أقرب الى المنطق وتسلسل حوادث الفتح .

(٢٣) الاصابة (١٤٧/١)

(٢٤) أسد الغابة (١٧٢/١)

(٢٥) طبقات ابن سعد (١٧/٦)

(٢٦) الاصابة (١٤٧/١)

(٢٧) الصحابة الرواة ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٧٦)

(٢٨) الاصابة (١٤٧/١)

(٢٩) اصحاب الفتيا من الصحابة ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١)

لقد كان البراء متين العقيدة قوي الايمان ، كريما مضيافا شهما غيورا صادقا وفيا ، وقد عاش لعقيدته ومات مخلصا لها ، ولا نعلم أنه أثرى بعد الفتح من الغنائم او على حساب المصلحة العامة ؛ فكانت سيرته مثالا للمؤمن الحق الذي عاش لغيره لا لنفسه ولعقيدته لا لبطنه .

وكان عمره يوم الخندق خمس عشرة سنة (٣٠) ، لذلك ولد سنة عشر قبل الهجرة (٦١٣م) وتوفي في الكوفة ايام مصعب بن الزبير (٣١) ، وقيل : بل توفي في المدينة المنورة (٣٢) سنة اثنتين وسبعين للهجرة (٣٣) (٦٩١م) . وفي رواية انه مات سنة احدى وسبعين للهجرة في الكوفة (٣٤) . ومن الواضح أن وفاته كانت سنة احدى وسبعين للهجرة لا سنة اثنتين وسبعين للهجرة ، لأنه توفي في زمن مصعب بن الزبير كما أجمع على ذلك كتّاب سيرته والمؤرخون له ، بينما قتل مصعب سنة احدى وسبعين للهجرة (٣٥)، وهذا يجعلنا نرجح ان وفاته كانت سنة احدى وسبعين للهجرة قبيل مقتل مصعب ، وكان عمر البراء حين توفاه الله احدى وثمانين سنة قمرية ، وقد توفي وهو مكفوف البصر (٣٦) .

القائد :

تولى البراء منصب القيادة وهو في ريعان شبابه ، وانجز فتح البلدان التي فتحها وهو دون الثلاثين من عمره !

لقد كانت طبيعة الحرب التي خاضها البراء تحتاج الى قائد حنكته التجارب وعركته السنون ـ خاصة وأن العدو الذي يقاتله متفوق تفوقا عدديا ساحقا على المسلمين ، كما أن طبيعة الارض التي يدافع عنها ذلك العدو جبلية وعرة تساعد المدافع على الدفاع المديد ، كما أن العرب يصعب عليهم القتال في الاراضي الجبلية ـ وهم أبناء الصحراء ، كما أنهم يعتمدون الى حد بعيد في حربهم على سرعة الحركة والحرب الخاطفة التي تعتمد على الفرسان ، والجبال تحدد من استخدام الخيل وتضيّق نطاق الافادة منها ـ كل هذا جعل مهمة البراء صعبة للغاية ، ولكنه اثبت عمليا انه اهل لاجتياز كل هذه العقبات لما كان يتحلى به من قابليات ممتازة .

---

(٣٠) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)
(٣١) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)
(٣٢) طبقات ابن سعد (١٧/٦)
(٣٣) الاصابة (١٤٦/١)
(٣٤) ابن الاثير (١٣٢/٤)
(٣٥) (٩/٥)
(٣٦) المعارف ص (٥٨٧)

ان البراء بذكائه الفطري وعقليته المتزنة كان قديرا على اصدار القرارات السريعة الصحيحة ، كما أنه كان يتحلى بالشجاعة الفائقة والاقدام العنيد ، له ارادة قوية ثابتة لا تزعزعها المخاطر والاهوال ، وله نفسية رصينة لا تتبدل في حالتي النصر والهزيمة ، يتمتع بقابلية سبق النظر ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ويثق بقابلياته وبنصر الله له ثقة لا مزيد عليها ، له شخصية رصينة قوية وقابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد .

تلك هي مزايا قيادته التي أهّلته لتولي منصب القيادة وهو في ريعان الشباب ، وهي مزايا كفيلة لرفع من يتمتّع بها الى المناصب القيادية في كل زمان ومكان .

البراء في التاريخ

يفخر المحدّثون حين يذكر البراء المحدّث الذي روى عددا كبيرا من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن الشيخين : ابي بكر وعمر ، وعن كبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأضاف بأحاديثه الكثيرة الصحيحة ثروة لا تنضب الى مصادر الدين الحنيف .

ويفخر الفقهاء حين يذكر البراء الفقيه الذي كان يفتي الناس بأمور دينهم على هدى وبصيرة يوم كان كبار الصحابة على قيد الحياة .

اما العسكريون فيفخرون به حين يذكر البراء القائد الفاتح الذي صاحب النصر راياته في كل معاركه ، فحقّق معجزات عسكرية خالدة بقوات قليلة في وقت قليل بخسائر لا تكاد تذكر الى جانب البلاد الشاسعة التي فتحها .

ان التاريخ يذكر للبراء مفاخر كثيرة ، كل واحدة منها تكفي لتخليده ، ويكفي ان نعيد الى الذاكرة (ابهر وقزوين وجيلان وزنجان) لنذكر العلماء الافذاذ ورجال الفكر النادرين الذين أمدت تلك البلاد بهم العالم الاسلامي منذ فتحها البراء حتى اليوم ؛ ولنذكر الثروة الضخمة من الثقافة الاسلامية التي خدموا بها المسلمين والحضارة الانسانية .

لقد كان البراء أمة في رجل ..

رضي الله عن راعي الابل ، المحدث الفقيه ، القائد الفاتح ، البراء بن عازب الاوسي الانصاري .

قادة فتح الأهواز

١ ـ حرملة بن مريطة التميمي
٢ ـ سلمى بن القين التميمي
٣ ـ حرقوص بن زهير السعدي
٤ ـ جزء بن معاوية التميمي
٥ ـ النعمان بن مقرن المزني *
٦ ـ ابو سبرة بن ابي رهم العامري
٧ ـ زر بن عبد الله الفقيمي
٨ ـ الربيع بن زياد الحارثي
٩ ـ سلمى بن قيس الاشجعي
١٠ ـ ابو موسى الاشعري

---

* انظر : قادة فتح الجبل في هذا الكتاب .

حَرْمَلَة بن مُرَيْطَة التميمي

فاتح مَناذِر[1] ونهر تيرى[2]

الصحابي :

كان حَرْمَلَة بن مُرَيطة التميمي (٣) من الصحابة (٤) المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم وهل قاتل تحت لواء الرسول القائد ام لا .

لقد حاز حرملة على شرف الصحبة والهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم (٦) ولم يسجل له التاريخ جهاداً تحت راية النبي القائد صلوات الله وتسليمه عليه .

جهـاده :

١ ـ كان حرملة من المجاهدين الاولين في ميدان قتال العراق، فقد كان في العراق قبل أن يقدم خالد بن الوليد المخزومي عليه ، فلما فرغ خالد من امر حرب الردة ولاه ابو بكر قيادة جيوش المسلمين في العراق (٧) ، وكتب الى المثنى بن حارثة الشيباني (٨) وحرملة ومذعور بن عدي (٩) وسلمى بن القين التميمي ان يلحقوا بخالد في (الأبلة) (١٠) وكان معهم ثمانية آلاف من ربيعة

---

(١) مناذر : هما بلدتان بنواحي الاهواز : مناذر الكبرى ومناذر الصغرى . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٦٠) .

(٢) نهر تيرى : تيري بلد بنواحي الاهواز ، والنهر باسم هذا البلد حفره اردشير الاصغر ابن بابك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٤٠) و(٨/٣٣٨) .

(٣) هو من بني العدوية من بني حنظلة . انظر الطبري (٣/١٧١) وابن الاثير (٢/٢١٠) .

(٤) اسد الغابة (١/٣٩٨) والاصابة (٢/٢) .

(٥) الطبري (٣/١٧١) وابن الاثير (٢/٢١٠) .

(٦) اسد الغابة (١/٣٩٨) والاصابة (٢/٢) .

(٧) الطبري (٢/٥٥١) .

(٨) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٥ ـ ٤٤) .

(٩) مذعور بن عدي العجلي : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وله صحبة . شهد فتوح العراق وكان على كردوس في اليرموك . وفد على ابي بكر الصديق رضي الله عنه . انظر الاصابة (٦/٧٦) واسد الغابة (٤/٣٤٢) .

(١٠) الابلة : مدينة كانت مرفأ السفن القادمة من الصين . انظر الطبري (٣/٩٣)، وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة ابي الخصيب بنحو ميلين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٨٩) .

ومضر الى الفين كانوا مع خالد ، فقدم العراق في عشرة آلاف (١١) .

وشهد حرملة معارك العراق تحت لواء خالد وابي عبيد بن مسعود الثقفي (١٢) وسعد بن ابي وقاص (١٣) وعتبة بن غزوان (١٤) .

٢ ـ وفي سنة سبع عشرة هجرية كان (الهرمزان) يغير على اهل (مَيسان) (١٥) و (ودَستَمَيسان) (١٦) من مَناذِر ونهر تيرى ، فاستمد عتبة بن غزوان سعد بن أبي وقاص ، فأمده بنعَيم بن مقرن المزني ونعيم بن مسعود (١٧) وامرهما ان يأتيا أعلى (ميسان) و(دستميسان) حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى ، ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة، فنزلا على حدود (ميسان) و(دستميسان) بينهم وبين مناذر ، ودعوا بني العم من قومهم ، فخرج اليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكليبي فتركا نعيما واتيا سلمى وحرملة وقالا : « انتما من العشيرة وليس لكما منزل ، فاذا كان يوم كذا وكذا فانهدوا للهرمزان ، فان احدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى ، فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم ، فليس دون الهرمزان شيء أن شاء الله»، ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك (١٨) ، وكانوا ينزلون الاهواز قبل الاسلام ، فأهل البلاد يأمنونهم . فلما كانت تلك الليلة ـ ليلة الموعد بين سلمى وحرملة وغالب وكليب ، وكان الهرمزان يومئذ بين نهر تيرى وبين (دُلث) (١٩) ، خرج حرملة وسلمى صبيحتهما في تعبية وانهضا نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، فالتقوا هم والهرمزان بين (دُلث) ونهر (تيرى) ، وسلمى بن القين على اهل البصرة ونعيم بن مقرن على

---

(١١) الطبري (٥٥٤/٢) وابن الاثير (١٤٧/٢) .

(١٢) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢١٢ ـ ٢٢٠) .

(١٣) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٢١ ـ ٢٦٨) .

(١٤) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٧٧ ـ ٣٨٦) .

(١٥) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة ومدينة واسط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٤/٨) .

(١٦) دستميسان : كورة جليلة بين واسط والبصرة والاهواز ، وهي الى الاهواز اقرب. وقيل : دستميسان كورة قصبتها الابلة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٩/٤) .

(١٧) نعيم بن مسعود : هو نعيم بن مسعود الغطفاني الاشجعي ، أسلم في غزوة الخندق، وهو الذي اوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق وخذل بعضهم عن بعض ؛ فلما أسلم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ان يخذل الكفار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « خذل ما استطعت ، فان الحرب خدعة » .

مات نعيم في خلافة عثمان ، وقيل : قتل يوم الجمل . انظر التفاصيل في أسد الغابة (٣٣/٥ـ٣٤) والاصابة (٢٤٩/٦) وطبقات ابن سعد (٢٧٧/٤ـ٢٧٩) والاستيعاب (١٥٠٨/٤ـ١٥٠٩).

(١٨) مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر الطبري (١٧١/٣) .

(١٩) دلث : موضع في الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٨/٤) وتسمى ايضا: دلوث . وقد وردت في ابن الاثير (٢١٠/٢) باسم : دلب ، وهذا تصحيف .

اهل الكوفة ، فاقتتلوا واتاهم المدد من قبل غالب وكليب .

وعلم الهرمزان بأن (مناذر) ونهر تيرى قد اخذتا ، فانهارت معنوياته ومعنويات جنوده ، فانهزم وإياهم ، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا واصابوا منهم ما شاءوا ، وطاردوهم حتى وقفوا على شاطىء (دُجَيْل) (٢٠) واخذوا ما دونه وعسكروا بحيال (سوق الاهواز) (٢١) ، وقد عبر الهرمذان جسر سوق الاهواز واقام بها ، وصار (دجيل) بين الهرمزان وبين المسلمين .

ورأى الهرمزان ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح . وكتب حرملة وسلمى الى عتبة بن غزوان يستأمرونه فيه ، وكاتبه الهرمزان ، فأجاب عتبة الى ذلك على الاهواز كلها ، و (مهرجان قَذَق) (٢٢) ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من (سوق الاهواز) ، فانه لا يُردّ عليهم ، وجعل سلمى على مناذر مسلحة (٢٣) وامرها الى غالب ، وجعل حرملة على نهر تيرى وامرها الى كليب ، فكان حرملة وسلمى على مسالح البصرة (٢٤) .

٣ ـ وبينما كان المسلمون على ذلك من ذمّتهم مع الهرمزان ، وقع بين الهرمزان وكليب وغالب على حدود الارضين اختلاف وادعاء ، فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم ، فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا ، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراد فكثف جنده .

وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب عن بغي الهرمزان وظلمه وكفره الى عتبة بن غزوان ، فكتب بذلك الى عمر ، فكتب عمر اليه يأمره بقصد الهرمزان وامدّهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي ، وامّره على القتال وعلى ما غلب عليه .

وسار المسلمون الى (سوق الاهواز) حيث كان الهرمزان وجيشه ، فأرسلوا الى الهرمزان : « اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم » ، فقال : « اعبروا الينا » ، فعبروا من فوق الجسر فاقتتلوا فوق الجسر ممايلي سوق

---

(٢٠) دجيل : نهر بالاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١/٤ ـ ٤٢) .

(٢١) سوق الاهواز : اسم مدينة في الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٠/١) و(١٧٦/٥) .

(٢٢) مهرجان قذق : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال على يمين القاصد من حلوان العراق الى همدان في تلك الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١٠/٨) . وقد ورد هذا الاسم في الطبري (١٧٢/٣) وابن الاثير (٢١٠/٢) : مهرجان قدف ، وهذا تصحيف .

(٢٣) مسلحة : جمعها مسالح ، وهي الجماعة المسلحون المعدون للقتال. ويطلق عليها في الاصطلاحات العسكرية الحديثة : حامية .

(٢٤) الطبري (١٧١/٣ ـ ١٧٢) وابن الاثير (٢١٠/٢) .

الاهواز ، حتى هزم الهرمزان ، وفتح حرقوص سوق الاهواز ومعه سلمى وحرملة (٢٥) .

٤ ـ وشهد حرملة تحت راية النعمان بن مقرن المزني فتح (تُستَر) (٢٦) فقد كان اهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير وسلمى بن القين وحرملة وجزء بن معاوية في (سوق الاهواز) ، فساروا الى (تستر) وبها الهرمزان وجنود من اهل فارس والجبال والاهواز ، وبعد قتال عنيف فتحت (تستر) ابوابها للمسلمين (٢٧) .

٥ ـ وقبل معركة (نهاوند) (٢٨) استنفر عمر الناس مع النعمان بن مقرن المزني وندبهم ، فخرجوا الى نهاوند . وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بـ (الاهواز) ليشغلوا جيوش الفرس عن المسلمين ، فأقام حرملة والقادة الآخرون بتخوم (اصبهان) وفارس وقطعوا امداد فارس عن اهل (نهاوند) (٢٩) ، وبذلك خففوا ضغط القوات الفارسية عن المسلمين في معركة نهاوند الحاسمة فيسروا النصر للمسلمين .

الانسان :

كان حرملة من صالحي الصحابة (٣٠) ، وقد سكت التاريخ عن اعماله العامة الاخرى ، فلا نعرف شيئا عنها ، ولا نعلم اين استقر بعد الفتح واين توفي ومتى .

لقد كان صحابيا جليلا ، تقيا نقيا ، ورعا امينا ، وفيا سخيا ، بارا مأمون النقيبة .

ولا نعلم انه اثرى من الفتح ، فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان كل رأس ماله جهاده في سبيل الله وخدمة الاسلام واهدافه السامية .

القائد :

كان حرملة وابن عمه سلمى يقودان اربعة آلاف من بني عمهم تميم والرباب (٣١) سارا بهم من نصر الى نصر في اكثر معارك فتح العراق وفي فتح

---

(٢٥) الطبري (٣/١٧٣ ـ ١٧٤) وابن الاثير (٢/٢١٠ ـ ٢١١) .

(٢٦) تستر : أعظم مدينة بالاهواز ، وهي تعريب شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٨٦) والمسالك والممالك (٦٤) وآثار البلاد واخبار العباد (١٧٠) .

(٢٧) انظر التفاصيل في الطبري (٣/١٧٩ ـ ١٨٥) وابن الاثير (٢/٢١١ ـ ٢١٣) .

(٢٨) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همذان ، بينهما ثلاثة ايام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢٩) والمسالك والممالك (١١٨) وآثار البلاد واخبار العباد (٤٧١) .

(٢٩) ابن الاثير (٣/٣) والطبري (٣/٢١٣) .

(٣٠) اسد الغابة (١/٣٩٨) .

(٣١) أسد الغابة (١/٣٩٨) والاصابة (٢/٢) .

الاهواز ، وبقيا مع رجالهما مجاهدين تارة ومرابطين اخرى مسالح للمسلمين في (مناذر) ومنطقة نهر (تيرى) وبالقرب من اصبهان .

ومن دراسة معارك حرملة يتضح انه كان قائدا ممتازا ، يتمتع بمزايا قيادية فذة .

لقد باغت هو وزملاؤه القادة (الهرمزان) بخطته الموقوتة الدقيقة لفتح (مناذر) ونهر تيرى ، تلك الخطة التي باغت بها الجيش الفارسي بمكان لا يتوقعه وبزمان لا يتوقعه وبأسلوب لا يتوقعه ايضا ، وبذلك باغت عدوه بالمكان والزمان والاسلوب في آن واحد ، وهذا هو أعلى مراتب المباغتة اهم مباديء الحرب على الاطلاق ...

كما انه كان قائدا (تعرضيا) ، فلم يدافع مطلقا ، وكان يهتم بمبدأ (الأمن) فلم يستطع العدو ان يباغت رجاله ابدا .

اما معركة (تستر) قتالا وحصارا ، فتدل على شدة ضبطه وسيطرته على رجاله وتميزه بالحذر واليقظة وصبره على الحرب .

كما أن مشاغلته القوات الفارسية في منطقة شاسعة قبيل معركة نهاوند الحاسمة ، دليل على قابليته القيادية الممتازة بحيث استطاع مشاغلة قوات معادية جسيمة بقوات قليلة نسبيا .

لقد كانت له قابلية على اعطاء القرارات السريعة الصحيحة ، شجاعا مقداما ذا ارادة قوية نافذة وشخصية رصينة مسيطرة ، يتحمل المسؤولية بلا تهاون ولا تردد ولا خوف ، يعرف مباديء الحرب ويطبقها بحنكة ودراية، يسبق النظر ويعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، له قابلية بدنية ظاهرة وماض ناصع مجيد ...

لقد كان حرملة بدون شك قائدا ممتازا.

حرملة في التاريخ :

يذكر التاريخ لحرملة فتحه مناطق شاسعة من ارض الاهواز كانت ولا تزال عربية .

ويذكر له نشره الاسلام في ربوعها .

ويذكر له ،انه قضى حياته كلها بعد الاسلام مجاهدا في سبيل عقيدته.

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الفارس المغوار ، القائد الفاتح ، حرملة بن مريطة التميمي ...

سلمى بن القين التميمي [1]

فاتح مناذر ونهر تيرى

الصحابي :

كان سُلْمى بن القَيْن التميمي صحابيا (٢) من المهاجرين (٣) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم وهل له جهاد تحت لواء الرسول القائد أم لا .

لقد نال سلمى شرف الصحبة والهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسجل له التاريخ جهادا تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم .

جهــاده :

١ ــ كان سلمى من السابقين الاولين للجهاد في ميدان العراق ، فقــد كان في العراق قبل ان يقدم خالد بن الوليد عليه ، وحين فرغ خالد من حرب الردة ولاّه ابو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة المجاهدين في العراق ، وكتب الى المثنّى بن حارثة الشيباني ومذعور بن عدي العجلي وحرملــة بن مريطة التميمي وسلمى ان يلحقوا بخالد في (الأبلة) ، وكان معهم ثمانية آلاف مــن ربيعة ومضر الى الفين كانوا مع خالد ، فقدم خالد العراق للحرب في عشرة آلاف (٤) .

وشهد سلمى معارك العراق قبل خالد وتحت لواء خالد وابي عبيد بن مسعود الثقفي وسعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان وغيرهم (٥) .

٢ ــ وفي سنة سبع عشرة هجرية كان (الهرمزان) يغير عــلى اهــل (ميســان) و (دستَميْسان) من (مناذر) و (نهر تيرى) ، فاستمد عتبة بن

---

(١) هو سلمى بن القين بن عمير بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر جمهرة انساب العرب (٢٢٨ ــ ٢٢٩) . وفي الاصابة (١٢١/٣) : انه سلمى بن القين بن عمرو بن بكر بن مالك بن حنظلة . وفي اسد الغابة (٣٤٣/٢) : انه سلمى بن القين ابن عمرو بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة .

(٢) جمهرة انساب العرب (٢٢٩) والاصابة (١٢١/٣) واسد الغابة (٣٤٣/٢) .

(٣) اسد الغابة (٣٤٣/٢) .

(٤) الطبري (٥٥٤/٢) وابن الاثير (١٤٧/٢) .

(٥) انظر الشروح عن الاعلام والاماكن والمصادر في ترجمة حرملة بن مريطة التميمي ، اذ كان جهادهما مشتركا ، لذلك لم نر مبررا لاعادة ما اوردنا في ترجمة حرملة من شروح حول ذلك

غزوان سعد بن أبي وقاص ، فأمده بنعيم بن مقرن المزني ونعيم بن مسعود، وامرهما ان يأتيا أعلى (ميسان) و(دستميسان) حتى يكونا بينهم وبين نهر (تيرى) ، ووجه عتبة بن غزوان سلمى وحرملة بن مريطة ، فنزلا على حدود (ميسان) و(دستميسان) بينهم وبين (مناذر) ، ودعوا بني العم من قومهم، فخرج اليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكليبي ، فتركا نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأتيا سلمى وحرملة وقالا : « انتما من العشيرة ، وليس لكما منزل ، فاذا كان يوم كذا وكذا ، فانهدوا للهرمزان ، فان احدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى ، فنقتل المقاتلة ، ثم يكون وجهنا اليكم ، فليس دون الهرمزان شيء ان شاء الله» ، ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكانوا ينزلون الاهواز قبل الاسلام ، فأهل البلاد يأمنونهم . فلما كانت تلك الليلة ــ ليلة الموعد ــ بين سلمى وحرملة وغالب وكليب ، وكان (الهرمزان) يومئذ بين نهر تيرى وبين (دُلث)، خرج حرملة وسلمى صبيحتهما في تعبية وانهضا نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، فالتقوا هم والهرمزان بين (دلث) ونهر تيرى ، وسلمى على اهل البصرة ونعيم بن مقرن على اهل الكوفة ، فاقتتلوا واتاهم المدد من قبل غالب وكليب .

وعلم الهرمزان بأن (مناذر) ونهر تيرى قد اخذتا ، فانهارت معنوياته ومعنويات رجاله فانهزموا ، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا واصابوا منهم ما شاءوا ، وطاردوهم حتى وقفوا على شاطيء (دُجَيل) وأخذوا من الاهواز ما دونه ، وعسكروا بجبال (سوق الاهواز) وقد عبر الهرمزان جسر سوق الاهواز واقام بها ، وصار (دجيل) بين الهرمزان وبين المسلمين .

ورأى الهرمزان ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح ، فكتب حرملة وسلمى الى عتبة بن غزوان يستأمرونه في الصلح وكاتبه الهرمزان ايضا، فأجاب عتبة الى ذلك على الاهواز كلها و(مهرجان قذق) ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم ، وجعل سلمى على مناذر مسلحة وأمرها الى غالب ، وجعل حرملة على نهر تيرى مسلحة وأمرها الى كليب ، فكان سلمى وحرملة على مسالح البصرة (٦) .

وكتب عتبة بن غزوان بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ووفد وفدا ، منهم سلمى ، وأمره أن يستخلف على عمله حرملة (٧) .

٣ ــ وبينما كان المسلمون على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان ، وقع بين

(٦) الطبري (٣/١٧١ ــ ١٧٢) وابن الاثير (٢/٢١٠) .
(٧) الطبري (٣/١٧٢) .

الهرمزان وكليب وغالب على حدود الارضين اختلاف وادعاء ، فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم ، فواجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا ، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراد فكثف جنده .

وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب عن بغي الهرمزان وكفره وظلمه الى عتبة بن غزوان ، فكتب عتبة بذلك الى عمر ، فكتب عمر يأمره بقصد الهرمزان وامدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي ، وامره على القتال وعلى ما غلب عليه .

وسار المسلمون الى (سوق الاهواز) حيث كان الهرمزان ، فأرسلوا اليه : « اما أن تعبروا الينا ، واما أن نعبر اليكم » ، فقال : « اعبروا الينا »، فعبروا من فوق الجسر واقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الاهواز ، حتى هزم الهرمزان ، ففتح حرقوص سوق الاهواز ومعه سلمى وحرملة (٨) .

٤ ــ وشهد سلمى تحت راية النعمان بن مقرن المزني فتح (تُستَر) ، فقد كان اهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير وسلمى وحرملة بن مريطة وجزء بن معاوية في سوق الاهواز ، فساروا جميعا الى (تستر) وبها الهرمزان وجنود من اهل فارس والجبال والاهواز ، وبعد قتال شديد فتحت (تستر) ابوابها للمسلمين (٩) .

٥ ــ وقبل معركة (نهاوند) الحاسمة ، ندب عمر الناس الى النعمان ابن مقرن المزني ، فخرجوا الى نهاوند . وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا جيوش الفرس عن المسلمين ، فأقام سلمى وزملاؤه القادة الآخرون بتخوم (اصبهان) وفارس ، وقطعوا امداد فارس عن اهل نهاوند (١٠) ، وبذلك حالوا دون تعاون قوات الفرس كافة في معركة واحدة تحت قيادة واحدة ، مما حرمها من أن تكون قوة ضاربة تهدد سلامة المسلمين، وهذا يسَّر النصر المبين للمسلمين على الفرس .

الانسان :

كان سلمى من الصحابة المهاجرين ، وقد سكت المؤرخون عن تفاصيل سيرته ، فلا نعرف شيئا عن اعماله العامة بعد الفتح ، كما لا نعلم اين استقر واين توفي ومتى .

---

(٨) الطبري (١٧٣/٣ ــ ١٧٤) وابن الاثير (٢١٠/٢ ــ ٢١١) .

(٩) انظر التفاصيل في الطبري (١٧٩/٣ ــ ١٨٥) وابن الاثير (٢١١/٢ ــ ٢١٣) .

(١٠) ابن الاثير (٣/٣) والطبري (٢١٣/٣) .

انه صحابي جليل ، تقي نقي ، ورع صالح ، كريم سخي ، امين وفي ، عاش حياته مجاهدا ومات مغمورا فقيرا . . . كل ماله جهاده في سبيل الله .

القـائد :

كان سلمى وابن عمـه حرملة يقـودان اربعـة آلاف رجـل من تميم والرباب (١١) سارا بهم من نصر الى نصر ، لم تتراجع لهم راية ولم يتقهقر لهم لواء . .

وبقيا مع رجالهما مجاهدين تارة ومرابطين اخرى مسالح للمسلمين في (مناذر) ونهر تيرى وبالقرب من أصبهان .

ومن دراسة معارك سلمى نتبين بوضوح انه كان قائدا ممتازا يتمتع بمزايا قيادية نادرة .

لقد باغت هو وزملاؤه القادة (الهرمزان) بخطتهم الموقوتة الدقيقـة التي اعدوها لفتح مناذر ونهر تيرى ، تلك الخطة التي باغتوا بهـا الجيش الفارسي بمكان وزمان واسلوب لا يتوقعونه ، وبذلك باغتوا عدوهم بالمكـان والزمان والاسلوب في آن واحد ، وهذا هو اعلى مراتب المباغتة التي هي اهم مبادىء الحرب على الاطلاق . . .

فقد يستطيع القائد ان يباغت خصمه بالمكان ، وقد يستطيع ان يباغته بالزمان ، وقد يستطيع ان يباغته بالاسلوب ، اما ان يستطيع مباغتته بكل ذلك مرة واحدة وفي وقت واحد ، فذلك نادر جدا في تاريخ الحروب .

وهو قائد (تعرضي) لم يدافع مطلقا ، وكان يهتم بمبدأ (الامن) لذلك لم يستطع عدوه مباغتة رجاله ابدا .

وتدل معركة (تستر) بما كان فيها من قتال وحصار ، على ان سلمى كان شديد الضبط قوي السيطرة ، يتحلى بالحذر واليقظة والصبر عـلى أهوال الحروب .

وتدل مشاغلته القوات الفارسية في منطقة شاسعة قبل معركة نهاوند وفي اثنائها ، على قابليته القيادية الفذة وسرعة خاطره ودقة قراراته وتشبثه بمبدأ (قابلية الحركة) او (المرونة) كما يطلق عـلى هذا المبـدا في الوقت الحاضر ، فنجح بكل ذلك هو وزملاؤه القادة في مشاغلة عدد ضخم من قوات الفرس بقوات قليلة نسبيا .

---

(١١) اسد الغابة (٣٩٨/١) والاصابة (٢/٢) .

انه كان قائدا ميمون النقيبة ، كامل العقل ، طويل التجربة ، مكيثا ، بصيرا بتدبير الحروب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، حسن التعبية ، يدخل الامن على قواته ويعمل على رفع معنوياتهم مع طلب السلامة لنفسه واصحابه من العدو ، حسن السيرة عفيفا صارما متيقظا شجاعا مقداما سخيا (١٢) ..

لقد كان سلمى بدون شك قائدا ممتازا .

سلمى في التاريخ :

يذكر التاريخ لسلمى جهاده الطويل في سبيل نشر الاسلام واعلاء كلمة الحق .

ويذكر له فتحه مناطق كبيرة من ارض الاهواز كانت ولا تزال عربية مسلمة .

ويذكر له ، انه قضى حياته كلها مجاهدا من اجل التوحيد وموحدا من اجل الجهاد .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الفارس البطل ، التقي النقي ، القوي الامين ، القائد الفاتح ، سلمى بن القين التميمي .

---

(١٢) انظر صفات القائد المثالية في مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٧) .

حُرقوص بن زُهَير التميمي السّعدي (١)

فاتح سُوق الأهواز (٢)

الصحابي :

كان حُرقوص بن زهير التميمي السعدي من الصحابة (٣) ، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم (حنين) (٤) ، ولكننا لا نعرف بالضبط موعد اسلامــه . لذلك نال حرقوص شرف الصحبة وشرف الجهــاد تحت لواء الرسول القائد .

جهــاده :

بذل حرقوص جهودا جبارة في معارك الفتح لفتت اليه الانظار وجعلته موضع ثقة عمر بن الخطاب ، فقد كان هناك عهد بين المسلمين من جهة وبين (الهرمزان) من جهة اخرى ، فوقع اختلاف بين الهرمزان وغــالب الوائلي وكليب بن وائل (٥) في حدود الارضين ، فحضر سلمى بن القين (٦) وحرملة ابن مريطة (٧) وكانا من المهاجرين ، فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا ، فحالا بينهما وبينه ، فكفر الهرمزان ونكث عهده واستعان بالاكراد وحشد قواته ، فكتب سلمى ومن معه الى عتبــة بن غزوان امــير البصرة

---

(١) في اسد الغابة (٢/١٤٠) : أن (ذا الخويصرة التميمي) هو حرقوص بن زهير . وكذلك في الاصابة (٢/١٧٥) .

(٢) سوق الاهواز اسم مدينة في الاهواز (في خوزستان) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٨٠) و (٥/١٧٦) .

(٣) الطبري (٣/١٧٤) وابن الاثير (٢/٢١١) وأسد الغابة (١/٣٩٦) والاصابة (١/٣٣٥)

(٤) أسد الغابة (٢/١٤٠) والاصابة (٢/١٧٥)

(٥) لم أجد لغالب الوائلي وكليب بن وائل ترجمة في الاصابة ولا في أسد الغابة ولا في الاستيعــــاب .

(٦) سلمى بن القين التميمي : صحابي جليل . انظر التفاصيل في الاصابة (٣/١٢١) وانظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٧) حرملة بن مريطة التميمي : له صحبــة وهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم . سيّره عتبة بن غزوان الى ميســان مع سلمى بن القين على رأس اربعة آلاف من تميم والرباب . انظر الاصابة (٢/٢) وانظر ترجمته في هذا الكتاب .

حينذاك ، وهذا كتب بدوره الى عمر بن الخطاب ، فأمره عمر بقتال الهرمزان وامدّهم بحرقوص وامّره على القتال وعلى ما غلب عليه .

وسار المسلمون يريدون (الهرمزان) ، فالتقوا بقواته في موضع جسر (سوق الاهواز) ، فأرسلوا اليهم : اما ان تعبروا الينا او نعبر اليكم ، فقال الهرمزان : « اعبروا الينا » ، فعبر المسلمون على الجسر ، ونشب القتال في ضواحي (سوق الاهواز) فانهزم (الهرمزان) الى (رامَهُرْمز) (٨) وتحصّن فيها . اما حرقوص فقد فتح (سوق الاهواز) (٩) فأقام بها وخضعت له منطقتها الى (تستر) (١٠) فوضع حرقوص عليها الجزية وكتب بالفتح الى عمر بن الخطاب وارسل اليه الاخماس (١١) .

وكان عمر بن الخطاب قد عهد الى حرقوص : ان فتح الله عليهم ، ان يتبع الهرمزان بقوات من المسلمين عليهم جزء بن معاوية ، فبعث حرقوص جزءا في اثر الهرمزان ، فطارده حتى فتح مدينة (دَوْرَق) (١٢) وهي مدينة (سُرّق) وفرض على اهلها الجزية ، فكتب حرقوص بالفتح الى عمر بن الخطاب وعتبة بن غزوان ، فكتب عمر الى حرقوص يأمره بالمقام فيما غلب عليه حتى يأمره بأمره ، فعمّر جزء بن معاوية البلاد وشق الانهار فأحيا الموات (١٣) .

وراسلهم الهرمزان طالبا الصلح ، فكتب حرقوص الى عمر ، فأجاب عمر الى ذلك على ان يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم ، وهكذا تصالح الطرفان ، فنزل حرقوص جبل الاهواز ، وكان يشق على الناس الاتصال به لوعورة الجبل وصعوبة تسلقه ، فلما بلغ عمر ذلك كتب اليه : « بلغني انك نزلت منزلا كؤودا لا تؤتى فيه الا على مشقة ، فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد » (١٤) .

---

(٨) رامهرمز : ومعنى رام بالفارسية : المراد والمقصود . وهرمز : احد الاكاسرة . فكأن هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز أو مراد هرمز . وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١١/٤) والمسالك والممالك ص (٦٤)

(٩) أسد الغابة (٣٩٦/١) والاصابة (٣٣٥/١)

(١٠) تستر : اعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب : شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك ص (٦٤) واثار البلاد واخبار العباد ص (١٧٠)

(١١) الطبري (١٧٤/٣) وابن الاثير (٢١٢/٢)

(١٢) دورق : هي مدينة سرّق ، وهي بلد بخوزستان وقصبة كورة سرّق ، ويقال لها دورق الفرس ، فيها كثير من المعادن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٠/٤) و (٧٣/٥)

(١٣) الطبري (١٧٥/٣) وابن الاثير (٢١١/٢)

(١٤) الطبري (٣٣/٣)

وبقي المسلمون في الاهواز : في ايديهم ما فتحوه ، وفي أيدي اهله ما صولحوا عليه منها يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم ولهم الذمة والمنعة، وكان عميد الصلح في تلك المنطقة هو الهرمزان . وقد قال عمر : « حسبنا لأهل البصرة سوادهم والاهواز . وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار : لا يصلون الينا منه ، ولا نصل اليهم ! » ، وقال مثل هذا القول لأهل الكوفة ايضا (١٥) .

ولكن كسرى (يزدجرد) لم يزل وهو (بمرو) (١٦) يثير اهل فارس، فكاتب أهل فارس ، فكاتب هؤلاء أهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة، فجاءت الاخبار حرقوصا وجزءا وحرملة بن مريطةالتميمي وسُلمى بن القينالتميمي، فكتبوا الى عمر بن الخطاب بالخبر ، فكتب عمر الى سعد بن ابي وقاص في الكوفة : « أبعث الى الاهواز جيشا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجّل ، فلينزلوا ازاء الهرمزان ويتحققوا امره » ، وكتب الى أبي موسى الأشعري في البصرة مثل ذلك ، فهزم النعمان قوات الهرمزان وفتح (رامهرمز). وسار الهرمزان الى (تستر) وسار المسلمون اليها ايضا ، ففتحها المسلمون بعد قتال طويل وخسائر فادحة واسروا الهرمزان وأرسلوه الى عمر بن الخطاب (١٧) .

الانسان :

كان حرقوص شاعرا ، وقد قال يصف فتح (سوق الاهواز) (١٨) :

غَلَبنا الهرمزان على بلادٍ	لها في كل ناحية ذخائر
سواء برّهم والبحر فيها	اذا صارتنواجبها(١٩) بواكر
لها بحر يعج بجانبيه	جَعافِر لا يزال لها زواخر

وهو شعر فارسٍ يصف أعماله العسكرية .

لقد كان حرقوص صريحا غاية الصراحة ، يقول ما يعتقده دون تردد ولا خوف او وجل ، وليس شرطا ان يكون مصيبا فيما يقوله او مخطئا . على كل حال ، هو يقول ما يعتقده . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم

(١٥) الطبري (١٧٦/٣)
(١٦) مرو : اشهر مدن خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٨)
(١٧) ابن الاثير (٢١٢/٢)
(١٨) الطبري (١٧٤/٣)
(١٩) النواجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من الابل .
(٢٠) جعافر : جمع جعفر ، وهو النهر الصغير .

غنائم هوازن يوم (حنين) ، فجاءه حرقوص فقال : « اعدل يا رسول الله»، فقال : « ويحك ، ومن يعدل اذا لم أعدل ؟!» (٢١) ، فأراد عمر بن الخطاب ان يقتله ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم منعه من قتله .

وبعد عزله عن الاهواز ، نزل حرقوص البصرة، فكان على رأس الناقمين على عثمان بن عفان من اهل البصرة ، فقاد جماعة منهم الى المدينة المنورة مظهرا انه يريد الحج (٢٢) ، فكان من الذين حاصروا عثمان وحرّضوا على قتله .

ولكنه نجا من القتل في المعركة التي دارت رحاها بين اهل البصرة ورجال طلحة والزبير وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان، ونجا من القتل بعد هذه المعركة ايضا ، لأن عشيرة حرقوص بني سعد من تميم منعوه (٢٣) .

وشهد مع علي بن ابي طالب معركة (صفين)، ثم صار مع الخوارج بعدها (٢٤) ، فأتى عليا مع رجل آخر من الخوارج ، فقالا له : « لا حكم الا لله ! » فقال علي لهما : « لا حكم الا لله ! » ، فقال حرقوص : « تب عن خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتله حتى نلقى ربنا !» ، فقال علي : « قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهودا ، وقد قال الله تعالى : (اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) ، فقال حرقوص : « ذلك ذنب ينبغي ان تتوب عنه » (٢٥) .

وكان الامام علي بن ابي طالب يقول عن شعار الخوارج : (لا حكم الا لله !) ، يقول : « كلمة حق اريد بها باطل » (٢٦) . ولما اجمع الخوارج على قتال امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ارادوا تولية امرهم حرقوص بن زهير، ولكنه ابى ذلك فتولاها غيره (٢٧) ، فشهد معركة (النهروان) بين علي والخوارج قائدا للمشاة ، فقتل في هذه المعركة سنة سبع وثلاثين للهجرة (٢٨) (٦٥٧ م) .

ان حرقوصاً كان مثالا من أمثلة التطرف في الرأي ، فكان مخلصا لما

---

(٢١) الاصابة (١٧٥/٢) واسد الغابة (١٤٠/٢) وابن الاثير (١٠٣/٢) وسيرة ابن هشام (١٤٤/٤)

(٢٢) ابن الاثير (٦١/٣)

(٢٣) ابن الاثير (٩١/٣)

(٢٤) أسد الغابة (٣٩٦/١)

(٢٥) ابن الاثير (١٣٣/٣)

(٢٦) ابن الاثير (١٣٤/٣)

(٢٧) ابن الاثير (١٣٤/٣)

(٢٨) أسد الغابة (٣٩٦/١) وابن الاثير (١٣٨/٣)

يعتقده كل الاخلاص ولكنه كان مخطئا كل الخطأ : كان يعتقد بأن عثمان على ضلال فخرج عليه وحرّض على قتله ، وخرج على علي بن ابي طالب بعد (صفين) ، فشهر سيفه على المسلمين وكان حرياً به ان يشهره على اعداء المسلمين .

لقد ختم حرقوص حياته انسانا بما لا يليق بماضيه المجيد قائدا .

القائد :

كان حرقوص فارسا شجاعا مقداما ، وكانت له عصبة من قومه بني سعد تطيعه وتثق به وتنفذ اوامره ، فكانت هي قوته الضاربة في حروبه .

وكان ذكياً خبيرا بالحرب ، فكانت قراراته صحيحة ، وكان ذا شخصية نافذة وارادة قوية وقلب لا يعرف للموت معنى .

ان سر انتصار حرقوص يرجع الى عاملين : الاول مزاياه الشخصية في القيادة ، والثاني كثرة قبيلته وقوتها (٢٩) .

لقد كان اعرابيا في قيادته، لذلك كان فتحه أشبه بالغارة لم يكن ليصمد طويلا امام الفرس لو لم تدعمه قوات المسلمين الاخرى .

حرقوص في التاريخ :

كان حرقوص ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .

كان عملا صالحا في قيادته ، فالتاريخ يذكر له فتح مدينة (سوق الاهواز) ومنطقتها الواسعة حتى اليوم وسيبقى يذكر له هذا العمل بالتقدير والاعجاب .

وكان عملا سيئا في تطرفه الشديد بآرائه والتمسك بها والدفاع عنها حتى الرمق الاخير ، فكان هذا التطرف من عوامل تفرقة الصفوف واشعال نار الفتنة الكبرى ــ واخيرا ادّى به هذا التطرف الى امتشاق الحسام وقتال اخوانه المسلمين .

اما عمله الصالح فآثاره خالدة ما بقي الاسلام في الاهواز ، واما عمله السيء فامره الى الله .

ترى ، هل تذهب حسناته سيئاته ، لأن الحسنات يذهبن السيئات، ام ان سيئاته اكبر من كل حسناته ؟

يا ليته اقتصر على اعماله قائدا، اذاً لكان امره بيّنا ولما تنازع في منزلته الرفيعة اثنان !

---

(٢٩) لما أراد طلحة والزبير قتل حرقوص لاشتراكه في مقتل عثمان بن عفان ، منعه ستة آلاف رجل من قبيلته . انظر ابن الاثير (٩١/٣)

جُزْء بن مُعَاوية التَّمِيمي

فاتح مدينة دَوْرَق[1] بالأهواز

الصحابي :

كان جزء بن معاوية التميمي (٢) صحابيا (٣) لا شك في ذلك ، لأنهم كانوا لا يؤمّرون غير الصحابة (٤) خاصة في أيام عمر بن الخطاب . والظاهر انه أسلم متأخرا ، وذلك بعد قدوم وفد قومه تميم واعلان أسلامهم في سنة تسع للهجرة بعد غزوة (تبوك) (٥) ، وبذلك نال (جزء) شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـاده :

بذل جزء جهودا مشرفة في جهاده ، لذلك ولاّه عمر بن الخطاب قيادة جيش من جيوش المسلمين . فقد عهد عمر بن الخطاب الى حرقوص بن زهير السعدي التميمي : ان فتح الله عليه (سوق الاهواز) أن يتبـع الهرمزان بقوات من المسلمين عليهم جزء بن معاوية ، فبعث حرقوص جـزءا في اثـر الهرمزان ، فطارده حتى فتح مدينة (دَوْرَق) وهي مدينة (سُرّق) (٦) وفرض على أهلها الجزية ، فكتب حرقوص بالفتح الى عمر بن الخطاب وعتبة بن غزوان ، فكتب عمر الى حرقوص يأمره بالمقام فيما غلب عليه حتى يأمره بأمره ، فعمّر جزء البلاد وشق الانهار فأحيا الموات (٧) .

وشهد جزء مع رجاله فتح (تُسْتَر) ، فقاتل تحت قيادة ابي سَبْرَة بن ابي رُهْم القرشي العامري (٨) . ثم عاد الى مقر عمله في الاهواز .

---

(١) دورق : هي مدينة سرّق ، وهي بلدة بخوزستان وقصبة كورة سرّق ، ويقال لها دورق الفرس ، فيها كثير من المعادن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٠/٤) و(٧٣/٥)

(٢) هو : جزء بن معاوية بن حصن بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن مناة بن تميم . انظر الاصابة (٣٤٤/١)

(٣) الاصابة (٣٤٤/١) وأسد الغابة (٢٨٣/١)

(٤) الاصابة (٣٤٤/١) و(١٥٩/٤)

(٥) ابن الاثير (١٠٩/٢ — ١١٠)

(٦) سرّق : احدى كور الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٣/٥)

(٧) الطبري (١٧٥/٣) وابن الاثير (٢١١/٢)

(٨) ابن الاثير (٢١١/٢)

الانسان :

سكن جزء البصرة بعد انتهاء عمله في الاهواز ، والظاهر انه لم يعمل للفتنة الكبرى ولم يشارك في اضرام نيرانها ، اذ لم يرد له ذكر مّا في ذلك . كما لم يرد له ذكر فيحروب علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ولا في حروب الخوارج ، مما يدل على اعتزاله الفتن وبقائه على الحياد .

ومما يدل على حياده ، ان زياد بن ابيه ولاّه بعض عمله (٩) حين كان اميرا على الكوفة والبصرة لمعاوية بن ابي سفيان ، اذ لو كانت له يد في مقتل عثمان او كان من الخوارج لما تولى مثل هذا العمل .

لقد كان من اشراف بني تميم ، فهو عم الأحنف بن قيس التميمي (١٠) وكان عاملا لعمر بن الخطاب على الاهواز (١١) ، مما يدل على انه كان موضع ثقة عمر التي لا يحوز عليها غير القوي الامين .

القـائد :

من الصعب جدا ان نتبين صفات قيادة جزء بن معاوية من خلال مـا ورد عن أعماله العسكرية في المصادر التي بين ايدينا ، ولكن الذي يتولى مثل منصب جزء في مثل تلك الظروف الحاسمة من ايام الفتح الاسلامي ، خاصة في ايام عمر بن الخطاب ، لا بد ان يكون شجاعا مقداما خبيرا بالحروب، المعي الذكاء ، قديرا على ادارة الرجال ، مكيثا غير متهور ، يفكر بمصائر رجاله كما يفكر بمصيره هو بالذات ، بالاضافة الى انه من الصحابة ــ وتلك هي بعض شروط عمر في تولية من يوليه قيادة الرجال .

جزء في التاريخ :

على الرغم من قلة المعلومات الواردة عن جزء في التاريخ ، الا ان أخباره تدعو الى الاعجاب والتقدير .

فقد كان من بني سعد ، رهط حرقوص بن زهير ، ولكنه لم يشارك من بعيد او قريب في الفتنة الكبرى .

وقد اصبح اكثر بني سعد وعلى راسهم حرقوص من الخوارج وقاتلوا

---

(٩) الاصابة (٢٤٤/١)
(١٠) أسد الغابة (٢٨٣/١)
(١١) الاصابة (٢٨٣/١)

علي بن ابي طالب وامراء الكوفة والبصرة من بعده قتالا مريرا ، ولكن جزءا لم ينجرف بتيارهم ولم يشهر سيفه على أحد من المسلمين .

كما ان قابلياته الادارية كانت مدعاة للاعجاب والتقدير ايضا ، فقد عمَّر البلاد وشق الانهار ، فأحيا الموات ، خاصة اذا تذكرنا أن جزءا كان من الاعراب .

تلك هي نواحي الاعجاب والتقدير في حياته انسانا ، اما حياته قائدا ، فيذكر له التاريخ فتحه منطقة (دورق) ونشره الاسلام في ربوعها .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، جزء بن معاوية التميمي .

أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري

فاتح تستر (١) والسوس (٢) وجنديسابور (٣)

الصحابي :

كان أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري أحد السابقين الاولين الى الاسلام (٤) ، هاجر الى الحبشة الهجرتين جميعا (٥) ، وكانت معه في الهجرة الثانية زوجته ام كلثوم بنت سهل بن عمرو (٦) . ولما هاجر من مكة المكرمة الى المدينة المنورة نزل هو والزبير بن العوام على منذر بن عقبة الانصاري (٧) ، فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة ابن وقش (٨) ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها (٩) ، فأبلى في كل هذه المشاهد أعظم البلاء .

لقد نال ابو سبرة شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ ــ قبل الفتح :

كان أبو سبرة مع جيش أسامة بن زيد ، وكان مع هذا الجيش كبار

---

(١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك ص (٦٤) وآثار البلاد واخبار العباد ص (١٧٠)

(٢) السوس : بلد بخوزستان ، وهي تعريب الشوش ، ومعناه : الحسن والنزه والطيب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) والمسالك والممالك ص (٦٤)

(٣) جنديسابور : مدينة حصينة واسعة بخوزستان بها النخيل والزروع والمياه . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٣) والمسالك والممالك ص (٦٥)

(٤) الاصابة (٨١/٧)

(٥) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) والاستيعاب (١٦٦٦/٤) . وفي الاصابة (٨١/٧) : انه هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، والصحيح انه هاجر الهجرتين الى الحبشة . راجع سيرة ابن هشام (٣٤٥/١) و(٣٩٠/١) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٥٦)

(٦) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) ، وورد في الاستيعاب (١٦٦٦/٤) : سهل بن عمر وهو خطأ مطبعي ، والصحيح سهل بن عمرو .

(٧) سيرة ابن هشام (٩١/٢) . وفي طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) : انه نزل على المنذر بن محمد بن عقبة الانصاري وكذلك في جوامع السيرة ص (٨٩)

(٨) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣)

(٩) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣)

الصحابة من المهاجرين والانصار (١٠) ، فلما عاد هذا الجيش الى المدينة، قاتل أبو سبرة المرتدين حتى عادوا الى طريق الحق ، وبعد ذلك كان له في الفتح الاسلامي جهاد مرموق .

كان العراق ميدان جهاد أبي سبرة ، وكان في جيش عتبة بن غزوان المازني (١١) في منطقة البصرة ، وعندما غزا العلاء بن الحضرمي (فارس) من البحرين (١٢) وأصبح جيشه مهددا بالفناء ، كتب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جيش كثيف الى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا ، فأرسل عتبة جيشا كثيفا في اثني عشر الف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو التميمي وعرفجة بن هرثمة البارقي والأحنف بن قيس التميمي وغيرهم ، فخرجوا على البغال يجنبون الخيل وعليهم ابو سبرة قائدا ، فسار بالناس وساحل بهم (١٣) ، فاستطاع انقاذ جيش العلاء بن الحضرمي والانتصار على القوات الفارسية ، ثم عاد بجيشه الى البصرة سالما غانما (١٤) . واستأذن عتبة بن غزوان عمر بن الخطاب في الحج ، فأذن له ، فاستخلف على البصرة ابا سبرة ، فأقرّه عمر بعد وفاة عتبة بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها (١٥) لانصراف ابي سبرة الى الجهاد .

٢ ـ الفاتح :

أ ـ لم يزل كسرى (يزدجرد) يثير أهل فارس، وكان مقيما (بمرو) (١٦)، فتعاقد أهل الاهواز وفارس على النصرة ضد المسلمين .

وعلم عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب الى سعد بن أبي وقاص امير الكوفة : « ابعث الى الاهواز بعثا كثيفا وأمّر عليهم سهل بن عدي ومالك وحذيفة ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعا أبو سبرة بن ابي رهم ، وكل من اتاه مَدَدًا له » (١٧) .

---

(١٠) ابن الاثير (١٢٧/٢)
(١١) الطبري (٩٠/٣)
(١٢) ابن الاثير (٢٠٨/٢)
(١٣) الطبري (١٧٨/٣)
(١٤) ابن الاثير (٢٠٩/٢)
(١٥) الطبري (١٧٩/٣) . اما في الطبري (٩٥/٣) والبلاذري ص (٢٣٨) فقد جاء : ان عمر استعمل المغيرة بن شعبة بعد وفاة عتبة بن غزوان ، وكان عتبة قد استخلف مجاشع بن مسعود السلمي عند مغادرته البصرة الى الحج . أنظر الطبري (٩٣/٣) وابن الاثير (١٨٩/٢)
(١٦) مرو : أشهر مدن خراسان وأقدمها واكثرها خيرا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠/٨) .
(١٧) الطبري (١٨٠/٣)

ولما سمع (الهرمزان) بمسير النعمان بن مقرن المزني اليــه ، بادره ورجا ان ينال منه وطمع في نصر اهل فارس ، وقــد أقبلوا نحوه ، ولكــن النعمان تغلب عليه وفتح (رامَهُرْمز) (١٨) .

ب ـ ولما وصل أهل البصرة الى (سوق الاهواز) (١٩) وعلمــوا بأن (الهرمزان) لحق بمدينة (تستر) قصدوها وتحشـّدت حولها كافة قوات المسلمين الموجودين في تلك المنطقة ومن بينها قوات النعمان بن مقرن المزني، استمد أبو سبرة عمر بن الخطاب ، فأمدّه بأبي موسى الأشعري في جمع من أهل البصرة وجعله على أهل البصرة وعلى الجميع أبو سبرة (٢٠)، فحاصروهم أشهرا واكثروا فيهم القتل . وزاحفهم الفرس اثناء الحصار ثمانين زحفا ، حتى اذا كان آخر زحف منها اشتد القتال ، فانهزم الفرس ودخلوا خنادقهم، فاقتحمها المسلمون عليهم، فلاذ الفرس بالمدينة، فأحاط بها المسلمون (٢١).

ورأى الفرس مدينتهم مطوقة بالمسلمين من جميع جوانبها ، ولا امل لهم في الخلاص من هذا الطوق المحكم ، لذلك انهارت معنوياتهم ، فخرج رجل من الفرس ليدل المسلمين على نقاط الضعف في دفــاع المدينة المحــاصرة ، فدخلها بعض المسلمين فكبروا وردد المسلمون خارجها هذا التكبير واقتحموا أبوابها وقتلوا المدافعين عنها واسروا (الهرمزان) وشدوه وثاقا ، فأرسله أبو سبرة الى عمر بن الخطاب مع وفد فيهم أنس بن مــالك والأحنف بن قيس (٢٢) .

وهكذا فتح المسلمون (تستر) اعظم مدينة في منطقة خوزستان .

ج ـ ولكن بعض القوات الفارسية انسحبت منهزمة من (تستر) باتجاه (السوس) ، فخرج أبو سبرة بنفسه في اثر المنهزمين الى (السوس) ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرن المزني وأبو موسى الأشعري (٢٣) ، فطوقت قوات المسلمين مدينة (السوس) واستطاعوا فتحها عنوة ، ولكن المدافعين عنها طلبوا الصلح فأجيبوا الى ذلك (٢٤) .

---

(١٨) رامهرمز : مدينة مشهورة في خوزستان . أنظر معجم البلدان (٢١٢/٤)

(١٩) سوق الاهواز : الاهواز اسم ولاية خوزستان ، وبلدة الاهواز يطلق عليها : سوق الاهواز . انظر معجم البلدان (٢٨٠/١)

(٢٠) ابن الاثير (٢١٢/٢)

(٢١) الطبري (١٨١/٣)

(٢٢) الطبري (١٨٢/٣)

(٢٣) ابن الاثير (٢١٣/٢)

(٢٤) الطبري (١٨٦/٣) وابن الاثير (٢١٣/٣) . وفي الطبري (١٨٥/٣) : ان فاتح السوس هو ابو موسى الاشعري ، وقد كان ابو موسى أحد القادة الذين شهدوا فتح هذه المدينة .

د ـ بعد فتح (السوس) توجه النعمان بن مقرن المزني الى (نهاوند) ، وتوجه المقترب الأسود بن ربيعة الى (جَنْدَيْسابور) ، فقصد أبو سبرة على راس قواته (جنديسابور) وضيَّق عليها الحصار، وفجأة فتحت هذه المدينة ابوابها وقال المدافعون عنها : رميتم بالأمان ، فقبلناه واقررنا بالجزية . فقال المسلمون : ما فعلنا !.. فسأل المسلمون فيما بينهم ، فاذا عبد يدعى (مَكْنفا) كان أصله من (جنديسابور) هو الذي كتب لهم هذا الأمان ، فكتب ابو سبرة بذلك الى عمر ، فكان جوابه : « ان الله عظَّم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا ، فما دمتم في شك أجيزوهم وفوا لهم (٢٥) » .

وقد وصف هذا الحادث عاصم بن عمرو التميمي فقال (٢٦) :

لعمري فقد كانت قرابة (مكنفٍ)
قرابة صدق ليس فيها تقاطع

اجارهمُ من بعد ذلٍ وقلة
وخوف شديد والبلاد بلاقع

فجاز جوارُ (العبد) بعد اختلافنا
وردّ أمورا كان فيها تنازع

الى الركن والوالي المصيب حكومةً
فقال بحق ليس فيه تخالع

الانسان :

انقطعت اخبار أبي سبرة فجأة بعد فتح مدينة (جنديسابور) والظاهر ان حياته العامة انتهت بعد فتح هذه المدينة ، اذ عقد عمر بن الخطاب بنفسه سبعة الوية لسبعة من قادة المسلمين ، فانساحت قواتهم الى أهدافها (٢٧)، ولم يكن أبو سبرة بين اولئك القادة .

لقد رجع أبو سبرة الى مكة وأقام بها (٢٨) ، ولا نعلم احدا من المهاجرين من أهل (بدر) رجع الى مكة فسكنها غيره (٢٩) ، وأولاده ينكرون رجوعه الى مكة ويغضبون من ذكر ذلك (٣٠) ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(٢٥) الطبري (١٨٨/٣) وابن الاثير (٢١٤/٢) ومعجم البلدان (١٥٠/٣).
(٢٦) انظر معجم البلدان (١٥٠/٣)
(٢٧) الطبري (١٨٩/٣)
(٢٨) طبقات ابن سعد (٤٤٣/٥)
(٢٩) الاصابة (٨١/٧) والاستيعاب (١٦٦٦/٤)
(٣٠) طبقات ابن سعد (٤٤٣/٥) والاستيعاب (١٦٦٦/٤)

كان يكره أن يموت المهاجر في الارض التي هاجر منها (٣١) ، وقد كان لانكار اولاده رجوعه الى مكة ما يبرره ، لأن أبا سبرة قضى أكثر ايامه مجاهدا بعيدا عن مكة المكرمة كما ذكرنا في قصة جهاده .

وأم أبي سبرة هي برّة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو ابن عمة النبي (٣٢) وهو اخو سلمة بن عبد الاسد لأمه (٣٣) .

وقد توفي في ايام عثمان بن عفان (٣٤) ، وذلك سنة خمس وثلاثين للهجرة (٣٥) (٦٥٥م) في السنة التي قتل فيها عثمان ، والظاهر انه توفي قبيل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

القائد :

من الواضح أن المعارك التي قاد المسلمين فيها ابو سبرة ، كانت معارك (مدبرة) (٣٦) أنجز المسلمون لها تحشدهم وأعدوا كافة متطلبات القتال ، لأن الفرس كانوا من جانبهم قد حشدوا كافة امكاناتهم المادية والمعنوية لصد المسلمين عن بلادهم ، لذلك كان التغلب على حشود الفرس الكبيرة يحتاج الى خطط سديدة والى قوات كافية .

وفعلا لم يتسرع أبو سبرة في خوض تلك المعارك ، بل خاضها بعد انجاز تحشدات كبيرة عددا وعددا ، فكان واثقا من انتصاره سلفا ، وهو بذلك مثال رائع للقائد المكيث الذي يتقدم اقداما مضمونا مأمون العواقب .

لقد كان على رأس القوات الاسلامية القادمة من البصرة والكوفة شخصيات لامعة لها وزنها الكبير في نظر المسلمين بصورة عامة ــ خاصة وان بعضهم كان من المع أبطال العرب وقادتهم ودهاتهم ، فكان تسنم أبي سبرة مركز القيادة عليهم جميعا دليل قاطع على ثقة عمر بكفاءته الممتازة وشخصيته القوية النافذة .

---

(٣١) طبقات ابن سعد (١٤٥/٥)

(٣٢) الاستيعاب (١٦٦٦/٤) والاصابة (٨١/٧)

(٣٣) الاستيعاب (١٦٦٦/٤) ، وهو سلمة بن عبد الاسد المخزومي .

(٣٤) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) والاصابة (٨١/٧) والاستيعاب (١٦٦٦/٤)

(٣٥) ابن الاثير (٧٨/٣)

(٣٦) المعركة المدبرة سواء كانت هجومية او دفاعية ، معناها : تهيئة كافة متطلبات القتال من عدد وعدد وقضايا ادارية وامور معنوية وخطط دقيقة ، وهي عكس المعارك الفورية التي تتسم بالسرعة لا بالدقة وتعتمد على الصدف كثيرا لا على الحساب الدقيق .

انه كان مثالا للقائد الذي يقرر بسرعة وبدقة ، والذي يتحمل أخطر المسؤوليات في اخطر الظروف ، والذي يسبق النظر ويحسب لكل احتمال حسابه ، والذي يثق به امراؤه ورجاله ثقة لا مزيد عليها ويبادلونه حبا بحب وتقديرا بتقدير .

وكانت أعماله العسكرية تمتاز بتطبيق مبدأ (تحشيد القوة) ومبدأ (التعاون) ، وقد أدى تمسكه بهذين المبدأين الى انتصاره على القوات الفارسية الكبيرة بعد حصارها في مدنها الحصينة ، مع ان الحصار المديد يحتاج الى قائد ممتاز والى جنود ممتازين .

أبو سبرة في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي سبرة عقيدته الراسخة التي جعلته يستهين بالمال والولد وبمتاع الدنيا كله ، فيهاجر الهجرتين الى الحبشة ، ثم يهاجر الى المدينة ويبذل هناك كل جهده وجهاده بذل المؤمن الصابر المحتسب من أجل نشر العقيدة الاسلامية ومن أجل الدفاع عنها .

ويذكر له فتوحاته الكثيرة في منطقة (خوزستان) ، مما جعل هذه المنطقة قاعدة امامية متقدمة لانطلاق الفتح الاسلامي الى عقر ديار الامبراطورية الفارسية .

ويذكر لأبي سبرة ، أنه كان قائد القادة الفاتحين في فترة من أخطر ايام الفتح ، انتشروا من بعدها في الارض فاتحين منتصرين ودعاة صادقين .

ويذكر له ، بالاضافة الى كل ذلك ، حربه الشريفة التي تمثل الذروة في حرب الفروسية ، ولعل وفاءه بالأمان الذي قطعه عبد مغمور من عبيد المسلمين لأهل مدينة كبيرة انهارت مقاومة حماتها ماديا ومعنويا ، مثال رائع لحرب الفروسية في كل أدوار التاريخ !

ترى ، هل في تاريخ حروب الامم الاخرى ـ من غير المسلمين ـ مثل هذا العمل الانساني الرفيع ؟!

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، أبي سبرة بن أبي رهم القرشي العامري .

زِرُّ بن عبد الله بن كليب الفقيمي

فاتح جُنْدَيْسابور(1)

« اللهم أوف لزرّ عميرته »

(محمد رسول الله)

الصحابي :

كان زِرُّ بن عبد الله بن كليب الفقيمي (٢) صحابيا من المهاجرين (٣) وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « فني بطني وكثر اخوتنا ، فادع الله لنا »، فقال : « اللهم أوف لزر عميرته » (٤) ، فتحوّل اليهم العدد (٥) .

ولكننا لا نعرف له جهادا تحت لواء الرسول القائد ، وبذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

جهـاده :

كان ميدان جهاد زر بن عبدالله أرض العراق وبلاد فارس ، وأول ما ورد ذكره في فتح (رامهرمز) و (تستر) ، فبعد فتحهما كتب عمر الى زر بن عبد الله أن يسير الى (جنديسابور) ، فسار حتى نزل عليها (٦) وحاصرها (٧) ، وسار المقترب وهو الأسود بن ربيعة (٨) قائدا على أهل

---

(١) جنديسابور : مدينة حصينة واسعة بالاهواز بها النخيل والزروع والمياه . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٣) والمسالك والممالك (٦٥)

(٢) أسد الغابة (٩/٣) واسد الغابة (٢٠٠/٢) وابن الاثير (٢١٢/٢) والطبري (١٨٢/٣)

(٣) اسد الغابة (٢٠٠/٢)

(٤) عميرة : عمير أي عامر ، وبلد عمير ، أي بلد عامر . عميرة : كسفينة ، وعميرة : قد يسمى به الحي مالا ومنزلا واهلا .

(٥) الطبري (١٨٢/٣)

(٦) الطبري (١٨٢/٣) والبداية والنهاية (٨٧/٧)

(٧) ابن الاثير (٢١٣/٢)

البصرة (٩) ليعاون زر في مهمته .

واقام زر بن عبد الله محاصرا (جنديسابور) يقاتلهم ، فما زال يفاديهم ويراوحهم القتال ، حتى رُمي اليهم بالأمان من عسكر المسلمين ، فلم يفجأ المسلمين الا وابوابها تفتح ، ثم خرج السرح (١٠) وخرجت الاسواق وانبثّت أهلها ، فأرسل المسلمون ، أن ما لكم ؟! ، فقالوا : « رميتم الينا بالأمان فقبلناه واقررنا بالجزاء على ان تمنعونا ! » ، فقالوا : « ما فعلنا ! »، فقالوا : « ما كذبنا ! » ، فسأل المسلمون فيما بينهم ، فاذا عبد يدعى (مكنفا) كان أصله منها هو الذي كتب لهم الأمان ، فقالوا : « انما هو عبد »، فقالوا : « انا لا نعرف حرّكم من عبدكم . قد جاء أمان ، فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدّل ، فان شئتم فاغدروا » .

وامسك المسلمون عنهم وكتبوا بذلك الى عمر ، فكتب اليهم : « ان الله عظّم الوفاء ، فلا تكونون اوفياء حتى تفوا . مـا دمتم في شك ، أجيزوهم وفوا لهم » . فوفوا لهم وانصرفوا عنهم (١١). فكان فتح (جنديسابور) صلحا (١٢) .

وعند مسير النعمان بن مقرن المزني الى (نهاوند) ، تقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز أن يشغلوا جنود الفرس عن المسلمين ، فأقام زر بن عبد الله مع من أقام بتخوم أصبهان وفارس وقطع امداد فارس عن أهل نهاوند .

وبذلك خفّف زر بن عبدالله من ضغط القوات الفارسية على المسلمين في نهاوند ويسّر للمسلمين النصر على أعدائهم .

الانسان :

سكت التاريخ سكوتا مطبقا عن حياة زر بن عبد الله ، ولم يذكر عنه غير انه أحد بني ربيعة بن مالك (١٤) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم

---

(٨) المقترب : الاسود بن ربيعة صحابي مهاجري ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما اقدمك ؟ » ، فقال : « إقترب بصحبتك» ، فترك الإسود وسمي المقترب، فصحب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد استعمله عمر بن الخطاب في فتح الاهواز على جند البصرة . انظر اسد الغابة (٨٥/١) والطبري (١٨٢/٣)

(٩) الطبري (١٨٢/٣) وابن الاثير (٢١٢/٢) و(٢١٣/٢)

(١٠) السرح : المال والسائم

(١١) الطبري (١٨٨/٣) وابن الاثير (٢١٤/٢)

(١٢) الاصابة (٩/٣)

(١٣) ابن الاثير (٣/٣)

(١٤) اسد الغابة (٢٠٠/٢)

في نفر من بني تميم (١٥) .

اما أعماله العامة ومتى توفي واين ، وأين استقر به المقام .. الخ ، فلا يذكر التاريخ عن كل ذلك شيئا .

لقد كان تقيا ورعا ، مؤمنا حقا ، صادقا وفيا ، كريما سخيا ، قضى حياته كلها في خدمة عقيدته وأمته ، وكان مثالا حيا للسلف الصالح من الرجال استقامة وعدلا وايمانا ...

القـائد :

لم يكن عمر ليولي رجلا من الصحابة على جيش من جيوش المسلمين ما لم يكن قد مارس الحرب وخبرها وأبلى فيها أحسن البلاء .

ونستطيع ان نستنتج من قتاله العنيد لأهل (جنديسابور) وصبره على حصار المدينة ونجاحه في مهمته الى درجة تخاذل اهلها واقدامهم على الاستسلام لمجرد وصول اشارة لأمانهم لا يعرفون مصدرها ، انه كان قائدا يتحلى بالتدريب العالي والضبط المتين ، وكان منتبها يقظا حذرا لا ينام ولا ينيم ، وانه كان مسيطرا على رجاله سيطرة تامة ، مما يدل على شخصيته النافذة ورجولته واقدامه .

زر في التاريخ :

يذكر التاريخ لزر انه فتح بلدا من اهم وأكبر بلدان ولاية الاهواز ونشر الاسلام في ربوعها .

ويذكر له انه كان موضع ثقـة حتى اعدائه ، بحيث صالحوه استنادا على أمان لا يعرفون مصدره ونتائجه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القوي الامين ، التقي النقي ، المجاهد البطل ، القائد الفاتح زر بن عبد الله الفقيمي ..

---

(١٥) الاصابة (٣/١٠)

الـربيع بن زيـاد الحـارثي (١)

فـاتح بيروذ (٢) ومنـاذر (٣) من الأهواز
وفـاتح سجستان (٤) وخراسان (٥) ثانيـة

« رجل ... اذا كان في القوم اميرا ، فكانه ليس بامير ؛ واذا كـان في القـوم ليس بامـير ، فكـأنـه أمير » .

(عمر بن الخطاب)

الصحابي :

لا نعلم متى اسلم الربيع بن زياد الحارثي ، ولكنه كانت له صحبة (٦)،

---

(١) هو الربيع بن زياد بن أنس بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب ابن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد وهو ملحج . انظر جمهرة أنساب العرب (٤١٦-٤١٧) والاصابة (١٩٥/٢) . وفي الاستيعاب (٤٨٨/٢) : الربيع بن زياد بن الربيع . وفي أسد الغابة (١٦٤/٢) : الربيع بن زياد بن الربيع الحارثي ، وقـال غيره : الربيع بن زياد بن أنس بن الديان ... انتهى ما ورد في أسد الغابة . ونسبه الاول هو الاصح ، لاجمـاع اكثر المصادر عليه . واسم الديان : يزيد . انظر جمهرة أنساب العرب (٤١٦) وأسد الغابة (١٦٤/٢) .

(٢) بيروذ : ناحية بين الاهواز ومدينة الطيب ، وهي كبيرة بها نخل كثير ، حتى انهم يسمونها : البصرة الصغرى . ويقال : انها كانت قصبة كورة قديما . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٣٠/٢) . ومدينة الطيب : مدينة بين واسط وبين الاهواز . انظر تقويم البلدان (٣١٤) والمشترك وضعا (٢٩٨) .

(٣) مناذر : هما بلدتان بنواحي الاهواز : منـاذر الكبرى ، ومنـاذر الصغرى . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٠/٨)

(٤) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، يحيطها من الشرق مفازة بين مكران وارض السند وشيء من عمل الملتان ، ومما يلي الغرب خراسان وشيء من عمل الهند ، وممـا يلي الشمال أرض الهند ، ومما يلي الجنوب المفازة التي بين سجستان وفـارس وكرمان . انظر المسالك والممالك للاصطخري (١٢٩) ومعجم البلدان (٣٧/٥)

(٥) خراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق العجمي من الغرب وافغانستان والهند مـن الشرق ، وتقع كرمان وسجستان الى جنوبها ، وتمتد في الشمال الى اقصى تخوم ايران . من امهات مدنها : نيسـابور وهراة ومرو وبلخ . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٤٥ ـ ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣)

(٦) أسد الغابة (١٦٤/٢) والاستيعاب (٤٨٨/٢)

وقد تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانوا في عهده لا يولّون الا الصحابة (٧) .

كما لا نعرف له جهادا تحت لواء الرسول القائد ، لذلك فقد نال الربيع شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

١ ـ كان عمر بن الخطاب قد عهد الى ابي موسى الاشعري ان يسير برجاله متغلغلا في الاهواز ، وذلك لحماية منطقة البصرة من تحرشات الفرس اولا ، ولكي لا يؤتى المسلمون من خلفهم ثانيا ، وحتى لا تكون منطقة الاهواز ميدانا لتحشد الجيوش الفارسية وحلفائهم مما يهدد سلامة العراق اخيرا.

ولكن أبا موسى ابطأ في ارسال جيوشه الى كور الاهواز ، فلما وصلت خيوله الى تلك الكور كان الوقت المناسب قد فات ، فتجمّع في (بَيْروذ) جمع عظيم من الاكراد وغيرهم .

وخرج ابو موسى الاشعري من البصرة متوجها نحو (بيروذ) في رمضان، وكان قد توافى اليها اهل النجدات من اهل فارس والاكراد ليكيدوا العرب المسلمين وليصيبوا منهم عورة ولم يشكوا في واحدة من اثنتين !

والتقى ابو موسى بحشود العدو بين نهر (تِيرَى) (٨) ، و(مناذر)، فقام المهاجر بن زياد الحارثي (٩) وقد تحنّط واستقتل (١٠) ، فعزم أبو

---

(٧) الاصابة (١٩٤/٢) و(٢٠٩/١) و(٢٣٥/٤) ... الخ.

(٨) تيرى : بلد من نواحي الاهواز ، والنهر الذي باسم البلد حفره اردشير الاصغر ابن بابك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٤٠/٢) و(٣٨٠/٨)

(٩) المهاجر بن زياد الحارثي : اخو الربيع بن زياد الحارثي ، في صحبته نظر . شهد مع أخيه معركة (بيروذ) تحت لواء ابي موسى الاشعري ، فأراد ان يشري نفسه وكان صائما، فقال الربيع لابي موسى : « ان المهاجر عزم على ان يشري نفسه وهو صائم » ، فقال ابو موسى : « عزمت على كل صائم ان يفطر او لا يخرج الى القتال » ، فشرب المهاجر شربة ماء وقال : « قد ابررت عزمة اميري ، والله ما شربتها من عطش » ، ثم راح في السلاح فقاتل حتى استشهد ، فأخذ اهل مناذر رأسه ونصبوه على قصرهم بين شرفتين ، وله يقول القائل:

وفي مناذر لما جاش جمعهم ... راح المهاجر في حل باجمال

والبيت بيت بني الديان نعرفه ... في آل مذحج مثل الجوهر الغالي

وقد استشهد سنة سبع عشرة هجرية . انظر اسد الغابة (٤٣٣/٤) والاستيعاب (١٤٥٤/٤) وفيه : انه قتل سنة تسع عشرة هجرية . وانظر البلاذري (٣٧٠ ـ ٣٧١)

(١٠) الطبري (٢٥٨/٣) وابن الاثير (١٨/٣)

موسى على الناس فأفطروا ، فتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل، فاشتد جزع الربيع على أخيه المهاجر .

وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري وهو محاصر أهل (بيروذ) يأمره ان يخلف عليها ويسير الى (السوس) (١١) ، فخلّف الربيع ابن زياد (١٢) ، ففتح الله عليه (بيروذ) من نهر تيرى ، واخذ ما معهم من السبي (١٣) ، كما فتح (مناذر) عنوة ، فصارت (مناذر) الكبرى و (مناذر) الصغرى في أيدي المسلمين (١٤) ، وكان ذلك سنة سبع عشرة هجرية (١٥) (٦٣٨م) .

٢ ـ وكانت (سِجستان) قد فُتحت ايام عمر بن الخطاب ، ولكن أهلها نقضوا من بعده ، فلما توجه عبد الله بن عامر الى (خراسان) سنة احدى وثلاثين الهجرية (١٦) سيّر اليها من (كرمان) (١٧) الربيع بن زياد، فسار اليها حتى نزل (الفهرج) (١٨) ، ثم قطع المفازة (١٩) وهي خمسة وسبعون فرسخا ، فأتى رستاق (زالق) (٢٠) ، فأغار على أهله في يوم (مهرجان) (٢١) وأسر دهقانه فافتدى نفسه ، فحقن الربيع دمه وصالحه على ان يكون بلده كبعض ما افتتح من بلاد فارس وكرمان .

ثم أتى الربيع قرية يقال لها : (كَرْكَوَيْه) (٢٢) ، على خمسة اميال من (زالق) ، فصالحوه ولم يقاتلوه .

---

(١١) السوس : بلدة بالاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥)

(١٢) البلاذري (٣٧١)

(١٣) الطبري (٢٥٨/٣) وابن الاثير (١٨/٣)

(١٤) البلاذري (٣٧١)

(١٥) اسد الغابة (١٦٤/٣)

(١٦) ابن الاثير (٤٩/٣) . وفي البلاذري (٣٨٥) : ان ذلك كان سنة ثلاثين الهجرية.

(١٧) كرمان : ولاية كبيرة مشهورة بين فارس ومكران وسجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٧)

(١٨) الفهرج : بلدة بين فارس واصبهان معدودة من أعمال فارس ثم من أعمال كورة اصطخر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٦/٦)

(١٩) المفازة : الصحراء المهلكة

(٢٠) زالق : من نواحي سجستان ، وهو رستاق كبير فيه قصور وحصون ... انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٩/٤) . وزالق : حصن بينه وبين سجستان خمسة فراسخ. انظر البلاذري (٣٨٥)

(٢١) مهرجان : عيد من اعياد الفرس

(٢٢) كركويه : مدينة من نواحي سجستان ، فيها بيت نار معظم عند المجوس . انظر معجم البلدان (٢٤١/٧)

وَنزل الربيع رستاقا يقال له : (هيسون) (٢٣) ، فأقام له أهله النزل وصالحوه على غير قتال .

وعاد الربيع الى (زالق) وأخذ الأدلاء منها الى (زَرَنج) (٢٤)، وسار حتى نزل (هِندَمند (٢٥) وعبروا واديا يترع منه يقال له : (نوق) (٢٦) ، وأتى (دوشت) (٢٧) ، فخرج اليه اهلها وقاتلوه قتالا شديدا ، فأصيب رجال من المسلمين ، ولكن المسلمين كروا عليهم حتى اضطروهم الى اللجوء الى المدينة بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وسار الربيع الى (ناشروذ) (٢٨) ، فقاتل أهلها وظفر بهم ، ثم مضى منها الى (شرواذ) (٢٩) فغلب عليها وأصاب بها بعض السبي .

وحاصر الربيع (زرنج) بعد أن قاتله أهلها ، فبعث اليه (أبرويز) مرزبانها يستأمنه ليصالحه ، فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له وجلس عليه ، واتكأ على آخر واجلس اصحابه على اجساد القتلى ، فلما رآه المرزبان هاله ، فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ، فدخل الربيع مدينة (زرنج) .

واتى بعد ذلك الربيع (سناروذ) (٣٠) ، وهو واد ، فعبره ، واتى (قرنين) (٣١) فقاتله أهلها ، ولكنه ظفر بهم .

وعاد الربيع الى (زرنج) فأقام بها سنتين ، ثم أتى عبد الله بن عامر واستخلف بها رجلا من بني الحارث بن كعب ، فأخرجوه أهل (زرنج) وأغلقوها .

---

(٢٣) هيسون : لم أجد له ذكرا في معجم البلدان ، والظاهر انه رستاق بين زالق وزرنج

(٢٤) زرنج : مدينة هي قصبة سجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٥/٤) والمسالك والممالك (١٣٩) ومعجم البلدان (٣١٥)

(٢٥) هندمند : اسم نهر مدينة سجستان . انظر معجم البلدان (٤٨٢/٨).

(٢٦) نوق : في معجم البلدان (٣٢٧/٨) وردت : نوقات ، وهي محلة بسجستان ، واهل سجستان يقولون : نوها ، فعربت كما ترى .

(٢٧) دوشت : مدينة بينها وبين زرنج ثلثا ميل . انظر البلاذري (٣٨٥)

(٢٨) ناشروذ : ناحية بسجستان . انظر معجم البلدان (٢٢٧/٨)

(٢٩) شرواذ : ناحية بسجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٧/٥)

(٣٠) سناروذ : اسم نهر سجستان ، ويجري على فرسخ من سجستان ، تشعب منه انهار كثيرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤١/٥)

(٣١) قرنين : قرية من رستاق نيشك من نواحي سجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٦/٧) ، وقد وردت في البلاذري (٣٨٦) : القريتين ، وهذا تصحيف . ونيشك : كورة من كور سجستان ، تشتمل على قرى كثيرة . انظر معجم البلدان (٣٥٩/٨)

وكانت ولاية الربيع سنتين ونصفا ، وسبى في ولايته هذه اربعين الف نسمة ، وكان كاتبه الحسن البصري (٣٢) .

٣ ـ ولما صار الامر الى معاوية بن ابي سفيان ، عزل عبد الرحمن بن سمرة عن (سجستان) وولاها الربيع (٣٣) ، وكان ذلك سنة احدى واربعين الهجرية (٣٤) (٦٦١م) ، فأظهره الله على الترك . وبقي اميرا على (سجستان) الى ان مات المغيرة بن شعبة وهو امير على الكوفة (٣٥)، وذلك سنة خمسين الهجرية (٦٧٠م) (٣٦) ، فولى معاوية زياد بن ابي سفيان الكوفة مع البصرة ، وجمع له العراقين (٣٧) .

٤ ـ وعزل زياد بن ابي سفيان الربيع عن (سجستان) وبعثه الى (خراسان) اميرا سنة احدى وخمسين الهجرية ، وسيَّر معه خمسين الفا بعيالاتهم من أهل الكوفة والبصرة ، فأسكنهم دون النهر (نهر جيجون) في (خراسان) ، فلما قدمها غزا (بلخ) (٣٨) ففتحها صلحا ، وكانت قد اغلقت أبوابها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس التميمي . وفتح (قهستان) (٣٩) عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك ، فبقي منهم (نيزك طرخان) ملك الترك، فقتله قتيبة بن مسلم الباهلي في ولايته (٤٠) .

وهكذا استطاع الربيع ان يشيع الامن والاستقرار في ربوع (خراسان) وأعادها الى بلاد الاسلام .

---

(٣٢) البلاذري (٣٨٥ ـ ٣٨٦) ، وانظر ابن الاثير (٤٩/٣) وفيه : ان الربيع اقام بزرنج سنة واحدة ، فكانت ولاية الربيع سنة ونصف .

(٣٣) الاستيعاب (٤٨٨/٢) واسد الغابة (١٦٤/٢) .

(٣٤) ابن الاثير (١٦١/٣) والطبري (١٢٦/٤) وشذرات الذهب (٥٢/١) والعبر (٤٧/١)

(٣٥) الاستيعاب (٤٨٨/٢)

(٣٦) قادة فتح العراق والجزيرة (٤٠٥)

(٣٧) الاستيعاب (٤٨٨/٢)

(٣٨) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٣/٢) والمسالك والممالك (١٥٤) وآثار البلاد (٣٣١) وتقويم البلدان (٤٦٠) والمسالك والممالك لابن حرداذبة (٣٤) وأحسن التقاسيم (٢٩٥) ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (٣٢٢)

(٣٩) قهستان : وردت كذلك في ابن الاثير (١٩٤/٣) ، وقد وردت في البلاذري (٣٩٤) : قوهستان وكذلك في معجم البلدان (١٨٧/٧) والمسالك والممالك (١٥٤) ، وهي تعريب : كوهستان ، ومعناه : موضع الجبال ، لأن كوه هو الجبل بالفارسية ، وهي ولاية بين هراة ونيسابور .

(٤٠) ابن الاثير (١٩٤/٣) ، وانظر البلاذري (٤٠٠) واسد الغابة (١٦٤/٢)

الانسان :

١ ــ كان الربيع آدم (٤١) افوَه (٤٢) طويلا (٤٣) ، وفي رواية : انه ابيض خفيف اللحم خفيف الجسم (٤٤) ، له صحبة وليست له رواية ، وقد ادرك ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقدم المدينة الا في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤٥) .

٢ ــ كان عاملا لأبي موسى الاشعري على البحرين (٤٦) ، وقد وفد يومئذ على عمر فقال له : « ما أقدمك ؟ » ، فقال : « قدمت وافدا لقومي » ، فأذن عمر للمهاجرين والانصار والوفود ، فتقدم الربيع فقال : « يا أمير المؤمنين ! والله ما وليت هذه الامة الا ببلية ابتليت بها ، ولو ان شاة ظلت بشاطىء الفرات لسئلت عنها يوم القيامة » ، فانكب عمر يبكي ثم رفع رأسه وقال : « ما اسمك ؟ »، فقال : « الربيع بن زياد » . وله مع عمر أخبار كثيرة . فكتب عمر الى ابي موسى ان يقره على عمله (٤٧) ، وهذا دليل على صراحته وقوته في الحق .

وعن الربيع بن زياد ، انه وفد على عمر فأعجبته هيئته ، فشكى عمر وجعا به من طعام يأكله ، فقال : « يا امير المؤمنين ! ان احق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطيء لأنت » (٤٨) ، مما يدل على اقدامه دون تردد على ابداء رأيه الصريح الواضح ، واعلان ما يعتقده دون مواربة .

والظاهر ان ابا موسى الأشعري ولاّه فتح (بيروذ) قبل توليته (البحرين) ، لأن ابا موسى تولى البصرة سنة سبع عشرة الهجرية (٤٩) ، فولى الربيع فتح (بيروذ) من تلك السنة ، مما يدل على أن أبا موسى ولى الربيع البحرين بعد ذلك ، أي حوالي سنة ثمان عشرة الهجرية .

٣ ــ وتولى سجستان وخراسان كما اسلفنا ، فأعادهما الى الطاعة واشاع فيهما الامن والاطمئنان ، مما يدل على انه كان اداريا حازما .

قال زياد بن ابي سفيان عن الربيع : « ما كتب قط الا في اختيار

---

(٤١) آدم : اشتدت سمرته ، فهو آدم وهي أدماء ، جمعها : ادم .

(٤٢) أفوه : انفرجت شفتاه عن اسنانه .

(٤٣) طبقات ابن سعد (٦/١٦٠)

(٤٤) البلاذري (٣٨٦)

(٤٥) الاصابة (٢/١٩٥)

(٤٦) الاصابة (٢/١٩٥)

(٤٧) الاصابة (٢/١٩٥)

(٤٨) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٧٧)

(٤٩) ابن الاثير (٢/٢٠٩)

منفعة او دفع مضرة » (٥٠) ، ممـا يدل على حرصه على المصلحة العـامة وتكريس حياته كلها لهذه المصلحة .

٤ ــ وكان الربيع اذا سار في موكب ، فلا تتقدم دابته على دابة من الى جانبه ، ولا تمس ركبته ركبة من الى جانبه (٥١) ، مما يدل عـلى تمسكه الشديد بآداب رفقة الطريق ، وانعدام الانانية والتكبر والعلو في نفسيته .

قال عمر بن الخطاب يوما لأصحابه : « دلوني على رجل ، اذا كان في القوم اميرا ، فكأنه ليس بأمير ، واذا كان في القوم وليس بأمير ، فكأنه امير»، فقالوا : «ما نعرف الا الربيع بن زياد الحارثي»، فقال عمر : «صدقتم» (٥٢)، وهذا يدل على تواضعه الجم حين يكون اميرا ، واعتداده بنفسـه حين لا يكون، وظهور فضله على غيره في الحالتين ، فهـو شخصيـة بارزة بدون امارة ، والامارة لا تزيده الا تواضعا .

ولا بد ان تكون عوامل كثيرة كوّنت شخصية الربيع اللامعة المتميزة، وجعلتها موضع اجماع الناس على احترامها ، ولعل من هذه العوامل تمسك الربيع بمبادئه ، واستعداده الكامل للتضحية من أجلها ، واعلانه قولة الحق مهما تكن الظروف والاحوال .

كتب اليه زياد بن أبي سفيان : « ان أمير المؤمنين معاوية كتب يأمرك ان تحرز (٥٣) الصفراء والبيضاء وتقسم ما سوى ذلك » ، فكتب الربيع الى زياد : « اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين !» ، ونادى في الناس أن : « اغدوا على غنائمكم » ، فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين(٥٤)، وهذا يدل على تمسكه الشديد بأهداب الشريعة السمحاء وعدم الاذعان لما يخالفها .

٥ ــ توفي الربيـع في خراسان سنـة ثلاث وخمسين الهجرية (٥٥) (٦٧٢م) ، وقد سأله عمر بن الخطاب حين قدم عليه حوالي سنـة ثمان عشرة الهجرية عن سنّه ، فقال : « خمس وأربعون » (٥٦) ، اي انه ولد سنة سبع وعشرين قبل الهجرة (٥٩٥م) ، فيكون عمره يوم مات ثمانين سنة قمرية .

---

(٥٠) الاستيعاب (٤٨٨/٢)
(٥١) أسد الغابة (١٦٤/٢)
(٥٢) الاصابة (١٩٥/٢)
(٥٣) أحرز : حاز . يقال : أحرز ماله ، ادخره لوقت الحاجة .
(٥٤) اسد الغابة (١٦٤/٢) والاصابة (١٩٥/١)
(٥٥) البداية والنهاية (٦١/٨) والبلاذري (٤٠١)
(٥٦) الاصابة (١٩٥/٢)

وقد ذكر أن سبب موته ، هو أنه دعا الله أن يميته بعد ان كتب الى زياد : « وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين » ، ومبادرته الى تقسيم الفنائم بين أهلها غير مكترث لأمر معاوية ولا لأمر زياد ، فدعا الله أن يميته فما جمع حتى مات (٥٧) ، وهذا دليل على جزعه الشديد من بدء الانحراف عن تعاليم الاسلام .

وفي رواية ، أنه لما اتاه مقتل حجر بن عدي (٥٨) ، قال : « اللهم ان كان للربيع عندك خير ، فاقبضه » ، فلم يبرح من مجلسه حتى مات (٥٩) ، وكان قد ذكر مقتل حجر بن عدي فأسف عليه وقال : « لا تزال العرب تقتل صبرا بعده ، ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا ، ولكنها أقرت فذلت»، فمكث بعد هـذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة في ثياب بياض ، فقال : « أيها الناس ! اني قد مللت الحياة ، واني داع بدعوة فأمّنوا » ، ثم رفع يده بعد الصلاة وقال : « اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلا » ، وأمّن الناس ، فخرج فما توارت ثيابه حتى سقط ، فحمل الى بيته (٦٠). وكان قد اسف على حجر بن عدي حين سمع بمقتله ، فقال : « والله لو ثارت العرب له لما قتل صبرا ، ولكن أقرت العرب فذلّت » (٦١) . ومهما يكن من امر ، فان كل ذلك يدل على شدة ورعه واستنكاره لكل ظلم ، وانه لا ينسى أصدقاءه في ساعة محنتهم ويدافع عنهم اعظم الدفاع .

٦ ــ كان الربيع متواضعا خيّرا (٦٢) ، وكان ورعا تقيا نقيا خائفا الله ملتزما بحدود أوامره ونواهيه . يكفي أن نعلم ان الحسن البصري كان كاتبه ب (خراسان) (٦٣) . لم يشترك في الفتنة الكبرى بقلبه ولا بلسانه ولا بسيفه ، وكان صريحا واضحا ، واداريا حازما ، يعمل للمصلحة العامة وحدها ، ولا نعرف أنه جمع الاموال والعقار طيلة حياته العامة ، فقد عاش فقيرا ومات فقيرا ، ولكنه أرضى ضميره فكان اغنى الاغنياء .

انه مثال رفيع للمؤمن الحق وللخلق الكريم ...

---

(٥٧) الاصابة (١٩٥/٢) واسد الفابة (١٦٤/٢)

(٥٨) حجر بن عدي : هو حجر بن عدي الكندي ، يكنى : أبا عبد الرحمن . وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وشهد القادسية ، وشهد الجمل وصفين مع علي بن ابي طالب . قتله معاوية سنة ثلاث وخمسين الهجرية . انظر التفاصيل في المارف (٣٣٤) والاصابة (٣٢٩/١) واسد الفابة (٣٨٥/١) والاستيعاب (٣٢٩/١) وطبقات ابن سعد (٢١٧/٦ ــ ٢٢٠)

(٥٩) اسد الفابة (١٦٤/٢)

(٦٠) الطبري (٢١٦/٤ ــ ٢١٧) وابن الاثير (١٩٥/٣)

(٦١) البداية والنهاية (٦١/٨)

(٦٢) طبقات ابن سعد (١٥٩/٦) واسد الفابة (١٦٤/٢)

(٦٣) المعارف (٤٤١)

القـائد :

كان الربيع اول من أمر الجند بالتناهد (٦٤) ، وذلك لتقوية معنوياتهم واذكاء روح التعاون فيما بينهم .

والظاهر من حروبه ، انه كان قائدا يجيد فن الحصار ، والحصار لا يجيده الا القائد المدرب الذي يتحلى بالضبط المتين ، والذي يمتاز بالحذر واليقظة فلا يفسح المجال لعدوه أن يستفيد من المصادر الخارجية لأدامة قواته المحصورة بالمواد التموينية وبالاسلحـة والعتـاد وبالقضايا الادارية الحيوية الاخرى وبذلك يقوى على اطالة امد الحصار . كمـا أن القـائد الصبور هو الذي ينجح في مغالبة عدوه في الحصار لاجباره على الاستسلام.

وعبوره المفازة بجيوشه ، دليل آخر على شدة ضبطه وصبره ، كمـا انه دليل على تحمله المشاق دون كلل ولا ملل ، كما انه دليل على تشبعـه بروح (المباغتة) أهم مبادىء الحرب ، فقد سلك طريقـا لا يتوقع العـدو سلوكها ، وبذلك باغت عدوه بالمكان والزمان .

لقد استطاع الربيع ان يتغلب عـلى أعدائه الكثيرين بجيشه القليـل نسبيا الى جانب جيش عدوه ، وهذا دليل على معرفتـه أساليب القتـال وتطبيقه مبادىء الحرب بكفاءة .

وكان لأخلاقه الكريمة وماضيه المجيـد أثـر حاسم في تعلق رجاله به وثقتهم التي لا حدود لها بشخصه ، كما كـان لذلك اثر حاسم عـلى تعلق رؤسائه به وثقتهم الكاملة بتصرفاته ، لذلك أوكل له رؤساؤه أمر معـالجة أصعب الجبهات في أصعب الظروف ، فاستطاع بحنكته وبعد نظره التغلب على تلك الصعاب .

بل انه كـان موضـع ثقـة حتى أعدائه ، مما جعل الامور تستتب فـي (سجستان) و (خراسان) في أيامه وتنتقض من بعـده ، ممـا يدل علـى أن حربه كانت انسانية وفقا لتعاليم الاسلام في الحرب .

لقد كان الربيع قائدا ممتازا .

الربيع في التاريخ :

يذكر التاريخ للربيع فتحه مناطق واسعة من الاهواز ، واستعـادته مناطق أوسع في (سجستان) و(خراسان) .

ويذكر له ايمانه العميق ونكرانه ذاته ، وخلقه القويم .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الاداري الحازم ، القوي الامين ، الفارس البطل ، الأمير الانسان ، والانسان الامير ، الربيع بن زياد الحارثي .

---

(٦٤) التناهد : نهض بعضهم الى بعض للمحاربة . انظر ما جاء عن الربيع حول التناهد في البلاذري (٤٠٠)

سلمة بن قيس الأشجعي

فاتح جبال الأكراد في الأهواز

الصحابي :

لا نعلم متى أسلم سَلَمَة بن قيس الأشجَعي ، ولكن له صحبة (٢) ، وقد ولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه القيادة وكان لا يولي الا الصحابة (٣) .

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن جهاده في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـاده :

لا بد ان سلمة اثبت جدارة في قيادة الجيوش في المعارك التي خاضها المسلمون وكان له ماض مشرف في جهاده ، لأن عمر كان يلتزم بشروط معينة يريدها ان تتوفر في القائد قبل ان يوليه منصب القيـادة : منهـا ان يكون صحابيا ، وأن يكون مجربا للحروب ، والا يكون من المرتدين ... الخ (٤)

ولكننا لا نعلم شيئاً عن المعارك التي خاضها سلمة ولا عن بلائه فيها ، فقد ضنّت المصادر المتيسرة عندنا بالحديث عن جهاده وجهوده في حروب الردة وحروب الفتح الاسلامي .

واول ما ورد ذكر سلمة في حروب أكراد الاهواز ، فقد كان عمر رضي الله عنه ، اذا اجتمع اليه جيش من أهل الايمان امَّر عليهم رجلا من أهـل العلم والفقه ، فاجتمع اليه جيش بعث عليهم سلمة وقال له : « سر باسم الله . قاتل في سبيل الله من كفر بالله ، فاذا لقيتم عدوكم من المشركـين فادعوهم الى ثلاث خصال : ادعوهم الى الاسلام ، فان أسلموا فاختـاروا دارهم فعليهم في اموالهم الزكاة وليس لهم من فيء المسلمين نصيب (٥)، وان

---

(١) من أشجع بن ريث بن غطفان . انظر اسد الغابة (٢/٣٣٩) والاستيعاب (٢/٦٤٢)

(٢) الاصابة (٣/١١٨) وطبقات ابن سعد (٦/٣٣)

(٣) الاصابة (٢/١٩٤) و(٤/٢٣٥) و(١/٣٠٩)

(٤) انظر شروط القيادة عند عمر بن الخطاب في كتاب : الفاروق القائد ص (٣٢ ـ ٣٦)

(٥) يريد : اختاروا القعود ولم يعاونوكم في الجهاد .

اختاروا ان يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم (٦) ، وان أبوا فادعوهم الى الخراج (٧) ، فان اقروا فقاتلوا عدوهم من ورائهم ففرّغوهم لخراجهم ولا تكلّفوهم فوق طاقتهم ، فان أبوا فقاتلوهم فان الله ناصركم عليهم ، فان تحصنوا منكم في حصن فسألوكم ان ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله ، فلا تنزلوهم على حكم الله فانكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم ، وان سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله واعطوهم ذمم أنفسكم ، فان قاتلوكم فلا تغلّوا (٨) ولا تغدروا ولا تمثّلوا (٩) ولا تقتلوا وليدا » ، فسار سلمة بجيشه حتى التقى بمشركي الاكراد ، فدعاهم الى ما أمر به امير المؤمنين عمر ، فأبوا أن يسلموا ، فدعاهم الى الجزية فأبوا ان يقروا . . . عندذاك قاتلهم وانتصر عليهم ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وجمع الرثة (١٠) ، ثم بعث رجلا الى عمر لاخباره عن انتصار المسلمين (١١) .

وبذلك حقق سلمة للمسلمين نصرا مؤزّرا على عدوهم في منطقة منيعة من ارض الاهواز .

الانسان :

رأى سلمة من جملة الغنائم في تلك المعركة شيئا من حلية ، فقال لرجاله : « ان هذا لا يبلغ فيكم شيئا ، فتطيب انفسكم أن نبعث به الى امير المؤمنين ؟ فان له بردا (١٢) ومؤونة » ، فقالوا : « نعم ، قد طابت أنفسنا » ، فجعل تلك الحلية في سفط (١٣) ثم بعث برجل من قومه فقال : « اركب بها فاذا أتيت البصرة ، فاشتر على جوائز امير المؤمنين راحلتين فأوقرهما زادا لك ولغلامك ، ثم سر الى امير المؤمنين » ، ففعل . وقدم الرسول بالبشارة وبالسفط الى عمر وهو يغدّي الناس متكئا على عصا كما يصنع الراعي ،

---

(٦) يريد : اذا كانوا معكم في جهاد عدوكم .

(٧) وزد كذا في الطبري (٣/٢٦٠) . اما في ابن الاثير (٣/١٩) فقد ورد : الجزية . والجزية على الرؤوس والخراج على الارض . وبذلك يكون ما ورد في ابن الاثير أصح .

(٨) تغلوا : أغل الرجل ، خان في المغنم او مال الدولة .

(٩) تمثلوا : تنكلوا بالانسان بجدع انفه او قطع اذنه او غيرها من اعضائه .

(١٠) الرثة : البالي والسقط من متاع البيت .

(١١) الطبري (٣/٢٦٠ ـ ٢٦١) وانظر ابن الاثير (٣/١٩)

(١٢) برد : برد حقه على فلان ، اي لزم وثبت . ويريد ان امير المؤمنين له حق علينا واجب الاداء .

(١٣) سفط : وعاء يوضع فيه الطيب وما اشبهه .

وهو يدور على القصاع يقول : « يا يرفأ ! زد هؤلاء لحما ... زد هؤلاء خبزا ... زد هؤلاء مرقة » .

قال رسول سلمة : « فلما دفعت اليه قال : اجلس ، فجلست في ادنى الناس ، فاذا طعام فيه خشونة ، طعامي الذي معي أطيب منه ، فلما فرغ الناس قال : يا يرفأ ! ارفع قصاعك . ثم أدبر فأتبعته ، فدخل دارا ، ثم دخل حجرة ، فاستأذنت وسلمت ، فأذن لي ، فدخلت عليه ، فاذا هو جالس على مِسْح (١٤) متكىء على وسادتين من أدم (١٥) محشوتين ليفا ، فنبذ الي بأحدهما فجلست عليها ، فاذا بهو في صُفّة (١٦) فيها بيت عليه ستير ، فقال : يا أم كلثوم ! غداءنا . فأخرجت اليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق . فقال : يا ام كلثوم ! ألا تخرجين الينا تأكلين معنا من هذا ؟ قالت : اني اسمع عندك حس رجل . قال : نعم ولا أراه من أهل البلد . قالت : لو اردت أن اخرج الى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته، وكما كسا الزبير امراته ، وكما كسا طلحة امراته ! قال : وما يكفيك ان يقال: أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب وامراة امير المؤمنين عمر ؟ فقالت : ان ذلك عني لقليل الفناء . فقال عمر : كل ، فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا ! قال : فأكلت قليلا ، وطعامي الذي معي أطيب منه ، وأكل فما رأيت احدا احسن اكلا منه . ما يتلبس (١٧) طعامه بيده ولا فمه . ثم قال : اسقوني ! فجاءوا بعُس (١٨) من سُلْت (١٩) ، فقال : اعط الرجل، فشربت قليلا ، سويقي الذي معي أطيب منه ، ثم اخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته وقال : الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا . ثم قال : انك لضعيف الاكل ضعيف الشرب . وقال : أيضا ؟ قلت : رسول سلمة ! قال : مرحبا بسلمة وبرسوله ، وكأنما خرجت من صلبه . حدثني عن المهاجرين كيف هم ؟ قلت : هم يا امير المؤمنين كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم . قال : كيف اسعارهم ؟ قلت : أرخص اسعار ! قال : كيف اللحم فيهم ؟ فانها شجرة العرب لا تصلح العرب الا بشجرتها . قلت : البقرة فيهم بكذا والشاة فيهم بكذا . يا امير المؤمنين ! سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين ، فدعوناهم الى ما أمرتنا به من الاسلام فأبوا ، فدعوناهم الى الخراج فأبوا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية

---

(١٤) مسح : الكساء من شعر ، وثوب الراهب ، والجادة من الارض

(١٥) ادم : جلد .

(١٦) الصفة : الظلة . والبهو الواسع العالي السقف .

(١٧) تلبس : تلبّس الطعام باليد ، التزق . يريد انه يلتهم طعامه التهاما .

(١٨) عس : القدح الكبير .

(١٩) سلت : ضرب من الشعير ليس له قشر يشبه الحنطة .

وجمعنا الرثة ، فرأى سلمة في الرثة حلية فقال للناس : ان هذا لا يبلغ فيكم شيئا ، فتطيب انفسكم ان أبعث به الى امير المؤمنين ؟ فقالوا : نعم . فاستخرجت سفطي ، فلما نظر الى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر واخضر ، وثب ثم جعل يده في خاصرته ، ثم قال : لا اشبع الله اذاً بطن عمر ! فظن النساء أني اريد ان اغتاله ، فجئن الى الستر ، فقال كف ما جئت به ، يا يرفأ ! جأ (٢٠) عنقه ! قال : فأنا أصلح سفطي وهو يجأ عنقي . قلت : يا أمير المؤمنين ! ابدع بي فاحملني . قال : يا يرفأ ! أعطه راحلتين من الصدقة ، فاذا لقيت أفقر اليهما منك فادفعهما اليه . قلت : أفعل يا امير المؤمنين . قال : اما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتيهم قبل ان يقسم هذا فيهم ، لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة (٢١) . قال : فارتحلت حتى أتيت سلمة فقلت : ما بارك الله لي فيما اختصصتني به ! اقسم هذا في الناس قبل ان يصيبني وإياك فاقرة ! فقسمه فيهم ، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم وهو خير من عشرين الفا» (٢٢) .

لا املك ان أعلق على هذا الكلام بشيء ، ولا يملك غيري ان يعلق .. الا اذا اراد ان يفسد معانيه .. ان أبلغ تعليق عليه سيفسد روعته ويسدل عليه ستارا ماديا فقط ، وهذا الكلام كله روح .

ولكنني اقول : كيف كانوا ، وكيف اصبحنا ؟! كيف كان حكامهم ، وكيف أصبحوا !! بهذه الاستقامة المطلقة اندفع المسلمون شرقا وغربا .. فلما تخلوا عن مثلهم العليا انكمشوا حتى في عقر بلادهم شرقا وغربا .

بمثل هذه المثل العليا فتح المسلمون ما فتحوا ، فلا يدهشن احد من سرعة تيار الفتح الاسلامي ... انه كان بالروح التي اخترقت الحجب واجتازت الحدود وهدمت السدود وحطمت القيود ... انها الروح التي تتغلغل الى كل مكان بأسرع وقت وأقصر زمان ، أما المادة وحدها ، فهل تستطيع ذلك ؟؟!!

ترى ! هل في العالم كله مثل هذه النزاهة المطلقة ومثل هذا السمو الروحي ؟؟ اني أتحدى ...

نزل سلمة الكوفة (٢٣) وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢٤)،

---

(٢٠) وجأ فلانا يجؤه وجئا : دفعه بجمع كفه في الصدر او العنق . ويقال : وجاه باليد والسكين ، اي ضربه .

(٢١) الفاقرة : الداهية ، اي تقعون في داهية ..

(٢٢) الطبري (٣/٢٦١ – ٢٦٢) وانظر ابن الاثير (٣/١٩)

(٢٣) طبقات ابن سعد (٦/٣٣) والاصابة (٣/١١٨)

(٢٤) الاصابة (٣/١١٨)

وقد روى سبعة احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢٥) وروى عنه بعض الرجال (٢٦) وكان من أهل العلم والفقه (٢٧) .

وسكت عنه المؤرخون فلم يذكروا عنه شيئا آخر ، ولكن حسبه أن يترك للاجيال قصته الخالدة مع عمر بن الخطاب ، وكفى ...

القائد :

الحق انه ليس من السهل استنباط سجايا سلمة القيادية من أعماله العسكرية في الاهواز ، لأن التاريخ لم يذكر تفاصيلها التي تساعد مؤرخه ان يفعل ذلك .

ولكن دراسة اسلوب عمر في انتقاء القادة ، تجعلنا نتبين بوضوح ان سلمة كان يمتاز ببعض الصفات التي اهلته لأن يتولى منصب القيادة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وما اصعب ان يتولى مثل هذا المنصب رجل في عهد عمر ، ما لم تتوفر فيه مزايا قيادية ممتازة .

فقد رأينا انه كان فقهيا عالما ، ولا بد ان يكون له ماض مجيد في الحروب ، ولا بد ان يكون ذا شخصية قوية نافذة ، محبوبا من رجاله موثوقا به ، يبادل رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، ميمون النقيبة كامل العقل بصيرا بتدبير الحروب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، حسن التعبية ، حسن السيرة عفيفا صارما حذرا متيقظا شجاعا سخيا (٢٨) .

لقد كان سلمة قائدا جيدا ...

سلمة في التاريخ :

يذكر التاريخ لسلمة قضاءه على مقاومة الاكراد في الاهواز واخضاعهم لسيطرة دولة الاسلام .

ويذكر له قصته الممتعة ذات العبر التي لا تنقضي مع عمر بن الخطاب .

رضي الله عن الفارس المغوار ، التقي النقي ، العالم العامل ، الفقيه المحدث ، القائد الفاتح ، سلمة بن قيس الأشجعي الغطفاني .

---

(٢٥) اسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٢٨٧) وفي الاصابة (١١٨/٣) : انه روى ثلاثة احاديث .

(٢٦) الاستيعاب (٦٤٢/٢) واسد الغابة (١٣٣٩/٢) والاصابة (١١٨/٣)

(٢٧) الطبري (٢٦٠/٣) وابن الاثير (١٩/٣)

(٢٨) انظر مزايا القائد في مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٧) .

أبو موسى الأشعري

فاتح الأهواز[1] والسوس[2] وأصبهان[3] والدينور[4] وماسبذان[5] وقم[6] وقاشان[7]

« سيد الفوارس ابو موسى »
(محمد رسول الله)

مع النبي :

أبو موسى الاشعري هو : عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضَّار بن حرب بن عامر الاشعري (٨) . وأمه ظبية بنت وهب بن علّ (٩) ؛ وهو من

---

(١) الاهواز : منطقة واسعة مؤلفة من سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ويجمعهن الاهواز . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٠/١) ويقال لها : خوزستان . انظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (١٥٢)

(٢) السوس : بلد بالاهواز ، وهي تعريب الشوش ، ومعناه : الحسن والنزه والطيب. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) والمسالك والممالك ص (٦٤) .

(٣) أصبهان : او أصفهان ، مدينة عظيمة كانت عاصمة من عواصم العراق العجمي يطلق عليه اسمها . وكانت تتألف من مدينتين : جيّ واليهودية ، وجيّ هي القصبة . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٩/١)

(٤) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين ؛ بين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخا ، ومن الدينور الى شهرزور أربع مراحل ، والدينور بمقدار ثلثي همذان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٨/٤) والمسالك والممالك ص (١١٧)

(٥) ماسبذان : مدن عدة أطلق عليها اسم مدينة : ماسبذان ، وهي مدينة مشهورة بقرب السيروان تقع في وسط الطريق بين حلوان وجنديسابور . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٦٠)

(٦) قم : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة اسلامية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٤٢)

(٧) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ، بينها وبين قم اثنا عشر فرسخا . انظر معجم البلدان (١٣/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٢) .

(٨) انظر نسبه في طبقات ابن سعد (١٠٥/٤) والاصابة (١١٩/٤) وأسد الغابة (٢٤٥/٣) والاستيعاب (٩٧٩/٣)

(٩) الاستيعاب (٩٧٩/٣)

بني الأشعر من قحطان . ولد في (زَبِيد) (١٠) باليمن وقدم مكة مع اخوته في جماعة من الاشعريين ، فحالف سعيد بن العاص بن أمية ابا أحيحة ، ثم أسلم بمكة (١١) وهاجر الى أرض الحبشة (١٢) ؛ وقيل : بل رجع الى بلاده وقومه ولم يهاجر الى الحبشة (١٣) ؛ والصحيح ، أن أبا موسى انصرف الى قومه بعد اسلامه ، فأقام بها ، ثم قدم مع اخوته وبعض الاشعريين نحو خمسين رجلا في سفينة ، فألقتهم الريح الى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه منها عائدين الى المدينة المنورة ، فأتوا معهم وقدمت السفينتان معا : سفينة الاشعريين وسفينة جعفر وأصحابه — على النبي صلى الله عليه وسلم في حين فتح (خيبر) (١٤) . ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم ابي موسى وجماعته، بشّر اصحابه بمقدمهم قائلا : « يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوبا » ، فقدم الاشعريون فيهم أبو موسى ؛ فلما دنوا من المدينة المنورة جعلوا يرتجزون :

اليوم نلقى الأحبه محمدا وصحبه (١٥) .

ولما نزلت الآية الكريمة : (فسوف يأتي الله بقوم ، يحبهم ويحبونه)، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « هم قوم هذا » ، يعني : أبا موسى الاشعري (١٦) .

وكانت (خيبر) أول مشاهد أبي موسى (١٧) . وبرز اسمه في غزوة (حُنين) ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري عم أبي موسى (١٨) لمطاردة المنسحبين من المشركين بعد (حنين) باتجاه (أوطاس) (١٩ أ) ، اذ تجمعت هوازن هناك ، ولكن أبا عامر استشهد فأخذ

(١٠) زبيد : اسم واد به مدينة غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف الا به . وهي مدينة مشهورة باليمن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٤)

(١١) الاصابة (١١٩/١٤) وأسد الغابة (٢٤٥/٣) وطبقات ابن سعد (١٦/٦)

(١٢) سيرة ابن هشام (٤١٦/٣) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٥٨) .

(١٣) الاستيعاب (٩٨٠/٣)

(١٤) طبقات ابن‌سعد (١٠٦/٤) والاستيعاب (٩٦٠/٣)

(١٥) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤)

(١٦) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤)

(١٧) طبقات ابن سعد (١٦/٦)

(١٨) أبو عامر الاشعري : اسمه عبيد بن سليم ، وهو عم أبي موسى . أسلم قديما وهاجر الى الحبشة . ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعثه الى (أوطاس) فلقي دريد بن الصمّة فقتله . ثم رمي بسهم في ركبته ، فأشار الى قاتله قائلا : ان هذا قاتلي ، فقصده أبو موسى وقتله . ومات أبو عامر شهيدا من تلك الرمية . انظر الاصابة (١٢٠/٧) وانظر التفاصيل في الاستيعاب (١٧٠٤/٤)

(١٩ أ) اوطاس : واد في ديار هوازن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٥/١)

أبو موسى الراية وشدّ على قاتل عمــه فقتله (١٩) ؛ وقيل : ان أبا موسى قتل يومئذ تسعة اخوة من المشركين : يدعو كل واحد الى الاسلام ثم يحمل عليه فيقتله (٢٠) ؛ وكانت نتيجة هذه المعركة انتصار المسلمين بقيــادة ابي موسى على المشركين . وعاد أبو موسى الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا لعمه الشهيد ودعا له قائلا : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخلــه يوم القيامة مدخلا كريما » (٢١) .

لقد كان ابو موسى موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسـلم : بعثــه ومعاذ بن جبل الى اليمن ، وولاه (زَبِيد) و (عدن) (٢٢) و (رِمَع) (٢٣) والساحل (٢٤) ؛ وكان أحد اثنين أذنا عليه (٢٥) . ولما ولد لأبــي موسى غلام اتى به النبي صلى الله عليــه وسلم ، فسماه : ابراهيم ، وحنّــكه بتمرة (٢٦) ؛ ممــا يدل على ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي موسى وتقريبه له واعتماده عليه .

جهــــاده :

١ ـ كان أبو موسى على عمله باليمن حين ظهر بها الاسود العنســـي مدّعيا النبوة ، وذلك في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أشتد أمر الاسود العنسي لحق أبو موسى مع أمراء اليمن الآخرين بحضرموت ، فبذلوا أقصى جهودهم للقضاء على الاسود العنسي ، فنجحوا في قتله وتفريق شمل رجاله ، وعادت اليمــن الى الاسلام قبل أيام قليلة من وفاة النبــي صلى الله عليه وسلم ، فوصل البشير الى المدينة حيث وجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد التحق بالرفيق الاعلى (٢٨) .

---

(١٩) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٩) والاستيعاب (١٧٠٤/٤) والاصابة (١٢٠/٧) وفتح الباري بشرح البخاري (٣٤/٨)

(٢٠) جوامع السيرة ص (٢٤١)

(٢١) سيرة ابن هشام (٨٧/٤) وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٣٥/٨) حول دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى .

(٢٢) عدن : مدينة تجارية على ساحل البحر العربي من ناحية اليمن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٢٧/٦)

(٢٣) رمع : قرية أبي موسى ببلاد الاشعريين في اليمن قرب غسان وزبيد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٥/٤)

(٢٤) جوامع السيرة ص (٢٣) والاصابة (١١٩/٤)

(٢٥) جوامع السيرة ص (٢٧)

(٢٦) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤)

(٢٧) ابن الاثير (١٢٨/٢)

(٢٨) ابن الاثير (١٣٠/٢) .

وارتد أهل اليمن ثانية في عهد الصديق أبي بكر ، فكان لصمود أبي موسى مع من ثبت على الاسلام أثر كبير في انتصار المسلمين على أهل الردة وعودة المرتدين الى الاسلام .

٢ ـ وبقي أبو موسى عاملاً على (زبيد) و(رمع) و(عدن) والساحل طيلة أيام أبي بكر (٢٩) ، ولكنه آثر الجهاد في عنفوان موجة الفتح الاسلامي ؛ فكان مع عياض بن غنم في فتح (الجزيرة) حيث أرسله لفتح (نَصيْبين) فشهد فتحها (٣٠) .

٣ ـ والتحق أبو موسى بأبي عبيدة بن الجراح بأرض الشام بعد فتح (الجزيرة) فشهد بعض فتوحات الشام تحت لواء أبي عبيدة (٣١) وبقي مع أبي عبيدة حتى مات بالطاعون فشهد أبو موسى موته (٣٢) .

٤ ـ ولما عزل عمر بن الخطاب المغيرة بن شُعْبة عن البصرة استعمل أبا موسى عليها (٣٣) وكانت البصرة حينذاك من أكبر قواعد المسلمين ؛ منها تسير الجيوش لفتح المشرق ، فجمع أبو موسى قواته ودفعها الى مدينة (الاهواز) ففتحها (٣٤) ، كما شهد فتح مدينة (السوس) (٣٥) ، اذ كان على أهل البصرة وكان القائد العام هو أبو سبرة بن أبي رُهْم ، فشهد أبو موسى فتح هذه المدينة (٣٦) .

وسار أبو موسى الى (تُستَر) (٣٧) على راس أهل البصرة فشهد فتحها (٣٨) ، ولكن عمر بن الخطاب ردّه الى البصرة (٣٩) .

---

(٢٩) الطبري (٦١٧/٢) وابن الاثير (١٦١/٢) .

(٣٠) في الطبري (١٥٦/٣) وابن الاثير (٢٠٦/٢) واسد الغابة (٢٤٦/٣) ؛ انه فتح نصيبين . والصحيح أن الذي فتح نصيبين هو عبدالله بن عبدالله بن عتبان . انظر الطبري (١٥٦/٣ ـ ١٥٧) وابن الاثير (٢٠٥/٢ ـ ٢٠٦) ، وانظر ترجمة عبد الله بن عبدالله بن عتبان في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٢ ـ ٤٤٨) . لذلك أرجح ان أبا موسى شهد فتح نصيبين ولم يفتحها هو .

(٣١) الإصابة (١٢٠/٤)

(٣٢) الطبري (١٦١/٣) واسد الغابة (٢٤٦/٣)

(٣٣) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) والاصابة (١١٩/٤) وابن الاثير (٢٠٩/٢)

(٣٤) الاصابة (١٢٠/٤) واسد الغابة (٢٤٦/٣) وجمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ص (٣٤٧)

(٣٥) البلاذري ص (٣٧٢)

(٣٦) الطبري (١٨١/٣) وانظر ترجمة ابي سبرة بن أبي رهم في هذا الكتاب .

(٣٧) تستر : أعظم مدينة بخوزستان وهي شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٢)

(٣٨) الطبري (١٨١/٣)

(٣٩) ابن الاثير (٢١٤/٢)

وقبل فتح (تستر) قدم وفد من وجوه أهل فارس الى أبي موسى لمفاوضته ، فقال رئيس الوفد : « انا قد رغبنا في دينكم فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ولا نقاتل معكم العرب ؛ وان قاتلنا أحدٌ من العرب منعتمونا منه ؛ وننزل حيث شئنا ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الامير الذي فوقك بذلك » . فقال أبو موسى : « بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا ! » ، قالوا : « لا نرضى ! » . وكتب أبو موسى بذلك الى عمر ، فكتب عمر الى أبي موسى : « أعطهم ما سألوك » ، فكتب اليهم أبو موسى ، فأسلموا وشهدوا معه حصار (تستر) ، فألحقهم أبو موسى على قدر البلاء في أفضل العطاء (٤٠) ... وهذا يدل على أن الذين يسلمون من العجم ويقاتلون مع المسلمين ينالون أوفر العطاء ويحتلون أرفع المراكز !!.

ذلك هو تسامح الاسلام حتى مع المغلوبين في ساحات القتال !

٥ ــ وشهد أبو موسى على رأس أهل البصرة معركة (نهاوند) الحاسمة تحت لواء النعمان بن مُقرّن المزني ، فلما فتحها المسلمون غادر أبو موسى (نهاوند) فمر (بالدينَوَر) وأقام عليها خمسة أيام فصالحه أهلها على الجزية ، كما صالح أهل (ماسبذان) و (سيروان) (٤١) على الجزية أيضا . (٤٢)

٦ ــ ولما بعث عمر بن الخطاب عبدالله بن عبدالله بن عتبان الى (أصبهان) أمدّه بأبي موسى ، فدخل عبدالله وأبو موسى (أصبهان) فاتحين (٤٣) ؛ فرد عمر أبا موسى الى البصرة (٤٤) ثم ولاّه الكوفة بعد عمّار ابن ياسر (٤٥) فبقي فيها سنة ثم صرفه عمر الى البصرة (٤٦) ، ففتح هو وعثمان بن أبي العاص الثقفي مدينة (شيراز) (٤٧) و (أرّجان) (٤٨) ،

---

(٤٠) الطبري (١٨٦/٣)
(٤١) السيروان : كورة بالجبل وهي كورة ماسبذان . انظر معجم البلدان (١٩٦/٥)
(٤٢) ابن الاثير (٦/٣) والبلاذري ص (٣٠٤) . وفي رواية ان ضرار بن الخطاب الفهري هو الذي فتح ماسبذان . انظر ترجمة ضرار في هذا الكتاب . كما ان حذيفة بن اليمان هو الذي فتح الدينور . انظر ترجمة حذيفة بن اليمان في هذا الكتاب ايضا .
(٤٣) الطبري (٢٠٤/٣)
(٤٤) ابن الاثير (١١/٣)
(٤٥) ابن الاثير (١٢/٣)
(٤٦) ابن الاثير (١٣/٣) وأسد الغابة (٤٦/٣)
(٤٧) شيراز : مدينة في وسط بلاد فارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٠/٥)
(٤٨) أرّجان : مدينة كبيرة بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخا . انظر معجم البلدان (١٧٩/١)

وفتحا (سينيز) (٤٩) علـــى الجزيــة (٥٠) . كما انــه فتـــح (قم) و (قاشان) (٥١) ، كما أنه استعـاد فتـح (سـابور) (٥٢) بعد نقضهـا العهـــد (٥٣) .

لقد فتح أبو موسى بلادا شاسعة جدا من ارض فارس وشهد كثيرا من فتــح (الجزيرة) وأرض الشـام .

الانسان :

بقي أبو موسى والياً على البصرة حتى مقتل عمر بن الخطاب ، فأقرّه عثمان عليها ثم صرفه (٥٤) ، ولكنه عاد فولاه الكوفة بطلب من أهلها (٥٥) .

وعندما أثار الشغب على عثمان بعض رجال الكوفة ، قـام أبو موسى خطيبا فقال : « أيها الناس ! لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله . الزموا جماعتكم والطاعة، واياكم والعجلة ! » ، فقال الذين شغبوا على عثمان : فصلّ بنـا ! قـال : « لا ، الاّ على السمع والطاعة لعثمان بن عفان » . قـالوا : السمع والطاعة لعثمان (٥٦) . وهكذا ضرب ابو موسى مثلا رفيعا في العمل للمصلحة العامة ونكران الذات ، اذ لم يفكر لحظة في الشغب عـلى عثمـان انتقامـا منه على عزله عن البصرة دون مبرر . وبذل ابو موسى غاية جهده لعدم اشعال نيران الفتنة الكبرى بين المسلمين ، ولما علم بتجمع الحاقدين على عثمان من الامصار في المدينة ، أرسل القعقاع بن عمرو التميمـي على رأس جيش من أهل الكوفة لانقاذ عثمان (٥٧) ، ولكن عثمان قتل قبـل أن يدركه جيش القعقاع أو تدركه جيوش الامصار الاخرى (٥٨) .

---

(٤٩) سينيز : بلد على ساحل الخليج العربي أقرب الى البصرة من سيراف . انظر معجم البلدان (٥/٢٠١)

(٥٠) ابن الاثير (٣/١٦) والبلاذري ص (٣٨٠)

(٥١) البلاذري ص (٣١٠) وجمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ص (٣٤٦) وقـد جرى فتحها بمعاونة الاحنف بن قيس . انظر ترجمة الاحنف في هذا الكتاب .

(٥٢) سابور . كورة واسعة مدينتها سابور ، وهي كورة مشهورة بأرض فارس . انظـر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤)

(٥٣) البلاذري ص (٣٨١)

(٥٤) الاصابة (٤/١٢٠) وأسد الغابة (٣/٢٤٦) والاستيعاب (٣/٩٣٠)

(٥٥) ابن الاثير (٣/٥٩)

(٥٦) الطبري (٣/٣٧٢)

(٥٧) ابن الاثير (٣/٦٢)

(٥٨) الطبري (٣/٤٠٢) وابن الاثير (٣/٦٦)

وكان ابو موسى لا يزال اميرا على الكوفة حين قتل عثمان (٥٩) ، فكتب الى علي بن أبي طالب بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له ، وبيَّن الكاره منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك ، حتى كأن علي بن أبي طالب يشاهدهم (٦٠) .

ومع ذلك ، كان من راي ابي موسى القعود عن الفتنة ، وقد سأل علي رجلا قدم من الكوفة عن ابي موسى ، فقال له الرجل : « ان اردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وان أردت القتال فليس بصاحبه » (٦١) . وسأل أهل الكوفة أبا موسى عن رأيه في القتال ، فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فأجابهم : « القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ؛ فاختاروا ! » (٦٢) . وخطب بالكوفة فكان مما قاله : « هذه فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعي ؛ فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ؛ فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الاسنة ، واقطعوا الاوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة » (٦٣) .

وأرسل علي بن أبي طالب ابنه الحسن وعمار بن ياسر الى أبي موسى ، فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمّه اليه . واقبل على عمّار فقال : « يا أبا اليقظان ! أعدوت فيمن عدا على امير المؤمنين ، فأحللت نفسك مع الفجار ؟!» ، فقال : « لم أفعل ولم تسوؤني !!» . وقطع الحسن عليهما ، فأقبل على أبي موسى فقال : « لِمَ تثبط عنا ، فوالله ما أردنا الا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء » . فقال أبو موسى : « صدقت بأبي انت وامي ، ولكن المستشار مؤتمن . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب ؛ وقد جعلنا الله عز وجل اخوانا ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما .) (٦٤) ، وقال جل وعز : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما) (٦٥) » ؛

---

(٥٩) الطبري (٣/٤٤٦)
(٦٠) ابن الاثير (٣/٧٩)
(٦١) ابن الاثير (٣/٨٨)
(٦٢) الطبري (٣/٤٩٦)
(٦٣) الطبري (٣/٤٩٧) وابن الاثير (٣/٨٩)
(٦٤) الاية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٢٨)
(٦٥) الاية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٢)

فعزل علي بن أبي طالب ابا موسى عن الكوفة (٦٦) ، وكان قد أقره قبل ذلك بينما عزل غيره من عمال عثمان (٦٧) .

واعتزل أبو موسى الفتنة ، ولكنه لم يفارق عليًا ، وكان ممثله في التحكيم وكان ممثل معاوية عمرو بن العاص ، فاجتمع الناس (بأذرُح) (٦٨) وحضرها سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقدم عمرو أبا موسى فتكلم فخلع عليا . وتكلم عمرو فأقرّ معاوية وبايع له ، وتفرق الناس على غير هذا (٦٩) .

لقد كان أبو موسى يحرص اشد الحرص على اخماد نيران الفتنة بين المسلمين ؛ ولست اشك أنه كان يعمل لآخرته أكثر مما كان يعمل لدنياه ، وكان راغبا عن الفتنة كارها لقتال المسلمين ، وكانت حجته الواضحة لتبرير موقفه ، هو انه لا يمكن ان يقاتل قوما يؤمنون بالله ويصدقون رسوله ، ولا محل أبدا لزعم بعض المؤرخين ان أبا موسى كان مغفلا لا علم له بالسياسة ، لذلك غدر به عمرو بن العاص ، ولكنه كان يريد الله بكل اعماله ، وما اصدق الحسن في قوله : « كان الحكمان ابو موسى وعمرو بن العاص ، وكان احدهما يبتغي الدنيا والآخر يبتغي الآخرة » (٧٠) .

ان دراسة حياة هذا الصحابي الجليل بامعان ، تؤكد انه لم يكن مغفلا وتنفي عنه الغفلة نفيا قاطعا ، والا لما ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، ولما اختاره اهل الكوفة لولاية مصرهم حين ظهرت الفتنة واشتدّت ايام عثمان ، ولكنه كان رجلا ورعا تقيا سمح النفس رضي الخلق .

لقد كان ذكيا غاية الذكاء ، وكان لذكائه يقولون عنه : ما كنا نشبّه كلام ابي موسى الا بالجزار الذي لا يخطىء المفصل (٧١) .. ومن اقواله في القضاء : « لا ينبغي للقاضي ان يقضي حتى يتبين الليل من النهار » ، فبلغ قوله عمر فقال : « صدق أبو موسى » (٧٢) . وقال ابن المديني : « قضاة الامة اربعة : عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت » . وقال الشعبي : « انتهى العلم الى ستة » وذكر ابا موسى فيهم . وقال الحسن البصري :

---

(٦٦) ابن الاثير (٩١/٣) وأسد الغابة (٢٤٦/٣)
(٦٧) اليعقوبي (١٥٥/٢)
(٦٨) أذرح : بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان (شرقي الاردن) مجاورة لارض الحجاز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦١/١)
(٦٩) طبقات ابن سعد (٣٣/٢)
(٧٠) طبقات ابن سعد (١١٣/٤)
(٧١) طبقات ابن سعد (١١١/٤)
(٧٢) طبقات ابن سعد (٣٤٥/٢)

« ما أتاها ــ يعني البصرة ــ راكب خير لأهلها منه» ــ يعني أبا موسى ــ (٧٣). وكان أبو موسى احد خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يفتون في المدينة ويقتدى بهم ، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده (٧٤) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة حديث وستين حديثا (٧٥) ، كما روى عن الخلفاء الاربعة ومعاذ وابن مسعود وأبي ابن كعب وعمّار بن ياسر ؛ وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين (٧٦) .

وكان دقيقا غاية الدقة في تحري العلم : في نقله وفي تعليمه ، وهو القائل : « من علّمه الله علماً فليعلّمه ، ولا يقولن ما ليس له به علم فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين » (٧٧) . وهو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم (٧٨) .

وكان بالاضافة الى ذلك موضع ثقة الناس ، يثقون به ثقة لا حدود لها . كتب عمر في وصيته : لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الاشعري أربع سنين (٧٩) » ، وقال عمر عنه : « انه كيِّس » (٨٠) .

وقد انتخبه أهل الكوفة واليا عليهم في عهد عثمان ، فنزل عثمان على ارادتهم (٨١) ، ومن النادر ان يرضى أهل الكوفة عن امير !! . ولما بعث علي ابن أبي طالب عمارة بن شهاب وكانت له هجرة واليا على الكوفة خلفا لأبي موسى ، علم وهو في طريقه اليها : ان أهلها لا يريدون بأميرهم أبي موسى بديلا ، فرجع عمارة الى علي بالخبر (٨٢) . كما انتخبه الناس حكما عن جماعة علي بن أبي طالب واستكرهوا أمير المؤمنين على ذلك (٨٣) . كل هذا يدل على مبلغ ثقة الناس بأبي موسى ومقدار شعبيته الطاغية ، فهو زعيم شعبي بحق كما نعبر عن امثاله اليوم ــ ان كان له أمثال ــ !

---

(٧٣) الاصابة (١٢٠/٤)

(٧٤) طبقات ابن سعد (٣٣٤/٢ ــ ٣٤٤) ، وانظر أصحاب الفتيا ومن بعدهم على مراتبهم ــ ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠)

(٧٥) اسماء الصحابة الرواة ــ ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٦)

(٧٦) الاصابة (١٢٠/٤)

(٧٧) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤)

(٧٨) الاصابة (١٢٠/٤)

(٧٩) الاصابة (١٢٠/٤)

(٨٠) طبقات ابن سعد (٣٤٥/٢) . والكيِّس : ضد الحمق ، أي انه عاقل متزن ذكي المعي

(٨١) أسد الغابة (٢٤٦/٣) وابن الاثير (٥٧/٣)

(٨٢) ابن الاثير (٧٨/٣)

(٨٣) أسد الغابة (٢٤٦/٣)

وكان بالاضافة الى كل ذلك اداريا حازما ، فهو الذي بنى المسجد ودار الامارة في البصرة وشق نهرا لها (٨٤) ؛ وكان يعمل للمصلحة العامة ناسيا مصلحته ، فقد خرج حين نزع عن البصرة وما معه الا ستمائة درهم عطاء عياله (٨٥) . ولم يكن يحب الامرة ، وكان يعتبرها تكليفا لا تشريفا ، ولم يكن انانيا يرى نفسه ويحبها ولا يرى غيره ولا يحبه ، وقد أطرى خلفه عبدالله بن عامر حين تولى البصرة خلفا له فقال : « جاءكم غلام كثير العمات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضا » (٨٦) ، وشتان بين الاميرين .

وكان كثير التديّن ورعاً غاية الورع ، وكان لشدة ورعه اذا نام لبس ثيابا عند النوم مخافة أن ينكشف (٨٧) ، وكان يقول : « اني لأغتسل في البيت الخالي فيمنعني الحياء من ربي أن أقيم صلبي » وكان اذا اغتسل في بيت مظلم تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائما (٨٨) . وكان يؤمن بالقضاء والقدر ايمانا عجيبا ويسلم أمره كله لله تسليما مطلقا . قال أحدهم لأبي موسى في طاعون وقع : « أخرج بنا الى (وابق) (٨٩) نبدو بها » فقال : « الى الله (آبق) لا الى (وابق) » (٩١) .

وقدم كتاب معاوية اليه وفيه : « سلام عليك . اما بعد . فان عمرو ابن العاص قد بايعني على الذي بايعني عليه ؛ واقسم بالله لئن بايعتني على ما بايعني عليه لأبعثن بنيك أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة ، ولا يغلق دونك باب ، ولا تقضى دونك حاجة ؛ واني كتبت اليك بخط يدي فاكتب الي بخط يدك ! » ، فكتب اليه ابو موسى بخط يشبه العقارب : « اما بعد . فانك قد كتبت الي في جسيم امر امة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لا حاجة لي فيما عرضت عليّ » (٩٢) .

ولما أتى ابو موسى معاوية بعد استشهاد علي بن ابي طالب ، كانت

---

(٨٤) البلاذري ص (٣٤٢)

(٨٥) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٨٦) اليعقوبي (١٤٣/٢)

(٨٧) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٨٨) طبقات ابن سعد (١١٤/٤)

(٨٩) وابق : الظاهر أنه مكان في البادية قريبا من البصرة . ولم اجد له ذكرا في معجم البلدان وفي آثار البلاد .

(٩٠) آبق : أهرب ، يقال : أبق العبد : أي هرب .

(٩١) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٩٢) طبقات ابن سعد (١١٢/٤)

عليه عمامة سوداء وجبة سوداء ومعه عصا سوداء (٩٣) ، وكان السواد شعار العلويين وكان ارتداؤه حينذاك ذنبا عظيما لا يغتفر !

انه لم يكن مغفلا ، ولكنه كان يعمل لدينه عمل الصالحين الابرار ، وكان يرى أن المناصب ومنها الخلافة تكليف لا تشريف ، ويرى انها يجب أن تعطى عن طيبة خاطر ولا تؤخذ قسرا ، فكان يقول : « ان الامرة ما اؤتمر فيها ، وان الملك ما غلب عليه بالسيف » (٩٤) .

وكان جميل الصوت رائعه . سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فقال : « لقد أوتي هذا من مزامير آل داوود ! » . وكان عمر اذا رآه قال له : « ذكّرنا ربنا يا أبا موسى » ، فيقرأ القرآن عنده (٩٥) . وقال عمر مرة : « شوّقنا الى ربنا » ، فقرأ ابو موسى ، فقالوا : الصلاة ! فقال عمر : « أولسنا في صلاة ؟! » (٩٦) .

وكان رجلا خفيف الجسم ثطاً (٩٧) قصيراً (٩٨) . ولما حضرته الوفاة منع أهله من البكاء عليه واجراء المراسيم غير الشرعية عند تشييع جنازته (٩٩) . وقد مات بالكوفة (١٠٠) سنة اثنتين وأربعين (٦٦٢م) وقيل اربع وأربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة (١٠١) فيكون مولده سنة احدى وعشرين قبل الهجرة (٦٠٢م) ، ودفن (بالثويّة) (١٠٢) .

وهناك من يذكر : انه مات سنة خمسين للهجرة (١٠٣) ، ومن يذكر انه توفي سنة اثنتين وخمسين للهجرة (١٠٤) . وأرجح انه مات سنة اثنتين وأربعين (١٠٥) او أربع وأربعين (١٠٦) لان الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(٩٣) طبقات ابن سعد (١١٣/٤)
(٩٤) طبقات ابن سعد (١١٣/٤)
(٩٥) الاصابة (١٢٠/٤)
(٩٦) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤)
(٩٧) الثط : الكوسج ، أي لا لحية كاملة له .
(٩٨) طبقات ابن سعد (١١٥/٤)
(٩٩) الاصابة (١٢٠/٤) وأسد الغابة (٢٤٦/٣)
(١٠٠) وفي رواية انه مات بمكة
(١٠١) الاصابة (١٢٠/٤) وأسد الغابة (٢٤٦/٣) والبدء والتاريخ ١٠٢/٥
(١٠٢) الثوية : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٣)
(١٠٣) ابن الاثير (١٨٦/٣)
(١٠٤) طبقات ابن سعد (١١٧/٤)
(١٠٥) طبقات ابن سعد (١٦/٦)
(١٠٦) الاستيعاب (٩٨١/٣)

ولاّه (عدن) فـ(زبيد) و(رمع) و(الساحل) من اليمن في حياته صلى الله عليه وسلم، فلا بد ان يكون عمره حين توليته مناسبا لمثل هذا المنصب الخطير في مثل تلك الظروف الخطيرة ، اذ لو أخذنا ببعض الروايات التي ذكرت انه توفي سنة اثنتين وخمسين لكان عمره صغيرا جدا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

القـــائد :

كان أبو موسى من اشجع الشجعان ، وحسبنا أن نذكر قول الرسول القائد فيه : « سيد الفوارس أبو موسى » (١٠٧) ، وأن نذكر أنه قتل في معركة واحدة تسعة اخوة من المشركين (١٠٨) ؛ فكان يضرب لجنوده في القتال أروع الامثـــــال .

لقد كانت الحروب القديمة تحتاج الى قائد يعمل بعقله وبسيفه : يعمل بعقله لاعداد الخطط العسكرية وتنفيذها وادارة دفة المعركة ، ويعمل بسيفه في المعركة يبارز الابطال ويصاول الرجال .

والحق أن أبا موسى كان مثالا رائعا للقائد الممتاز الـــذي يعمل بعقلــه وبسيفه معا في آن واحد ، لذلك انتصر في كل المعارك التي خاضها ولم ينكس له لواء واحد طيلة حياته العسكرية الطويلة .

كانت له قابلية بدنية ممتازة تعينه على تحمل المشاق العسكرية ، وكان متقشفا بطبعه لا يميل الى الراحة والدعة ولذيذ العيش ، وكانت لـــه طاقة نفسية عجيبة في الصبر علـى المكاره ، كل ذلك جعله يفضل دائما أن يكون في ساحات القتال على أن يكون بين أهله آمنا مطمئنا ، لهذا نراه قضى أكثر حياته مجاهدا ، لأنه كان يعتبر الجهاد في سبيل الله من أعظـم العبادات ، لا يبالي في جهاده أن يكون قائدا عاما أو قائدا مرؤوسا يضع نفســـه بأمرة غيره من القادة ــ حتى القادة الذين أرسلهم هو بنفسه الى ساحات الجهاد ؛ وهذا ما لا يقدر عليه الا المجاهدون الصابرون والمؤمنون الصادقون .

لقد كان صحيح القرار ، ذا ارادة قوية وشخصية رصينة ، يتحلـى بمزايا الضبط ويؤمن بمبادىء الطاعة ؛ يتحمل المسؤولية الى الحدود التـي لا مخالفة في تحملها ، اذ هو لا يطيق الخلاف لذوي الامر ، فهو مــن هــذه الناحية قائد (متّبع) وليس قائدا (مبتدعا) . له نفسيـــة لا تتبـــدل في حالتي الرخاء والشدة ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ويثق بهم ويحبهم ويثقون به ويحبونه ثقة وحبا لا مزيد عليهما؛ له ماض ناصع شريف مجيد.

---

(١٠٧) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤)

(١٠٨) جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٤١)

وعند مقارنة أعماله العسكرية بمبادىء الحرب ، نجد أنه (يختـــار مقصده ويديمه) دائما ولا يحيد عنه . كل معاركه (تعرضيـــة) يحاول أن (يباغت) بها عدوه كلما وجد الى ذلك سبيلا .

وكان يعمل على (تحشيد قوته) قبل المعركة و (يقتصد بالمجهود) فلا يعطي خسائر في الارواح بدون مبرر ، وكان (يتعاون) تعـاونا وثيقـا صادقا مع غيره من القادة بكل رحابة صدر وعن طيبة خاطر ، كما أنه كان يحمل قواته على التعاون فيما بينها تعاونا وثيقا ؛ (يديم معنويات) قواتـه بشجاعته الشخصية وقيادتـه الحكيمـة وبتوالـي انتصاراته وبمواعظـه الحسنـــة .

وكان بالاضافة الى ذلك يساوي بينه وبين رجاله ، بل كان يستأثـر دونهم بالخطر ويؤثرهم بالأمن ، وكان يستشيرهم في كل أمر من أموره ويعمل بمشورتهـم .

لقد كان قائدا مثاليا من كافة الوجوه .

ابو موسى في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي موسى كثيرا من المآثر الخالدة ـ كل واحدة منهـا تكفي لتخليد اي انسان في كل زمان ومكان .

يذكره قائدا فاتحا ضم الى البلاد الاسلامية مناطق واسعة جداً ونشر الاسلام بين أهلها .

ويذكره التاريخ مؤمنا صادقا من أكثر المؤمنـين الصادقـين تمسكـا بعقيدته ، وقد ضحى كثيرا في سبيل مبادئه وصبر صبر المؤمن المحتسب على ما أصابه في حياته من أذى ؛ ولعل بعض الاذى لا يزال يلاحقه حتى اليوم .

ويذكره التاريخ داعية من دعاة السلام النابع من تربتنا ومـن صميم عقيدتنا وتقاليدنا : سلام المادة والروح ، لا سلام المادة بلا روح ؛ وســلام الاخوة والتسامح ، لا سلام الحقد والانتقام ، سلام السماء لا سلام الارض .

ويذكره التاريخ اماما في الفقه ، اماما في الحديث ، اماما في التصوف الاسلامي الذي هو الورع والتقوى ، اماما في القضاء .

ترى ! هل يذكر الذين يعيبون عليه موقفه من اعتزال الفتن ، أنه كان يصدر في كل أعماله عن عقيدة راسخة يؤمن بها غاية الايمان ويضحـي من اجلها كل التضحية ؛ ولو كان يميل مع الهوى ويرجو لنفسه من الدنيا مـا

يرجو لأنفسهم اكثر الناس ، لكان سبيله الى المجد الشخصي بيّنا ولنال ما يريده من متاع بيسر وسلام .

ترى ! هل يذكر ذلك الذين يعيبون عليه موقفه الحيادي، فلا يرددون ثانية ما يعيبونه عليه ؟!

أليس من العقوق أن ننحى باللائمة على رجل مثل ابو موسى خدم الاسلام وضحى من اجل عقيدته ، وعاش فقيرا ومات معدما ، وكل سلواه في حياته ، أنه خدم الاسلام ومبادئه بصدق واخلاص !

الا يكفي ان يسخّر المرء نفسه لعقيدته ولا يسخر عقيدته لنفسه ، لكي ينجو من اللوم والتثريب ؟! ... ولكن ، ذلك هدى الله ، يهدي به من يشاء من عباده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المؤمن الصادق ، الورع التقي ، المحدث الفقيه ، القاضي العادل ، القائد الفاتح ، أبي موسى الاشعري .

قَادَةُ فَتْحِ طَبَرِسْتَان

سويد بن مقرّن المزنـــي

سُويد بن مقرّن المُزني

فاتح قومس[1] وبسطام[2] وجرجان[3] وطبرستان[4] وجبل جيلان[5]

« ان للايمان بيوتا ، وللنفاق بيوتا ، وان من بيوت الايمان بيت ابن مقرّن »

(عبدالله بن مسعود)

اسلامه :

قدم ابو عائذ سويد بن مقرّن المزني (٧) مع اخوته ومنهم النعمان بن مقرن المزني على راس اربعمائة فارس من (مزينة) (٨) على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وأسلموا ، وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة (٩) ؛ فشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (الخندق) (١٠) وغزواته الاخرى بعد اسلامهم ؛ وبذلك نال سويد شرف الصحبة (١١)

(١) قومس : تعريب كومس ، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٥/٧) ، وهي منطقة من مناطق الديلم . انظر المسالك والممالك ص (١٢٢) .

(٢) بسطام : مدينة كبيرة بقومس . انظر التفاصيل في آثار البلاد واخبار العباد ص (٣٠٨) والمسالك ص (١٢٤)

(٣) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٥/٣) وانظر المسالك والممالك ص (١٢٥) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٣٤٨)

(٤) طبرستان : ولاية كبيرة اكبر مدنها آمل . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٢٤) وانظر معجم البلدان (١٧/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢١٧)

(٥) جبل جيلان : جيلان ـ اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . وجبل جيلان : اسم جبل في تلك المنطقة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٤/٣)

(٦) في الاستيعاب (٦٨٠/٢) : انه يكنى أبا عدي ، وقيل يكنى أبا عمرو

(٧) الاصابة (١٥٣/٣)

(٨) أسد الغابة (٣٠/٥)

(٩) طبقات ابن سعد (٢٩١/١) .

(١٠) طبقات ابن سعد (٢٠/٦)

(١١) الاستيعاب (٦٨٠/٢)

وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـــاده :

١ ـ قبل الفتح :

قاتل سويد تحت راية ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندمـا خرج لقتال مانعي الزكاة من قبائل عبس وذبيان ومن انضم اليهم من كنانة وغطفان وفزارة ، وكان سويد على ساقة جيش أبي بكر ؛ ففر المشركون ، وطاردهـم المسلمون حتى موضع (ذي القَصَّة) (١٢) .

وبعد عودة بعث اسامة بن زيد من ارض فلسطين ، خرج ابو بكر بنفسه في تعبية على راس جيش من المسلمين الى موضع (ذي حُسَاً) (١٣) و (ذي القصَّة) لقتال المرتدين : على مقدمته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرتـه عبدالله بن مقرن، وعلى ساقته سويد بن مقرن ، حتى نزل أهل (الرَّبذة) (١٤) بـ (الابرق) (١٥) ، فولى المرتدون الادبار (١٦) .

وبعد انتهاء حروب الردة ، وهي الحروب التي أعاد بها أبو بكر وحدة شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام ، قاتل سويد في ساحات العراق ، فقاتل تحت لواء خالد بن الوليد ، وكان على الجزاء في معركة (المذار) (١٧)، وقد خلّفه خالد بـ (الحفير) (١٨) وامره بالحـذر وخـرج خالـد الـى (الوَلَجَة) (١٩) ؛ كما شهد فتح (الحيرة) (٢٠) .

---

(١٢) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا تلقاء نجد . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) . وانظر الطبري (٤٧٨/٢) حول خروج سويد الى ذي القصة .

(١٣) ذو حسا : واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٥/٣) .

(١٤) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٢/٤)

(١٥) الابرق : أبرق الربذة ، موضع من منازل بني ذبيان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٧/١)

(١٦) الطبري (٤٧٩/٢)

(١٧) المذار : المذار في ميسان ، وميسان بين واسط والبصرة ، والمذار قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار اربعة اميال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٣/٧) . وانظر الطبري (٥٥٨/٢) حول اشتراك سويد في معركة المذار .

(١٨) الحفير : اول منزل من البصرة لمن يريد مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٣/٣)

(١٩) الولجة : موضع مما يلي البر في منطقة البصرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٣/٨) . وانظر الطبري (٥٩٢/٢) حول ذلك .

وشهد سويد (القادسية) ، وكان على احدى مجنبتي سعد بن أبي وقاص وعلى الاخرى حذيفة بن اليمان (٢١) ، كما شهد مع سعد معارك الفتح الاخرى حتى فتح المدائن .

ولما تحرك أخوه النعمان بن مقرن المزني بقواته نحو (نهاوند) ، قاتل سويد تحت لواء أخيه في معركة (نهاوند) ، كما قاتل تحت لواء أخيه نعيم بن مقرن في معركة فتح (همذان) و (الري) ، فأبلى في كل معاركه أعظم البلاء .

٢ ـ الفاتح :

تسامع عمر بن الخطاب باقدام سويد وبلائه ، فأراد ان يوليه قيادة جيش من جيوش المسلمين التي تعمل لفتح أرض الفرس ، وكان ماضي سويد المجيد في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي القتال ، هو الذي رشحه لمثل هذا المنصب الخطير في تلك الايام الخالدة من أيام الفتح الاسلامي ، فكان لسويد نصيب مرموق في تلك الفتوحات .

فقد كتب نعيم بن مقرن المزني بفتح (الري) الى عمر بن الخطاب ، فكتب عمر اليه « قدّم سويد بن مقرن الى (قومس) ، وابعث على مقدمته سماك بن مخرمة (٢٢) وعلى مجنبتيه عتبة بن النهاس (٢٣) وهند بن عمرو الجملي (٢٤) » ، فسار سويد الى (قومس) ، فلم يصادف مقاومة من حماتها ، ففتحها سلما وعسكر بها (٢٥) .

وتحرك سويد الى (بسطام) وعسكر بها ، ومن هناك كاتب ملك (جرجان) يدعوه الى الصلح أو يسير اليه بجنوده ، فبادر الملك الفارسي بالصلح على أن يؤدي الجزاء ويكفيه حرب (جرجان) ولهم الذمة والمنعة والامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين : «بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان وأهل (دهستان) وسائر أهل (جرجان) . ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل

---

(٢٠) الطبري (٥٦٤/٢)

(٢١) ابن الاثير (٤/٢)

(٢٢) سماك بن مخرمة : صحابي جليل مات بالرقة في خلافة معاوية . انظر الاصابة (١٢٩/٣)

(٢٣) عتبة بن النهاس : كان شريفا وله مواقف مشرفة في الفتح . انظر الاصابة (١٠٥/٥)

(٢٤) هند بن عمرو الجملي : أدرك الجاهلية ، وولاه عمر بن الخطاب على نصارى بني تغلب وقتل يوم الجمل . انظر الاصابة (٣٠٣/٦)

(٢٥) ابن الاثير (١٠/٣)

حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاء في معونته عوضا عن جزائه، ولهم الامان على انفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغيَّر شيء من ذلك هو اليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقروا المسلمين ولم يبد منهم سل ولا غل . . . الخ » (٢٦)

لقد أدمج في نص وثيقة الصلح هذه نص لم يؤلف له من قبل مثيل ، هو : « ومن استعنا به منكم ، فله جزاؤه على معونته عوضا عن جزائه » ، وهذا دليل قاطع على أن الجزية انما كانت تفرض مقابل منع المسلمين من تغلبوا عليهم ، فاذا دافع هؤلاء عن أنفسهم او أعانوا المسلمين كان لهم جزاؤهم !

ولما وجد ملك (طبرستان) نفسه محاطا بالمسلمين : من الجنوب باستيلائهم على (الري) ، ومصالحتهم أهل (قومس) ، ومن الشرق بصلحهم مع أهل (جرجان) ، وانه لم يبق له منفذ الى أرض فارس الا من طريق (أذربيجان) المهددة هي أيضا بالغزو ، آثر الصلح فراسل سويدا فيه ، فتوادعا وتصالحا على (طبرستان) وجبل (جيلان) بان يدفع أهلها الجزية، وهم من بعد ذلك آمنون لا يغار عليهم ولا يمر أحد بأرضهم الا باذنهم (٢٧) .

الانسان :

كان سويد موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والقادة الذين عمل بامرتهم ، وذلك لشجاعته وأمانته وشدة تمسكه بعقيدته ؛ لذلك ولاّه خالد الجزاء في معركة (المذار) (٢٨) ، كما عمل لعمر بن الخطاب هو وأخوه النعمان ابن مقرن على ما سقى الفرات ودجلة ، فاستعفيا (٢٩) فرارا من اغراء المال وحبا للتفرغ للجهاد .

لقد آثر سويد أن يكون غازيا على أن يكون جابيا !

وكان سويد من رؤساء قبيلة (مزينة) قبل الاسلام وبعده ، وقد

---

(٢٦) الطبري (٢٣٣/٣)

(٢٧) الطبري (٢٣٤/٣) . وفي رواية ، أن الذي فتحها هو سعيد بن العاص في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر ابن الاثير (٤٣/٣)، ولكنني أرجح أن فتحها تم كما أسلفنا، لفتح ما حولها ، وليس من المعقول ان تبقى وحدها بيد الفرس ، بينما استسلمت كافة المناطق والمدن المجاورة لها والتي تحيط بها .

(٢٨) الطبري (٥٥٨/٢)

(٢٩) الطبري (٢٢٣/٣) وابن الاثير (٣٠١/٢)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة احاديث (٣٠)، منها ما رواه هلال ابن يساف : « كنا نبيع البز في دار سويد بن مقرن ، فخرجت جارية وقالت لرجل منا كلمة ، فلطمها ، فغضب سويد وقال : لطمت وجهها ؟! لقد رايتني سابع سبعة من اخوتي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لنا خادم الا واحدة ، فلطمها احدنا ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقناها » (٣١) ؛ وقد روى حديثه مسلم وأصحاب السنن (٣٢) ، وكان من أصحاب الفتيا (٣٣) .

وكان محبا للناس محبوبا منهم ، دمث الاخلاق ، حسن السيرة ، تقيا ورعا ، امينا ، كريما ، وفيا .

سكن البصرة اولا مع اخوته ، ثم سكن الكوفة وهو يعد من الكوفيين ، وقد مات بالكوفة (٣٤) ، ولم يحدثنا التاريخ أنه امتلك القصور والعقارات والاموال ، بل عاش عيش الكفاف حتى مات .

القائد :

كان سويد يهوى الجندية ويفضل ميادين القتال حيث الخطر الداهم على سكنى القصور حيث الامان والدعة ، ولم يحرص ابدا على تولي القيادة بل جاءته من غير مطالبة لما كان يتحلى به من مزايا وخصال .

فقد كان سريع القرار صحيحه ، شجاعا من غير تهور ، ذا ارادة قوية نافذة ، ونفسيته لا تتبدل في السراء والضراء ، يثق بقواته ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، وكان ذا شخصية قوية وقابلية بدنية ممتازة ، يتمتع بماض مشرف مجيد .

ولعل ابرز مزايا قيادته مزيتان : مزية سبق النظر ، وهذه المزية جعلته يتفادى كثيرا من المعارك التي لا مبرر لها بالمفاوضات تارة وبالحسنى تارة أخرى ؛ ومزية حبه للمسؤولية حتى في حالة عمله بقيادة عمر بن الخطاب الذي كان يمتاز بالمركزية في ادارته اثناء السلم والحرب ، ويحب أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة لتوجيه قادته وولاته بأدق تفاصيل اعمالهم .

لقد كانت معاهدة سويد التي عقدها مع ملك (جرجان) الفارسي

---

(٣٠) اسماء الصحابة الرواة ، ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٨)
(٣١) الاستيعاب (٦٨٠/٢)
(٣٢) الاصابة (١٥٢/٣)
(٣٣) أصحاب الفتيا ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١)
(٣٤) الاستيعاب (٦٨٠/٢)

جديدة عند مقارنتها بما سبقها من معاهدات ، وقد عقدهـا سويـد علـى مسؤوليته ، ولكن عمر بن الخطاب اقرّه عليها بعد اطلاعه عليها .

لقد وجد سويد بثاقب نظره عند عقده تلك المعاهدة ، انهـا تؤمّن له نياته السلمية اولا ، وتثبت للفرس عمليا بشكل لا يقبل الشك تلك النيات ثانيـا ، ويلقي عن كاهل العرب المسلمين بعض مهمة الدفاع عن البلاد التـي يفتحونها وذلك باشراك سكانها الاصليين بالدفاع عن بلادهم ثالثا ــ خاصة بعد توسع الفتوحات وامتداد خطوط المواصلات الى مسافات شاسعـة ــ تلك الخطوط التي تربط بين قاعدة المسلمين الاصلية وهي جزيرة العـرب وقاعدتهم المتقدمة في العراق وبين بلاد فارس ، ممـا يضاعف تبعات قوات المسلمين ومسؤولياتها في حماية خطوط مواصلاتهم وفي الدفاع عـن البـلاد المفتوحة ويجعلهم مضطرين على الاستعانة بغيرهم للدفـاع عن انفسهم وللمشاركة في معاونة الفاتحين ، خاصة وأن الظروف المحيطـة بالمسلمـين وبالفرس قد تبدلت عما كانت عليه في أيام الفتح الاولى وأيام عقد المعاهدات الاولى بين المسلمين وبين الفرس ، فأصبح (تطوع) الفارسي للدفـاع عـن نفسه او مشاركته في تحمل بعض الواجبات العسكرية المحلية ــ كالحراسات الداخلية والقيام بواجبات المحافظة على الامن الداخلي ومعاونة المسلمين باقرار النظام ، او مشاركتهم في تحمل بعض الواجبات الادارية التـي لهـا مساس بالقضايا العسكرية ، او مشاركتهم في حماية خطوط المواصلات التي امتدت كثيرا ولا تزال تزداد امتدادا وتغلغلا ، وحتى المشاركة بأعباء القتال في صفوف المسلمين ضد اعدائهم ــ كل هذه الاعمال اصبحت في تلك الظروف لا تشكل خطرا جديا على سلامة جيش المسلمين ، لأنهم أصبحـوا من القوة والمنعة بمكان ، كما ان قوات أعدائهم (الاصلية) تحطمت نهائيا تحت ضربات المسلمين المتلاحقة الكاسحة ولم تبق من قوات أعدائهم غير القوات الثانويـة التي لا تشكل ــ من الناحية العسكرية ــ خطرا داهمـا ، كمـا ان قوات المسلمين أصبح موقفها رصينا في البلاد المفتوحة من جهة ، وتردّت أحوال الدولة الفارسية المركزية والدويلات الفارسية المحلية من جهة أخرى .

اما في اوائل الفتح ، فلم تكن الظروف المحيطة بالمسلمـين والفـرس ، تساعد على اشراك المتطوعين من الفرس أو مـن غيرهم للقتـال في صفوف المسلمين ، لان الفرس وأعداء المسلمين كانوا حينذاك أقوياء ، وكان للفرس امبراطورية قوية ، وقد تؤدي خيانة المتطوعين من الفرس الى كوارث عسكرية قاصمـة .

ان اقدام سويد على وضع الجزية عن كاهل المتطوعين مـن الفرس وغيرهم للدفاع عن انفسهم أو للقتال بجانب المسلمين ، كـان حكيمـا جـدا وفي محلـه .

واؤكد هنا ، ان عمر رضي الله عنه، لم يكن مركزيا في سيطرته لأنه كان يحب السلطة ويريد الاستئثار بها دون غيره او يحب التسلط على غيره ، بل كان مركزيا لانه كان شديد الحرص على مصالح المسلمين الادارية والعسكرية، فكان يشغل نفسه ليل نهار بالتفكير في تلك المصالح ووضع انجع الحلول لها بعد استشارات طويلة او قصيرة حسب اهمية القضايا الراهنة ، لذلك كان يقول : « ان اكمل الرجال رايا من اذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم او قال به ولم ينكل » (٣٥) .

لقد كان السلف الصالح رواد مصالح عامة لا طلاب مصالح ذاتية ، لذلك كانوا يتعاونون جميعا على تحقيق تلك المصالح للامة ، لا يهمهم ابدا كيف جاء الراي السديد ومن جاء به . . . كل همهم التوصل الى الراي السديد بصرف النظر عن صاحبه !

سويد في التاريخ :

يذكر التاريخ لسويد جهاده المشرف في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ، وثباته على الاسلام بعد التحاقه بالرفيق الاعلى ، ودفاعه عن الاسلام ضد المرتدين .

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح العراق ، وفي تحمل ادارة بعض القضايا الادارية اثناء الفتح وبعد انجازه .

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح فارس تحت لواء اخيه النعمان ابن مقرن المزني وتحت لواء أخيه نعيم بن مقرن المزني .

ويذكر له فتحه مناطق شاسعة من الامبراطورية الفارسية .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القوي الامين ، القائد الفاتح ، سويد بن مقرن المزني .

---

(٣٥) الطبري (١٥١/٣)

قادة فتح أذربيجان

١ ـ بكير بن عبد الله الليثي
٢ ـ عتبة بن فَرقد السلمي *
٣ ـ سراقة بن عمرو ذو النور

* انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤١٥ ـ ٤٢٢)

بُكَيْر بن عبد الله اللَّيْثي[1]

فاتح شمالي أذربيجان[2] ومُوقان[3]

« اللهم صدّق قوله ولقّه الظفر »

(محمد رسول الله)

اسلامه :

أسلم بُكَيْر بن عبد الله الليثي صغيرا ، وعاش في كنف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ممن يخدمه وهو غلام ، فلما احتلم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ! اني كنت ادخل على أهلك ، وقد بلغت مبلغ الرجال » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم صدق قوله ولقّه الظفر » (٤) . ولم يرد له ذكر في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان صغيرا ، وبذلك نال بكير شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد .

جهـاده :

١ ــ قصد بكير العراق للجهاد في ساحاته ، فأرسله سعد بن أبي وقاص على رأس سرية مؤلفة من ثلاثين رجلا معروفين بالنجدة ، وأمرهم بالغارة على

---

(١) ورد اسمه في الفتوحات باسم : بكير بن عبد الله الليثي . راجع الطبري (١٣/٣) وابن الاثير (١٧٥/٢) . اما في الاصابة (١٦٩/١) فقد ورد اسمه : بكر بن الشداخ الليثي وانه فتح موقان ، ولكنه ذكر ان اسمه : بكر بن عبد الله . كما ورد اسمه في اسد الغابة (٢٠٤/١) : بكر بن الشداخ الليثي . وقد اخترنا اسمه الوارد في الفتوحات لشهرته به .

(٢) اذربيجان : كلمة أذربيجان في الفارسية ، معناها : أرض النار او معابد النار ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك . وأذربيجان : صقع جليل ومملكة عظيمة والغالب عليها الجبال . أشهر مدنها تبريز وهي قصبتها ، واكبر مدينة بها أردبيل ، ومن مدنها : المراغة وأرمية وخوى وسلماس ومرند وموقان .. الخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/١) والمسالك والممالك ص (١٠٨) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٢٨٤) .

(٣) موقان : ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي ، وهي باذربيجان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٩/٨) .

(٤) اسد الغابة (٢٠٤/١)

(الحيرة) ، فلما كانوا في الطريق وجـدوا أخت صاحب الحيرة في جمـاعة تزف الى أحد أشراف العجم ، فحمل بكير على قائد تلك الجماعة فدق عنقه ، ثم استاق الاثقـال والنسـاء والتـوابع فصبّح سعـداً بمـا افاء الله عـلى المسلمين (٥) .

وشهد تحت لواء سعد معركة (القادسية) الحاسمة والمعـارك التي تلتها حتى فتح (المدائن) ، وكان سعد قد استعمله على قومه حين دخلوا العراق (٦) .

وحين أراد المسلمون ان يخوضوا نهر دجلة لفتح المدائن ، تهيّب الناس دخول الماء ، فقال بكير مخاطبا فرسه اطلال : « ثبي أطلال وثباً » ، فدخل الماء ودخله الناس خلفه ... وله مع سعد أخبار كثيرة (٧) كلهـا بطولات نادرة وتضحيات فذة .

٢ ــ وشهد كثيرا من معارك فتح أرض فارس ، ولما أذن عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في أرض العجم ، بعث عتبة بن فرقد السلمي وبكير بن عبد الله وعقد لهما لواء (أذربيجان) وفرقها بينهما ، فجعـل لكل منهمـا هدفا محدودا : أمر عتبة ان يتقدم لفتحها من (حلوان) الى ميمنتها (جنوبي اذربيجان) ، وامر بكيرا ان يتقـدم لفتحهـا من (الموصل) الى ميسرتهـا (شمالي أذربيجان) (٨) ، ثم أمد بكيرا بسمـاك بن خرشة الانصاري (٩) وليس بأبي دجانة ، على راس قوة من مجاهدي (الري) بعد فتحها ، فسـار سماك نحو بكير ، وكان بكير قد اصطدم بالقوات الفارسية في منطقة جبـال (جرميذان) (١٠) فكان أول قتال لقيه بأذربيجان ، ولكن سرعان ما انهزم الفرس واخذ بكير قائدهم (اسفنديار) أسيرا ، فقال له قائد الفرس : «الصلح احب اليك ام الحرب ؟» ، فقال بكير : « بل الصلح ! » . قال : « فامسكني عندك ، فان (أذربيجان) ان لم أصالح عليهم او أجيء اليهم ، لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ، ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما» ، فامسكه عنده وصارت البلاد اليه ، الا ما كان من حصن . ولما قدم سماك

---

(٥) الطبري (١٣/٣) وابن الاثير (١٧٥/٢)

(٦) الاصابة (١٦٩/١ ــ ١٧٠)

(٧) الاصابة (١٧٠/١)

(٨) الطبري (٢٢٤/٣)

(٩) سماك بن خرشة الانصاري : وهو غير ابي دجانة ، وكان من اوائل من تولى مسالح دستبا من ارض همدان . قدم على عمر بن الخطاب في وفود اهل الكوفة بالاخماس وشهد القادسية وله ذكر في فتح الري . وقد شهد صفين . انظر التفاصيل في الاصابة (١٢٨/٣)

(١٠) جرميذان : لم اجد ذكرا لهذه الجبال في المسالك والممالك ص (١١٢) . وفي معجم البلدان (٨٩/٣) ورد عنها : موضع من أرض الجبل أظنه من نواحي همدان . ومن الواضح ان هذه الجبال في منطقة اذربيجان .

ابن خرشة ممدا له ، وجد (أسفنديار) اسيرا، ووجد بكيرا قد فتح أهدافه في (أذربيجان) ، فكتب الى عمر بن الخطاب يستأذنه في التقدم لفتح البلاد المجاورة ، فأذن له أن يتقدم الى (باب الابواب) (١١) وأن يستخلف على ما افتتحه ، فاستخلف عتبة بن فرقد ، فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه (١٢) .

وأسرع بكير يريد (باب الابواب) فسبق سراقة بن عمرو اليها ، ولما وصل سراقة منطقة (باب الابواب) جعل بكيرا على احدى مجنبتيه (١٣) ، وبعد فتح باب الابواب بعثه سراقة لفتح (موقان) ففتحها وفرض على أهلها الجزية (١٤) .

الانسان :

لا نعرف شيئا عن أيام بكير بعد الفتح ولا عن أعماله العامة ، فقد سكت المؤرخون عنها ، ولكننا نستبين من سيرته التي ذكرناها ، انه كان رجلا يتحلى بمزايا العربي الاصيل وخلق المسلم الصادق .

قتل يهودي في عهد عمر بن الخطاب دون أن يعرف أحد قاتله ، فصعد عمر المنبر وقال : « أفيما ولاني الله واستخلفني تقتل الرجال ؟! أذكر الله رجلا كان عنده علم الا أعلمني !» ، فقام اليه بكير واخبره بأنه هو الذي قتل اليهودي ، لانه سمعه يتغزل بزوجة رجل من المجاهدين ، فلم يستطع صبرا على ذلك (١٥) !

يا للغيرة الصادقة ... ان هذه الغيرة جعلته يقدم حتى على القتل لاسكات صوت فاسد ... ولكن يا للورع قبل ذلك ، هذا الورع الذي جعله يعترف بالقتل غير مكترث بنتائج اعترافه ... خوفا من الله !

---

(١١) باب الابواب : ويقال لها : الباب . ميناء كبير على بحر الخزر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩/٢)

(١٢) الطبري (٢٣٤/٣) وابن الاثير (١٠/٣ - ١١) وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه : الفاروق عمر (٤٤/٢) : ان عمر أرسل سماك ممدا لبكير بن عبدالله وعتبة بن فرقد. والصحيح ما ذكرناه : انه جاء ممدا لبكير فقط .

(١٣) ابن الاثير (١١/٣) والطبري (٢٣٥/٣)

(١٤) الطبري (٢٣٧/٣) ، واليك نص وثيقة الصلح بين الطرفين ، وهي تظهر بوضوح حزم المسلمين ووضوحهم : «بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى بكير بن عبدالله أهل (موقان) من جبال (القبج) ، الامان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء : دينار على كل حالم او قيمته ، والنصح ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته ، فلهم الامان ما أقروا ونصحوا، وعلينا الوفاء ، والله المستعان ، فان تركوا ذلك واستبان منهم غش ، فلا أمان لهم الا ان يسلموا الغششة برمتهم ، والا فهم متمالئون » .

(١٥) أسد الغابة (٢٠٤/١) .

لقد كان رجلا غيورا غاية الغيرة شهما غاية الشهامة ، ورعا تقيا صادقا وفيا ، يحرص على رفع راية الاسلام اكثر مما يحرص على روحه التي بين جنبيه ، فلا يكاد ينتهي من فتح الا ويطالب قائده الاعلى عمر بن الخطاب ان يبعثه الى جبهة اخرى ، ثم لا يبالي أن يكون قائدا عاما او قائدا مرؤوسا ... او جنديا بسيطا ... وتلك تضحية لا يصبر على مثلها غير الذين نذروا انفسهم لله ... وما أقلهم !!

القائد :

تمتاز قيادة بكير بميزة الحرص على احلال السلام ، وتشبثه بروح التسامح حتى مع الذين يتغلب عليهم بعد قتال .

وقد كان شجاعا مقداما لا يهاب الموت (١٦) ، والحق انه كان يهوى الجهاد في سبيل الله ويفضل دائما ان يكون (غازيا) على ان يكون (واليا) .

وكانت له قابلية على اصدار القرارات السريعة الصحيحة ، ذا شخصية نافذة وارادة قوية ، وكان يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه، له ماض ناصع مجيد في خدمة الاسلام ونبي الاسلام صلى الله عليه وسلم .

بكير في التاريخ :

أصبحت (أذربيجان) و(موقان) و(باب الابواب) بعد فتحها الخطوط الدفاعية الامامية للمسلمين للدفاع عن بلاد فارس، ولكنها بعد انتشار الاسلام فيها ، أصبحت القاعدة المتقدمة لانطلاق المسلمين منها شمالا لفتح ارمينية وتركستان والقفقاس ، لذلك كان فتح بكير نصرا سوقيا (استراتيجيا) للمسلمين جنوا ثمراته بعد حين في ضم مناطق واسعة الى بلادهم ، وجنوا ثمراته في الانطلاق شمالا لتوسيع رقعة انتشار الاسلام .

ان التاريخ يذكر لبكير فضله العظيم في فتح هذه المناطق الواسعة الغنية الآهلة بالسكان ، فهل يذكر سكان تلك المناطق — وكلهم مسلمون ، أول من نشر الاسلام في ربوع بلادهم ؟؟

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الشهم الغيور ، القائد الفاتح، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكير بن عبد الله الليثي .

---

(١٦) مدحه الشاعر الشماخ ، فقال :

وذكّرني اهل القوادس انني ... رأيت رجالا واجمين بأجمال
وغُيِّب عن خيل بموقان اسلمت ... بكير بني الشدّاخ فارس أطلال
لقد كان ُيرْوي سيفه وسنانه ... من العنق الداني الى الحجر البالي
وقد علمت خيل بموقان أنه ... هو الفارس الحامي اذا قيل: تنزال

وأطلال : اسم فرس بكير ، وكان يدعى : فارس أطلال . انظر معجم البلدان (١٩٩/٨).

سُراقة ذو النُور بن عـمرو

فـاتح باب الأبواب[1]

اسلامه :

كان سُراقة بن عمرو بن لبنة صحابيا جليلا (٢) ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه (٣) وكان يدعى : ذا النور (٤) ، ولكننا لا نعرف بالضبط متى أسلم ولا الغزوات التي شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . والظـاهر انه اسلم متأخرا او كان صغيرا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فنـال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد .

جهـاده :

١ ـ عرف عمر بن الخطاب لسراقة فضله العظيم في الجهاد ، فولاّه البصرة (٥) ، ولكنه رد أبا موسى الأشعري الى البصرة ، وورد سراقـة الى (الباب) ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة البـاهلي وكـان يدعى ذا النور ايضا (٦)، وجعل على احدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري (٧)

---

(١) باب الابواب : ويقال لها : (الباب) أيضا . ميناء كبير على بحر (الخزر) ، وهـي مدينة كبيرة محصنة ، وفي وسطها مرسى للسفن ، وبين هذا المرسى وبين البحر قد بني على حافتي البحر سدان ، حتى ضاق مدخل السفن وجعل المدخل ملتويا ، وعلـى فم المدخل سلسلة ممدودة لا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر . والى جانبها جبل عظيم يجمع في قمتـه كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار ان احتاجوا اليه لينذروا أهل المناطق المجاورة بالعدو اذا داهمهم . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٠٩ ـ ١١٠) ومعجم البلدان (٩/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦) .

(٢) الاصابة (٦٩/٣) وأسد الغابة (٢٦٤/٢)

(٣) الاستيعاب (٥٨٠/٢) .

(٤) الاصابة (٦٩/٣) وأسد الغابة (٢٦٤/٢) والاستيعاب (٥٨٠/٢) ومعجم البلدان (١٢/٢)

(٥) ابن الاثير (٧/٣)

(٦) الاستيعاب (٥٨٠/٢) والطبري (٢٣٥/٣)

(٧) حذيفة بن أسـيد الغفاري : شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة ونزل الكوفة وتوفي بها سنة اثنتين واربعين . انظر الاصابة (٣٢٢/١) وأسد الغابة (٣٨٩/١) .

وسمى للاخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بازاء الباب قبل قدوم سراقة بن عمرو عليه (٨) ، فقدم سراقة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وخرج على الاثر حتى قدم على بكير بن عبد الله الليثي في اداني (الباب)، وأمده عمر بن الخطاب بحبيب بن مسلمة صرفه اليه من (الجزيرة) .

ولما تغلغلت طلائع المسلمين وعلى راسها عبد الرحمن بن ربيعة في منطقة الباب ، كاتبه ملكها (٩) واستأمنه على ان يأتيه ، فأمّنه عبد الرحمن ، فلما لقيه قال له : « اني بازاء عدو كلب وامم مختلفة ليست لهم أحساب، وليس لذي الحسب والعقل ان يعين امثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوي الاحساب والاصول ، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ، ولست انا من (القبج) ولا من الارمن في شيء ، وانكم قد غلبتم على بلادي وامتي ، فانا منكم ويدي مع ايديكم وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم » . فأجابه عبد الرحمن : « فوقي رجل قد اظلك ، فسر اليه » ، ثم سيَّره الى سراقة ، فلقيه بمثل هذا الكلام، فقبل منه سراقة وقال له : « لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو »، اي انه وافق على وضع الجزية عن الذين يقاتلون العدو جنبا لجنب مع المسلمين ... واصر على اخذها من القاعدين من أهل البلاد .

وكتب سراقة الى عمر بذلك ، فأجازه وحسّنه (١٠) ، وهكذا صالح

---

(٨) الطبري (٣/٢٣٥) .

(٩) كان ملكها يدعى : شهربراز . انظر الطبري (٣/٢٣٦)

(١٠) ابن الاثير (٣/١١) . وانظر نص وثيقة الصلح بين سراقة وملك باب الابواب في الطبري (٣/٢٣٦) ، وهي تثبت ، أن المسلمين كانوا يفرضون الجزية على المغلوبين لقاء الدفاع عنهم وحمايتهم ، فهي بدل الخدمة العسكرية بالضبط : ضريبة الدفاع . اما الذين يدافعون عن انفسهم ويقاتلون عدوهم مع المسلمين فلا جزية عليهم ... وهذا نص الوثيقة : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والارمن من الامان ، أعطاهم امانا لانفسهم وأموالهم وملتهم الا يضاروا ولا ينتقصوا . على أهل ارمينية والابواب الطرّاء منهم والتناء ومن حولهم فدخل معهم ، ان ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب او لم ينب رآه الوالي صلاحا ، على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك . الا الحشر والحشر عوض من جزائهم ، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا ، فان حشروا وضع ذلك عنهم ، وان تركوا أخذوا به .. وشهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبدالله ، وكتب مرضي بن مقرن المزني وشهد » . أقول : لا توجد مثل هذه الشروط الرحيمة في وثائق الصلح بين الغالب والمغلوب حتى بعد تثبيت قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي . فمن يريد دليلا على ذلك فليقارن بين ما جاء في هذه الوثيقة التي كانت في القرن السابع وبين نصوص معاهدة فرساي بين المانيا من جهة والحلفاء من جهة ثانية في نهاية الحرب العالمية الاولى اي في القرن العشرين . وقد صدق من قال : « لم يشهد العالم فاتحين أكثر عطفا ورحمة وتسامحا من العرب » .

اهل ارمينية والارمن (١١) .

٢ ـ ولما انجز سراقة فتح هدفة الاصلي وهو (باب الابواب) بعث قادته الى الجهات : بعث بكير بن عبد الله الليثي الى (موقان) (١٢) ، ووجه حبيب بن مسلمة الى (تفليس) (١٣) ، ووجه حذيفة بن اسيد الغفاري الى جبان (اللان) (١٤) ، وسلمان بن ربيعة الباهلي الى الوجه الآخر ، وكتب سراقة بالفتح وبالذي وجّه فيه هؤلاء النفر الى عمر بن الخطاب ، فاضطرب عمر لذلك أشد الاضطراب ، لأنه قدّر ان قوات المسلمين التي توجهت لفتح هذه المناطق غير كافية عَددا وعُددا لانجاز واجباتها ، وفعلا لم يفتح احد من هؤلاء القادة ما وجّه له الا بكير فانه فتح (موقان) (١٥) .

ومات سراقة في (باب الابواب) قبل ان يرى ثمرة جهاده كاملة ، فاستخلف قبل موته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي (١٦) .

الشاعر :

قال سراقة بن عمرو يصف فتح (باب الابواب) (١٧) :

ومن يك سائلا عني فاني ... بأرض لا يؤاتيها القرارُ
بباب الترك ذي الابواب دار ... لها في كل ناحية مفار
نذود جموعهم عما حوينا ... ونقتلهم اذا باح السّرار (١٨)
سددنا كل فرج كان فيها ... مكابرة اذا سطع الغبار
وألحمنا الجبال جبال قبج ... نناهبهم وقد طار الشرار
على خيل تعادي كل يوم ... عتادا ليس يتبعها المهار

(١١) الطبري (٣/٢٣٦) وابن الاثير (٣/١١)

(١٢) موقان : ولاية فيها قرى ومروج كثيرة ، يحتلها التركمان للرعي ، وهي بآذربيجان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٩٩)

(١٣) تفليس : مدينة قرب باب الابواب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٩٦)

(١٤) جبال اللاّن : جبال في منطقة باب الابواب بالقرب من تفليس ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى مدينة كبيرة مشهورة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٢٤)

(١٥) الطبري (٣/٢٣٧) وقد وردت قصة فتح موقان في ترجمة بكير بن عبد الله الليثي .

(١٦) ابن الاثير (٣/١١) والاستيعاب (٢/٥٨٠) وسترد تفاصيل جهاد عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي في ترجمته .

(١٧) معجم البلدان (٢/١٢)

(١٨) السرار : سرر الشهر بفتحتين ، آخر ليلة منه ، وكذا (سراره) بفتح السين وكسرها ، وهو مشتق من قولهم : استسر القمر ، أي خفي ليلة (السرار) فربما كان ليلة وربما كان ليلتين . واذا باح السراه : معناها اذا بزغ القمر وانكشف محاقه .

وهو شعر سلس يصور المعركة تصويرا رائعا حتى تكاد تلمس فيه جو المعركة الصاخب : غبارا ثائرا ، وخيلا تكر وتفر ، وقتلى تتهاوى .. ولم ينس تدابير المسلمين الدفاعية عن منطقة باب الابواب : مراقبة الطرق التقربية اليها ليلا ونهارا ، وسد منافذ الجبال ... الخ.

لقد كان سراقة من شعراء الفرسان المجيدين .

الانسان :

من الصعب جدا أن نتلمس الناحية الانسانية من حياة سراقة بن عمرو ، فقد ظهر فجأة على مسرح أحداث الفتح الاسلامي وقام خلال فترة قصيرة بأعمال فذة ، ثم انتهت حياته في أوج مجده وفي خضم جهاده المتواصل العنيف .

على كل حال ، كان مثالا رفيعا من أمثلة السجايا العربية وفضائل الاسلام ، ولولا سجاياه وفضائله تلك لما تولى منصب قيادة الجيوش وامارة الولايات في عهد خليفة لم يبق له الحق صديقا ـ هو عمر بن الخطاب .

وقد توفي في مدينة (باب الابواب) سنة اثنتين وعشرين للهجرة (١٩) (٦٤٢ م) .

القـائد :

كان سراقة يتحمَّل المسؤولية الكاملة ، فهو يفكر ويقدر ، فاذا اقتنع برأي أبرمه على مسؤوليته الخاصة متحملا كافة نتائجه برحابة صدر وعن طيبة خاطر .

لقد كان جريئا غاية الجرأة في اعطاء القرارت ، فقد رأيت كيف صالح ملك (باب الابواب) صلحا مبتكرا حقا ، ثم أخبر بقراره هذا مرجعه الاعلى بعد ابرامه ، فما كان من مرجعه عمر بن الخطاب الا أن أجاز ما أبرم سُراقة وحسَّنه . كما أنه سيَّر الجيوش الى المناطق المحيطة (بالباب) قبل الرجوع الى الخليفة ، وفي هذه المرة خشي عمر نتائج اقدام قائده سراقة على مثل هذا العمل الجريء وحسب لنتائجه الف حساب .

---

(١٩) ابن الاثير (٢/١١) والطبري (٣/٢٣٧) . وقد ذكر الزركلي في كتابه : الاعلام (الطبعة الثانية (٣/١٢٦) : ان سراقة توفي سنة ثلاثين للهجرة ، مع انه اعتمد الاصابة في ترجمة سراقة ابن عمرو ، وليس في الاصابة شيء عن تاريخ وفاته . راجع الاصابة (٣/٦٩) . والصحيح ان تاريخ وفاته هو ما ذكرناه أعلاه .

وليس من السهل ان يصدر سراقة او اي قائد آخر قرارات جريئة مبتكرة لم يسبق لها مثيل ، في عهد يتولى فيه القيادة العليا مثل عمر بن الخطاب الذي كان يميل الى المركزية ويتدخل في كل كبيرة وصغيرة من امور القادة المرؤوسين حرصا على أرواح المسلمين ومصائرهم ؛ مما يدل على أن سراقة كان يتمتع بشخصية قوية وارادة حديدية وعقلية راجحة ـ كل ذلك جعله يمضي قدما في تنفيذ اجرأ القرارات في أحرج المواقف والظروف .

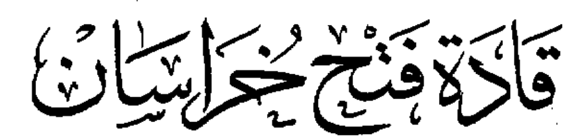
سراقة في التاريخ :

لا تقتصر أهمية فتح (باب الابواب) على نشر الاسلام في منطقة شاسعة من الارض غنية بالثروة الزراعية والحيوانية ، بل ان لفتحها أهمية خاصة ، وهي انها أصبحت القاعدة المتقدمة لقوات المسلمين في حركاتهم العسكرية شمالا باتجاه ارمينية وتركستان والقفقاس حتى حدود سيبيريا ، لهذا كان فتح (باب الابواب) نصرا سوقيا (استراتيجيا) للمسلمين ظهرت نتائجه البعيدة بعد سنوات قليلة من الفتح .

ان التاريخ يذكر لسراقة فتح (باب الابواب) القاعدة المتقدمة للفتح الاسلامي باتجاه الشمال ، ويذكر له نشره الاسلام في منطقة شاسعة من الارض وبين أقوام وأمم مختلفة ، ويذكر له جراته الفذة في اصدار القرارات الجريئة وتحمله نتائجها بشجاعة واصرار .

انه قضى كل حياته مجاهدا في سبيل عقيدته ، فمات غريبا في بلاد نائية عن بلاده وهو في خضم جهاده ، فسقط ميتا ولم يسقط السيف من يده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، البطل المقدام ، القائد الفاتح ، سراقة ذي النور بن عمرو .



الأحنف بن قيس التميمـي

الأحنف بن قيس التميمي

فاتح قاشان[1] وخراسان[2]

« هو سيد أهل المشرق ، المسمى بغير اسمه »
(عمر بن الخطاب)

نسبه واهله :

هو ابو بحر الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي (٣) ، واسمه الضحاك وقيل : صخر (٤) . وامه حبة بنت عمرو بن قرط الباهلية (٥) كان اخوها الاخطل بن قرط من الشجعان ، وقد قال الأحنف مفاخرا بخاله هذا : « ومن له خال مثل خالي ؟!» (*) .

وكان أبو الأحنف يكنى : أبا مالك ، قتله بنو مازن في الجاهلية (٦) ، اما جده معاوية بن حصين فقد قتله الفارس المشهور عنترة بن شداد العبسي (٧) .

وعم الأحنف يقال له : المتشمس بن معاوية ، يفضل على الاحنف في حلمه ، وعم الاحنف الاصفر هو صعصعة بن معاوية كان سيد بني تميم في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٨) .

---

(١) قاشان : مدينة قرب اصبهان تذكر مع (قم) ، وبين قاشان وقم اثنا عشر فرسخا ، أنظر معجم البلدان (١٣/٧) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٣٢) .

(٢) خراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق العجمي من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق ، وتقع كرمان وسجستان الى جنوبها ، وتمتد في الشمال الى اقصى تخوم ايران . من امهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبلخ . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٤٥ ـ ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص (٢٠٦) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) .

(٤) أسد الغابة (٥٥/١) والاصابة (١٠٢/١) والاستيعاب (٧١٥/٢) .

(٥) الاصابة (١٠٣/١) ، وفي المعارف ص (٤٢٣) . أن امه هي : حبي بنت عمرو بن ثعلبة من بني اود من باهلة ، ويقال : حبي بنت قرط .

(*) المعارف ص (٤٢٣) وجمهرة أنساب العرب ص (٢١٢) .

(٦) المعارف ص (٤٢٣) .

(٧) وفيات الاعيان (١٩١/٢) .

(٨) المعارف ص (٤٢٤) .

وكان للاحنف ولد يقال له : بحر ، وبه يكنى ، وقد مات وانقطع عقبه (٩) ، لذلك لا عقب للاحنف (١٠) .

لقد ورث الاحنف الشجاعة والحلم عن آبائه واخواله فيما ورثه عنهم من مزايا وخلال .

اسلامه :

ادرك الاحنف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره (١١) ، وقد أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما أسلم قومه باشارته (١٢) ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني ليث الى بني سعد رهط الاحنف ، فجعل يعرض عليهم الاسلام ، فقال الاحنف : « انه يدعو الى خير ويأمر بخير (١٣) » وفي رواية ان الاحنف قال لقومه : « انه ليدعوكم الى الاسلام والى مكارم الاخلاق ، وينهاكم عن ملائمها » ، فأسلموا وأسلم الاحنف (١٤) ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اغفر للاحنف » ، فكان الاحنف بعد ذلك يقول : « فما شيء أرجى عندي من ذلك (١٥) ، » كما دعا له حين قدم عليه وفد تميم فذكروه له (١٦) .

كان الاحنف يقول : « بينا انا اطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان ، اذ لقيني رجل من بني ليث فأخذ بيدي ، فقال : الا ابشرك ؟ قلت : بلى . فقال : تذكر اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومك بني سعد ، فجعلت أعرض عليهم الاسلام وأدعوهم اليه ، فقلت انت : انك لتدعو الى خير ، وما أسمع الا حسنا . قال : فاني ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اغفر للاحنف (١٧) » .

ولم يفد الاحنف على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه وفد على عمر ابن الخطاب (١٨) ، فقال رجل من المهاجرين : « يا أمير المؤمنين ! ان هذا

---

(٩) وفيات الاعيان (٢/١٩١) .
(١٠) المعارف ص (٤٢٥) .
(١١) اسد الغابة (١/٥٥) والاستيعاب (٢/٧١٥ — ٧١٦) .
(١٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (١/٧٨) .
(١٣) انظر تهذيب ابن عساكر (٧/١٠) .
(١٤) المعارف ص (٤٢٣) ووفيات الاعيان (٢/١٨٦) .
(١٥) تهذيب ابن عساكر (٧/١٠) وطبقات ابن سعد (٧/٩٣ — ٩٤) واسد الغابة (١/٥٥) والاصابة (١/١٠٣) .
(١٦) الاستيعاب (٢/٧١٥ — ٧١٦) .
(١٧) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (١/٧٨) .
(١٨) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (١/٧٨) .

ــ يعني الاحنف ــ الذي كف عنا بني ُمرة حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدقاتهم ، وقد كانوا هموا بنا (١٩) » ، وهذا موقف مشرف للأحنف في الدفاع عن الاسلام ودعاته .

وقد ثبت الأحنف على اسلامه حين ارتدّ قومه بعد التحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ، وقد اتى هو وعمه المتشمس بن معاوية ُمسيلمة الكذاب ليسمعا منه ، فلما خرجا قال الأحنف : « كيف تراه ؟! » ، فقال : « أراه كذابا » (٢٠) ولا أشك أن ثباته على عقيدته في أيام الردة ــ وهي أيام المحنة الكبرى لتلك العقيدة ، كان ذا تأثير حاسم على قومه وعلى صمود كثير من تميم على الاسلام امام تيار الردة الجارف ، مما سهل على المسلمين القضاء على فتنة المرتدين واعادة وحدة شبه الجزيرة العربية الى ما كانت عليه أيام الرسول الكريم .

جهاده :

١ ــ قبل الفتح :

طوّق الفرس قوات العلاء بن الحضرمي في (الاهواز) ، فتحرّج موقف المسلمين هناك تحرّجا شديدا ، فأرسل عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جيش كثيف الى فارس لانقاذ جيش العلاء بن الحضرمي ، فأرسل عتبة جيشا كثيفا في اثني عشر الف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو التميمي وعرفجة بن هرثمة البارقي والأحنف بن قيس عليهم أبو سبْرة بن أبي رُهْم فأنقذ هذا الجيش قوات العلاء بن الحضرمي وعاد الى البصرة (٢١) .

ولما تولى أبو موسى الاشعري البصرة ، اوفد الأحنف مع بعض رجالات البصرة الى عمر بن الخطاب فاحتبسه حولاً كاملا ، ثم قال له : « هل تدري لم حبستك ؟ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خوّفنا كل منافق عليم ، ولستَ منهم ان شاء الله » . قال الاحنف : « قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولا فقال : يا احنف قد بلوتك وخبرتك فلم ار الا خيرا ، ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، فانا كنا نتحدث ، انما هلك هذه الامة كل منافق عليم » ، وكتب عمر الى ابي موسى:

---

(١٩) ذكر أخبار اصبهان (٢٢٤/١) وتهذيب ابن عساكر (١٠/٧) .

(٢٠) المعارف ص (٤٢٤) .

(٢١) الطبري (١٧٨/٣) وابن الاثير (٢٠٨/٢ ــ ٢٠٩) .

« اما بعد . فادن الأحنف وشاوره واسمع منه (٢٢) » ، فشهد مع أبي موسى الاشعري الذي كان على أهل البصرة فتح (تستر (٢٣)) وقدم على عمر بفتحها (٢٤) ، حيث أرسله أبو سبرة بن أبي رهم الذي كان القائد العام الى عمر بن الخطاب مع انس بن مالك وارسل معهما (الهرمزان) ، فسأل عمر الوفد قائلا : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم » ، وكان يشير الى انتقاض الهرمزان بعد صلحه مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا امير المؤمنين . انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وان ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئا بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس » فقال عمر : « صدقتني والله » ، وأذن في الانسياح في بلاد فارس (٢٥) .

٢ ــ الفاتح :

عرف عمرُ الأحنف معرفة شخصية ، فرأى منه عقلا ودينا (٢٦) ، كما برز مجاهدا في ميدان القتال ، لذلك دفع له لواء (خراسان) حين أذن في الانسياح في بلاد فارس سنة سبع عشرة للهجرة (٢٧) .

وشهد الأحنف قبل أن يتوجه لفتح (خراسان) فتح (نهاوند) مع أهل البصرة الذين جاءوا مددا وعليهم أبو موسى الاشعري (٢٨) ، فلما انصرف أبو موسى من نهاوند وفتح قم (٢٩) ، وجه الاحنف الى (قاشان) ففتحها عنوة ثم لحق بأبي موسى الاشعري (٣٠) .

---

(٢٢) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) . وانظر تاريخ عمر بن الخطاب ـ لابن الجوزي ــ ص(٨٧) وتهذيب ابن عساكر (١١/٧) وذكر أخبار أصبهان (٢٢٥/١) . وفي ابن الاثير (٢١٠/٢) : أن عتبة بن غزوان الذي كان اول امير على البصرة هو الذي أوفد الاحنف الى عمر بن الخطاب.

(٢٣) تستر : اعظم مدينة بخوزستان ، وهو تعريب : شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٧٠)

(٢٤) تهذيب ابن عساكر (١٠/٧) وذكر أخبار أصبهان (٢٢٤/١) .

(٢٥) الطبري (١٨٤/٣ ــ ١٨٥) وابن الاثير (٢١٣/٢) .

(٢٦) أسد الغابة (٥٥/١) .

(٢٧) الطبري (١٨٩/٣) وابن الاثير (٢١٤/٢) ومعجم البلدان (٤٠٩/٣) .

(٢٨) ابن الاثير (٦/٣) .

(٢٩) : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة اسلامية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٤٢) .

(٣٠) البلاذري ص(٣١٠) وجمع فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ــ ص(٣٤٦)

وبعد أن أنجز الاحنف كافة متطلبات قواته للقتال وأكمل تحشدها ، سار لفتح (خراسان) سنة ثماني عشرة للهجرة وفي قول بعضهم سنة اثنتين وعشرين للهجرة (٣١) .

لقد التجأ (يزدجرد) بعد هزيمة الفرس في معركة (جلولاء) الى (الري) ثم قصد (أصبهان) ثم منها الى (كرمان) ، ثم قصد (خراسان) ، فأتى (مرو) (٣٢) فنزلها وبنى بها بيتا للنار ، فدان له من فيها من الفرس ، فكاتب (الهرمزان) وأثار أهل فارس وأهل الجبال ، فنكثوا العهد ؛ فلما قضى المسلمون على مقاومات الفرس في تلك المناطق ، جاء دور (خراسان) ، فسار الأحنف على رأس جيشه حتى دخل (خراسان) من (الطَبَسين) (٣٣) فافتتح (هَراة) (٣٤) عنوة واستخلف عليها ، وسار نحو (مرو الشاهجان) (٣٥) ، فكتب (يزدجرد) وهو في (مرو الرّوذ) (٣٦) الى خاقان ملك الترك والى ملك (الصُغد) (٣٧) والى ملك الصين يستمدهم .

وخرج الاحنف من مرو الشاهجان بعد أن وصلته امدادات أهل الكوفة، فسار نحو (مرو الروذ) فلما سمع (يزدجرد) سار عنها الى (بلخ) (٣٨). ونزل الاحنف (مرو الروذ) ، وقدم أهل الكوفة الى (بلخ) وأتبعهم الاحنف، فالتقى اهل الكوفة بيزدجرد في (بلخ) فهزموه ، فما لحق الاحنف بأهل الكوفة الا وقد فتح الله عليهم .

---

(٣١) الطبري (٣/٢٤٤) وابن الاثير (١٢/٣) .

(٣٢) مرو : أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرا . ويوجد (مروان) تثنية مرو : مرو الشاهجان ومرو الروذ . أنظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٤٧) ومعجم البلدان (٣٠/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٦) .

(٣٣) طبس : مدينة في برية بين نيسابور واصبهان وكرمان . وهما : طبسان : طبس كيلكي وطبس مسينان ويقال لهما : الطبسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٦) .

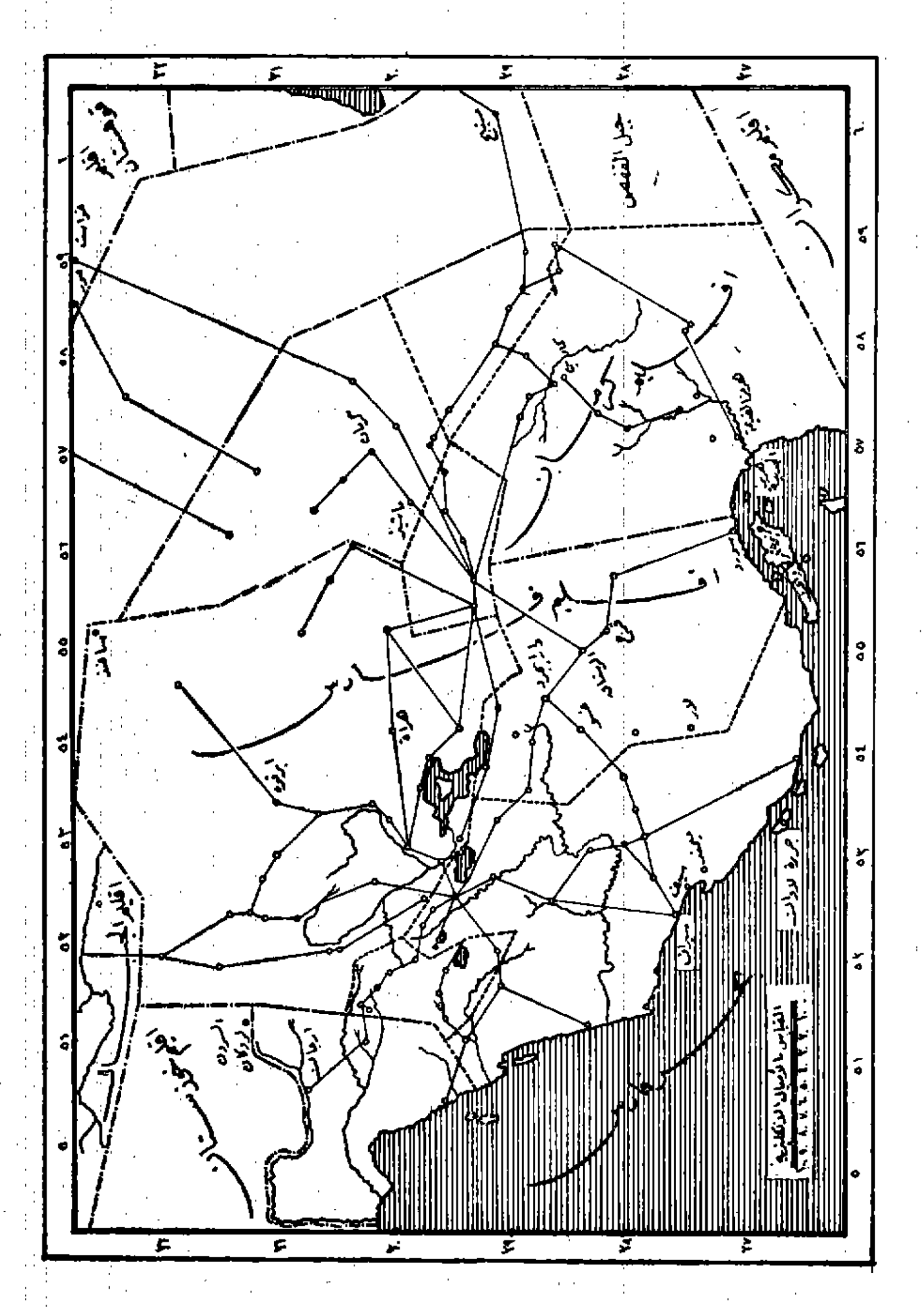
(٣٤) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٥١/٨) والمسالك والممالك ص (١٤٩) .

(٣٥) مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٨).

(٣٦) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة ايام ، وهي صغيرة بالنسبة الى مرو الاخرى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢/٨) والمسالك والممالك ص (١٥٢) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٥٥) .

(٣٧) الصغد : ولاية كبيرة قصبتها سمرقند . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٥) والمسالك والممالك ص (١٧٧ ـ ١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٤٣) .

(٣٨) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٢) والمسالك والممالك ص (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٣١) .



اقليما فارس وكرمان

وتتابع أهل (خراسان) ممن شذ او تحصن على الصلح فيما بين (نيسابور) (٣٩) الى (طخارستان) (٤٠) ممن كان في مملكة كسرى ، اما الاحنف فعاد الى (مرو الروذ) فنزلها واستخلف على (طخارستان) ربعي ابن عامر التميمي (٤١) .

وكتب الاحنف الى عمر بن الخطاب بفتح (خراسان) ، فقال عمر عن الاحنف : « هو سيد اهل المشرق المسمى بغير اسمه » ولكن عمر قال : « لوددت اني لم أكن بعثت الى خراسان جندا ، ولوددت انه كان بيننا وبينها بحر من نار » ، وخشي أن يتقدم الاحنف بجنوده الى ما وراء خراسان من ارض الشرق ، كما خشي ان تأخذ المسلمين نشوة الظفر فيتغلغلوا شرقا ، فكتب الى الاحنف يقول : « أما بعد ، فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به يدم لكم النصر ، واياكم أن تعبروا فتنفضوا ! » .

لقد كان لهذا الحذر من جانب عمر ما يسوّغه ، فقد اتسعت رقعة الفتح في الشرق فتناولت أرض فارس كلها ، وقد طالت خطوط مواصلات المسلمين كثيرا وتوزعت قواتهم في أرجاء الشام والعراق وفارس ; وقد دلت الحوادث من بعد ، ان عمر كان حصيف الراي بعيد النظر ، فقد سار خاقان الترك في جنده ويزدجرد معه ، فعبروا النهر الى (بلخ) واضطروا جند الكوفة أن يتراجعوا منها الى (مرو الروذ) ، ومن (بلخ) تقدمت قوات خاقان وحلفائه باتجاه الاحنف في (مرو الروذ) ، وكان الاحنف قد خرج بقواته ليلا من المدينة وعسكر خارجها ، وفي الصباح جمع الناس وقال لهم : « انكم قليل وان عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ارتحلوا من مكانكم هذا ، فاسندوا الى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوهم من وجه

---

(٣٩) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٥٦) والمسالك والممالك (١٤٥) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٧٢) .

(٤٠) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون ، وطخارستان السفلى غربي جيحون ايضا الا انها أبعد من بلخ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١) والمسالك والممالك ص (١٥٦) .

(٤١) ربعي بن عامر التميمي : صحابي جليل كان عمر بن الخطاب أمد به المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان من اشراف العرب ، وكان على مجنبة هاشم بن عتبة عند عودة جيش العراق من ارض الشام بعد اليرموك ، كما شهد (نهاوند) ، وولاه الاحنف طخارستان . راجع الاصابة (٢/١٩٤) .

واحـد (٤٢) » ؛ وكانت قوة الاحنف تقدر بعشرين الفـا : عشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة آلاف من أهل البصرة .

واقبل الترك ، فكانوا يناوشون المسلمين نهارا ويتنحون عنهم ليلا ، فخرج الاحنف بنفسه ليلةً طليعة لأصحابه حتى كان قريبا من معسكر خاقان الترك ، فلما تنفس الصبح خرج فارس من الترك بطوقه وضرب بطبلـه ، فحمل عليه الاحنف ، فاختلفا طعنتين فطعنه الاحنف وهو يقول :

ان علـى كل رئيس حقـا ان يخضب الصّعدة او تندقّا
انّ لنـا شيخا بهـا ملقـى سيف أبي حفص الذي تبقى (٤٣)

وخرج فارس تركي ثان ، فأورده الأحنف حتفه بطعنة نجـلاء وهـو يرتجـز :

ان الرئيس يرتبي ويطلع ويمنع الخُلاّءَ اما اربعوا (٤٤)

وخرج فارس تركي ثالث ، فأورده الاحنف مورد صاحبيه وهو يرتجز :

جَرْي الشموس ناجزا بناجز محتفلا في جريه مشارز (٤٥)

ثم انصرف الأحنف الى عسكره وأعدّ رجاله للقتال ، ولكن الترك آثروا العودة الى ديارهم ، لأن مقامهم طال دون جدوى ، ولأنهم تكبـدوا خسائـر فادحة بالارواح ، ولأن أملهم بالنصر كان ضعيفـا ، ولأنهم اطمـأنوا الى ان المسلمين لن يعبروا اليهم النهر تنفيذا لأمر الخليفة عمر بن الخطاب .

وكان يزدجرد حين انسحب جند الكوفة مـن (بلخ) وانضموا الـى

---

(٤٢) في الطبري (٢٤٦/٣) وابن الاثير (١٤/٣) : وخرج الاحنف ليلا يتسمع ، هل يسمع برأي فينتفع به ، فمر برجلين ينقيان علفا : اما تبنا او شعيرا ، وأحدهما يقول لصاحبه : لو ان الامير أسندنا الى هذا الجبل ، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا ، وكان الجبل في ظهورنا من ان نؤتى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجه واحد ، رجونا ان ينصرنا الله . فرجع الاحنف وعمل بهذه الفكرة الصائبة .

(٤٣) الصعدة : الرمح او آلة جـارحة أصغر من الحربة . ملقى : طريح ويقصد بـه الشهيد . والمعنى : واجب كل أمير ان يقاتل حتى يدمى رمحه او يتحطم من شدة القتال ، ثم يتذكر الشهيد ابا حفص الثاوي هناك . أنظر تاج العروس (٣٩٨/٢) .

(٤٤) يرتبي : يصعد الرابية . الخلاء : جمع خلى ، وتميم تقول : خلا فلان على اللبن واللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلط به . ربع بالمكان : أقام . يريد : ان واجب الرئيس ان يتحمل عبء الدفاع عن رجاله وحمايتهم .

(٤٥) الشموس : الفرس تمنع ظهرها . مشارز : الشدة والصعوبة والقوة . يعني : انه يزج نفسه بالحرب بقوة واندفاع كما تندفع الفرس الشموس لا تلوي على شيء في جريها القوي الشديد .

الاحنف بمرو الروذ قد فصل في قوة فارسية من (بلخ) الى (مرو الشاهجان)، فحصر المسلمين بها واستخرج خزائنه من موضعها .

وعلم يزدجرد بانسحاب خاقان الى (بلخ) وعزمه على الانسحاب من فارس كلها الى بلاده ، فأراد ان يحمل خزائنه ويلحق بخاقان حليفه ، فقال له أهل فارس : أي شيء تريد ان تصنع ؟! فقال : « أريد اللحاق بخاقان فأكون معه او بالصين » ، فقالوا : مهلا ! ان هذا رأي سوء ، فانك انما تأتي قوما في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ، ولكن أرجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم يلون بلادنا ، وان عدواً يلينا في بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ، ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم !!.. فأبى عليهم وابوا عليه ، فقالوا : فدع خزائننا نردها الى بلادنا ومَن يليها ولا تخرجها من بلادنا الى غيرها !. فخالفهم يزدجرد وأصر على رايه ؛ فخرجوا اليه وثاروا به وقاتلوه وحاشيته واستولوا على خزائنه ففر فيمن معه الى (بلخ) ، فاذا خاقان سبقه الى الانسحاب منها ، فتابع فراره حتى بلغ (َفرْغانَة) (٤٦) عاصمة الترك ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : « أقيموا بمكانكم ودعوهم » .

واقبل اهل فارس على الاحنف فصالحوه وعاهدوه ودفعوا اليه خزائن كسرى وأمواله ، فسار الاحنف بجند الكوفة من (مرو الروذ) الى (بلخ) فأنزلهم بها ثم عاد الى مقر قيادته في (مرو الروذ) .

وكتب الاحنف الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس ، فجمع عمر الناس وخطبهم ، وأمر بكتاب الفتح فقرىء عليهم ، وقال في خطبته : « الا ان الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم . الا وان الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ؛ والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يعرف لكم بعهده ويؤتكم وعده ، ولا تتبدلوا ولا تغيِّروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فاني لا اخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم (٤٧) » ، فكان فتح الاحنف لخراسان النذير الصادق بانتهاء دولة

---

(٤٦) فرغانة : اسم مدينة واسم ولاية ايضا ، وهي ولاية واسعة بما وراء نهر جيحون متاخمة لبلاد تركستان . وهنا يقصد مدينة فرغانة وهي عاصمة سمرقند . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٦/٦) والمسالك والممالك ص (١٦٦) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٢٣٥).

(٤٧) أنظر تفاصيل قصة فتح خراسان في الطبري (٢٤٤/٣ ــ ٢٥٠) وابن الاثير (١٣/٣ــ١٥)

الاكاسرة من بني ساسان ونشر رايات العرب المسلمين في تلك البلاد (٤٨) .

٣ ـ استعادة فتح خراسان :

نكث أهل فارس العهد بعد عمر بن الخطاب (٤٩) ، فلما استعاد عبدالله ابن عامر فتح بعض أرض فارس في أيام عثمان بن عفان ، غزا خراسان (٥٠) وعلى مقدمته الاحنف ، فأتى (الطَّبَسين) وهما حصنان وبابا خراسان فصالحه أهلهما ، فسار الى (قُهُستان) (٥١) فلقيه أهلها وقاتلهم حتى الجأهم الى حصنهم ، فقدم عليها عبدالله بن عامر وصالح أهلها (٥٢) .

ووجه ابن عامر الاحنف الى (طخارستان) ، فأتى الموضع الذي يقال له : قصر الاحنف ، وهو حصن (مرو الروذ) وله رستاق (٥٣) عظيم يعرف برستاق الاحنف (٥٤) فحصر الاحنف أهله ، فصالحوه على ثلاثمائة الف درهم . ومضى الاحنف الى (مرو الروذ) فصالح أهلها بعد قتال شديد ، وسيَّر الاحنف سرية فاستولت على رستاق (بغ) (٥٥) وصالحت أهله (٥٦)

وجمع له اهل (طخارستان) ، فاجتمع أهل (الجُوزْجان) (٥٧)

---

(٤٨) فتحت خراسان سنة اثنتين وعشرين للهجرة . أنظر الطبري (٢٤٤/٣) وابن الاثير (١٣/٣) وتاريخ ابي الفدا (١٦٤/١) ، وذلك لان انسياح المسلمين في ولايات فارس جرى بعد معركة (نهاوند) التي كانت سنة احدى وعشرين للهجرة ، ولم يكن بامكان المسلمين التغلغل بهذا العمق قبل معركة (نهاوند) الحاسمة التي قضت على القوات الضاربة المهمة للفرس، لذلك أطلق العرب بحق على معركة (نهاوند) اسم : فتح الفتوح .

(٤٩) ابن الاثير (٤٧/٣) .

(٥٠) البلاذري ص (٣٩٤) .

(٥١) قهستان : في البلاذري ص (٣٩٤) ورد اسمها : قوهستان . كذلك في معجم البلدان (١٨٧/٧) والمسالك والممالك ص (١٥٤) : تعريب كوهستان ومعناه موضع الجبال ، لان كوه هو الجبل بالفارسية . وهي ولاية بين هراة ونيسابور . وأنظر آثار البلاد وأخبار العباد ص(٣٤١)

(٥٢) ابن الاثير (٤٧/٢) ، وفي البلاذري : ان الاحنف استعاد فتح قوهستان عنوة، ويقال: بل ألجأهم الى حصنهم ، ثم قدم عليها ابن عامر ، فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة الف درهم . وانظر تاريخ ابن خلدون (١٣٢/٢) .

(٥٣) الرستاق : مجموعة القرى .

(٥٤) البلاذري ص (٣٩٦ ـ ٣٩٧) .

(٥٥) بغ : ويقال لها : بغشور ، وهي بليدة بين هراة ومرو الروذ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٥/٢ ـ ٢٤٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٢٩) .

(٥٦) ابن الاثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٢٩٧) .

(٥٧) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٢/٣) والمسالك والممالك ص (١٥٣) .

و (الطالقان) (٥٨) و (الفارياب) (٥٩) ومن حولهم، فبلغوا ثلاثين الفا، وجاءهم أهل (الصَغانيان) (٦٠) وهم من الجانب الشرقي من نهر جيحون ، فالتقوا وقاتل قتالا شديدا ، فانهزم الفرس وحلفاؤهم فطاردهم المسلمون والحقوا بهم خسائر فادحة بالارواح (٦١) .

ولحق بعض العدو (بالجوزجان) فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي (٦٢) في خيل ، واوصى قومه بني تميم بقوله : « يا بني تميم ! تحابوا وتباذلوا تعدل اموركم ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم » ، فسارع الاقرع ولقي العدو بالجوزجان ؛ فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا عدوهم وفتحوا الجوزجان عنوة (٦٣) .

واستعاد الاحنف فتح (الطالقان) صلحا وفتح (الفارياب) ، ثم سار الى (بلخ) وهي مدينة طخارستان فصالحه اهلها أيضا ، فسار الى خوارزم (٦٤) وهي على نهر جيحون ، فلم يقدر عليها ، فاستشار أصحابه

---

(٥٨) الطالقان : بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٦) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٤٠٢) .

(٥٩) الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان قرب بلخ غربي جيحون . أنظر معجم البلدان (٣٢٨/٧) .

(٦٠) الصغانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الاعمال بترمذ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦١/٥) .

(٦١) الطبري (٣٥٦/٣) وابن الاثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٣٩٧) وانظر البدء والتاريخ (١٩٨/٥) .

(٦٢) الاقرع بن حابس التميمي : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن اسلامه .

شهد حرب اليمامة مع خالد بن الوليد ، وشهد مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل، وشهد مع خالد حرب أهل العراق وفتح الانبار واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان بن عفان ، ولكنه تغلب على العدو في النهاية .

كان شريفا في الجاهلية والاسلام، واسمه الاصلي : فراس . وانما قيل له : الاقرع ، لقرع كان براسه . انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣٧/٧) والاصابة (٥٨/١) واسد الغابة (١٠٧/١) والاستيعاب (١٠٣/١) .

(٦٣) الطبري (٣٥٧/٣ — ٣٥٨) وابن الاثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٢٩٨) .

(٦٤) خوارزم : اسم اقليم ، وهو منقطع عن خراسان وعما وراء النهر ، وتحيط به المفاوز من كل جانب ، وحدّها متصل بحد الغزية فيما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي على جانبي نهر جيحون ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون . أنظر التفاصيل في الممالك والمسالك ص (١٦٨) ومعجم البلدان (٤٧٤/٣) .

فأشاروا عليه بالعودة الى بلخ (٦٥) .

وهكذا استعاد الأحنف فتح خراسان ثانية (٦٦) .

الانســــان :

١ ـ حياتــه :

ذكرنا اسلامه وجهاده ، وكان بالاضافة الى ما ذكرناه ، من سادات التابعين واكابرهم (٦٧)، وسيدا مطاعا في قومه(٦٨) وسيد أهل البصرة (٦٩).

وفد على عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وكان موضع ثقتهما وتقديرهما ، ولما تولى علي بن أبي طالب الخلافة وقصدت عائشة أم المؤمنين البصرة ، كتبت اليه والى أمثاله من رجالات البصرة واقامت (بالحفير) (٧٠) تنتظر الجواب (٧١) ، وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد مقتل عثمان وكان الاحنف حينذاك في طريق عودته من الحج ، ولكنه أعتزل الفريقين في معركة الجمل ومعه زهاء ستة آلاف ، وبقي مع أصحابه بالجلحاء (٧٢) على فرسخين من البصرة .

فقد قصد الاحنف كلاً من عائشة وطلحة والزبير عند وصولهم البصرة، فقال لهم : « والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتموني ببيعته ، ولكن اعتزل » ، فأذنوا له في ذلك.

ولما قدم علي بن أبي طالب البصرة ، أتاه الاحنف فقال : « ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غداً قتلت رجالهم وسبيت نساءهم » .

---

(٦٥) الطبري (٣/٣٥٨) وابن الاثير (٣/٤٩) والبلاذري ص (٣٩٨) واليعقوبي (٢/١٤٤) وجمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ لابن حزم ص (٣٤٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٢) .

(٦٦) انجز الاحنف اعادة فتح خراسان سنة احدى وثلاثين للهجرة . انظر الطبري (٣/٣٥٨) وابن الاثير (٣/٤٩) وتأريخ ابي الفدا (١/١٦٨) .

(٦٧) وفيات الاعيان (٢/١٨٦) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨) وتاريخ الاسلام (٣/١٢٩) .

(٦٨) تاريخ الاسلام (٣/١٢٩) والبداية والنهاية (٨/٣٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١).

(٦٩)الاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥) .

(٧٠) الحفير : موضع بين البصرة ومكة ، وهو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٠٣) .

(٧١) ابن الاثير (٣/٨٢) .

(٧٢) الجلحاء : موضع على فرسخين من البصرة ، وهي غير الجلحاء الوارد ذكرها في معجم البلدان (٣/١٢١) .

فقال علي : « ما مثلي يخاف هذا منه ، وهل يحل هذا الا لمن تولى وكفر ، وهم قوم مسلمون » ، فقال الاحنف : « اختر مني واحدة من اثنتين : اما ان اقاتل معك ، واما ان اكف عنك عشرة آلاف سيف » ، فقال علي : « اكفف عنا عشرة آلاف سيف » ، فرجع الى الناس ودعاهم الى القعود واعتزل بهم (٧٣) .

والظاهر أن هناك اسبابا أخرى لاعتزال الاحنف ، فقد تأثر لمقتل عثمان ابن عفان ، وكان يرى ان الاقدام على قتله جريمة لا تغتفر لما قدّمه عثمان من خدمات جليلة للاسلام . قال الاحنف : « خرجنا حجاجاً فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج ، فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا ، اذ أتانا آت فقال : ان الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا . فانطلقنا فاذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد ، واذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، فانا كذلك اذ جاء عثمان بن عفان عليه مُلاءة (٧٤) صفراء قد قنّع بها راسه (٧٥)، فقال : اهمنا علي ؟ اهمنا طلحة ؟ اهمنا الزبير ؟ اهمنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : فأني انشدكم بالله الذي لا اله الا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربد (٧٦) بني فلان غفر الله له ؛ فابتعته بعشرين الفا او بخمسة وعشرين ألفا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : اجعلها في مسجدنا واجره لك . قالوا : اللهم نعم . قال فأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو ، أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع (بئر رُومة) (٧٧) غفر الله له ، فابتعته بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قد ابتعتها بكذا وكذا، فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك . قالوا : اللهم نعم !.. قال : فأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو ، اتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال : من جهَّز هؤلاء غفر الله له ـ يعني جيش العسرة ـ فجهزتهم حتى ما يفقدوا عقالا ولا خطاما ! قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد .. اللهم اشهد ..» وهذا سبب من أسباب اعتزال الاحنف (٧٨)

---

(٧٣) الطبري (٣/٥٠٩ ـ ٥١٠) وابن الاثير (٣/٩٤) .

(٧٤) الملاءة : الازار والربطة .

(٧٥) تنع راسه : اي القى على راسه لدفع الحر أو غيره .

(٧٦) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .

(٧٧) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة ، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها. أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤) .

(٧٨) سنن الامام النسائي (٢/١٢٤) وانظر حاشية السندي على النسائي على هامش سنن النسائي (٢/١٢٤) . وانظر ايضا الطبري (٣/٥١٠) .

معركة (الجمل) (٧٩) .

لقد كان الأحنف في حرج شديد من قتال أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلحة والزبير ، ولكنه كان يرى ان عليا على الحق وانه مسؤول عن اسناده (٨٠)، لذلك آثر استرضاء الطرفين : فاعتزل وقعة (الجمل) ولكنه شهد مع علي بن أبي طالب وقعة (صفين) (٨١) .

قال الأحنف لعلي : « يا امير المؤمنين ! انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل ، فلن ينصروا عليك غيرك . وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ ، وعجبوا اليوم ممن خذلك ؛ لأنهم شكّوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في عمرو ومعاوية ... » ، فقال علي : « اكتب الى قومك » فكتب الاحنف الى بني سعد ، فلما انتهى كتابه اليهم ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة (٨٢) .

وقال لعلي قبل معركة صفين : « لم نقاتل القوم لنا ولك ، انما قاتلناهم لله ، فان حال امر الله دوننا ودونك فاقبله ، فانك أولى بالحق واحقنا بالتوفيق ؛ ولا أرى الا القتال ! » (٨٣) .

ولما استقرّ الامر لمعاوية بن ابي سفيان دخل عليه الاحنف يوما، فقال له معاوية : « والله يا احنف ، ما اذكر يوم صفين الا كانت حزازة في قلبي الى يوم القيامة !» ، فقال الاحنف : « والله يا معاوية ، ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا ، وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها ، وان تدْنُ من الحرب فترا تَدْنُ منها شبرا ، وان تمش اليها نهرول اليها !»، ثم قام وخرج . وكانت اخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه ، فقالت : « يا امير المؤمنين ، من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟!» ، قال : « هذا الذي اذا غضب غضب لغضبه مائة الف من بني تميم لا يدرون فيم غضب» (٨٤) .

تولى خراسان في ايام عمر بن الخطاب وفي ايام عثمان بن عفان واخباره كثيرة ، وقد ولد ملتصق الاليتين حتى شق (٨٥) ، كما ولد وهو أحنف

---

(٧٩) الاصابة (١٠٢/١) وأسد الغابة (٥٥/١) ووفيات الاعيان (١٨٦/٢) وتاريخ ابي الفدا (١٧٤/١) والامامة والسياسة لابن قتيبة (٧١/١) .

(٨٠) انظر الطبري (٥١٣/٣) حول رأي الاحنف في اسناد علي بن ابي طالب .

(٨١) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) والاصابة (١٠٣/١) وأسد الغابة (٥٥/١) ووفيات الاعيان (١٨٦/٢) وتاريخ الاسلام (١٢٩/٢) .

(٨٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة (٨٦/١ — ٨٧) .

(٨٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١٢٣/١) .

(٨٤) وفيات الاعيان (١٨٦/٢ — ١٨٧) وشذرات الذهب (٢٨/١) .

(٨٥) وفيات الاعيان (١٩١/٢) .

الرجل ، فكانت أمه ترقصه وتقول :

والله لولا حَنَفٌ في رجله ما كان في الحي غلامٌ مثله (٨٦)

وكان يطأ على وحشي رجله ، ولذا قيل له : الاحنف (٨٧) . وكان أعور ذهبت عينه عندما فتح (سمرقند) ، وقيل : بل ذهبت عينه بالجدري. وكان متراكب الاسنان ، صغير الرأس ، مائل الذقن (٨٨) ، قصيرا دميما له بيضة واحدة (٨٩) ، ناتيء الوجنة باخع العينين (٩٠)، خفيف العارضين(٩١)، وكان ثطاً ـ يعني كوسجاً ـ وكان رهطه يقولون : « وددنا اننا اشترينا للاحنف لحية بعشرة آلاف » (٩٢) .

وكان يهتم بقيافته فيرتدي مطرف خز وعمامة من خز (٩٣) ؛ وكان صديقا لمصعب بن الزبير فوفد عليه بالكوفة ـ ومصعب يومئذ وال عليها، فتوفي الاحنف عنده بالكوفة سنة سبع وستين للهجرة (٩٤) (٦٨٦م) عن سبعين سنة (٩٥) ، أي أنه ولد سنة ثلاث قبل الهجرة (٦١٩م) وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى راجلا بين رجلي نعشه بغير رداء ، وقال في تأبينه : «هذا سيد أهل العراق» (٩٦)، وقال ايضا : «اليوم ذهب الحزم والرأي» (٩٧). ودفن (بالثَوِيَّة) (٩٨) عند قبر زياد بن ابي سفيان (٩٩) .

---

(٨٦) طبقات ابن سعد (٩٣/٧) .

(٨٧) الاحنف : المائل . ووحشي الرجل : ظهرها . والحنف في الرجل : أن تقبل كل واحدة منهما بأبهامها على صاحبتها .

(٨٨) وفيات الاعيان (٢٩١/٢) .

(٨٩) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) وتهذيب ابن عساكر (١١/٧) .

(٩٠) باخع العينين : منخسف العينين .

(٩١) تهذيب ابن عساكر (٢٣/٧) والمعارف ص (٥٧٨) .

(٩٢) الف باء ـ للبلوي ـ (٣٤٣/٢) .

(٩٣) طبقات ابن سعد (٩٧/٧) .

(٩٤) الاصابة (١٠٣/١) وأسد الغابة (٥٥/١) والاستيعاب (٧١٦/٢) وابن الاثير (١٠٩/٤) وقيل : انه توفي سنة احدى وسبعين ، وقيل سبع وسبعين ، وقيل ثمان وستين . انظر وفيات الاعيان (١٩١/٢) ، وقيل سنة اثنتين وسبعين . أنظر شذرات الذهب (٧٨/١) .

(٩٥) وفيات الاعيان (١٩١/٢) .

(٩٦) الاستيعاب (٧١٦/٢) .

(٩٧) تهذيب ابن عساكر (٢٣/٧) .

(٩٨) الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل بالكوفة . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٣) .

(٩٩) وفيات الاعيان (١٩١/٢) والاستيعاب (٧١٦/٢) والمعارف ص (٤٢٤) وزياد بن ابي سفيان هو : زياد بن ابيه .

٢ ــ مزايــاه :

أ ــ مزاياه العامــة :

كان الاحنف موضع ثقة الناس جميعــا بمختلف طبقاتهم واهوائهــم وميولهم ، فما هي المزايا التي جعلته يستحوذ على ثقة غيره به ؟

لقد كان من البيوتات التي تفخر بها البصرة ، وكان في البصرة ستــة ليس بالكوفة مثلهم احدهم الاحنف (١٠٠) وكان ثقة مأمونا (١٠١) ، أحــد الحكماء الدهاة العقلاء (١٠٢) ، عاقلا حكيما ذا دين وذكاء وفصاحة (١٠٣)، وكان سيد قومه موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم (١٠٤) يضرب بحلمه المثل (١٠٥) ، وكان سيدا شريفا مطاعا مؤمنا عليم اللســان (١٠٦) .

تلك هي بعض مزايا الاحنف ، فلا عجب ان يقول الشاعر في وصفه :

اذا الابصار أبصرت ابن قيس   ظللن مهابة منه خشوعا

وأن يقول عنه خالد بن صفوان : « كــان الاحنف يفر مــن الشرف ، والشرف يتبعه» (١٠٧) ، وقال هشام بن عبد الملك لخالد هذا : « أخبرني عن الاحنف » ، فقال : « ان شئت يا امير المؤمنين أخبرتك عنه بثلاث ، وان شئت بثنتين وأن شئت بواحدة » ، قال : « فأخبرني عنه بثلاث » . فقــال « كان لا يحسـد ولا يجهل ، ولا يدفع الحق ـ اذا نزل به خضع لذلك » . فقال : « اخبرني عنه بثنتين » ، فقال : « كان يفعل الخير ويحبه ويتوقى الشر ويبغضه » . قال : « فأخبرني عنه بواحدة » ، فقال : « كان من أعظم الناس سلطانا على نفسه » (١٠٨) .

انه بلغ بهذه المزايا الانسانية الرفيعة درجة عالية في نفوس النــاس

---

(١٠٠) ابن الفقيه ص (١٩٠) نقلا عن كتاب : الجاحظ ص (١٥٧) للدكتور شارل بلات ترجمة ابراهيم الكيلاني .

(١٠١) طبقات ابن سعد (٩٣/٧) .

(١٠٢) أسد الغابة (٥٥/١) .

(١٠٣) الاستيعاب (٧١٦/٢) .

(١٠٤) وفيات الاعيان (١٨٦/٢) .

(١٠٥) الاصابة (١٠٣/١) .

(١٠٦) البداية والنهاية (٣٢٦/٨) .

(١٠٧) تهذيب ابن عساكر (١٣/٧) .

(١٠٨) شذرات الذهب (٧٨/١) وانظر تهذيب ابن عساكر (١٣/٧) والعقد الفريد (٢٨٧/٩ ــ ٢٨٨) مع اختلاف باللفظ واتفاق بالمعنى .

واستحوذ على منتهى ثقة النـاس بانسان ، فمـا هي شواهـد تلك المزايا الانسانية الرفيعة في الاحنف ؟..

ب ـ حلمه :

كان الاحنف حليما يضرب بحلمه المثل . سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال: « الذل مع الصبر » . وكان يقول اذا عجب الناس من حلمه : « اني لأجد ما تجدون ، ولكني صبور ! » . وكان يقول : « وجـدت الحلم أنصر لي مـن الرجال» . وكان يقول : «ما تعلمت الحلم الا من قيس بن عاصم المنقري(١٠٩)» ، لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه ، فأتى بالقاتل مكتوفا يقاد اليه ، فقال : ذعرتم الفتى ! ثم اقبل على الفتى فقال : بئس ما فعلت : نقصت عـددك واوهنت

(١٠٩) قيس بن عاصم المنقري : قدم في وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في سنة تسع للهجرة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا سيد أهل الوبر» .

كان حليما مشهورا بالحلم ، ومن حلمه أنه كان قاعدا بفناء داره وبيده سيفـه يحدث قومه ، اذ اتى برجل مكتوف وآخر مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فمـا قطع كلامه ولا تغير لونه ، فلما أتم كلامه التفت الى ابن اخيه فقال : « يا ابن اخي ، بئس مـا فعلت ! أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك » ، ثم قال لابـن عم له آخر : «قم يا بني فوار اخاك وحل كتاف ابن عمك، وسق الى امك مائة ناقة دية ابنها، فانها غريبة » .

وكان قيس قد حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وقال في ذلك :

رأيت الخمر طالحـة وفيهـا ... خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله اشربهـــا صحيحـا ... ولا أشفي بهـــا ابدا سقيما

ولا أعطي بهـــا ثمنا حيـاتي ... ولا أدعـو لهـــا ابدا نديمـا

فان الخمر تفضـح شاربيهـا ... وتجنبهم بهـــا الامر العظيما

ومن جيد شعره :

اني امـرؤ لا يعتـري خلقـي ... دنس يفنـــــه ولا افـــن

مـــن منقـر في بيت مكرمـة ... والغصن ينبت حـوله الغصن

خطبـاء حـين يقـول قـائلهم ... بيض الوجـــود أعفـة لسن

لا يفطنون بعيب جـارهم ... وهـم لحسن جـواره فطـن

وكان لحلمه وورعه وعقله موضع ثقة ابي بكر الصديق . سأله مرة عن المثنى بن حارثة الشيباني فقال : « هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ، هذا المثنى ابن حارثة الشيباني » .

ولما حضرته الوفاة ، دعا بنيه فقال : « يا بني ! احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني ، اذا انا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم ، فيسفه الناس كباركم وتهونون عليهم . وعليكم باصلاح الحال ، فانه منبه لكريم ويستغنى به عن اللئيم ، فانها آخر كسب الرجل » . راجع الاصابة (٢٨٥/٥) واسد الغابة (٢١٩/٤) والاستيعاب (١٢٩٤/٣) .

عضدك واشمت عدوك واسأت بقومك . خلوا سبيله واحملوا الى ام المقتول ديتــه فانهــا غريبــة ! ثم انصرف القــاتل وما حل قيس حبوته ولا تغيّر وجهه»(١١٠) .

وقال رجل للاحنف : « علمني الحلم يا أبا بحر !» ، فقال : « هو الذل يا ابن اخي، أفتصبر عليه ؟!» . وقال : «لست حليما ولكنني أتحالم» (١١١) .

ومن اخبار حلمه ، ان رجلا شتمه فسكت عنه ، وأعاد الرجل فسكت عنه ، وأعاد فسكت عنه ، فقال الرجل : « والهفاه ! ما يمنعه من أن يرد علي الا هواني عنده » (١١٢) .

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيّه ، فقال الاحنف : « يا هذا ! ان كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره » (١١٣) .

وكان يقول : « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، ورب غيظ قــد تجرّعته مخافة ما هو أشد منه » (١١٤) .

ولكن حلمه كان حلم القوي القدير لا حلم العاجز الضعيف ، فقد قاتل في بعض المواطن قتالا شديدا ، فقال له رجل : « يا ابا بحر ! أين الحلم ؟!»، فقال : « عند الحي» (١١٥) .

جـ ـ عقله :

كان الاحنف عاقلا راجح العقل . قال مرة : « من كان فيه اربع خصال ساد قومه غير مدافع : من كان له دين يحجزه ، وحسب يصونه ، وعقــل يرشده ، وحياء يمنعه » (١١٦) . وقال : « العقل خير قرين ، والادب خير ميراث ، والتوفيق خير رفيق » (١١٧) .

وقال : « ما ذكرت احدا بسوء بعد ان يقوم من عندي » ، وكــان اذا ذكر عنده رجل قال : « دعوه يأكل رزقه ويأتي عليه أجله » (١١٨) .

---

(١١٠) وفيات الاعيان (١٨٨/٢) وانظر البداية والنهاية (٣٢٧/٨) .
(١١١) العقد الفريد (٢٨٧/١) .
(١١٢) عيون الاخبار (٢٨٣/١) .
(١١٣) عيون الاخبار (٢٨٧/١) .
(١١٤) عيون الاخبار (٢٨٤/١) .
(١١٥) عيون الاخبار (١٨٥/١) ، وعند الحي : يعني بها تركته في الدار كما نقول .
(١١٦) تهذيب ابن عســاكر (١٧/٧) .
(١١٧) تهذيب ابن عســاكر (١٩/٧) .
(١١٨) تهذيب ابن عســاكر (٢١/٧) .

وشكا ابن اخيه وجع الضرس فقال : « ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ما ذكرتها لاحد » (١١٩) .

وقال : « ما نازعني احد فوقي الا عرفت له قدره ، ولا كان دوني الا رفعت قدري عنه ، ولا كان مثلي الا تفضلت عليه » (١٢٠) .

ومما يدل على رجاحة عقله ، انه دخل على معاوية فأشار الى الوسادة وقال له : « اجلس » ، فجلس الاحنف على الارض ، فقال له معاوية : « وما منعك يا أحنف من الجلوس على الوسادة ؟» ، فقال : « يا امير المؤمنين . ان فيما اوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال : لا تَغْشَ السلطان حتى يَملّك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل او رجلين ، فانه عسى ان يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك ، فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك، وحسبي بهذا المجلس يا امير المؤمنين ، لعله ان يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني»؛ فقال معاوية : « لقد أوتيت تميم الحكمة مع دقة حواشي الكلام » (١٢١) .

وكان يقول : « فيّ ثلاث خصال ما اقولهن الا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب احد من هؤلاء ما لم أدعَ اليه ـ يعني الملوك، وما حللت حبوتي الى ما يقوم الناس اليه» . ويقول : « ألا أدلكم على المحمدة بلا مزرية ؟ الخلق السجيح والكف عن القبيح . ألا اخبركم بأدوا الداء ؟ الخلق الدني واللسان البذي !» . ويقول : « ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن (١٢٢) » .

د ـ علمه :

كان عالما ثقة مأمونا قليل الحديث ، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وابي ذر الغفاري (١٢٣) وروى عنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما (١٢٤)، وقد كان من الفقهاء البارزين في أيام معاوية بن ابي سفيان (١٢٥) .

---

(١١٩) تهذيب ابن عساكر (١٦/٧) .
(١٢٠) ذكر اخبار أصبهان (١٢٢/٣) .
(١٢١) البيان والتبيين (٧٧/١) .
(١٢٢) وفيات الاعيان (١٨٧/٢) والكامل للمبرد (٨٩/١) .
(١٢٣) طبقات ابن سعد (٩٣/٧) والاصابة (١٠٣/١) والبداية والنهاية (٣٢٧/٨) . وفي تهذيب ابن عساكر (١٠/٧) : انه روى عن عمر وعثمان وعلي والعباس وابن مسعود وابي ذر الغفاري .
(١٢٤) تهذيب ابن عساكر (١٠/٧) وتاريخ الاسلام (١٢٩/٣) .
(١٢٥) اليعقوبي (٢١٤/٢) .

هـ ـ حكمته :

كان حكيما ينطق بالحكمة والموعظة الحسنة . سئل عن المروءة فقال: « أدب بارع ولسان قاطع » . وسئل عن المروءة ايضا ، فقال : « التقى والاحتمال » ، ثم أطرق ساعة وقال :

واذا جميل الوجه لم يأت الجميل فما جماله ؟!
ما خير اخلاق الفتى الا تقاه واحتماله

وسئل عنها فقال : « العفة في الدين والصبر على النوائب وبر الوالدين والحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة » .

وقال : « راس الادب آلة المنطق ، ولا خير في قول الا بفعل ، ولا في منظر الا بمخبر ، ولا في مال الا بجود ، ولا في صديق الا بوفاء ، ولا في فقه الا بورع، ولا في صدقة الا بنيّة (١٢٦) » .

وقال : « احي معروفك باماتة ذكره (١٢٧) » . وقال : « ما ادّخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء ، أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب » . وقال : « كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئا عُرف به (١٢٨) » . وقال : « جنّبوا مجلسنا الطعام والنساء ، فاني لأبغض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه ، وان المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه (١٢٩) » . وقال : « الزم الصحة يلزمك العمل (١٣٠) » . وقال : « رب ملوم لا ذنب له » (١٣١) . وقال : « السؤدد مع السواد » يريد : من لم يَطرْ له اسم على السنة العامة بالسؤدد لم ينفعه ما طار له في الخاصة (١٣٢) .

و ـ بلاغته :

كان فصيحا مفوها (١٣٣) . خطب مرة فقال بعد حمد الله والثناء عليه : « يا معشر الأزد وربيعة . أنتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر

---

(١٢٦) تهذيب ابن عساكر (١٩/٧ ـ ٢٠) .
(١٢٧) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) .
(١٢٨) وفيات الاعيان (١٨٧/٢) والكامل للمبرد (٣٧/١) .
(١٢٩) وفيات الاعيان (١٨٨/٢) .
(١٣٠) البيان والتبيين (٩٩/٢) .
(١٣١) البخلاء للجاحظ (٣٤٧) .
(١٣٢) العقد الفريد (٢٩١/١) .
(١٣٣) تاريخ الاسلام للذهبي (١٣٠/٣) .

واشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب الينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب الينا من تميم الشام ، فان استشرف شنآن حسد صدوركم ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم (١٣٤)».

وقال : « ولا تزال العرب عربا ما لبست العمائم ـ اي حافظت على زيّها ـ وتقلدت السيوف ـ يريد الامتناع عن الضيم ـ ولم تعدّ الحلم ذلاً ولا التواهب فيما بينها ضيعة (١٣٥) » .

لقد كان حاضر البديهة قوي الحجة منطقيا . جاء الاحنف الى قوم يتكلمون في دم ، فقال : « احكموا ! » فقالوا : «نحكم بديتين !» فقال : «ذلك لكم» . فلما سكتوا قال : « أنا أعطيكم ما سألتم ، غير أني قائل لكم شيئا : ان الله عز وجل قضى بدية واحدة ، وان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بدية واحدة ، وأنتم اليوم طالبون واخشى ان تكونوا غدا مطلوبين ، فلا يرضى الناس منكم الا بمثل ما سننتم لأنفسكم!»، فقالوا : نردها دية واحدة (١٣٦).

واراد رجل ان ينتقص من قدر الاحنف عندما سمع عمر بن الخطاب يقول عن الاحنف : « هذا والله السيد ... هذا والله السيد » ، فقال ذلك الرجل : « يا امير المؤمنين . انه ليس هناك ، وأمه باهلية » ، فقال عمر : «هو خير منك» فقال الاحنف :

انا ابـن البـاهلية أرضعتني	بثـدي لا أجـد ولا وخيم
أغضّ على القذى أجفان عيني	الى شر السفيه الى الحليم (١٣٧)

وسمع الاحنف رجلا يقول : ما أبالي أمدحت أم ذممت » ، فقال له : « لقد استرحت من حيث تعب الكرام » (١٣٨) .

ز ـ دهاؤه :

كان الاحنف من دهاة العرب . قال الاحنف لعلي بن ابي طالب يبدي رايه في ابي موسى الأشعري ممثل علي في التحكيم : « يا امير المؤمنين ! ان ابا موسى الأشعري رجل يماني وقومه مع معاوية ، فابعثني معه ، فوالله لا يحل لك عقدة الا عقدت لك أشد منها ، فان قلت : اني لست من اصحاب

---

(١٣٤) العقد الفريد (٣٨٨/٢) ، وانظر الكامل للمبرد (٩٧/١) والشانىء : المبغض .
(١٣٥) الكامل للمبرد (١٢٠/١) .
(١٣٦) وفيات الاعيان (١٨٨/٢) .
(١٣٧) أجد : عظم . وخيم : ثقيل بين . انظر العقد الفريد (١٨٨/١) .
(١٣٨) وفيات الاعيان (١٨٨/٢) .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، فابعث ابن عباس وابعثني معه » (١٣٩).

ح ـ ايثاره :

كان الاحنف يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، بل كان يؤثر غيره على نفسه بالخير والمعروف ويقنع هو برضى نفسه الرضية المطمئنة الى ما اصاب غيره بجهده من خير . اوفد أبو موسى الأشعري الى عمر بن الخطاب وفدا من أهل البصرة وفيهم الاحنف ، فلما قدموا عليه ، تكلم كل رجل بخاصة نفسه ـ وكان الاحنف في آخر القوم ، فحمد الله واثنى عليه وقال : « يا امير المؤمنين ! ان مفاتح الخير بيد الله ، وان اخواننا من أهل الامصار نزلوا منازل الامم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وانا نزلنا سبخة ملتفة لايجف نداها ولا ينبت مرعاها : ناحيتها من قبل المشرق البحر الاجاج ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مرى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك فتربق (١٤٠) ولدها كما يربق العنز ، تخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فألا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا » فزاد عمر في عطائهم ، وأمر عامله على البصرة فأجرى لهم نهرا من دجلة على ثلاثة فراسخ الى شمالها (١٤١) .

وعرض عمر على الاحنف جائزة فقال : « يا امير المؤمنين ! والله ما قطعنا الفلوات ودابنا الروحات والعشيات للجوائز ، وما حاجتي الا حاجة من خلفي » فزاده ذلك عند عمر خيرا (١٤٢) .

وقدم وفد اهل العراق على معاوية بن ابي سفيان وفيهم الاحنف ، فخرج الآذن فقال : « ان امير المؤمنين يعزم عليكم الا يتكلم احد الا لنفسه » فلما دخلوا اليه قال الاحنف : « لولا عزيمة (١٤٣) امير المؤمنين لاخبرته أن دافّة دفّت (١٤٤) ونازلة نزلت ونائبة نابت ونابتة نبتت ـ كلهم به حاجة الى معروف امير المؤمنين وبرّه » ، فقال معاوية : « حسبك يا ابا بحر ! فقد كفيت الغائب والشاهد » (١٤٥) .

---

(١٣٩) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١٣١/١) .

(١٤٠) ربقه : جعل راسه في الربقة ، وهو حبل تشد به البهم .

(١٤١) تهذيب ابن عساكر (١١/٧) والعقد الفريد (١٩١/١) مع اختلاف في اللفظ ، وانظر ابن الاثير (٢١٠/٢) .

(١٤٢) تهذيب ابن عساكر (١٢/٧) .

(١٤٣) عزيمته : امره بعدم التكلم لغائب .

(١٤٤) دافة دفت : جائحة مستاصلة ظهرت ونجمت .

(١٤٥) البيان والتبيين (٩٣/٢) .

وكان يشعر بشعور (المجموع) ولا يقتصر على شعوره (الفردي) . قيل له : كيف سوّدك قومك وأنت أرذلهم خلقة ؟! فقال : « لو عاب قومي الماء ما شربته » (١٤٦) .

ط ـ امانته :

كان الاحنف امينا غاية الامانة . لما سار الى (خوارزم) استعمل على (بلخ) ابن عمه اسيد بن المتشمس ليأخذ من اهلها ما صالحوه عليه . وانصرف الاحنف الى (بلخ) وقد قبض ابن عمه ما صالحوه عليه مع هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب ، فقال ابن عمه لهم : « هـذا ما صالحناكم عليه ؟!» فقالوا : لا . ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطف به » ، قال : « وما هذا اليوم ؟» فقالوا : المهرجان (١٤٧) ، فقال : « ما أدري ما هذا ، واني لأكره ان أرده ، ولعله من حقي ، ولكن اقبضه واعزله حتى انظر » ، فقبضه وقدم الاحنف فأخبره فسألهم عنه ، فقالوا مثل ما قالوا لابن عمه ، فقال : « آتي به الامير » ، فحمله الى عبد الله بن عامر فأخبره عنه فقال : « اقبضه يا أبا بحر فهو لك » ، فقال الاحنف : «لا حاجة لي فيه » (١٤٨) .

لقد كان يتحرّج حتى من الهدايا ، وكان يكتفي بعطائه وبسهمه مـن الغنائم اسوة بأي رجل من رجال المسلمين ، وقد جاءه رجل يوما يسأله ، فقال : « انما لي سهم وما فيه فضل عني ، وانما لفرسي سهمان وما فيهما فضل عن فرسي» (١٤٩) .

لقد كان كالموظف النزيه يضطر الى الاقتصاد ليعيش عيش الكفاف، حتى انه جبر يد عنز (١٥٠) ، ومع ذلك كان جوادا (١٥١) حسب امكاناته فلم يبق له جوده دينارا ولا دارا .

ي ـ اناته :

كان الاحنف شديد الاناة ، لا يقدم على عمل الا بعد ان يحسب له الف حساب . قيل له : يا ابا بحر ! ان فيك اناة شديدة ، فقال : « قد عرفت

---

(١٤٦) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) وتهذيب ابن عساكر (١٢/٧) .
(١٤٧) المهرجان : أحد اعياد الفرس .
(١٤٨) الطبري (٣٥٨/٣) وابن الاثير (٤٩/٣) .
(١٤٩) طبقات ابن سعد (٩٦/٧) .
(١٥٠) البخلاء للجاحظ ص (٢٥) .
(١٥١) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) .

من نفسي عجلة في امور ثلاثة : في صلاتي اذا حضرت حتى أصليها ، وجنازتي اذا حضرت حتى اغيّبهـا في حفرتهـا ، وابنتي اذا خطبهـا كفيئهـا حتى ازوجه » (١٥٢) .

ك ـ ورعه :

كان الاحنف مؤمنا ورعا قوي الايمان ، فقد سارع الى اعتناق الاسلام اول ما بلغته الدعوة الاسلامية ، واسلم قومه باشارته (١٥٣) ، وبسط حمايته القوية الامينة على الدعاة الاولين (١٥٤) ، وثبت على عقيدته عندما ارتد أكثر قومه وأكثر العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (١٥٥) ، وجـاهد للدفاع عنها ونشرها حق الجهاد وأبلى في ذلك أعظم البلاء . قـال الحسن البصري عنه : « ما رأيت شريف قوم أفضل منه » (١٥٦) . قال الاحنف : « حبسني عمر بن الخطاب عنده بالمدينة سنة ، يأتيني كل يوم وليلة ، فلا يأتيه عني الا ما يحب» (١٥٧) ، فكتب عمر بعد نجاح الاحنف في الاختبـار العمري ـ وما أصعبه وادقه من اختبار ـ معه كتابا الى الامير على البصرة يقول : « الاحنف سيد أهل البصرة » (١٥٨) ، وكتب الى ابي موسى الاشعري ان يشاور الاحنف ويسمع منه (١٥٩) ، وقـال عنـه : « هو مؤمـن عليم اللسان (١٦٠) » وقال له عمر بعد أن حبسه حولا عنده : « يا أحنف ! قـد بلوتك وخبرتك ، فلم أر الا خيرا ، ورأيت علانيتك حسنة ، وانا ارجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك (١٦١) » . وقال له عمر : « ويحك يا أحنف ! لما رأيتك ازدريتك ، فلما نطقتَ قلتُ : لعله منـافق عليم اللسان ، فلمـا اختبرتك حمدتك (١٦٢) » .

---

(١٥٢) طبقات ابن سعد (٩٦/٧) .
(١٥٣) شذرات الذهب (٧٨/١) .
(١٥٤) ذكر اخبار أصبهان (٢٢٤/١) .
(١٥٥) المعارف ص (٤٢٤) .
(١٥٦) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) وشذرات الذهب (٧٨/١) وتاريخ الاسلام (١٣١/٣) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
(١٥٧) ذكر أخبار أصبهان (٢٢٤/١) .
(١٥٨) أسد الغابة (٥٥/١) .
(١٥٩) تهذيب ابن عساكر (١٢/٧) .
(١٦٠) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) .
(١٦١) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) .
(١٦٢) تهذيب ابن عساكر (١١/٧) .

لقد كان رجلا صالحا كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبكي حتى الصباح ، وكان يضع اصبعه في المصباح ويقول : « حس يا احنف ! ما حملك على كذا ما حملك على كذا ؟! » ، ويقول لنفسه : « اذا لم تصبر على المصباح ، فكيف تصبر على النار الكبرى (١٦٣) » وقيل له : انك تكثر الصوم وان ذاك يرق المعدة ، فقال : « اني أعده لسفر طويل (١٦٤) » .

واستعمل الاحنف على (خراسان) ، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة ، فلم يوقظ احدا من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء ، فاتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دما ، فوجد الثلج ، فكسره واغتسل (١٦٥) .

وكان قلّ ما خلا الا دعا بالمصحف ، وكان النظر في المصاحف خلقا في الاولين (١٦٦) . وكان من دعائه : « اللهم ان تغفر لي فأنت اهل ذاك ، وان تعذبني فأنا اهل ذاك (١٦٧) » . ومن دعائه : « اللهم هب لي يقينا تهوّن به علي مصيبات الدنيا (١٦٨) .

ومرّت به جنازة فقال : « رحم الله من اجهد نفسه لمثل هذا اليوم (١٦٩) » . وكان يقول : « عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر !؟ (١٧٠) » .

وجاءه كتاب من عند الملك يدعوه الى نفسه فقال : « يدعوني ابن الزرقاء الى ولاية اهل الشام ! والله لوددت ان بيني وبينهم جبلا من نار : من أتاني منهم احترق فيه ومن اتاهم منا احترق فيه » وكان يكره ان يصلي في المقصورة وان يتخطى رقاب الناس قبل خروج الامام يوم الجمعة (١٧١) .

وبلّغ رجلان الاحنف ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له ، فسجد (١٧٢) شكرا لله ، وكان نقش خاتمه : نعبد الله (١٧٣) .

---

(١٦٣) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
(١٦٤) تهذيب ابن عساكر (٦١/٧) وطبقات ابن سعد (٩٦/٧) .
(١٦٥) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) وتهذيب ابن عساكر (١٦/٧) وتاريخ الاسلام للذهبي (١٣٠/٣)
(١٦٦) طبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
(١٦٧) طبقات ابن سعد (٩٦/٧) والبداية والنهاية (٣٢٧/٨) .
(١٦٨) تهذيب ابن عساكر (١٦/٧) .
(١٦٩) تهذيب ابن عساكر (١٦/٧) .
(١٧٠) ذكر اخبار أصبهان (١٣٢/٣) .
(١٧١) طبقات ابن سعد (٩٦/٧ ـ ٩٧) .
(١٧٢) الاصابة (١٠٣/١) .

ل ـ شخصيته :

تلك هي المزايا الشخصية التي استحوذ بها الاحنف على ثقة الناس به وحبهم وتقديرهم له ، هذه المزايا التي تجعل من يتحلى بها شخصية قوية نافذة يندر وجودها بين الناس في كل زمان ومكان ، وقلما يجود بهـا الدهر الا نادرا .

كان صادق القول يرى الكذب خصله لا تليق بالكريم . قدم على عمر ابن الخطاب وفد جند البصرة وفيهم الاحنف ، وكان الفرس قد انتقضوا على المسلمين ، فتحدث عمر الى وفد البصرة ثم وجه الكلام الى الاحنف يقول : « انك عندي مصدّق وقد رايتك رجلا ، فأخبرني : أان ظلمت الذمة، المظلمة نفروا ام لغير ذلك ؟» ، فأجابه الاحنف : « بل لغير مظلمة والناس على مـا تحب ...» فقال عمر : « فنعم اذاً . انصرفوا الى رحالكم (١٧٤) » .

لقد كان حريصا على تكامل شخصيته يبتعد بها عما يسيء اليها مـن قريب او بعيد ، فكـان يقـول : « ليمنعني من كثـير من الكـلام مخـافة الجواب (١٧٥) » .

كان قوي الشخصية حقا لا يخاف احدا ما كان على الحق . ذكر عمر ابن الخطاب بني تميم فذمّهم ، فقام الاحنف وقال : « يا امير المؤمنين ! ائذن لي فأتكلم » ، قال : « تكلم » ، فقال الاحنف : «انك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم، وانما هم من الناس، فمنهم الصالح والطالح»، فقال عمر : «صدقت» فقام رجل من تميم واستأذن عمر بالكلام ، فقال له : « اجلس فقد كفـاكم سيدكم الاحنف (١٧٦) » .

وروي ان معاوية لما نصب ولده (يزيد) لولاية العهد، اقعـده في قبـة حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال : « يا امير المؤمنين ! اعلم انك لو لم تول هذا امور المسلمين لأضعتها » ، والاحنف جالس ، فقال له معاوية : « ما بالك لا تقول يا ابا بحر ؟!» ، فقال : « اخاف الله ان كذبت ، واخـافكم ان صدقت » ، فقال معاوية : « جزاك الله عن الطاعة خيرا » ، وامر له بالوف، فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب ، فذم معاوية وابنه ، فقال له الاحنف :

---

(١٧٣) الطبري (٣٥٦/٣) .
(١٧٤) الطبري (١٧٥/٣) .
(١٧٥) طبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
(١٧٦) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) .

« امسك عليك ، فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها (١٧٧) ».

وحضر الاحنف مجلس معاوية ، وكان عنده بعض وجوه الناس ، فدخل رجل من أهل الشام وقام خطيبا ، وكان آخر كلامه أن لعن علي بن ابي طالب ، فاطرق الناس وتكلم الاحنف ، فقال : « يا امير المؤمنين ! ان هذا القائل لو يعلم ان رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقي ربه وأفرد في قبره ، وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته»، فقال معاوية : « يا أحنف ! لقد اغضيت العين على القذى ، فأيم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعا او كرها » ، فقال الاحنف : « أوتعفيني فهو خير لك ». فالح عليه معاوية ، فقال الاحنف : « اما والله لأنصفنك في القول !» فقال معاوية : « وما انت قائل ؟» قال : « احمد الله بما هو أهله ، واصلي على رسوله واقول : ايها الناس. ان امير المؤمنين معاوية امرني ان العن عليا . ألا وان عليا ومعاوية اختلفا ، فاقتتلا ، وادعى كل منهما انه مبغي عليه ! فاذا دعوت فامّنوا ... ثم أقول : اللهم العن انت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية . اللهم العنهم لعنا كثيرا !!.. امنوا رحمكم الله ... يا معاوية اقوله ولو كان فيه ذهاب روحي » . فقال معاوية : « اذن نعفيك من ذلك (١٧٨)».

وكان زياد بن ابيه في مدة ولايته العراقين كثير الرعاية للاحنف ، فلما مات زياد وتولى مكانه ولده عبيد الله بن زياد تغيرت منزلة الاحنف عند الامير الجديد ، وصار يقدّم عليه من لا يساويه ولا يقاربه .

وجمع عبيد الله أعيان العراق وفيهم الاحنف وتوجه بهم الى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء العراق ، فقال : « ادخلهم الي اولاً فأولاً على قدر مراتبهم عندك»، فخرج اليهم وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية ، فكان آخر من دخل الاحنف !..

ورآه معاوية ، وكان يعرف منزلته ويبالغ في اكرامه لتقدمه وسيادته، فقال له : « الي يا ابا بحر » ، فتقدم اليه فأجلسه معه على مرتبته واقبل عليه يسأله عن حاله ويحادثه واعرض عن بقية الجماعة .

واخذ اهل العراق في شكر عبيد الله والثناء عليه والاحنف ساكت ، فقال له معاوية : « لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟! » ، فقال : «ان تكلمت خالفتهم»،

---

(١٧٧) وفيات الاعيان (١٨/٢) ، وانظر شذرات الذهب (٧٨/١) وطبقات ابن سعد (٦٥/٧) والكامل للمبرد (٣٨/١) .

(١٧٨) تاريخ أبي الفدا (١٩٥/١ — ١٩٦) .

فقال لهم معاوية : « اشهدوا علي انني قد عزلت عبيد الله عنكم ، فقوموا وانظروا في امير اوليه عليكم وترجعون الي بعد ثلاثة ايام » .

وخرجوا من عند معاوية ، وكان فيهم جماعة يطلبون الامارة لأنفسهم وفيهم من عيّن الامارة لغيره ، وسعوا في السر مع خواص معاوية أن يفعل لهم ذلك !

واجتمعوا بعد انقضاء ثلاثة الايام – كما قال معاوية ، والاحنف معهم، فدخلوا عليه فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الاول ، وأخذ الاحنف اليه كما فعل اولا وحادثه ساعة ، ثم قال : « ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ » فجعل كل واحد يذكر شخصا ! وطال حديثهم في ذلك ، وافضى الى منازعة وجدال ، والاحنف ساكت – ولم يكن في الايام الثلاثة تحدث مع احد في شيء، فقال له معاوية : « لم لا تتكلم يا ابا بحر ؟» ، فقال الاحنف : «ان ولّيت احدا من اهل بيتك لم تجد من يعدل عبيد الله ولا يسد مسده ، وان وليت من غيرهم فذلك الى رأيك » .

ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الثناء على عبيد الله من ذكره في هذا المجلس ولا سأل عوده اليهم ، فلما سمع معاوية مقالة الاحنف قال للجماعة : « اشهدوا علي اني أعدت عبيد الله الى ولايته»، فكل منهم ندم على عدم ترشيح عبيد الله للامارة ثانية ، وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولي؛ فلما فصل الجماعة من مجلس معاوية ، خلا بعبيد الله وقال له : « كيف ضيعت مثل هذا الرجل ؟ – يعني الاحنف – فانه عزلك وأعادك الى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرّجوا عليك لما فوضت الامر اليهم ، فمثل الاحنف من يتخذه الانسان عونا وذخرا » ؛ فلما عادوا الى العراق ، أقبل عبيد الله على الاحنف وجعله بطانته وصاحب سره .

تلك هي شخصية الاحنف : يعزل أمير العراقين ويعيده الى منصبه وهو ساكت !!

القـائد :

أول ما يلاحظ في الاحنف مزاياه الانسانية الرفيعة التي جعلته موضع ثقة رؤسائه وحبهم وموضع ثقة مرؤوسيه وحبهم على حد سواء .

وكان لذكائه اللماح وسعة ادراكه وسرعة بديهته ومنطقه الرائع السليم اثر عظيم على قابلية الاحنف في اعداد الخطط العسكرية الصحيحة الناجحة

واعطاء القرارات السريعة الصائبة ، كما كان لشجاعته الشخصية واقدامه أثر كبير على وضع تلك الخطط والقرارات في حيّز التنفيذ .

لقد كان يبذل قصارى جهده في اعداد خططه العسكرية واعطاء قراراته ، فكان يستشير رجاله ويأخذ بالرأي السديد ، ولا يقتصر على استشارة ذوي الرأي ، بل يتجول سرا في الليل بين عامة رجاله يتسمع احاديثهم ، فاذا وجد رأيا سديدا يبدونه فيما بينهم سارع الى العمل به ، لا يهمه أن يأخذ الحكمة من أي وعاء !

واذا كان هناك ما يمتاز به الاحنف في القيادة ، فانه كان يقاتل عدوه بسيفه وبعقله معا ، فقد كان على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام ، حتى انه كان يستأثر بالخطر دون رجاله ويؤثرهم بالراحة والأمن ؛ كما كان على جانب عظيم من الدهاء فيوفر بدهائه على قواته كثيرا من الجهود والمشقات .
كما انه كان يمتاز بقابليته التعبوية الفذة ، وهذا يفسر لنا كيف استطاع قهر أعدائه الكثيرين بقواته القليلة ، كما كان يمتاز في نفس الوقت بقابليته السوقية (الاستراتيجية) ، ولعل آراءه الصائبة التي أبداها لعمر بن الخطاب في انسياح المسلمين في أرض فارس دليل ملموس على قابليته السوقية .

كما انه كان يمتاز بصراحته النادرة مع قواته ، فقد كان يحذّرهم العدو ويذكر لهم قوته ويذكّرهم بضعفهم بالنسبة لقوة عدوهم ، ولكنه يعود ليذكّرهم بأن الفئة القليلة الصابرة تغلب الفئة الكثيرة التي لا صبر لها على القتال ، وصراحته هذه قلّ أن يتحلى بها قائد في الحرب ، خاصة قواد الحروب القديمة ، ذلك لأن مثل هذه الصراحة قد تؤثر على المعنويات وتؤدي الى انهيارها .

وكان يمتاز بقدرته الفذة على انتخاب مواقع القتال المناسبة لقواته ــ تلك المواقع التي تساعد قواته القليلة على دحر قوات عدوه الكثيرة ، فكان يحاول أن يجد لرجاله ساحة قتال تحميهم من الخلف وتحمي اجنحتهم حتى يقاتلوا في اتجاه واحد مطمئنين الى حماية مؤخرتهم وأجنحتهم .

تلك هي مزاياه الشخصية التي امتازت بها قيادة الاحنف على غيره من القادة ، فلا عجب أن يفتح خراسان ــ وهي منطقة واسعة نائية منيعة ــ بقوات قليلة لا يكاد العقل يصدق اليوم انها استطاعت فتح خراسان في أيام عمر واستطاعت استعادة فتحها في أيام عثمان ، وكان لقيادة الاحنف المتزنة الفضل الاكبر في فتح خراسان مرتين .

وعند تطبيق اعمال الاحنف العسكرية على مبادىء الحرب ، نجد أنه كان (يختار مقصده ويديمه) فهو دائما يعرف ما يريد ويسعى جاهدا

للحصـــول عليه من اقصر الطرق وبأقل خسـائر مادية ومعنوية .

كما كان قائدا (تعرضيا) لم يلجأ الى (الدفاع) الا لكي يعدّ العـدة ليستأنف (التعرض) بقوة وعزم . وكان يؤمن (بالمباغتة) ويطبقها خاصـة بالمكان كما فعل في انتخابه مواضع دفاعية ممتازة سهلت عليه القضاء على هجمات العدو . كما كان لا يقدم على تنفيذ خطة من خططه العسكرية قبـل أن ينجز (تحشيد قوته) من الناحيتين المادية والمعنوية وفي المكان والزمـان الجازمـين .

وكان يحرص غاية الحرص على (الاقتصاد بالجهود) ، فلا يستخـدم غير القوة المناسبة للواجب المطلوب ، وهذا أدّى الى عدم تكبد قواته خسائر لا مبرر لهـا .

وكان يهتم كثيرا بمتطلبات (الامن) ، فيوفر الحماية لقواته ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، فلم يستطع عدوّه أن يباغت قوات العـرب المسلمين أبدا ، وقد باغت العرب المسلمون عدوهـم مرات !

وكان (التعاون) هدف الاحنف في كل معاركه ، ذلك لان هدف جميع قواته سواء كانت من الكوفة ام من البصرة واحد ، هو القضاء على مقاومـة عدوهم المشترك ، ونشر الاسلام في بلاده .

وكان (يديم معنويات) رجاله ويسهر على تأمين (الامور الاداريـة) لهم ، كل ذلك جعل الفئة القليلة التي كان يقودها تقهر الفئـة الكثيرة باذن اللـــه .

لقد كان الاحنف قائدا ممتازا .

الاحنف في التاريخ

يذكر الناس للاحنف حلمه الذي يضرب به المثل ، ولكن التاريخ يذكر للاحنف الى جانب حلمه مزاياه الانسانية العالية الاخرى ــ تلك المزايا التي لا تقل أهمية وروعة عن حلمه ، كما يذكر له أنه فاتح خراسان وموطد أركان الاسلام في أرجائها .

لقد كان الاحنف اماما في الحلم ، ولكنه كان ــ كما يذكر له التاريخ ــ اماما في الفقه ، اماما في البلاغة ، اماما في الدهاء ، اماما في الامانة ، اماما في قوة شخصيته ، اماما في رجاحة عقله ، اماما في شدة ورعه ، اماما في خلقـه الرفيع ، وبالاضافة الى كل ذلك كان اماما في عبقرية قيادته .

لقد كان رجلا في أمة ، وامة في رجل . . . انه سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه كما كان يقول عنه عمر بن الخطاب .

رضي الله عن القوي الامين ، الحليم الورع ، الفقيه الالمعـي ، الاداري الداهية ، القائد الفاتح ، الاحنف بن قيس التميمي .

قادة فتح فارس

١ ـ العلاء بن الحضرمي .

٢ ـ المغيرة بن شعبة الثقفي (*) .

٣ ـ مجاشع بن مسعود السلمي .

٤ ـ عثمان بن ابي العاص الثقفي .

٥ ـ الحكم بن عمرو الثقفي .

٦ ـ سارية بن زنيم الكناني .

(*) انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٨٧ ـ ٤١١)

العلاء بن الحضرمي

فاتح البحرين(١) وجزيرة دارين(٢) وأول من هاجم فارس

اهلـــه :

هو العلاء بن الحضرمي ، واسم الحضرمي والد العلاء هو عبدالله بن عماد بن اكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي (٣) ، لا يختلفون أن أباه من حضرموت (٤) فنسب اليها : (الحضرمي) . سكن أبوه مكة المكرمة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان بن حرب (٥) .

وكان للعلاء عدة أخوة : منهم ميمون الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة (بالأبطح) (٦) يقال لها : بئر ميمون (٧) مشهورة على طريق أهل العراق الى الحج ، وكان حفرها في الجاهلية (٨) . ومنهم عمرو بن الحضرمي، وهو أول قتيل من المشركين وماله أول مال خمّس في الاسلام (٩) ، وقد قتله المسلمون في غزوة (نخلة) . ومنهم عامر بن الحضرمي الذي قتل يوم

---

(١) البحرين : هكذا يتلفظ بها في حالة الرفع والنصب والجر ، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان ، قيل : هي قصبة هَجَر ، وقيل : هجر قصبة البحرين . وسمي البحرين لان في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر ، بينها وبين الخليج العربي عشرة فراسخ ، وسعتها : ثلاثة اميال في مثلها ، ولا يغيض ماؤها، وماؤها راكد زعاق . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٢/٢) .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، والنسبة اليها : داري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٤) .

(٣) الاصابة (٢٥٩/٤) وفي نسبه بعض الاختلافات . انظر أسد الغابة (٧/٤) وطبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) والاستيعاب (١٠٨٥/٣) .

(٤) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٥) أسد الغابة (٧/٤) .

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح . والابطح يضاف الى مكة والى (منى) لان المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان الى (منى) اقرب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٥/١) .

(٧) بئر ميمون : بئر بالابطح قرب مكة حفرها بأعلى مكة في الجاهلية ميمون بن الحضرمي، وعندها قبر أبي جعفر المنصور . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢) .

(٨) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) والمعارف ص (٢٨٣) .

(٩) الاصابة (٢٥٩/٤) .

(بدر) كافرا (١٠) . وأختهم : الصعبة بنت الحضرمي كانت تحت أبي سفيان ابن حرب فطلقها ، فخلف عليها عبيدالله بن عثمان التيمي فولدت لـه طلحة ابن عبيدالله (١١) أحد العشرة المبشرة بالجنة .

لقد كان العلاء من عائلة عربية عريقة ، سكنت مكة المكرمـة وحالفـت بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (١٢) .

اسلامــه :

أسلم العلاء قبل فتح مكة (١٣) ، فشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ويوم (حنين) . وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم منصرفه من (الجعرانة) (١٤) الى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين ومعـه كتاب يدعوه الى الاسلام (١٥) . وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلـم بعث العلاء الى المنذر بن ساوى العبدي قبل فتح مكة ، فأسلم المنـذر وحسـن اسلامه (١٦)، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار والاموال ، وامره ان يأخذ الصدقة من اغنيائهم فيردها على فقرائهم ، وبعث معه نفرا من المسلمين منهم ابو هريرة وأوصاه به خيرا (١٧) . وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على (البحرين) ؛ فحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة الف وثمانين الف درهم من مال (البحرين) (١٨) .

لقد كان العلاء موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وقد نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

---

(١٠) أسد الغابة (٧/٤) .

(١١) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(١٢) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .

(١٣) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .

(١٤) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٩/٣) ، وانظر ما جاء حول ارسال العلاء الى المنذر في طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) .

(١٥) سيرة ابن هشام (٢٧١/٤) ، والبدء والتاريخ (١٠٢/٥) .

(١٦) سيرة ابن هشام (٢٤٥/٤) .

(١٧) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) .

(١٨) أسد الغابة (٧/٤) . وانظر البدء والتاريخ (١٠٢/٥) حول المبلغ الذي حمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين .

جهـــاده :

١ ــ في حرب الردة :

عقد الصديق ابو بكر لواء للعلاء وامــره بالبحرين (١٩) ، فقــد مرض النبي صلى الله عليه وسلم ومرض المنذر بن ساوى ملك البحرين في شهــر واحد ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم ومات بعده بقليل المنذر بن ساوى ، فارتد أهل البحرين (٢٠) كما ارتد غيرهم في سائر انحاء شبــــه الجزيرة العربية ، فعاد العلاء الى ابي بكر وقد سبقته انباء ردة أهل البحرين .

وارسل ابو بكر قادته لمحاربة المرتدين ، فعقد لواء البحرين للعــلاء ، فسار اليها على طريق (الدهناء) وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها ، حتى أصبحت حياتهم فــي خطر عظيم (٢٠) .

ولكن العلاء وصحبه تحمّلوا تلك المشقات بايمان وصبر عجيبين حتى ادركوا الجارود بن المعلى العبدي (٢٢) وقومه بني عبــد القيس الذين ثبتوا على الاسلام ؛ فحاصرهم لذلك المرتدون وضيقوا عليهم الحصار .

واستنقذ العلاء المسلمين من بني عبد القيس ، فاجتمع المسلمون الــى العلاء وخندق على قواته كما خندق المرتدون على انفسهــم ايضــا ، فكانوا يباشرون القتال في فترات استمرت شهرا . . . وبينما كان الطرفان على ذلك سمع المسلمون ضوضاء في معسكر المرتدين ، فأرسل العلاء رجلا يستطلــع له خبرهم ، فعاد الرجل ليخبر العلاء : ان المرتدين سكارى ؛ فانتهز العــلاء فرصة ذهبية سانحة وهاجــم عدوه ، فجعــل المسلمون يقتلــون ويأسرون المرتدين وفر بعضهم الى (دارين) فهاجمها العلاء ايضا وفتحها بعد قتــال شديــــد (٢٣) .

لقد كان للعلاء اثر كبير في قتال المرتدين من أهل البحرين (٢٤) .

---

(١٩) الطبري (٢/٤٨٠) .

(٢٠) الطبري (٢/٥١٩) .

(٢١) ابن الاثير (٢/١٤١) .

(٢٢) الجارود بن المعلى العبدي : سيد بني عبد القيس . قدم سنة عشر في وفد بني عبد القيس الاخير فسر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه . وكان حسن الاسلام صليبا على دينه . وقد قتل بأرض فارس سنة احدى وعشرين ، انظر التفاصيل في الاصابة (١/٢٢٦) .

(٢٣) ابن الاثير (٢/١٤٢) ، وقد ذكر البلاذري ص (٩٦) : ان رجلا دل العلاء على المخاضة الى دارين . والظاهر أن المسلمين خاضوا اليها وقت الجزر ففتحوهــا . وهنــاك رواية أن دارين فتحت أيام عمر بن الخطاب .

(٢٤) أسد الغابة (٤/٧) .

٢ ـ بعـد الـردة :

فاز العلاء في قتال أهل الردة بالفضل ، فلما ظفر سعد بن ابي وقاص بأهل القادسية وأزاح الاكاسرة ، جاء بأعظم مما فعله العلاء ، فأراد العلاء أن يحرز نصرا جديدا على الفرس لا يقلّ عن نصر سعد بن أبي وقاص عليهم دون ان يفكر في مغبة المعصية وأهمية الطاعة ، اذ كان عمر بن الخطاب ينهاه عـن الغزو في البحـر .

ولكن العلاء ندب الناس الى فارس فأجابوه ، ففرقهم أجنادا وحملهم في البحر بدون أذن عمر بن الخطاب .

وعبرت الجنود من البحرين الى فارس وتوجهوا الى (اصطخر) (٢٥) ، فقطع الفرس عليهم طريق رجعتهم الى السفـن واشتبكـوا معهم في قتال شديـد . ولما أراد العلاء الرجوع لم يجد الى الرجوع في البحر سبيلا ، لذلك عسكر العلاء بجيشـه وأخذ يدافع دفاعـا مستميتا !

وبلغ عمر بن الخطاب صنيع العلاء ، فأرسل الى عُتْبة بن غزوان أمير البصرة يأمره بأنفاذ جيش كثيف لانقاذ جيش العلاء بفارس قبل أن يهلك ، فأرسل عتبة جيشا كثيفا من اثني عشر الفا عليهم أبو سَبْرَة بن أبـي رهم ، فاستطاع انقاذ جيش العلاء من الفناء بعد قتال مرير ، وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجرية (٢٦) .

لقد فتح العلاء بالرغم من فشله في هذه الغزوة أسيافـا (٢٧) مـن فارس (٢٨) .

الانسـان :

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم العلاء على البحرين ، وأقرّه أبـو بكر خلافته كلها، ثم أقره عمر بن الخطاب حتى توفي واليا على البحرين (٢٩) . وفي رواية أخرى ، أن عمر كتب الى العلاء يعزله ويتوعده لمخالفته في العبور الى فارس ، ويأمره بأثقل الاشياء عليه وابغض الوجوه اليه : بتأمير سعد بن أبي وقاص عليه وقال : « الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك » ، فخرج

---

(٢٥) اصطخر : بلدة بفارس ، سعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/١) .

(٢٦) الطبري (١٧٦/٣ ـ ١٧٩) وابن الاثير (٢٠٨/٢) .

(٢٧) اسياقا : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .

(٢٨) المعارف ص (٢٨٤) .

(٢٩) أسد الغابة (٧/٤) .

بمن معه الى سعد (٣٠) . وفي رواية : أن عمر ولاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل اليها (٣١) . وارجح الرواية الاخيرة ، لأن عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد فشله في غزوه لارض فارس ، فلا بد من عقابه على مخالفته الصريحة في ركوب البحر ، ولكن هذا العقاب لم يكن ليصل الى حد كسر عزة العلاء وتحميله من الامر ما لا يطيق ، وذلك بجعله تحت امرة سعد بن أبي وقاص الذي كان العلاء ينافسه في خدمة الاسلام عن طريق الفتح ، فمن المعقول اذاً نقله من البحرين الى ولاية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة ، فيكون ذلك عقابا لا يرقى الى درجة الاذلال والانتقام اللذين كانا بعيدين عن خلق السلف الصالح من أمثال عمر بن الخطاب .

وكانت وفاة العلاء سنة احدى وعشرين للهجرة (٣٢) (٦٤١م) في طريقه الى البصرة بماء من مياه بني تميم (٣٣) يدعى (تياس) (٣٤) .

لقد كان العلاء تقيا ورعا ، ويقال انه كان مستجاب الدعوة (٣٥) ، وكان شهما غيورا صادقا وفيا ، روى أربعة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٦) ، وكان أحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٧) .

القائــــد :

لم يكن العلاء مصيبا في قراره الخاص بعبور البحر الى فارس ، لان اطاعة الاوامر أساس من أقوى أسس الجندية في كل زمان ومكان .

ولست أشك بتاتا ، في أن العلاء اجتهد فأخطأ ، وأن نيته سليمة تتجه بكل طاقاتها لخدمة الاسلام والمسلمين — ومن طاقاتها سلوك طريق التنافس الشريف في الفتح ؛ الا أن ذلك كله لا يبرر مطلقا مخالفته للأوامر الصريحة

---

(٣٠) الطبري (١٧٨/٣) .

(٣١) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٣٢) جاء في الاصابة (٢٥٩/٤) وأسد الغابة (٧/٤) والاستيعاب (١٠٨٦/٤) ، بأنه توفي سنة أربع عشرة ، وقيل سنة احدى وعشرين . وانني اقطع بأن وفاته كانت سنة احدى وعشرين للهجرة ، لان عبوره الى فارس جرى سنة سبع عشرة للهجرة . راجع الطبري (١٣٦/٣) .

(٣٣) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٣٤) تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة . وقيل : جبل بين البصرة واليمامة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٨/٢) . وانظر المعارف حول موت العلاء بهذا المكان ص (٢٨٤) .

(٣٥) الاستيعاب (١٠٨٧/٢) والمعارف ص (٢٨٤) .

(٣٦) اسماء الرواة — ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٩٠) .

(٣٧) ابن الاثير (١١٩/٢) والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣) .

الصادرة اليه من عمر بن الخطاب بعدم ركوب البحر .

ولكن هذه المخالفة بالذات ، تدل على حب العلاء للمسؤولية واقدامه على تحملها كاملة حتى تجاه قائد عام قوي غاية القوة مثل عمر بن الخطاب .

لقد كان العلاء ينافس سعدا في ميدان الفتح ، فأين ينافسه اذا لم يعبر البحر الى فارس ؟ ان العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره ، والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالاسلام ؛ فليس للعلاء مجال يظهر به جهاده وجهوده غير بلاد فارس ؛ ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الاعلى عمر بن الخطاب الذي كان أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس ، والذي كان يحرص على اعداد كافة متطلباتها المادية والمعنوية قبل الاقدام على خوضها ، وبذلك يضمن لجيوشه النصر المبين .

لقد كان العلاء مقداما شجاعا ذا ارادة نافذة وشخصية قوية ، يثق بقطعاته ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، له ماض مشرف مجيد .

وكان في معاركه يطبق مبدأ (المباغتة) أهم مبادىء الحرب على الاطلاق: مباغتة بالمكان كما فعل بعبور صحراء الدهناء ليصل الى البحرين بأسرع وقت ممكن من اتجاه لا يتوقعه المرتدون ــ بالرغم من اخطار عبور هذه الصحراء ؛ ومباغتة في الزمان ، كما فعل في مهاجمة المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقعونه .

العلاء في التاريخ :

يذكر التاريخ للعلاء سفارته بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ملك البحرين المنذر بن ساوى ونجاحه في سفارته ، مما أدى الى اسلام ملك البحرين وأهل البحرين .

ويذكر له انتصاراته الحاسمة على أهل الردة في البحرين على الرغم من رصانة قوتهم لاعتمادها على معاونة الفرس الذين ساعدوا المرتدين ماديا ومعنويا وشجعوهم على الردة ، وبذلك حرم الفرس من موطىء قدم مهم لهم في الخليج العربي يعتبر الخط الدفاعي الامامي عن العراق وبلاد فارس .

ويذكر له انه كان أول قائد مسلم بعث قائدا مسلما في البحر للفتح (٣٨)، فعرف العرب السفن وركوب البحر وكانوا لا يعرفون غير الابل سفن الصحراء .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، العلاء بن الحضرمي .

---

(٣٨) ارسل العلاء عرفجة بن هرثمة البارقي بحرا لفتح بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان . انظر التفاصيل في ترجمة عرفجة بن هرثمة البارقي في الجزء الاول من قادة الفتح الاسلامي عن : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٥٥ ــ ٣٦٢) .

مُجاشِع بن مَسعود السُّلَمي

فاتح لواء أردشير خُرَّة[1] وسابور[2] وفاتح كرمان ثانية

اسلامه :

أسلم مُجاشِع بن مسعود السُّلمي من بني سُلَيم قبل فتح مكة وهاجر الى المدينة ، فقال له الناس : الا تختط ؟ فقال : « والله ما لهذا هاجرنا » (٣) ، فهو من المهاجرين (٤) . وقد جاء بأخيه مُجالد الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه بعد فتح مكة على الهجرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » (٥) ، وقد تحدث عن ذلك مجاشع فقال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وأخي أبو معبد مجالد ابن مسعود ، فقلت : يا رسول الله ، بايعه على الهجرة ، قال : مضت الهجرة لأهلها ! قلت : على ما تبايع ؟ قال : على الاسلام والجهاد » (٦) .

لقد أسلم مجاشع قبل أخيه مجالد (٧) ، وكانت له صحبة ورواية في الصحيحين : البخاري ومسلم وغيرهما (٨) ، ولكننا لا نعلم بالضبط متى أسلم . ومن الواضح أنه نال شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد أيضا ، اذ يدلّ سياق خبر قدومه على النبي بأخيه بعد فتح مكة ، أنه شهد هذه

---

(١) أردشير خره : هي مدينة جُوُر سماها العرب بهذا الاسم . وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٦٤). والمسالك والممالك للاصطخري ص (٧٦) . وفي ابن الاثير (٣/٤٥) أن جور هي أردشير . وفي البلاذري ص (٣٧٩) : ان مدينة توّج من ارض اردشير .

(٢) سابور : كورة واسعة مدينتها سابور . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٧٠ ــ ٧١) ، وهي كورة مشهورة بأرض فارس مدينتها النوبندجان في قول ابن الفقيه وشهرستان في قول البشاري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٥) .

(٣) ذكر أخبار أصبهان (١/٧٠) .

(٤) المعارف ص (٣٣١) وذكر أخبار أصبهان (١/٧٠) .

(٥) المعارف ص (٣٣١) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٣٠) وذكر أخبار أصبهان (١/٧٠) وانظر أسد الغابة (٤/٣٠٠) .

(٧) أسد الغابة (٤/٣٠١) .

(٨) الاصابة (٦/٤٢) .

الغزوة (٩) ، لذلك أحرز مجاشع شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد وشرف الصحبة .

جهـــاده :

١ ـ في العـراق :

كان العراق ميدان جهاد مجاشع ، وقد شهد فتح (الأبلّة) (١٠) تحت راية عتبة بن غزوان (١١) ، الا أن اسمه برز لاول مرة عندما استخلفه عتبة ابن غزوان على البصرة واستعمله على جيش من المسلمين وسيّرهم الى الفرات واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة الى أن يقدم مجاشع فاذا قدم فهو الامير ، فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجع الى البصرة (١٢) ؛ فلما علم عمر بن الخطاب من عتبة بن غزوان انه استعمل مجاشعا على البصرة قال : « اتستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر ؟ » (١٣) .

٢ ـ في ايران :

ا ـ كان جهاد مجاشع في العراق مشرفا جدا الى درجة أن عمر بن الخطاب أسند اليه مهمة فتح لواء (أردشير خرّة) و (سابور) عندما أذن للمسلمين في الانسياح في أرض ايران لفتحها (١٤) .

وتحرك مجاشع على راس جيشه من أهل البصرة الى الاهواز بأمر عمر بن الخطاب الذي قال له : « انتصل منها على (ماه) (١٥) » ، فخرج حتى

---

(٩) شهد غزوة فتح مكة مسلمو بني سليم ، انظر سيرة ابن هشام (٤/٢٢) ، كما شهدوا ما بعدها من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم حتى التحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرقيق الاعلى .

(١٠) الابلة : مدينة كانت مرفأ السفن القادمة من الصين . راجع الطبري (٣/٩٣) وهي واقعة جنوبي البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوبي مدينة ابي الخصيب الحالية بحوالي ميلين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٨٩) .

(١١) الطبري (٣/٩٣) .

(١٢) الطبري (٣/٩٤) وابن الاثير (٢/١٨٩) .

(١٣) الطبري (٣/٩٤) وابن الاثير (٢/١٨٩) . والوبر بفتحتين : غطاء جلد البعير، ويطلق على البعير أيضا ، واحدتها : وبرة . والمدر بفتحتين جمع مدرة وهي القرية . يريد عمر : أتستعمل أعرابيا على أهل الحضر ، او أتستعمل رجلا من أهل البادية على أهل الحاضرة ، على اعتبار ان أهل الحاضرة أعرق مدنية وأعرف بالسياسة والادارة من اهل البادية .

(١٤) الطبري (٣/١٨٩) وابن الاثير (٢/٢١٤) .

(١٥) ماه : هي ماه دينار، وهي مدينة نهاوند . انظر التفاصيل في معجم البلدان(٧/٣٧٥)

اذا كان بـ (غَضيّ شجر) (١٦) أمره النعمان بن مقرن المزني ان يقيم مكانه بين غضي شجر ومرج القلعة (١٧) ، وكان واجب مجاشع اشغال قوات الفرس في منطقة الاهواز حتى يحول دون تعاونهم والقوات الفارسية المحتشدة في (نهاوند) (١٨) .

ولما اراد النعمان بن مقرن المزني المسير الى (نهاوند) امر مجاشعا أن يلتحق مع قواته بقوات المسلمين المتجهة نحو (نهاوند) وولاه الساقة (١٩) في مسير الاقتراب الى (نهاوند) ، فشهد مجاشع هذه المعركة وابلى فيها أعظم البلاء .

وقصد مجاشع بعد انتهاء هذه المعركة الحاسمة (سابور) وأردشير خرّة فيمن معه من المسلمين ، فالتقوا بـ (توّج) (٢٠) بأهل فارس فانتصروا عليهم بعد قتال وفتح مجاشع مدينة (توّج) (٢١) وهي من ارض أردشير خرّة (٢٢) ، وتغلغل بعد ذلك في كافة انحاء لواء أردشير خرّة وسابور ففتحه .

ب ــ ولما تولى عبدالله بن عامر بن كُرَيْز العبشمي البصرة في أيام عثمان بن عفان ، أصبح مجاشع ساعده الايمن ، فسار معه الى ايران لاعادة فتح المناطق المنتقضة ، فغزا (كابُل) (٢٣) فصالحه حاكمها ، فدخل مجاشع بيت أصنامهم واخذ جوهرة جليلة من عين اكبرها وقال : « لم آخذها الا لتعلموا أنه لا يضر ولا ينفع » ، فأصابه في منصرفه الثلج والدمق فمات

---

(١٦) غضي شجر : جبال البصرة . انظر معجم البلدان (٢٩٧/٦) .

(١٧) مرج القلعة : بينه وبين حلوان منزل واحد وهو من حلوان الى جلة همدان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦/٨) . ومن الواضح ان المرج المقصود ليس هذا المرج لبعده عن منطقة الاهواز . وأرجح أن هذا المرج في منطقة الاهواز بالذات . وانظر نص امر النعمان في الطبري (٢١٢/٣) .

(١٨) ابن الاثير (٣/٣) .

(١٩) الطبري (٢١٤/٣) وابن الاثير (٤/٣) .

(٢٠) توّج : مدينة بفارس قريبة من كازرون ، وهي مدينة صغيرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢٦/٢) .

(٢١) الطبري (٢١٤/٣) وابن الاثير (٤/٣) وأسد الغابة (٣٠٠/٤) . اما البلاذري في ص (٣٧٩) فيذكر ان فاتح توّج هو الحكم بن أبي العاص الثقفي أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وفي رواية ان عثمان بن أبي العاص الثقفي هو الذي فتحها . وفي ذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) أن مجاشعا شهد فتح توّج مع أبي موسى الاشعري . وأرجح أن مجاشعا هو فاتح توج لانها ضمن منطقة قيادته التي ألقي على عاتقه مهمة فتحها .

(٢٢) البلاذري ص (٣٧٩) .

(٢٣) كابل : اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى ، وهي ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠١/٧) . وفي معجم ما استعجم (١١٠٨/٣) ورد : أنها مدينة معروفة من بلاد الترك ، وهذا خطأ ، فهي ليست من بلاد الترك .

رجاله الا رجلين ، فزعم حاكم كايل أن الصنم فعل ذلك بهم ! (٢٤) فقد وجه عبدالله بن عامر مجاشعا في اثر كسرى يزدجرد الذي هرب من فارس الى خراسان ، فاتبعه الى كرمان فهرب الى خراسان ، فأصاب مجاشع ومن معه الثلج والدمق ، واشتد البرد ، وكان الثلج قيد رمح ، فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية (٢٥) .

جـ ـ واستعمل عبدالله بن عامر مجاشعا على كرمان وأمره بمحاربة اهلها وكانوا قد نكثوا أيضا (٢٦) ، ففتح (بيمنْد) (٢٧) عنوة واستبقى أهلها وأعطاهم امانا وبنى بها قصرا يعرف : بقصر مجاشع . وأتى (الشيرجان) (٢٨) وهي مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فجلا كثير من اهلها عنها . وفتح (جيرَفْت) (٢٩) عنوة ، وسار في كرمان ودوّخ اهلها وأتى (القفص) (٣٠) وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم ، فقاتلهم مجاشع وظفر بهم ، فهرب كثير من أهل كرمان وركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بـ (سِجستان) ، فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى وأدوا العشر فيها (٣١) .

الانســـــــان :

نزل مجاشع البصرة (٣٢) في بني سُليم (٣٣) ، وقد استخلفه عتبة ابن غزوان على البصرة (٣٤) كما استخلفه المغيرة بن شعبة من بعده وذلك

---

(٢٤) معجم ما استعجم (١١٠٨/٣) وانظر الاصابة (٤٢/٦) والدمق : الثلج مع الريح .

(٢٥) ابن الاثير (٤٥/٣) .

(٢٦) ابن الاثير (٤٧/٣) .

(٢٧) بيمند : وهي ميمند ، بلد بكرمان . انظر معجم البلدان (٣٤٢/٢) .

(٢٨) الشيرجان : قصبة كرمان . انظر معجم البلدان (٣٢٢/٥) والمسالك والممالك ص (٩٨) . وقد ورد اسمها في ابن الاثير (٤٩/٣) : السيرجان .

(٢٩) جيرفت : مدينة بكرمان كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٩/٣) والمسالك والممالك ص (٩٩) ، وقد ذكرها الاصطخري بضم الراء .

(٣٠) القفص : ورد اسمها كذلك في ابن الاثير (٤٩/٣) وفي البلاذري ص (٣٨٣) وهي (قفس) بالسين المهملة وأكثر ما يتلفظ به غير أهله بالصاد . وهو اسم أعجمي لجبل من جبال كرمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣٤/٧) .

(٣١) ابن الاثير (٣٩/٢) والبلاذري ص (٣٨٣ ـ ٣٨٤) وانظر جمل فتوح الاسلام لابن حزم ملحق بجوامع السيرة (٣٤٨) .

(٣٢) طبقات ابن سعد (٣٠/٧) وأسد الغابة (٣٠٠/٤) وذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) .

(٣٣) ذكر أخبار أصبهان (١٠/١) .

(٣٤) الطبري (٩٤/٣) وابن الاثير (١٨٩/٢) .

في خلافة عمر بن الخطاب (٣٥) ، ثم استعمله عبدالله بن عامر علي كرمان في خلافة عثمان بن عفان (٣٦) واخيرا عاد الى البصرة واستقر بها .

ولما اجتمع بعض الناس لقتل عثمان، سار مجاشع من البصرة فوصل الى (الربذة) فأتاه خبر قتل عثمان فرجع الي البصرة ، وكان أول من تكلم من أهل البصرة وهو يومئذ سيد قيس بها ، فخطب وحضّ الناس على نصر عثمان (٣٧) .

وكان مجاشع مع عائشة ام المؤمنين يوم الجمل ، فقتل يوم الجمل قبل الوقعة وقبل أن يقدم علي بن أبي طالب وذلك سنة ست وثلاثين للهجرة (٣٨) (٦٥٦م) ودفن بداره بالبصرة في بني سَدوس (٣٩) وله عقب بالبصرة (٤٠) .

روى خمسة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤١) ، وكان شاعرا من شعراء الفرسان . قال يذكر فتح توّج :

ونحن ولينا مرة بعد مرة ... بتوج أبناء الملوك الاكابر
لقينا جيوش الماهيان بسحْرة ... على ساعة تلوى بأهل الحظائر
فما فتئت خيلي تكرّ عليهمُ ... ويلحق منها لاحق غير حائر (٤٢)

وكان غنيا وافر الغنى ، وكان له فرس يقال لها : الدّبساء يسابق عليها ، ويقال : انه أخذ في غاية واحدة خمسين ألف درهم (٤٣) . وكان كريما يعد من أجواد العرب ، فقد وفد عمرو بن معد يكرب الزبيري على مجاشع ، وكانت بين عمرو وبين سُليم حروب في الجاهلية ، فقدم عليه بالبصرة يسأله الصلة ، فقال له : « اذكر حاجتك » ، فقال له : « حاجتي صلة مثلي » ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وفرسا من بنات الغبراء وسيفا جرازا ودرعا حصينة وغلاما خبازا ، فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك ؟ قال : « لله بنو سليم ! ما أشد في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء عطاءها ، واثبت في المكرمات بناءها ! والله يا بني سليم ، لقد قاتلناكم في

---

(٣٥) تهذيب التهذيب (٣٨/١٠) .
(٣٦) ابن الاثير (٤٧/٣) .
(٣٧) الطبري (٤٠٢/٣) وابن الاثير (٦٦/٣) .
(٣٨) الاصابة (٤٢/٦) وانظر التفاصيل في الطبري (٥١٦/٣ – ٥١٧) وابن الاثير (٨٤/٣) وذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) .
(٣٩) ذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) وتهذيب التهذيب (٣٨/١٠)
(٤٠) المعارف (٣٣١) .
(٤١) اسماء الصحابة الرواة لابن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٩) .
(٤٢) معجم البلدان (٤٢٦/٢) .
(٤٣) المعارف ص (٣٣١) .

الجاهلية فما أجبناكم ، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم ، ولقد سألناكم فمـا أبخلناكم !! » (٤٤)

وكان ورعا تقيا نقيا عاقلا ، لذلك أصبح سيــد قيس بالبصرة في أيامه (٤٥) ، زوّجه الصحابي الجليل عتبة بن غزوان ابنته (٤٦) ، وكان موضع ثقة الخلفاء والامراء وموضع ثقة الناس على مختلف ميولهم وأهوائهم لمزاياه الانسانية الرفيعـة .

القـائـــد :

نجح مجاشع في الحرب الخاطفـة للقضاء علـى بعض الاضطرابـات الداخلية كما حدث في الفرات ، هذا النوع من الحروب يحتـاج الـى قائد سريع الحركة سريع القرار جريء شجاع مندفع .

كما نجح في حروب المشاغلة ، حيث استطاع تجميد القوات الفارسية في الاهواز وحال دون تعاونها مع القوة الفارسية الضاربة الاصلية المحتشدة في (نهاوند) من جهة وحال دون عرقلتها تحشيد قوات المسلمين في منطقـة (نهاوند) ، وهذا النوع من الحروب يحتاج الى قائد يتسم بالانتباه الشديد والحذر واليقظة والسهر على مراقبة تحركات القوات المعادية ، كما يحتـاج الى قائد يستطيع الافادة من طبيعة الارض ويختار المواقع المناسبة لقواتـه بحيث تستطيع الحركة بسرعة للقضاء على كل حركة معادية محتملـة .

كما نجح قائدا مرؤوسا لاحدى التشكيلات التعبوية قبل معركة نهاوند وفي أثنائها ، وكان احد القادة الذين كان لهم اثر حاسم في انتصار المسلمين في معركة حاسمة هي معركة نهاوند .

كما نجح قائدا مستقلا له واجب خاص وهدف معين ، ففتـح منطقة واسعة من أرض ايران بأقرب وقت ممكن وباقل جهود ممكنة وبأقل خسائر ماديـة ومعنويـة .

انه قائد ممتاز له كل مزايا القائد الممتاز ، فكان سريع القرار صحيحه نظرا لذكائـه وتشبثه بالحصول على المعلومات الضرورية عن العـدو وعـن الارض التي يقاتل عليها . وكان قوي الشخصية حديـدي الارادة محبوبا ، موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حد سـواء .

---

(٤٤) العقد الفريد (١٩٣/١) وانظر الاصابة (٤٢/٦) .
(٤٥) الطبري (٤٠٣/٣) .
(٤٦) البلاذري ص (٣٧٨) .

ولعل لمزاياه الانسانية السامية وماضيه الناصع المجيد اثرا كبيرا على ثقة الناس به وحبهم له وتقديرهم لمزاياه وتطوّعهم برحابة صدر للقتال تحت رايته .

لقد كان يؤمن بالضبط ويفرض سيطرته الكاملة على رجاله من غير اسراف ولا شطط . ذكر أحد الغزاة الذين كانوا معه يوم فتح (توّج) فقال : « خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين (توّج) فحاصرناها وقاتلناهم ما شاء الله ، فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهبا كثيرا وقتلنا قتلى عظيمة ، وكان عليّ قميص قد تخرّق ، فأخذت ابرة وسلكا وجعلت اخيط قميصي بها . ثم اني نظرت الى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته فأتيت به الماء فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته ، فلما جُمعت الرثة قام مجاشع خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال : أيها الناس ! لا تغلوا فانه من غل جاء بما غل يوم القيامة . ردوا ولو المخيط ! فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته في الاخماس » (٤٧) . وهذا يدل على أمانته المطلقة وسيطرته النافذة على رجاله .

وكان بالاضافة الى كل ذلك قوي البنية يتحمل المشاق بسهولة ويسر، حتى الثلج والدمق والطقس القاسي في الظروف الصعبة تحملها ونجى منها بينما لم يتحملها رجاله فماتوا من أثرها .

لقد كان قائدا فذا بكل ما في الكلمة من معان .

مجاشع في التاريخ :

يذكر التاريخ لمجاشع فتحه لواء أدرشير خرّه وسابور ويذكر له استعادته فتح منطقة كرمان الواسعة الغنية .

ويذكر له نجاحه الباهر في القيادة وفي الادارة أيضا ، وهو من الاعراب الذين لم يتمرسوا على مثل هذه الاعمال بنطاق واسع .

ان مجاشع القائد الاداري مثال حي على اثر العقيدة الاسلامية في نفوس حتى اعراب البادية وتبديلها من حال الى حال .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الاداري الحازم ، الصحابي الجليل مجاشع ابن مسعود السلمي .

---

(٤٧) الطبري (٣/٢٥١) .

عثمان بن أبي العاص الثقفي

فاتح ارمينية الرابعة[1] وجزيرة بركاوان[2] وبلاد فارس[3] وأول من هاجم السند

« انه كيّس وقد اخذ من القرآن صدرا »

(محمد رسول الله)

اسلامـــــه :

أسلم أبو عبدالله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ؛ فقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة (تبوك) في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف ، وكان عثمان احد رجال وفد ثقيف المؤلف من ستة رجال (٤) ؛ وقد ذكر احد رجال الوفد : « ان بلال بن رباح الحبشي كان يأتينا ــ حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من رمضـــان ــ بفطرنـا

---

(١) ارمينية الرابعة : هناك اربع ارمينيات ، وارمينية بصورة عامة بلاد بين أذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة . انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٤٩٥) . ومن مدن ارمينية الرابعة : شمشاط وقاليقلا وأرجيش وباجنيس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٤/١)

(٢) جزيرة بركاوان : وردت : ابزكاوان في الفاروق عمر للدكتور هيكل (٤٧/٢) . ووردت : ابركاوان في البلاذري ص (٣٧٨) ، والصحيح ما جاء أعلاه ، انظر معجم البلدان (٣٢٦/٦) و(١٤٩/٢) ، وهي جزيرة لافت الواقعة في بحر عمان بينها وبين هجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١٤/٧)

(٣) بلاد فارس : حدودها من الشرق كرمان ومن الغرب كور خوزستان وأصبهان ، ومن الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان ، ومن الجنوب البحر العربي ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (٦٧) ومعجم البلدان (٣٢٤/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٣٢) .

(٤) راجع تفاصيل قدوم وفد ثقيف في سيرة ابن هشام (١٩٤/٤) وطبقـــات ابن سعد (٣١٢/١) وعيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (٢٢٨/٢) والطبري (٣٦٣/٢) وكان وفد ثقيف مؤلفا من : ١ ــ عبد ياليل ، ٢ ــ الحكم بن عمرو بن وهب ، ٣ ــ شرحبيل بن غيلان ، ٤ ــ عثمان بن أبي العاص ، ٥ ــ أوس بن عوف ، ٦ ــ نمير بن خرشة . انظر سيرة ابن هشام (١٩٨/٤) .

وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٥) . وقد وصف المغيرة بن شعبة الثقفي اسلام ثقيف قائلا : « فدخلوا الاسلام ، فلا أعلم قوما من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا اصح اسلاما ولا ابعد ان يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم » (٦) .

ولما اسلم وفد ثقيف وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم، امَّر عليهم عثمان بن أبي العاص ــ وكان من احدثهم سنا ، وذلك انه كان احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن ، فقال أبو بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ! اني قد رايت هذا الغلام منهم ، من احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن » (٧) .

كان عثمان أصغر الوفد سنا ، فكانوا يخلفونه على رحالهم يتعاهدها لهم ، فاذا رجعوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وناموا وكانت الهاجرة ، اتى عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قبلهم سرا منهم وكتمهم ذلك وجعل يسأل رسول الله عن الدين ويستقرئه القرآن ، فقرأ سورا على رسول الله ؛ وكان اذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما عمد الى أبي بكر الصديق فسأله واستقراه ، والى أبيّ بن كعب فسأله واستقراه ؛ فأعجب به الرسول صلى الله عليه وسلم وأحبه وأمَّره على ثقيف لما راى من حرصه على الاسلام (٨) ، وقال الرسول عنه : « انه كيِّس وقد أخذ من القرآن صدرا » ، وولاه (الطائف) (٩) .

وامر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بتعليم قومه شرائع الاسلام ، ومما أمره به : أن يصلي بهم ، وان يقتدي بأضعفهم ــ اي لا يطول عليهم الا على قدر قوة أضعف من يصلي وراءه ــ وأمره أيضا ان يتخذ مؤذنا لا يأخذ على اذانه أجرا (١٠) .

ولم يزل عثمان على (الطائف) حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابي بكر وخلافة عمر بن الخطاب ، حتى اذا أراد عمر ان يستعمل على (البحرين) سمّوا له عثمان بن أبي العاص ، فقال عمر : « ذاك

(٥) انظر سيرة ابن هشام (١٩٨/٤) . وفي جمهرة انساب العرب (٢٥٤) : ان امه هي صفية بنت امية بن عبد شمس .
(٦) طبقات ابن سعد (٣١٣/١) .
(٧) سيرة ابن هشام (١٩٧/٤) والطبري (٢٦٥/٢) وأسد الغابة (٣٧٣/٣) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٥٦) .
(٨) طبقات ابن سعد (٥٠٨/٥) .
(٩) طبقات ابن سعد (٤٠/٧) وانظر جمهرة انساب العرب (٢٥٤) حول توليه الطائف .
(١٠) جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٥٧) .

امير أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف فلا أعزله » ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! تأمره يستخلف على عمله من احبّ وتستعين به ، فكأنك لم تعزله ! فقال عمر : « أما هذا فنعم » (١١) .

وارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف عثمان في قومه موقفا حازما لا ينسى ابدا ، فقد همت ثقيف أن ترتد ، فقام عثمان عامل النبي عليهم فقال : « يا أبناء ثقيف ! كنتم آخر من أسلم ، فلا تكونوا اول من ارتد » (١٢) ، وبذلك استطاع تثبيتهم على الاسلام بينما ارتدت كل قبيلة اما عامة أو خاصة الا قريشا وثقيفا (١٣) ، وكان لعثمان أثر حاسم في ثبات ثقيف على الاسلام .

جهـــاده :

١ ـ قبل الفتـح :

كانت قواعد المسلمين التي يستندون عليها في امدادهم بالرجال والقضايا الادارية لادامة حرب الردة في زمن أبي بكر الصديق ، ثلاثة مدن : المدينة ومكة والطائف ، وكان عثمان مسؤولا عن ادارة قاعدة (الطائف) ، فكان لمجهوده الذي بذله في اقرار اهلها على الاسلام اولا ، وتقوية معنويات المسلمين الذين حولها ومعاونتهم ماديا ومعنويا في مكافحة المرتدين من قبائلهم والقبائل الاخرى ثانيا ، وامداد قادة المسلمين بالرجال والمواد لقتال المرتدين ـ حتى وصلت بعوثه الى اليمن ـ (١٤) ثالثا ، أثر خالد على انتصار المسلمين على المرتدين واعادة الوحدة الى ما كانت عليها في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم .

وبقي عثمان على عمله أميرا على الطائف في عهد أبي بكر كما أسلفنا ، كما بقي على عمله هذا سنتين في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان المسلمون حينذاك يسيرون من نصر الى نصر في العراق وفي بلاد الشام ، وكان الخليفة بحاجة شديدة الى رجال ذوي عقول واحلام وكفاءة لقيادة الجيوش خارج شبه الجزيرة العربية ؛ لذلك أشار عليه الناس باستعمال عثمان على البحرين وعمان ، ليقوم بادارة تلك المنطقة الحيوية التي أصبحت القاعدة المتقدمة للفتح الاسلامي باتجاه ارض الفرس ، وليتحمل قسطه من الفتح

---

(١١) طبقات ابن سعد (٥/٥٠٩) وأسد الغابة (٣/٣٧٣) .

(١٢) الاصابة (٤/٢٢١) .

(١٣) ابن الاثير (٢/١٣٠) .

(١٤) ابن الاثير (٢/١٤٣) .

الاسلامي ؛ ولكن عمر تحرج من عزل عثمان ، فاشار عليه الناس أن يطلب الى عثمان أن يستخلف هو على عمله بالطائف من أحبّ ويذهب الى عمله الجديد ، فاستخلف عثمان على الطائف أخاه الحكم بن أبي العاص (١٥) ، وفي رواية : انه استخلف خالا له من ثقيف (١٦) وانه وجّه أخاه الحكم الى البحرين وسار هو الى عمان (١٧) ، وهذا ما نرجحه ، لان الحكم فتح كثيرا من البلاد الفارسية ، وابتدأ بالفتح بعد تولي أخيه عثمان عمان والبحرين ، مما يدل على ان عثمان استصحب أخاه الحكم بعد مغادرته الطائف الى منصبه الجديد مباشرة .

٢ ـ الفاتح :

ا ـ فتح ارمينية الرابعة :

وجه عياضُ بن غنْم الفهري عثمان الى ارمينية الرابعة ، وذلك في سنة تسع عشرة للهجرة ، فكان عندها شيء من قتال أصيب فيه صفوان ابن المعطل السلمي شهيدا (١٨) ، ثم صالح عثمان أهلها على الجزية على كل أهل بيت دينار (١٩) .

ب ـ فتح بلاد فارس :

بعد معركة (نهاوند) الحاسمة ، ازداد الفرس اضطرابا . وازدادت معنوياتهم انهيارا ؛ فقرر عمر بن الخطاب أن يتغلغل بقواته في سائر ولايات الفرس ؛ لذلك عقد بنفسه الوية عهد الى أصحابها بالانسياح في أرض فارس كلها ، فجعل لواء (اصطخر) (٢٠) الى عثمان بن أبي العاص الثقفي ،

---

(١٥) طبقات ابن سعد (٥/٥٠٩) والاصابة (٢/٢٨) والظاهر أن استخلافه لاخيه كان لمدة قليلة فقط ريثما علم عثمان من عمر بتوليته عمان والبحرين ، فاستصحب اخاه معه ليعاونه في مهمته الجديدة .

(١٦) جمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٩) .

(١٧) أسد الغابة (٣/٣٧٣) .

(١٨) صفوان بن المعطل السلمي : شهد المريسيع ، وقيل شهد الخندق وما بعدها ، وكان شجاعا خيّرا فاضلا وقد استشهد في غزوة ارمينية . انظر الاصابة (٣/٢٥١) وأسد الغابة (٣/٢٦) والاستيعاب (٢/٧٢٥) .

(١٩) الطبري (٣/١٥٦) وابن الاثير (٢/٢٠٦) وأسد الغابة (٣/٢٦) والاستيعاب (٢/٧٢٥) .

(٢٠) اصطخر : عاصمة اقليم اصطخر ، وهي اقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحول أردشير الى جور . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٧٥) والمسالك والممالك ص (٦٨) وآثار البلاد واخبار العباد ص (١٤٧) .

وجعل الوية المناطق الاخرى الى قادة آخريين (٢١)؛ فأرسل عثمان بعثاً من الرجال الى ساحل فارس فقاتلوا هناك (٢٢). ويمكن اعتبار هذا البعث غزوة استطلاعية لما بعدها، اذ اندفع المسلمون من البحرين لغزو ولاية فارس، فركب عثمان السفن عابراً الخليج العربي الى جزيرة (بركاوان) ففتحها وتخطاها الى أرض فارس، فسار بجنوده الى مدينة (توّج) (٢٣) الحصينة وحاصرها حصاراً طويلاً حتى استسلمت للمسلمين (٢٤).

وسار عثمان يريد (اصطخر) عاصمة اقليم فارس وأكبر مدينة فيه، فالتقى الطرفان في ضواحي مدينة (جور) (٢٥)، وبعد قتال عنيف ارتدت القوات الفارسية الى (اصطخر)، ففتح المسلمون (جور) ثم استسلمت (اصطخر) على الجزاء والذمة (٢٦)؛ وبعد المعركة خطب عثمان الناس قائلا : « ان الله اذا اراد بقوم كفهم ووفر أمانتهم فاحفظوها فان أول ما تفقدون من دينكم الامانة، فاذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم » (٢٧).

وسار أبو موسى الاشعري بأمر عمر بن الخطاب من البصرة وانضم الى عثمان بن ابي العاص في هذه المرحلة من قتال الفرس، ففتح معه

---

(٢١) الطبري (٣/١٨٩) وابن الاثير (٣/٨).

(٢٢) ابن الاثير (٣/٨).

(٢٣) توّج : مدينة بفارس. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٢٦).

(٢٤) في رواية ان عثمان وجه اخاه الحكم بن ابي العاص في البحر الى فارس ففتح جزيرة (بركاوان) ومنها سار الى (توج). راجع البلاذري ص (٣٧٨). وفي رواية ان الذي فتح (توج) هو مجاشع بن مسعود السلمي. انظر الطبري (٣/٢١٤) وابن الاثير (٣/٤) وأسد الغابة (٤/٣٠٠).

(٢٥) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٦٤) والمسالك والممالك ص (٧٦).

(٢٦) الطبري (٣/٢٥٢) وابن الاثير (٣/١٦).

(٢٧) جاء في الطبري (٣/٢٥٢) ما نصه : « وعفّت الجند عن النهاب وأدوا الامانة فجمعهم عثمان ثم قام فيهم وقال : ان هذا الامر لا يزال مقبلا ولا يزال اهله معافين مما يكرهون ما لم يغلّوا، فاذا غلّوا رأوا ما ينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم ». وقد ذكر الدكتور محمد حسنين هيكل في كتابه : الفاروق عمر (٢/٤٨) ما نصه : « وبلغ عثمان أن بعض المسلمين أخذ من المغنم لنفسه قبل قسمة الفيء، فقام في الناس فقال : وذكر النص الذي اوردناه اعلاه. ولا ادري كيف استنتج هيكل ان بعض المسلمين أخذ من المغنم لنفسه !! بينما الذي قاله عثمان لرجاله هو عكس ما ذكره هيكل، اذ لا يدل الا على أمانة المسلمين حينذاك، ولا عجب، اذ كانت الدمى بخير، خاصة وان عمر بن الخطاب كان هو الخليفة وان قادته كانوا من الصحابة الاجلاء، وقد عفوا فعف الناس.

(ارّجان) (٢٨) صلحا على الجزيـة والخراج ، ثمَ فتحـا (شيراز) (٢٩) صلحاً وفتحا (سينيز) (٣٠) من اقليم اردشير (٣١) وصالح عثمـان مدينـة (فَسَـا) (٣٢) ومدينة (سابور) (٣٣) .

بل ان عثمان كان أول من حاول فتح السـند من قادة المسلمـين ، ثم لم تزل السـند تغزى الى زمان زياد بن أبيه والى زمـن الحجاج بـن يوسف الثقفي الذي افتتح باقي السـند (٣٤) .

الانســـان :

كان عثمان بن أبي العاص صحابيا جليلا من أهل الطائف من قبيلـة ثقيف المشهورة بشجاعتها الفائقة ، وكان من شخصيات ثقيف المرموقـة في الجاهلية بدليل اختياره أحد ستة من وفد ثقيف الذي قـدم على النبـي صلى الله عليه وسلم ليعلن اسلام ثقيف .

وكان حصيفا ذكيا متزنا حريصا على تفهم الدين ، مما جعله موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم فولاه امارة الطائف فبقي عليها في عهـده وعهد أبي بكر وعهد عمر حتى سنة خمس عشرة للهجرة اذ نقلـه دون أن يعزله عن الطائف الى البحرين وعمان وبقي أميراً عليهما حتى استشهد عمر ابن الخطاب (٣٥) فأقره عثمان على ولايته حتى سنـة ثمـان وعشرين للهجرة (٣٦) على الاقل ؛ ثم سكن البصرة واستقر فيها حتى مات بها في

---

(٢٨) أرجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير ، بينها وبين البحر مرحلة وبينهـا وبين شيراز ستون فرسخا وبينها وبين سوق الاهواز ستون فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٧٩) .

(٢٩) شيراز : مدينة في وسط بلاد فارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٢٠) .

(٣٠) سينيز : بلد على ساحل الخليـج العربي أقرب الى البصرة مـن سيراف . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢٠١) .

(٣١) البلاذري ص (٢٨٠) .

(٣٢) فسا : مدينة بفارس بينها وبين شيراز اربع مراحل . انظر التفـاصيل في معجم البلدان (٦/٣٧٥) .

(٣٣) سابور : كورة مشهورة بأرض فارس على اسم مدينة سابور التي بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخا . انظر معجم البلدان (٥/٤) . وانظر ما جاء حول فتحها في جمل فتوح الاسلام ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٧) ، أما الطبري في ٣/٢٥٤) فيذكر ان الذي فتح فسا ودارا بجرد هو سارية بن زنيم .

(٣٤) جمل فتوح الاسلام ــ ملحق بجوامـع السـيرة لابن حزم ص (٣٤٧) وانظر جمهـرة انساب العرب (٢٥٤) وفيه : غزا ثلاثة من مدن بلاد الهند .

(٣٥) الطبري (٣/٢٠٤) وابن الاثير (٣/٣٠) .

(٣٦) ابن الاثير (٣/٣٦) .

خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة خمس وخمسين وقيل سنة أحدى وخمسين (٣٧) ، وقيل سنة خمسين (٣٨) . والظاهر انه تعاون مع عثمان بن عفان في صدر خلافته ، حتى اذا شعر أن الرياح تجري على غير ما يريد ترك عمله واعتكف في البصرة دون ان يعاون في اثارة الفتنة في اواخر أيام عثمان بن عفان أو يلوّث يديه بدماء المسلمين في الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية .

وكان أحد الصحابة الرواة ، روى تسعة وعشرين حديثا عن رسول الله صلى الله وسلم (٣٩) ، كما كان فقيها في الدين ومن أصحاب الفتيا من الصحابة (٤٠) .

وكان اداريا قديرا اثبت كفاءة ممتازة في ادارة الطائف في أحرج الظروف ، كما اثبت كفاءة ممتازة في ادارة عمان والبحرين فسيطر عليهما سيطرة كاملة وسار بهما على الطريق السوي (٤١) في عنفوان ايام الفتح الاسلامي ، فهو بدون شك ذو عقل وقوام وكفاية (٤٢) .

ولم يذكر لنا التاريخ أنه اثرى على حساب الفتح او من استغلال النفوذ ، اذ كان ينفق أمواله على الفقراء والمحتاجين وفي الجهاد ، كما كان كريما مضيافا .

وكان كثير التدين مؤمنا قوي الايمان ، آلفا مألوفا وفيا شهما صادق القول والعمل على حد سواء .

انه مثال العربي في مزاياه والمسلم في أخلاقه ... لقد كان من خيار الصحابة (٤٣) ، واليه ينسب شط عثمان بالبصرة (٤٤) .

القائد :

كان عثمان سريع القرار صائبه نتيجة لذكائه وكفاءته وبعد نظره وترتيباته الاستطلاعية التي كان يتخذها دائما قبل خوض معاركه ، لذلك

---

(٣٧) الاصابة (٤/٢٢١) .
(٣٨) ابن الاثير (٢/١٨٦) .
(٣٩) اسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨١) .
(٤٠) اصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١) .
(٤١) البلاذري ص (٣٧٨) .
(٤٢) طبقات ابن سعد (٧/٤٠) .
(٤٣) جمهرة انساب العرب (٢٥٤) .
(٤٤) جمهرة انساب العرب .

انتصر في كل معركة خاضها : داخلية ضد المرتدين ، وخارجية في الفتح الاسلامي .

وكان شجاعا مقداما ، يثق بقواته وتثق قواته به ، له شخصية نافذة وارادة قوية ، يتحمل مسؤوليته كاملة ، يبادله رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، له ماض ناصع مجيد قبل الاسلام وبعده .

وكان يحرص على (اختيار مقصده وادامته) ، كما كان قائدا (تعرضيا) يطبق مبدأ (المباغتة) في حروبه ، ويعمل على (تحشيد قوته) قبل البدء بالقتال ، ويضع مبدأ (الامن) نصب عينيه دائما حتى يحافظ على قواته سالمة و (يديم معنوياتها) قبل المعركة واثناءها وبعدها .

عثمان في التاريخ :

يذكر التاريخ عثمان باعجاب شديد : لعقيدته الراسخة ولفتوحاته .
يذكره لعقيدته الراسخة التي جعلته يسارع الى الاسلام قبل اصحابه في وفد ثقيف ، ويحرص على استيعاب الدين الجديد قبلهم ، ثم يقف صامدا امام الذين ارادوا نبذ الاسلام من ثقيف بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ـ مما ادى الى بقاء قومه في الطائف مسلمين يدافعون عن الاسلام .

ويذكر فتوحاته الواسعة التي شملت اكثر بلاد فارس موطن الفرس الاصلي الذي انبعثوا منه الى ارجاء العالم القديم ليكونوا اقوى امبراطورية لا تزال آثار حضارتها باقية حتى اليوم .

لقد فتح بالاضافة الى فارس ارمينية الرابعة ، وكان أول من هاجم السند فكانت معاركه التمهيدية فيها ايذانا بفتحها فيما بعد ونشر الاسلام في ربوعها .

ان عثمان بن أبي العاص مفخرة من مفاخر التاريخ العربي الاسلامي .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، عثمان بن ابي العاص الثقفي .

الحكم بن أبي العاص الثقفي

فاتح جزيرة بركاوان[1] وتوّج[2]
وفاتح اصطخر ثانية

الصحابـي :

أسلم الحكم بن ابي العاص الثقفي في السنة التاسعة للهجرة ، وذلك بعد عودة وفد ثقيف من المدينة الى الطائف واعلان اسلامه واسلام ثقيف (٣) .

لقد صحب الحكم النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ولكنه لم يقاتل تحت لوائه ، وبذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

المجاهـــد :

يقترن اسم الحكم باسم أخيه عثمان بن أبي العاص الثقفي في كل أعماله ومنها جهاده المرتدين وقيادته بعض جيوش الفتح الاسلامي .

كتب عمر بن الخطاب الى عثمان بن أبي العاص في الطائف : « أقبـل واستخلف أخاك » (٥) ، فبقي الحكم على الطائف مدة قصيرة سار بعدها مع أخيه عثمان الى عمان والبحرين حيث استقر عثمان في عمان واستقر الحكم في البحريـن (٦) .

---

(١) بركاوان : هي جزيرة لافت الواقعة في بحر عمان (الخليج العربي) بينها وبين هجر. انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٢) و(٣٢٦/٦) و(٣١٤/٧).

(٢) توّج : مدينة بفارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢٦/٢) .

(٣) سيرة ابن هشام (١٩٤/٤) وطبقات ابن سعد (٣١٢/١) وعيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (٢٢٨/٢) والطبري (٢٦٣/٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٥٠٩/٥) .

(٥) الاصابة (٢٨/٢) والاستيعاب (٣٥٨/١) .

(٦) أسد الغابة (٣٧٣/٣) .

ولما استقر الأمر للأخوين في عمان والبحرين ، وجّه عثمان أخاه الحكم في البحر الى فارس في جيش عظيم ، ففتح جزيرة (بركاوان) الواقعة في الخليج العربي ، وبعد فتحها سار الى مدينة (توّج) ففتحها أيضا وبنى بها المساجد وجعلها دارا للمسلمين (٧) .

وانتقضت (اصطخر) التي فتحها عثمان بن أبي العاص على المسلمين ، فسار اليها الحكم واستطاع تحطيم قوات الفرس بعد قتال عنيف بمعاونة أخيه عثمان الذي سارع لنجدة أخيه ، وبذلك أعاد (اصطخر) والمنطقة المحيطة بها الى سيطرة المسلمين (٨) .

لقد كان الحكم عونا لأخيه عثمان في فتوحاته الكثيرة في اقليم فارس ، فكان يعمل تحت لواء أخيه تارة ويعمل مستقلا لفتح بعض المناطق تارة اخرى ؛ وبذلك استطاع أن يفتح فتوحا كثيرة (٩) .

الانسان :

كان الحكم ذكيا متزنا مؤمنا قوي الايمان ، اداريا حازما أعان أخاه في ادارة الطائف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عهد أبي بكر وعمر حتى سنة خمس عشرة حيث انتقل اخوه الى عمان والبحرين ، فتولى الحكم ادارة البحرين . ولما عزل عثمان بن عفان أخا الحكم عثمان بن أبي العاص عن البحرين وعمان ، سكن الحكم البصرة واستقر فيها (١٠) .

لقد عاش الحكم لعقيدته واخلص لها كل حياته ، ولا نعرف أنه أفاد من الفتح مالا أو عقارا ، بل عاش حياته عيش الكفاف شريفا كريما حتى توفاه الله .

القائد :

لعل الحكم نسخة طبق الاصل من أخيه عثمان بن أبي العاص في مزاياه قائدا .

---

(٧) ابن الاثير (١٦/٣) وجمل فتوح الاسلام – ملحق بجوامع السيرة – لابن حزم ص (٣٤٧)، وفي رواية اخرى ان عثمان بن ابي العاص هو الذي فتح (بركاوان) ومدينة (توج) بنفسه . انظر البلاذري ص (٣٧٩) . وفي رواية ، ان الذي فتح توج هو مجاشع بن مسعود السلمي . انظر الطبري (٢١٤/٣) وابن الاثير (٤/٣) وأسد الغابة (٣٠٠/٤) .

(٨) ابن الاثير (١٦/٣) والطبري (٢٥٢/٣) .

(٩) الاصابة (٢٨/٢) وأسد الغابة (٣٥/٢) والاستيعاب (٣٥٨/١) .

(١٠) الاستيعاب (٣٥٨/١) .

كان شجاعا مقداما سريع القرار ، يبادل رجاله الثقـة والمحبـة ، ذا شخصية نافذة وارادة قويـة .

لقد انتصر في كل معركة خاضها لانه طبق أهم مبادىء الحرب في القتال، اذ انه حرص على مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ومبدأ (التعرض) ومبدأ (المباغتة) ، وبذلك استطاع تحطيم قوات فارسية كبيرة بأقل جهد ممكن ، وبأقل خسائر ممكنة .

الحكم في التاريـخ :

لا يكاد التاريخ يذكر عثمان بن أبي العاص أخا الحكم الا ويذكر الحكم الى جانبه شريكا له في انجازاته الرائعة في الدفاع عن الاسـلام وفي الفتـح الاسـلامـي .

لقد شارك الحكم أخاه عثمان في منع ثقيف مـن الردة ، وشاركـه في فتوحاته كلها ، وشاركه في كل أعماله الادارية وفي كل واجباتـه في السلـم والحرب ، وبذلك استحق الحكم تقدير التاريخ .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، الحكم ابن أبي العاص الثقفي .

سارية بن زُنَيم الكناني

فاتح فسا[1] ودارابجرد[2]

« يا سارية بن زُنيْم .... الجبل .. الجبل ... »

(عمر بن الخطاب)

اسلامـــــه :

لا نعلم بالضبط متى أسلم سارية بن زنيم الكناني ، والظاهر أنه أسلم متأخرا ، لعدم ورود اسمه بين الصحابة الذين شهدوا (بدرا) أو أسلموا قبل فتح مكة المكرمة ، كما لم يرد ذكره في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم الاخرى .

لقد كان صحابيا جليلا (٣) ما في ذلك شك ، اذ كانوا لا يؤمّرون غير الصحابة (٤) ــ خاصة في عهد عمر بن الخطاب ، وقد أصبح سارية قائدا لجيش من جيوش المسلمين في أيام عمر بن الخطاب (٥) ؛ لهذا نال سارية شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـــــاده :

استنفد سارية كل جهوده في معارك الفتح وبرزت قابلياته الممتازة في تلك المعارك على قيادة الرجال ، لذلك أسند اليه عمر بن الخطاب مهمة فتح

---

(١) فسا : كلمة أعجمية وعندهم : بَسَا بالباء ، وكذا يتلفظون بها ، ومعناها في كلامهم : الشمال من الرياح . وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي من اكبر مدن ولاية (دارابجرد) . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٦٧) ومعجم البلدان (٦/٣٧٥) .

(٢) دارابجرد : ولاية بفارس سميت باسم مدينة بهذا الاسم ، وتحوي على مدن كثيرة تفاصيلها في المسالك والممالك ص (٧٠) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٦) والمسالك والممالك ص (٦٧ ــ ٧٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٨٨)

(٣) الاصابة (١/٤٦) في مادة : أسيد بن أبي اياس بن زنيم ، وهو ابن أخي سارية ، والاصابة (٣/٥٢) .

(٤) الاصابة (١/٣٠٩) والاصابة (٣/٥٣)

(٥) الطبري (٣/١٨٩) وابن الاثير (٢/٢١٤)

(فَسا) و (دَارَا بِجَرْد) من أهم ولايات فارس .

وسار سارية بجيشه نحو هدفه حتى انتهى الى موضع تحشد القوات الفارسية ؛ وهناك حاصرهم طويلا ، الا أنهم استمدوا فأمدهم أكراد فارس ، وتكاثر العدو على المسلمين ، حتى أصبحت قوات العرب في خطر عظيم ... عند ذاك التجأ سارية بجيشه الى جبل (٦) قريب جعله وراء قواته ، فواجه الفرس من اتجاه واحد ، وكانوا قبل ذلك يواجهونهم من اتجاهات عديدة ...

واستقتل المسلمون ، فاستطاعوا التغلب على عدوهم المتفوق عليهم تفوقا ساحقا بالعدد والعُدد ـ العدو الذي كان يقاتل في بلاده مدافعا عن منطقة يعرفها كل المعرفة من كافة الوجوه ؛ وكانت نتيجة انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة هي استسلام ولاية (دارابجرد) كلها للعرب ، فدخلوا مدنها وقراها الكثيرة فاتحين (٧) .

الانســـــان :

كان سارية خليعا في الجاهلية ، وكان لصا كثير الغارة ، وكان يسبق

---

(٦) في الطبري (٣/٢٥٤) وابن الاثير (٣/١٦) قصة نداء عمر بن الخطاب من فوق منبر مسجد المدينة المنورة : « يا سارية بن زنيم .. الجبل الجبل .. » فسمع صوته سارية ومن معه وهم في بلاد فارس ، وكانوا يقاتلون في ارض مكشوفة مهددين بالفناء لتكاثر قوات الفرس عليهم ولانهم كانوا يقاتلون في ارض غير صالحة للقتال ولا تعين المسلمين على الدفاع تجاه قوات فارس المتفوقة عليهم عَددا وعُددا ، فلجأ سارية ورجاله الى الجبل عند سماعهم صوت عمر ، فنجوا وانتصروا على الفرس .

وهناك اختلاف ظاهر في رواية هذه القصة ، فبينما يذكر الطبري وابن الاثير : ان عمر ابن الخطاب رأى رؤيا فأخبر المسلمين بها وهو على المنبر في يوم من الايام ، يذكر صاحب الاصابة في (٢/٥٣) وصاحب أسد الغابة في (٢/٢٤٤) : ان عمر كان يخطب على المنبر في يوم الجمعة ، فعرض له في خطبته ان قال : « يا سارية .. الجبل .. الجبل .. من استرعى الذئب ظلم » ، فلما جاء البشير بالفتح بعد شهر من هذا الحادث ، ذكر انه سمع كما سمع المسلمون في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوز الجبل صوتا يشبه صوت عمر : « يا سارية ... الجبل .. الجبل ... » ، فعدل المسلمون الى الجبل ، ففتح الله عليهم !

وعلى الرغم من انني أسجل الناحية العسكرية البحتة في دراستي هذه ، ولكنني **لا** ارى وصول صوت عمر الى سارية ورجاله مستحيلا .. والتعليل العقلي لذلك ـ وهو للذين **لا** يخضعون **الا** لتحكم العقل ـ : ان سارية توجه بنفسه الى نفس عمر في مأزق شديد عليه وعلى عمر معا ، فشعر الخليفة به ، وناداه وهما في لحظة التقابل بالوحي والاستيحاء . ان العلم المادي الحديث **لا** ينكر وقوع مثل هذا ، ومن اراد التفصيل فليراجع كتاب الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هيكل (٢/٥١) وكتاب عبقرية عمر للاستاذ عباس محمود العقاد ، وليراجع مقالين نفيسين عن : (التلباثي) للاستاذ العقاد ايضا منشورين في العددين (٤٩٣ و٤٩٥) من مجلة الرسالة للاستاذ احمد حسن الزيات ، ففي هذه المراجع ـ خاصة في مقالي العقاد التعليل العلمي الواضح لهذه القصة .

(٧) الطبري (٣/٢٥٤) وابن الاثير (٣/١٦) وانظر الاصابة (٢/٥٣) واسد الغابة (٢/٢٤٤)

الخيل عدوا على رجليه ؛ فلما أسلم حسن اسلامه (٨) فأصبح نزيها مستقيما ورعا شهما غيوراً وفيا صادقا كريما مضيافا ؛ والحق ان تأثير الاسلام على نفسيته كان مدهشا لدرجة انه غيّره الى رجل آخر مثالي ؛ لذلك فسارية مثال حي ملموس على تأثير الاسلام الحاسم في نفوس المؤمنين به .

وقد سكت التاريخ عن أيامه الاخيرة ، فلا نعلم عنها شيئا : ماذا قدم للمسلمين من خدمات عامة بعد الفتح ؟ وأين استقر ، ومتى وأين توفي ؟

القائـــــد :

ليس من شك ، في أن قيادة سارية الحكيمة أنقذت قواته من فناء أكيد ؛ فقد كانت قواته قليلة بالنسبة الى سعة هدفه وكثرة قوات أعدائه .

ومما زاد في جسامة الاخطار المحيقة بجيشه ، أن خطوط مواصلاته كانت بعيدة للغاية عن قواعد المسلمين الامامية في الكوفة والبصرة ؛ فكان امداده بالرجال يحتاج الى وقت طويل ، لذلك لم يكن امامه الا أن يشاغل عدوّه حتى تحين له الفرصة المناسبة للاشتباك به في معركة فاصلة ؛ فلما حانت تلك الفرصة لم يضيّعها سارية عبثا ، بل اهتبلها للقضاء على عدوه القوي العنيد .

فما هو سر انتصاره على عدوه الذي كان يقاتل في عقر داره وله كافة المحسّنات التي يتفوق بها على المسلمين ؟

لقد كان سارية يتحلى بالشجاعة الشخصية النادرة وبالاقدام النادر الذي يتخطى بجراة عجيبة كل ما يعترضه من عقبات . وكان قديرا على تفهم تأثير طبيعة ساحة المعركة على نتائج المعركة ؛ أو بتعبير آخر ، كانت له قابلية لاختيار الارض المناسبة للمعركة المناسبة ؛ فقد كان في العراء حين كان يحاصر عدوه ، فلما تفوق هذا العدو على المسلمين بعدده وعُدده كان لا بد لسارية أن يختار موضعا دفاعيا مناسبا يساعده على الدفاع ؛ فاختار الجبل وترك السهل .

وكان سريع القرار صحيحه ، بعيد النظر لمّاحا للفرص المناسبة لا يضيّعها أبدا، وكان ذا ارادة قوية وشخصية نافذة ، له ماض مشرف مجيد.
تلك هي مزايا قيادته التي أمّنت له النصر العظيم .

---

(٨) الاصابة (٣/٥٣)

سارية في التاريـخ :

تتضح لنا من دراسة الخريطة بامعان(٩)، الاهمية السوقية (الاستراتيجية) البالغة لولاية (دارابجرد) ، فهي بالاضافة الى كثرة مدنها وقراها ووفـرة مياهها وخيراتها وازدحامها بالسكان ـ مما كان له أثر كبير على ادامة (١٠) المجاهدين المسلمين بالمال والرجال ، فانها تقع في قلب البلاد الفارسيـة ، ومنها تسهل السيطرة على الولايات الفارسية الشمالية والجنوبية ، كمـا أنها تصلح لتكون قاعدة متقدمة ينطلق الفاتحون منها باتجاه الشرق ... الى الصـين .

تلك هي بعض أهمية هذه المنطقة من الناحية العسكرية ، فهل بامكـان التاريخ أن ينسى لفاتحها ما أسداه للفتح الاسلامي من افضال ؟

ان هذه المنطقة كان لها أثر كبير في الفتح الاسلامي الذي امتد شرقـا حتى الصين ، كما أن سكانها لا يزالون يدينون حتى اليوم بالاسلام . ترى ! هل يذكرون فاتحها كما يذكره التاريخ ؟!

رضي الله عن الصحابي الجليـل ، القائـد الفاتح ، سارية بن زنيـم الكنانـي .

---

(٩) انظر الخريطة في ص (٢٢٢) .

(١٠) الادامة : مصطلح عسكري ، يقصد به في الجيش العراقي تأمين متطلبات القوات المقاتلة الادارية كافة : امدادها بالرجال وبالسلاح وبالعتاد وبالنقلية والتجهيـزات والارزاق وبالامور الطبية والبيطرية ، واجراء التصليحات اللازمة لاسلحتها ونقليتها وتجهيزاتها .

قَادَةُ فَتْحِ سِجِسْتَان

عاصم بن عمرو التميمي

عاصم بن عمرو التميمي

فاتح سجستان[1]

اسلامه :

أسلم عاصم بن عمرو التميمي في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بني تميم (٢) ، فكان اسلامه بعد غزوة (تبوك) آخر غزوة قادها الرسول القائد بنفسه ، لذلك فقد نال عاصم شرف الصحبة (٣) اذ كانوا لا يولون القيادة الا للصحابة (٤) ، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

١ ـ قبل القادسية :

قاتل عاصم تحت لواء خالد بن الوليد في حروب أهل الردة ، فأبلى فيها بلاءً استحق من أجله تقدير خالد ، فوجّهه أمام قواته على رأس قوة من المسلمين الى العراق (٥) كما سرّح غيره من القادة .

وقاتل عاصم بقيادة خالد في العراق ، فقتل في معركة (المذار) (٦) أحد قادة الفرس البارزين (٧) . وبعد فتح الحيرة ، قاتل عاصم مع خالد في

---

(١) سجستان : اسم منطقة واسعة بينها وبين هراة عشرة ايام او ثمانون فرسخا ، وهي جنوبي هراة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) ، وانظر حدودها في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٨) وفيها سجستان بفتح السين ، وانظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٠١) .

(٢) الطبري (٣٧٧/٢) .

(٣) الاصابة (٦/٤) والاستيعاب (٧٨٤/٢) .

(٤) الاصابة (٣٠٩/١) و(١٩٤/٢) .

(٥) الطبري (٥٥٤/٢) .

(٦) المذار : في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار اربعة ايام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٣/٧) .

(٧) الطبري (٥٥٧/٢) .

معركة (الانبار) (٨) وعين التمر (٩) و (دومة الجندل) (١٠) ، وفي معركة (دومة الجندل) بعث خالد عاصما على رأس مفرزة من الفرسان لأسر اكيدر ابن عبد الملك أحد أمراء دومة الجندل البارزين، فنجح عاصم في اسره وسلمه الى خالد فقتله (١١) جزاء غدره بالمسلمين .

وعندما طوّق خالد حصن (دومة الجندل) لم يتسع الحصن لكل المدافعين عنه ، فبقي بعضهم خارجه ، فقال عاصم لقومه بني تميم : « يا بني تميم ! حلفاؤكم كلب آسروهم وأجيروهم ، فانكم لا تقدرون لهم على مثلها » ، ففعلوا . وكانت وصية عاصم هذه سببا لنجاة بني كلب من القتل ، لأن خالدا دعا بالاسرى فضرب أعناقهم الا أسارى بني كلب ، فان عاصما وبني تميم قالوا : « قد أمنّاهم » ، فأطلقهم لهم خالد (١٢) ، مما يدل على وفاء عاصم لأصدقائه في أيام محنتهم .

ولما وجه أبو بكر خالدا الى أرض الشام ، أراد أن يستصحب عاصما معه كما أراد استصحاب جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتج المثنى بن حارثة الشيباني قائلا : « والله ما أرجو النصر الا بهم » ؛ فلما رأى خالد ذلك أعاضه حتى رضي ، وكان عاصم ضمن الذين تركهم ارضاء للمثنى (١٣) ؛ وما كان خالد ليترك مثل عاصم في العراق مختارا ، ولكنه اضطر الى ذلك اضطرارا بعد أن استصحب معه القعقاع بن عمرو أخا عاصم ، حتى يرضي المثنى من جهة وحتى ينفذ امر ابي بكر في استصحاب نصف الصحابة وترك نصفهم مع المثنى (١٤) من جهة ثانية .

وقاتل عاصم بعد خالد تحت لواء أبي عبيد بن مسعود الثقفي قائدا لقومه بني تميم ، فوجهه بعد معركة (كسكر) الى نهرجور فهزم الفرس (١٥)؛ وفي معركة الجسر التي استشهد فيها أبو عبيد وركبهم الفرس فأصابوا

---

(٨) الانبار : هي مدينة الفلوجة الحالية واقعة غرب بغداد على الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٤٠) .

(٩) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له « شفاثة » . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٥٣) .

(١٠) دومة الجندل : حصن على سبعة مراحل من دمشق يقع بين دمشق وبين المدينة . راجع معجم البلدان (٤/١٠٦) .

(١١) الطبري (٢/٥٧٨) .

(١٢) الطبري (٢/٥٧٩) وابن الاثير (٢/١٥٢) .

(١٣) الطبري (٢/٥٧٩) .

(١٤) الطبري (٢/٦٠٥) وابن الاثير (٢/١٥٦) .

(١٥) الطبري (٢/٦٣٧) . ونهر جور نهر بين الاهواز وميسان . انظر معجم البلدان (٨/٣٣٩) .

يومئذ من المسلمين أربعة آلاف شهيد بين غريق وقتيل ، حمى المثنى بن حارثة الشيباني وعاصم مع اشجع ابطال المسلمين الانسحاب حتى عقدوا جسرا فعبر المسلمون عليه وعبر المثنى وعاصم وأصحابهم في آثارهم (١٦) ، وبذلك أنقذ عاصم والمثنى ورجالهما أرواح كثير من المسلمين .

وقاتل عاصم بعد استشهاد ابي عبيد تحت لواء المثنى : استخلفه على الناس حين خرج على رأس مفرزة من الفرسان (١٧) . وفي معركة (البُوَيْب) (١٨) كان عاصم يقود (المجردة) (١٩) ، وهو واجب لا يعهد به الا لفارس مقدام . ولما انهزم الفرس امام المسلمين في هذه المعركة ، كان عاصم أحد القادة الذين قاموا بالمطاردة ، فكان اول من دخل حصن الفرس في (ساباط) (٢٠) هو عاصم (٢١) ، وكان لتغلغله العميق في أرض الفرس أثر بالغ على تحطيم معنويات الفرس ورفع معنويات العرب .

٢ ـ في القادسية :

كان عاصم اثناء مسير الاقتراب الى موضع القادسية قائدا للساقة (٢٢) وكان المسلمون قبل معركة القادسية يحتاجون الى المواد الغذائية ، وكانت هذه المواد ضرورية لهم اذ أن الجندي الذي لا يأكل لا يقاتل ، لذلك أرسل سعد بن أبي وقاص عاصما الى (مَيْسان) (٢٣) في غارة غنمَ فيها بعض الماشية ، فأتى بها الى سعد ، فقسمها على الناس ، فأخصبوا اياما (٢٤) .

وقبيل معركة القادسية جرت مفاوضات بين سعد وبين كسرى يزدجرد ، فأرسل سعد رجالا من العرب لهم منظر ومهابة ولهم آراء واجتهاد ، وكان من بين هؤلاء عاصم (٢٥) . وفي نهاية المفاوضات غضب كسرى على المفاوضين

---

(١٦) الطبري (٢/٦٤٠) .

(١٧) الطبري (٢/٦٤٤) وابن الاثير (٢/١٦٩) .

(١٨) البويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق ، يأخذ ماءه من الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣١٠) .

(١٩) الطبري (٢/٦٤٥) والمجردة : هي القطعات الراكبة امام المقدمة وكانت من الفرسان .

(٢٠) ساباط : وتسمى ساباط كسرى ، وهي مدينة بالقرب من المدائن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢) .

(٢١) الطبري (٢/٦٥٣) .

(٢٢) الطبري (٣/٩) وابن الاثير (٢/١٧٤) .

(٢٣) ميسان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨ ـ ٢٢٤) .

(٢٤) انظر تفاصيل القصة في الطبري (٣/١٤) وابن الاثير (٢/١٧٥) .

(٢٥) انظر تفاصيل المفاوضات في الطبري (٣/١٥) وابن الاثير (٢/١٧٥) .

العرب ، فقال لرجاله : « ائتوني بوقر من تراب ، واحملوه على أشرف هؤلاء » ، فتقدم عاصم ليحمل عن أصحابه التراب قائلا : « أنا أشرفهم ... أنا سيد هؤلاء » ، ثم حمل التراب على عنقه وخرج الى راحلته فركبها ، وأخذ التراب معه وقال لسعد : « أبشر ! فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم » (٢٦)، وكانت نتيجة تلك المفاوضات نصرا معنويا للمسلمين على الفرس ، اذ قال كسرى : « ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي !! ما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا منهم » (٢٧) .

وارسل سعد مائة فارس فأغاروا على ما بين النهرين . وبلغ (رستم) قائد الفرس الخبر ، فأرسل اليهم خيلا ، ولما علم سعد بأن خيله توغلت بعيدا وأنها أصبحت في خطر داهم ، بعث عاصما وجابر الاسدي (٢٨) ، فلقيهم عاصم وخيل الفرس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم ، فلما رأته الفرس هربوا ؛ ورجع المسلمون بالغنائم والفتح (٢٩) .

وعندما نشب القتال بين المسلمين والفرس في معركة القادسية ، برز عاصم في اليوم الاول من أيامها بروزا جعله سيد الموقف بدون منازع : كان أحد ذوي الرأي والنجدة الذين أرسلهم سعد لتحريض الناس على القتال ، فقام عاصم في (المجردة) ورجالها اول من يلاقي العدو ، وقال يخاطبهم : « ان هذه البلاد قد أحل الله لكم اهلها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الاعلون والله معكم ان صبرتم وصدقتموه الضرب والطعن ... الخ » (٣٠) . ووقف خطيبا في آخرين قائلا : « يا معاشر العرب ، انكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان العجم ، وانما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم ، ولا تحدثوا اليوم أمرا تكونون فيه شينا على العرب غدا » (٣١) . ثم خرج عاصم للقتال وهو يرتجز ، فطارد رجلا من العجم فهرب منه ، فطارده حتى دخل في صفوف الفرس ، فالتقى بفارسي معه بغلة فترك الفارسي بغلته وهرب ، فاستاقها عاصم وسلمها الى سعد ثم عاد الى موقفه .

وزحف المسلمون ، فحملت فيلة الفرس على الميمنة والميسرة ، فحادت خيول المسلمين واحجمت ، وبقي المشاة يقاتلون وحدهم بدون اسناد الفرسان

---

(٢٦) ابن الاثير (١٧٦/٢) .

(٢٧) الطبري (١٩/٣) .

(٢٨) جابر الاسدي : ذكر سيف في الفتوح ان سعد بن ابي وقاص امّره على بعض السرايا في قتال القادسية وكانوا لا يؤمرون الا الصحابة . راجع الاصابة (٢٢٥/١) .

(٢٩) الطبري (٢٧/٣) وابن الاثير (١٧٧/٢) .

(٣٠) الطبري (٤٤/٣) .

(٣١) الطبري (٤٦/٣) .

لهم ... في ذلك الموقف العصيب ارسل سعد الى عاصم وقال له : « يا معشر بني تميم ! الستم اصحاب الابل والخيل ! اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟! » فقال عاصم : « بلى والله ! » ، ثم نادى عاصم الرماة من قومه واعطاهم واجب رمي الفيلة لاسناد جماعة آخرين من تميم أمرهم بقطع أحزمة سروج الفيلة ومذنباتها ؛ وخرج عاصم يشرف على تنفيذ خطته هذه ويحمي الرماة وجماعة قطع الاحزمة ، واقبل رجاله على الفيلة فأخذوا بأذنابها وقطعوا وضنها (٣٢) فارتفع عواؤها والقت بركبانها ، فنفس عن بني أسد وبجيلة بعد أن قتل من أسد وحدها يومذاك أكثر من خمسمائة رجل (٣٣) .

لقد كان عاصم في ذلك اليوم بحق عادية الناس وحاميهم (٣٤) .

اما في اليوم الثاني ، فقد وصل القعقاع اخو عاصم مع امداداته ، وبذلك اجتمعا ليتعاونا على حمل ثقل القتال على كاهليهما .

وفي اليوم الثالث من أيام القادسية ، أعادت فيلة الفرس هجومها الكاسح ، فسأل سعد جماعة من الفرس الذين أسلموا عن مقاتلها ، فقالوا : انها مشافرها وعيونها ؛ فأرسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو وقال لهما : « أكفياني الفيل الابيض » ، وكانت الفيلة كلها آلفة له وكان بازائهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين وتقدما في خيل ورجل من تميم ، وقالا لرجالهما : اكتنفوه لتحيزوه ! ثم حملا فوضعا رمحيهما معا في عيني الفيل الابيض ، فتراجع الحيوان وطرح سائسه ودلى مشفره ، فضربه القعقاع بالسيف فرمى بمشفره (٣٥) ؛ ووقع الفيل لجنبه ، فقتلا من معه من الفرس (٣٦) ؛ كما وجه سعد بطلين من بني أسد هما الحمال (٣٧) والربيل (٣٨) الى الفيل الاجرب ، ففقأا احدى عينيه وضربا مشفره ؛ وكان هذان الفيلان أشد الفيلة ضراوة ، وكانت الفيلة كلها تتبعهما في الهجوم كما تتبعهما في الفرار أيضا ؛ فلما اندفع الفيل الاجرب ووثب الى النهر اتبعته الفيلة كلها والقت ركبانها عن ظهورها وتخطت الماء وولت مدبرة ولم

---

(٣٢) الوضن : جمع وضين ، وهو بطان عريض من جلد منسوج .

(٣٣) الطبري (٥٠/٣) .

(٣٤) الطبري (٥٠/٣) .

(٣٥) الطبري (٦٢/٣) والاصابة (٢٤٥/٥) .

(٣٦) الطبري (٦٢/٣) وابن الاثير (١٨٥/٢) .

(٣٧) حمال بن مالك الاسدي : ذكر سيف في الفتوح ، أن سعد بن ابي وقاص امره على الرجل حين توجه الى العراق كما انه هاجم الفيل الاجرب . راجع الاصابة (٣٦/٢) .

(٣٨) الربيل الاسدي : جاء ذكره في الطبري : ان سعد بن ابي وقاص امره ان يهاجم الفيل الاجرب في اليوم الثالث من ايام القادسية . راجع الطبري (٦٣/٣) وابن الاثير (١٨٥/٢)

تعقب (٣٩) .

وأخذ أبطال المسلمين يديمون زخم الهجوم ويضيّقون الخناق على الفرس ، كان أبرز هؤلاء الابطال عاصم الذي حمل على العدو ... وزحفت الصفوف حتى لحقت بهؤلاء الابطال الذين فتحوا ثغرات عميقة في صفوف القوات الفارسية (٤٠) . واستقبل المقاتلون الليل ، فمضوا قدما في هجومهم بعد صلاة العشاء ، فهزم عاصم ليلة (الهرير) قائد الفرس الذي كان بازائه وسحق قواته (٤١) .

وانتهت معركة القادسية بنصر المسلمين ، وكان لما بذله عاصم من جهد مشرف في جهاده نصيب أي نصيب في هذا النصر !

وصدق من قال عنه : كانت له في القادسية مقامات محمودة وبلاء حسن (٤٢) .

٣ ـ في فتح المدائن (٤٣) :

قرر سعد أن يعبر النهر بقواته لفتح المدائن ، وكان لا بدّ له من قوة كافية تعبر النهر أولا لاحتلال راس جسر في الجانب الثاني من النهر ، وبذلك تحمي عبور قوات القسم الأكبر من قوات المسلمين .

وعبور النهر ـ خاصة بالنسبة للقوات المتقدمة الامامية ـ لا يخلو من صعوبة بالغة اذا كانت القوات العابرة تحسن السباحة ولديها وسائط عبور جيدة ، فكيف بالعرب رجال الصحراء وهم لا يحسنون السباحة ولا تحسنها خيلهم ، اذ حتى الخيل تحتاج الى التدريب الطويل على السباحة كما هو معروف !!

قال سعد : « من يبدأ ويحمي لنا الفراض (٤٤) حتى نلاحق به الناس

---

(٣٩) الطبري (٦٣/٣) وابن الاثير (١٨٥/٢) .

(٤٠) الطبري (٦٦/٣) .

(٤١) الطبري (٦٦/٣) .

(٤٢) الاصابة (٦/٤) والاستيعاب (٧٨٤/٢) .

(٤٣) المدائن : عاصمة الاكاسرة الساسانية وغيرهم ، فكل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه مدينة الى جنب التي قبلها فسميت بالمدائن ، واسمها بالفارسية : توسفون ؛ وعربوه على الطيسفون ، وانما سماها العرب : المدائن ، لانها سبع مدائن بين كل مدينة وأخرى مسافة قريبة او بعيدة . راجع التفاصيل فيمعجم البلدان(٤١٢/٧) ويطلق عليها اليوم اسم سلمان باك وفيها قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، وهي على دجلة بالقرب من بغداد . وانظر المسالك والممالك ص (٦٠) .

(٤٤) الفراض : جمع فرضة ، وهي موضع في الجهة المقابلة من النهر .

لكي لا يمنعوهم من الخروج ؟! » ... فتطوع عاصم وتطوع معه ستمائة من أهل النجدة ، فأمَّر سعد عاصما عليهم ، فساروا حتى اذا بلغوا شاطىء دجلة ، قال عاصم لأصحابه : « من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فنحمي الفراض من الجانب الآخر ؟ » ، فانتدب له ستون فارسا ، وهم الذي أطلق عليهم اسم (كتيبة الاهوال) ، فجعلهم نصفين على خيول اناث وذكور ليكون أساس العوم على الخيل ، ثم تقدمهم هو الى حافة النهر وهو يقول للذين ترددوا : « اتخافون من هذه النطفة ؟ » ، ثم تلا قوله تعالى : (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) . ثم دفع فرسه واقتحم النهر واقتحم زملاؤه معه ، فلما رآهم الفرس بعثوا فرسانهم فاقتحموا النهر أيضا فلقوا عاصما ورجاله في وسط النهر ، فقال عاصم : « الرماح ! الرماح ! اشرعوها وتوخوا العيون ؛ فالتقوا ، فاطعنوا » ، فولى الفرس ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ، ومن نجا منهم صار أعور من الطعن (٤٥) ، فكانت كتيبة الاهوال أول من دخل المدائن ، وعلى رأسها البطل حقا عاصم بن عمرو التميمي (٤٦) .

أن عبور عاصم ورجاله نهر دجلة ، يعتبر معجزة عسكرية يقف العقل والقلب معا أمامها وقفة اكبار واعجاب ، وهي بدون شك أثر من آثار الايمان العميق بالقضاء والقدر وأن النفس لن تموت الا بأجلها ، وكان لهذا الايمان اكبر الاثر في الفتح الاسلامي أيام الخلفاء الراشدين .

٤ ـ في البصرة وفارس :

تحرك عُتْبة بن غزوان الى منطقة البصرة بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من معارك (جَلَوْلاء) (٤٧) و (تكريت) (٤٨) والموصل في ثمانمائة رجل من بينهم بعض بني تميم (٤٩) ، فكان عاصم مع جيش عتبة ، اذ جاء ذكره مع الجيش الذي بعث به عتبة لانقاذ جيش العلاء بن الحضرمي الذي أحيط به في فارس (٥٠) ، لذلك فان عاصما شهد كافة معارك عتبة بن غزوان في جنوبي

---

(٤٥) الطبري (١٢٠/٣) وابن الاثير (١٩٨/٢) .

(٤٦) الطبري (١٢٣/٣) .

(٤٧) جلولاء : نهر من أنهر السواد يمتد الى بعقوبا ، وهي ايضا اسم مدينة كانت مسورة بينها وبين خانقين سبعة فراسخ . راجع معجم البلدان (١٢٩/٣) .

(٤٨) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهي الى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا ولها قلعة حصينة في طرفها الاعلى راكبة على دجلة وهي غربي دجلة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٩٩/٢) .

(٤٩) طبقات ابن سعد (٦/٧) وفي الطبري (٩٠/٣) : ان عدد رجاله كانوا خمسمائة .

(٥٠) الطبري (١٧٨/٣) وابن الاثير (٢٠٨/٢) .

العراق في منطقة البصرة وفي فارس ، وهي المعارك التي طهرت جنوبي العراق وقسما من أرض فارس من القوات الفارسية .

٥ ـ الفاتـــح :

بعد فتح نهاوند (٥١) قرر عمر بن الخطاب أن يدفع قوات المسلمين الى سائر أنحاء فارس ، فعقد بنفسه سبعة الوية لسبعة قادة عهد اليهم بالانسياح في أرض فارس كلها ، وكان من بين هذه الالوية السبعة لواء (سجستان) دفعه الى عاصم وأمَّره على رأس قوة من أهل البصرة ؛ ثم أمد عمـــر هؤلاء القادة بأهل الكوفة ، فأمد عاصما بعبد الله بن عمير ؛ فعسكر عاصم قريبـــا من البصرة حتى أكمل تحشد قواته وانجز متطلباتها الادارية ؛ ثم تحرك الى هدفه سجستان ، وهي أعظم من خراسان وأبعد فروجا ، يقاتـــل أهلهـــا القندهار والترك وأمما كثيرة (٥٢) ، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة (٥٣) ، ـ كل ذلك يدل على أهمية واجب عاصم ، وأن اختياره لهذا الواجب الخطير كان دليلا على الثقة البالغة بقيادته .

والتقى عاصم بحماة سجستان على تخوم بلادهم ، فلم يثبتوا للمسلمين بل انسحبوا الى (زَرَنج) (٥٤) عاصمة ولاية سجستان ، فحاصرهم المسلمون فيها وبثوا كتائبهم تتغلغل في المنطقة كلها . ولما أيقن المحاصَرون أن طـــول الحصار يضر بمصالح اقليمهم ولا يجديهم نفعا ، طلبوا الصلح على أن تكـــون مزارع سجستان حمى لا يطؤها المسلمون (٥٥) ، وبذلك فتحـــت ولايـــة سجستان ودخلت ضمن البلاد الاسلامية .

---

(٥١) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همدان بينهما ثلاثة ايام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢٩) .

(٥٢) الطبري (٣/٢٥٦) .

(٥٣) معجم البلدان (٥/٣٧) .

(٥٤) زرنج : أعظم مدينة في سجستان ، وهي مدينة وربض ، وعلى المدينة حصن وخندق وعلى الربض ايضا سور ، والماء الذي في الخندق ينبع من مكانه . راجع التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٣٩) ، وهي قصبة سجستان راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٨٥) .

(٥٥) الطبري (٣/٢٥٦) وابن الاثير (٣/١٧) ، اما البلاذري في ص (٣٨٥) فيذكر ان الذي فتح سجستان هو الربيع بن زياد الحارثي ارسله لفتحها عبد الله بن عامر في خلافة عثمان ابن عفان . وانني ارجح رواية الطبري ، لان كافة المناطق المحيطة بسجستان فتحت في عهد عمر بن الخطاب ، كما ان طبيعة الحركات المسكرية وتسلسل حوادث الفتح يؤيدان ان سجستان فتحت في عهد عمر لا في عهد عثمان . ولكن سجستان انتقضت بعد عمر بن الخطاب فاستعاد عبد الله بن عامر فتحها في ايام عثمان بن عفان ، وقد اورد البلاذري استعادة فتحها ولم يورد فتحها الاول ... ومن هنا جاء الاختلاف بين الطبري والبلاذري .

الشاعر :

كان عاصم أحد الشعراء الفرسان (٥٦) ، قضى عمره في ساحات القتال ، فلا بد ان يكون شعره معبرا عن أحاسيسه فارسا مجاهدا .

واليك نماذج من شعره .

قال يصف فتح الحيرة (٥٧) :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ... ورَجْلا فوق أثباج الركاب
حضرنا في نواحيها قصورا ... مشرفة كأضراس الكلاب

وقال يصف مطاردته للفرس بعد معركة (النمارق) (٥٨) :

لعمري وما عمري عليّ بهين ... لقد صبَّحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... يجوسونهم ما بين دُرتا وبارق (٥٩)
قتلناهم ما بين مرج مسلح ... وبين الهوافي من طريق البذارق

وقدّم الدهاقين (٦٠) الى أبي عبيد آنية فيها أطعمة فارسية فلم يأكل منه شيئا حتى علم انهم قرّبوا مثله لأصحابه ، فقال عاصم (٦١) :

صبحنا بالبقايس رهط كسرى ... صبوحا (٦٢) ليس من خمر السواد
صبحناهم بكل فتى كَميّ ... وأجرد سابح من خيل عاد

فهم يفخرون بأطعمتهم الشهية ، والعربي يفخر بالابطال من الفرسان .

وفي اليوم الاول من أيام القادسية ، خرج عاصم مرتجزا بقوله (٦٣) :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب ... مثل اللجين اذ تغشّاه الذهب
اني امرؤ لا من يعنّيه السبب ... مثلي على مثلك يغريه العتب

وقال يصف كيف أجاز المسلمون أمان عبد من عبيدهم لأهل (جنديسابور) (٦٤) بهذه الابيات (٦٥) :

---

(٥٦) الاصابة (٦/٤) .
(٥٧) انظر معجم البلدان (٣٧٦/٣) .
(٥٨) النمارق : موضع قريب من الكوفة ، وانظر هذه الابيات في الطبري (٦٣٦/٢) .
(٥٩) درتا وبارق : موضعان قريبان من النمارق القريبة من الكوفة .
(٦٠) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحي العجم وزعيم الاقليم .
(٦١) الطبري (٦٣٩/٢) .
(٦٢) الصبوح : هو الشرب بالغداة .
(٦٣) الطبري (٤٨/٣) .
(٦٤) جنديسابور : مدينة بخوزستان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٣) .
(٦٥) معجم البلدان (١٥٠/٣) .

لعمري لقد كانت قرابة (مكنف) (٦٦)
قرابة صدق ليس فيها تقاطع
أجارهم من بعد ذلّ وقلة
وخوف شديد والبلاد بلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا
وردّ أمورا كان فيها تنازع
الى الركن والوالي المصيب حكومة
فقال بحق ليس فيه تخالع

هذه نماذج من شعره تعبر تعبيرا صادقا عن هواه العميق بالحرب وخلق الفروسية ، فهو كأخيه القعقاع شاعر الفرسان أو فارس الشعراء !..

الانســان :

تولى عاصم بعد فتح سجستان ادارة هذه المنطقة الشاسعة وعمل على توطيد الامن والنظام فيها ، وذلك لان القادة الفاتحين كانوا يتولون ادارة المناطق التي يفتحونها ، ولكن هل بقي طويلا والياً على سجستان أم عاد الى البصرة ؟ وما هي أعماله بعد فتح سجستان ؟ ذلك ما لا نعرفه لان المؤرخين سكتوا عنه سكوتا مطبقا .

وقد توفي عاصم سنة تسع عشرة للهجرة (٦٧) (٦٤٠م) .

لقد كان وفيا غاية الوفاء ، يستأثر بالفرم دون أصحابه ويؤثرهم بالغنم، وكان ذكيا المعي الذكاء ، مفاوضا لبقا يؤثر على من يفاوضهم ويضطرهم على احترامه وتقديره ، خطيبا بليغا يهز المشاعر ، شاعرا تهزه الحرب فيتغنى بها وتستهويه الفروسية فيصفها في شعره وصف العاشق الولهان .

وكان شهما غيورا كريما مضيافا ، مؤمنا ورعا صادق القول والعمل ، محبا للخير شريفا في قومه في الجاهلية وفي الاسلام .

لقد سودته مزاياه قبل أن يسوده نسبه ... لقد كان رجلا !

---

(٦٦) مكنف : اسم عبد من عبيد المسلمين ، فقد حاصر المسلمون مدينة جنديسابور ، فلم يفجأ المسلمين الا وأبوابها تفتح ، فأرسل المسلمون : أن ما خبركم ؟ فقالوا : انكم رميتم الينا بالامان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء . فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا عبد يدعى « مكنفا » كان أصله من جنديسابور هو الذي كتب لهم الامان . فكتبوا بذلك الى عمر فأمر بامضائه، فانصرف المسلمون عنهم .

(٦٧) الطبري (٣/٣٢٠) وابن الاثير (٣/٣٨) وقد ذكر الزركلي في الطبعة الثانية من الاعلام (٤/١٤) : « انه توفي بعد سنة (١٥هـ) » ، ووفاته هي في سنة (١٩هـ) كما وردت في الطبري وابن الاثير .

القائـــد :

كان عاصم شجاعا الى حد البطولة النادرة ، مقداما لا يهمه أوَقَعَ على الموت أم وقع الموت عليه ، وكان موضع ثقة قواته ورؤسائه كما كان محبوبا منهم جميعا ، وكان يبادلهم ثقة بثقة وحبا بحب ، وكان سريع القرار صائبه ، يتحمل المسؤولية كاملة ، له نفسية لا تتبدل وشخصية نافذة قوية وماض مشرف مجيـــد .

وكان يعتمد على سرعة الحركة في معاركه ، ولا يُقدم على عمل عسكري الا بموجب خطة واضحة مدروسة ، وكان يطبق مبدأ (المباغتـــة) بشكـــل واضح ، كما كان يعمل دائما على رفع معنويات رجاله بمثاله الشخصي وبأقواله وخطبه ، وكان يحرص على تطبيق مبدأ (التعرّض) في حـــروبه ، فكانـــت معاركه كلها (تعرضية) ، لذلك فهو مثـــال للقائـــد التعرضي الـــذي لـــم يدافع أبدا .

لقد كان النصر يسير في ركابه ، وانتصاراته تعود ــ فيما أرى ــ الى خمسة عوامل : قابليته الممتازة في وضع الخطط المناسبـــة ، وشجاعتـــه الشخصية الفائقة ، وسرعة حركته في أثناء المعركة ، وتطبيقه مبدأ (المباغتة)، وتشبّعه بروح التعرض .

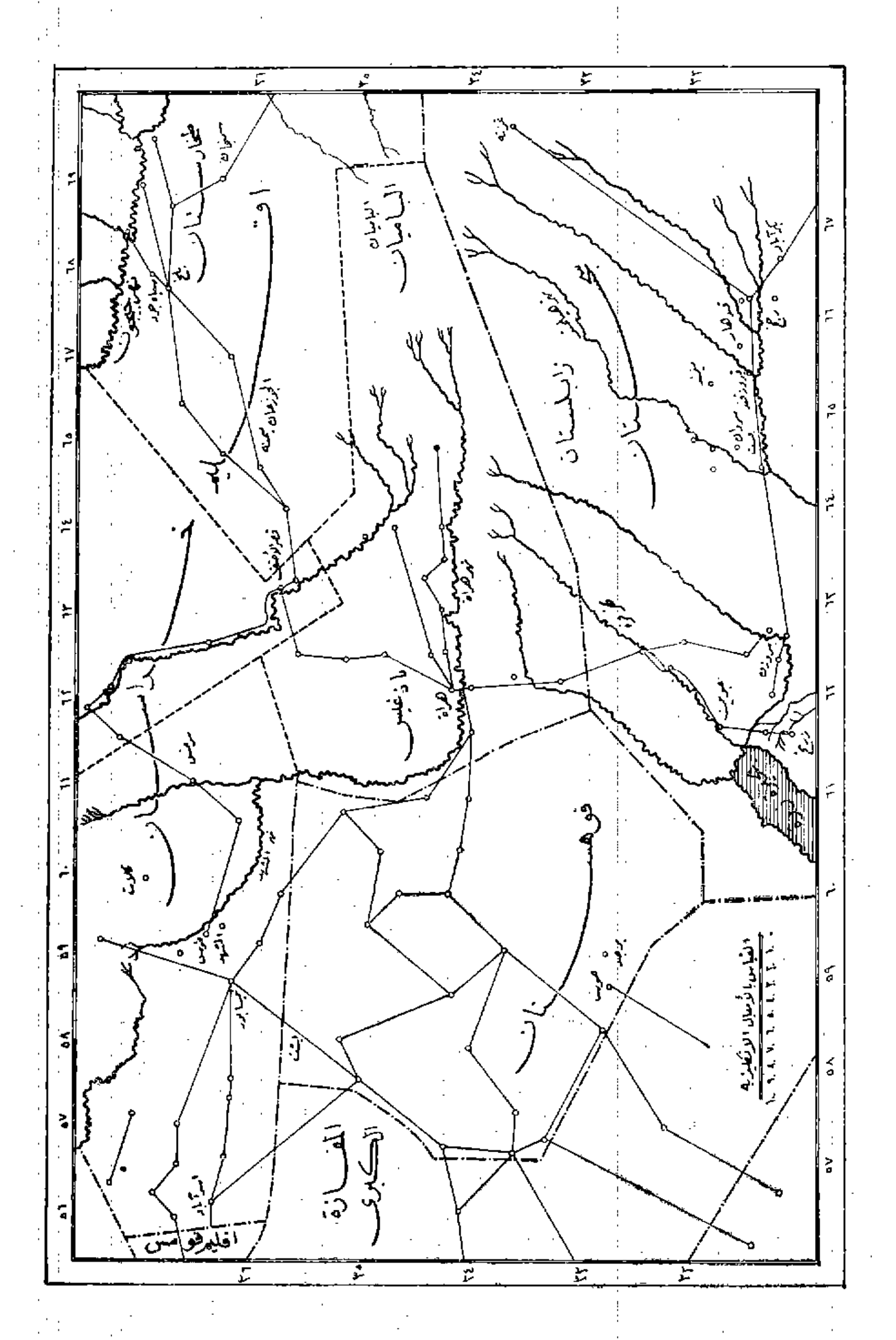
عاصم في التاريخ :

يذكر التاريخ لعاصم موقفه الرائع في القادسية ، واندفاعه الصاعق في عبور دجلة لفتح المدائن ، ويذكر له فتحه لولاية سجستان .

لقد كان لموقفه الرائع في القادسية أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة ، وربما يذكر رجال قلائل من اصحاب الايام حين يذكر عاصم في أيام القادسية عدا اليوم الاول من أيام القادسية ، فقـد استأثر عاصم بالفضل الاول في تحطيم هجوم الفيلة الكاسح ، ذلك الهجوم الذي كان متوقعا منه أن يحطم صفوف المسلمين .

أما اندفاعه في عبور نهر دجلة الى المدائن على راس كتيبـــة الاهوال ؛ فأمره عجب كله ؛ ولست أعرف أحدا من القادة يشاركه في هـــذا الفضـــل العظيم الذي كان من نتائجه فتح المدائن عاصمة كسرى .

ولا تزال منائر سجستان رافعة رؤوسها شامخة ، ولا يزال الاســـلام يجمع سكان سجستان عبر القرون ... ترى ! هل تذكره سجستان اليوم ؟.
رضي الله عن القائد البطل ، الصحابي الجليل ، عاصـــم بن عمـــرو التميمـــي .



اقليما خراسان وقوهستان مع قسم من اقليم سجستان

قادة فتح كرمان ومكران

١ ـ سهيل بن عدي الخزرجي *
٢ ـ الحكم بن عمير التغلبي

(*) أنظر كتاب قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٣٦ ـ ٤٤١)

الحكم بن عُمير التغلبي[1]

فاتح مُكران[2]

اسلامـه :

لا نعلم بالضبط متى أسلم الحكم بن عُمير التغلبي ولا الغزوات التي شهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ لم نجد له ذكرا مع من شهدوا (بدرا) كما لم يرد ذكره في الغزوات الاخرى ، مما يدل على أنه أسلم متأخرا.

ولكنه بدون شك كان صحابيا جليلا ، لأنهم لم يكونوا يؤمّرون غير الصحابة (٣) ـ خاصة في أيام عمر بن الخطاب ؛ لهذا نال الحكم شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـاده :

توّج الحكم جهاده الطويل في معارك الفتح بتوليته قيادة جيش من جيوش المسلمين ، واجبه : فتح (مُكران) ؛ فقد بعث عمر بن الخطاب لواء (مكران) الى الحكم (٤) ؛ فلما أنجز استحضاراته واكمل تحشد جيشه تحرك الى هدفه ، فلحق به شهاب بن المخارق فانضم اليه ، وأمدّه سهيل بن عديّ وعبدالله بن عبدالله بن عتبان بأنفسهما ، فلما وصلوا قريبا من النهر (٥) وجدوا أهل مكران قد نزلوا على شاطئه .

---

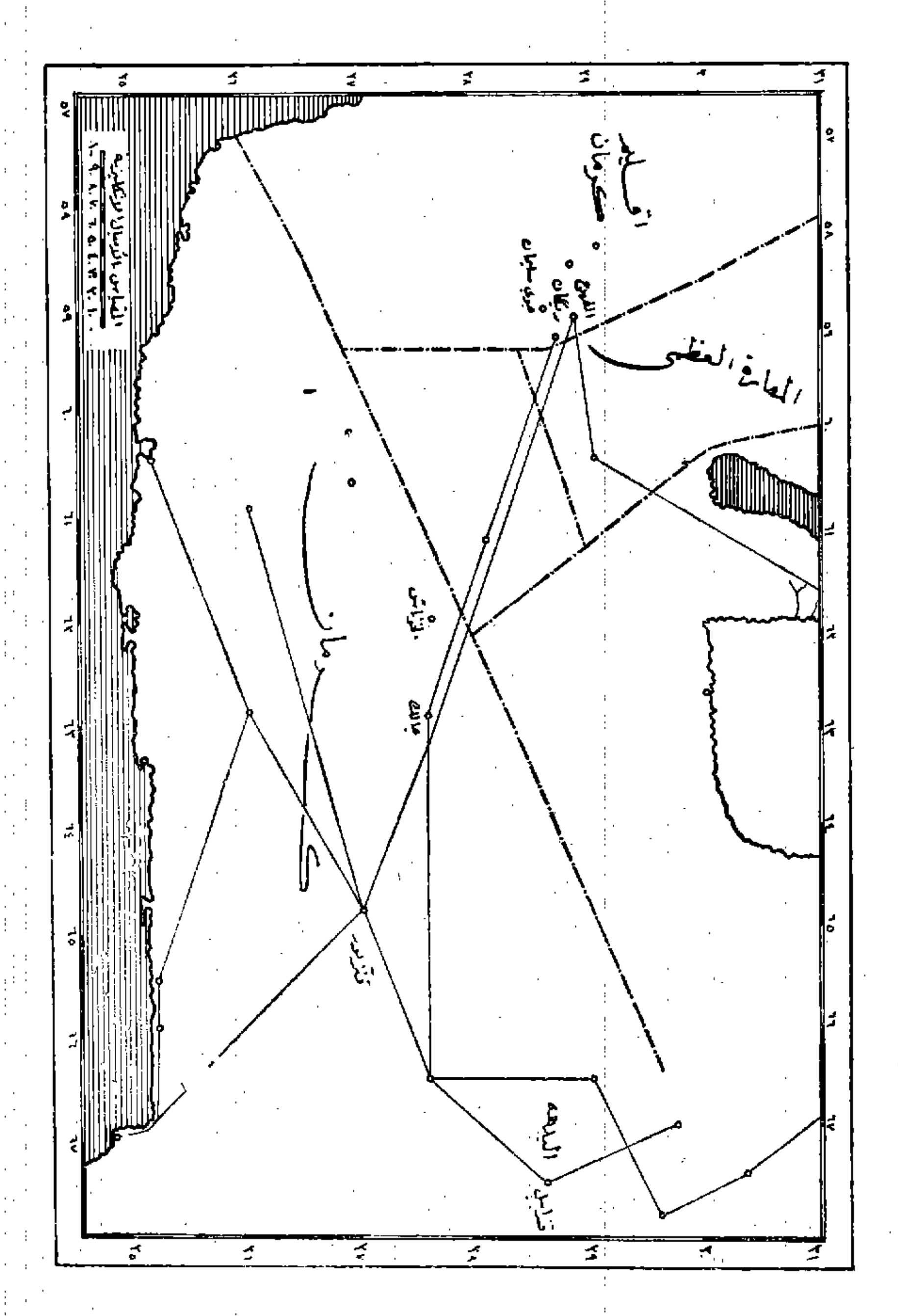
(١) ورد اسمه : الحكم بن عمير التغلبي في الطبري (١٨٩/٣) وابن الاثير (٢١٤/٢) وفي اسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٤) . وقد ورد اسمه في الاصابة (٣١/٢) : الحكم بن عمرو التغلبي .

(٢) مكران : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى ، وهي بين كرمان في غربها وسجستان في شمالها والبحر في جنوبها والهند في شرقيها . وهي ناحية واسعة يغلب عليها المفاوز والقحط والضيق . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٠٢) وص (١٠٥) ومعجم البلدان (١٣٠/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٧٣) .

(٣) الاصابة (٣٠٩/١) .

(٤) الطبري (١٨٩/٣) .

(٥) هو نهر مهران ويسمى : شط مهران . انظر المسالك والممالك ص (١٠٦) .



اقليم مكران مع قسم مـن اقليم سجستان

وعبر الفرس الى المسلمين ، ونشب القتال بين الطرفين في معركة حامية لم يصمد لها الفرس طويلا ، فاستباح المسلمون معسكرهم وقتلوا منهم عددا كبيرا من المقاتلين ، ثم طاردوهم مطاردة عنيفة استمرت أياما ؛ حتى دخل المسلمون (مكران) وفتحوا ما حولها من المناطق الآهلة (٦) .

الشاعـر :

قال الحكم يصف فتح (مكران) (٧) :

لقد شبع الارامل غير فخر ... بفيئي جاءهم من مكران
أتاهم بعد مسغبة وجهد ... وقد صفر الشتاء من الدخان
فأني لا يذم الجيش فعلي ... ولا سيفي يذم ولا سناني
غداة أرفع الاوباش رفعا ... الى السند العريضة والمدان
ومهران لنا فيما أردنا ... مطيع غير مسترخي الهوان

وهذا مثال واحد من شعره ، يفخر فيه بفتحه وبشجاعته في صياغة متينة المعنى والمبنى سلسة مفهومة ، حتى يكاد من يستمع الى هذا الشعر لا يصدق ان قائله عاش في ايام الاسلام الاولى ، يوم كان الشعراء ينظمون بكلمات جاسية صلدة كأنها الصخور تحتاج الى استشارة معاجم اللغة لفهم معانيها !

الانسـان :

كان الحكم ذكيا ألمعي الذكاء ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثا (٨) . وكان عفيفا صادقا شهما غيورا مضيافا كريما محبا للخير ، كثير التدين ورعا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان بامكانه أن يكون من ذوي الثراء العريض .

ولا نعلم كيف قضى أيامه الاخيرة وما هي أعماله العامة خلالها ومتى وأين توفي ؛ ولكن ما عرفناه عنه من أعمال جليلة تكفي للاعجاب به قائدا وانسانا .

القائـد :

يعتبر الحكم مثالا للقائد المكيث الذي لا يخوض معركة ما قبل ان يُعدّ كافة متطلباتها المادية والمعنوية ، فيخوضها بعد ذلك واثقا من النصر الاكيد .

---

(٦) الطبري(٣/٢٥٧) وابن الاثير (٣/١٧)، وانظر الاصابة (٢/٣١) ومعجم البلدان (٨/١٣٠)

(٧) معجم البلدان (٨/١٣٠) .

(٨) اسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٤) .

ان من القادة من يرى أن السرعة من عوامل نجاحه في القتال ، وهؤلاء يرون أن الوقت بجانب العدو دائما ، لانه يتيــح لــه انجاز استحضاراتــه العسكرية ، مما يؤدي الى صعوبة القضاء عليــه .

ومن القادة من يرى ان السرعة غير مأمونة العواقب ، وان سبق النظر عن تفاصيل المعركة لا بد له من وقت كاف لحساب كل ما يحتمل وقوعه في القتال من احداث ؛ ومن هؤلاء القادة : الحكم التغلبي .

والحق ، أن الحكم كان صائبا في التريث قبل الاقدام ، لانه كان حريصا على أرواح رجاله حرصا لا مزيد عليه ، ولان المنطقة التي يقاتل بها حصينة بعيدة عن قواعد المسلمين الامامية ، وما دامت قوات الفرس قد تحصنت في منطقة حصينة تتيسر فيها موانع طبيعية صالحة للدفـاع ، فلا بد من تحشيد قوات كافية للتغلب على الفرس بأقل خسائر ممكنة بالارواح .

لقد بذل الحكَم قصارى جهده لاحراز النصر في المعركة الحاسمة الاولى التي توخى بها القضاء على قوات العدو ماديا ومعنويا ، فلما نجح في معركته الحاسمة الاولى وكبَّد العدو خسائر كبيرة ، سارع في مطاردته لفلوله فقضى عليها بسرعة وسهولة ويسر ، وانجز فتح كل منطقة (مكران) الواسعة بعد وقت جد قليل من انتصاره في المعركة الاولى .

لذلك يمكن اعتبار استعدادات الحكم لخوض المعركة الحاسمة واحراز النصر على عدوه مثالية ، كما يمكن اعتبار مطاردته السريعة التـــي جرت بتماسٍّ شديد بفلول العدو مثالية أيضا .

لقد كان الحكم يتمتع بمزية سبق النظر ، له شخصية قوية نافـذة ، يتحمل المسؤولية ولا يخافها ، يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به ، له ماض ناصع مجيــد .

الحكم في التاريخ :

سأل عمر بن الخطاب صحّار العبدي عن (مكران) ، فقال : « أرض سهلها جبل وماؤها وشل وعدوها بطل ... (٩) » الخ . وسأل عثمان بن عفان حكيم بن جبلة عنها ، فقال : « ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل . ان قلّ الجيش فيهــا ضاعــوا ، وان كثروا جاعوا ! » (١٠) ... وهـــي ذات مدن وقرى كبيرة (١١) ؛ ولكن وصف ولاية (مكران) لا يصور حقيقة

---

(٩) الطبري (٣/٢٥٧) .

(١٠) معجم البلدان (٨/١٣١) .

(١١) آثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٧٣) .

سعتها وطبيعة أرضها كما تفعل الخرائط الحديثة .

ان دراسة هذه الخرائط بامعان ، تعطينا فكرة واضحة عن سعة ولاية (مكران) وطبيعة أرضها الصعبة ، مما يزيد من اعجابنا بانتصار الحكم بقواته القليلة بالنسبة الى سعة المنطقة ووعورتها ــ على القوات الفارسية التي تدافع عن بلادها وتعمل في أرض تعرفها حق المعرفة صالحة للدفاع لتيسر العوارض الطبيعية فيها !

كل ذلك يدل على مزايا قيادة الحكم النادرة وقابلياته المتازة على قيادة الرجال .

لقد أصبحت (مكران) فيما بعد قاعدة المسلمين الامامية لانطلاقهم لفتح الهند ، فكان فتح (مكران) من عوامل نجاح المسلمين في فتح الهند .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الحكم بن عمير التغلبي .

الخاتمة

الفاروق القائد

١٣ هـ ــ ٢٣ هـ

٦٣٤ م ــ ٦٤٣ م

مُستهَل *

« كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة »

(عبدالله بن مسعود)

اذا كانت أسباب الفتح الاسلامي كثيرة ، فان على رأس تلك الاسباب ، ما كان يتمتع به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سجايا قيادية فذة لا تتكرر في غيره على مر السنين والعصور الا نادرا .

هذه السجايا الشخصية لقيادة الفاروق ، كان لها الاثر الحاسم على اندفاع المسلمين شرقا وغربا ، حاملين رايات الاسلام ومبادئه السامية للعالم كله ، ومع ذلك لم يكتب أحد عن أثر قيادته في الفتوح من الناحية (العسكرية الفنية) حتى اليوم !

فما هي تلك السجايا الشخصية التي جعلت عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بحق) من أعظم قادة التاريخ على الاطلاق ؟؟

جذور الفتح الاسلامي قبل عمر

١ ـ الرسول القائد النبي العربي محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه ، هو ابو الجيش الاسلامي الاول ومؤسسه وقائده ورائده ومنظمه ومسلّحه ومدرّبه وباعث كيانه ، وموطد أركانه وراسم أهدافه ومخططها (١) .

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة من بعثته حتى هجرته توحيدا من أجل الجهاد ، وكانت حياته المباركة بالمدينة المنورة من هجرته اليها حتى التحاقه بالرفيق الاعلى ، جهادا من أجل التوحيد .

وقد قاد الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانيا وعشرين غزوة بنفسه خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة ، فقد خرج الى غزوة (ودّان) (٢)

---

* انظر كتابنا : الفاروق القائد (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥م) الطبعة الاولى .

(١) انظر ادوار تطور الجيش الاسلامي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الرسول القائد (١٠ ـ ١٢)، الطبعة الثالثة (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م)

(٢) ودان : قرية قريبة من (الجحفة) ، وهناك (ودّان) بين الابواء والجحفة ، وهي من الجحفة على مرحلة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٠٥) .

وهي أول غزوة قادها الرسول القائد بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت (تبوك) آخر غزواته في رجب من السنة التاسعة للهجرة ؛ وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته ، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات ، بينما فر المشركون في تسع عشرة غزوة من تلك الغزوات (٣) .

وكان الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، على رأس الذين خططوا للفتح الاسلامي ، فهو الذي رسم بنفسه الخطة التمهيدية لفتح ارض الشام (٤) ، حيث أرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩م) زيد بن حارثة الكلبي على راس حملة تعدادها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب ، وهناك عند (مؤتة) (٥) التقى المسلمون بقوات الروم (٦) .

وفي السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) ، قاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بنفسه غزوة (تبوك) (٧) ، فأظهر قوة المسلمين وعاد الى المدينة (٨) .

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢م) ، أعد النبي صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة أسامة بن زيد لمهاجمة الروم ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم التحق بالرفيق الاعلى في ربيع الاول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢م) قبل حركة جيش اسامة ؛ فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم ، وولى وجوههم شطر قبلة عينها لهم ... وهكذا وقف الرسول القائد بثاقب رأيه ، على ان أشد الاخطار التي يمكن أن تحل ببلاد العرب ، وتناوىء دعوته انما موطنها أرض الشام حيث الروم وعمالهم الغساسنة ، وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي في أرض الروم صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عنادا (٩) .

٢ ـ فماذا عمل ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، لتحقيق اهداف النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف سار قدما لانجازها ؟

---

(٣) انظر التفاصيل في : الرسول القائد (٤٢٣ ـ ٤٢٤) .

(٤) ارض الشام : تتألف اليوم من لبنان وسورية والاردن وفلسطين .

(٥) مؤتة : قرية من قرى البلقاء على حدود الشام . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٠/٨) .

(٦) أنظر تفاصيل معركة مؤتة في الرسول القائد (٢٩٥ ـ ٢٩٩) .

(٧) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٥/٢) .

(٨) انظر تفاصيل معركة تبوك في : الرسول القائد (٣٨٧ ـ ٤١٠) .

(٩) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم (٤١) .

لم يزل ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، في كل عمل من أعماله منذ اسلم الى ان تولى الخلافة وفي ايام خلافته مؤسسا لهذا البناء الشامخ الذي كان هو اول من قام عليه بعد بانيه عليه الصلاة والسلام .

بعد بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، كانت بعثة اسامة ابن زيد ، وكانت حروب الردة ، وكانت بعوث فتح العراق والشام ، فقام على هذه المآثر الثلاثة التي لا يقضي حقها من الاكبار كل ما قام بعد ذلك من بناء.

كان النفاق يطلع رأسه في مكة والمدينة ، وكانت القبائل البادية تتسابق الى الردة في انحاء الجزيرة ، وكان جند اسامة نفسه يود لو استبدل به اميرا غيره ، وكان اسامة نفسه يود لو استبدل به اميرا غيره ، وكان اسامة اول من يشك في طاعة القوم اياه ، ويترقب ان يخلفه على البعثة امير سواه !

وهنا تسعف الصديق طبيعة هي أعمق الطبائع فيه، فيقول وقد خوّفوه الخطر على المدينة والجيش يفارقها : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ان الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو ان الكلاب جرّت بأرجل امهات المؤمنين ، لأجهزت جيش أسامة » .

وشيّع ابو بكر الصديق بعثة أسامة ، ثم قال لأسامة : « اصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولا تقصرن في شيء من امر رسول الله » ...

كانت بعثة أسامة لا تمر بقبيلة يريدون الارتداد ، الا تخوفوا وسكنوا وقالوا فيما بينهم : « لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء».

وعاد جيش أسامة الى المدينة ، بعد ان حطم معنويات المرتدين ، فكان انفاذه أعظم نفعا للمسلمين ، فان العرب قالوا : « او لم يكن بهم قوة ، لما ارسلوا هذا الجيش » ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه (١٠) ، وبذلك ربح الجولة الاولى (١١) .

وأقدم ابو بكر الصديق رضي الله عنه على توجيه جيوشه الى المرتدين رافضا ما عرضه عليه بعضهم من اقامة شعائر الاسلام كلها الا الزكاة ، لأن الاسلام كلّ لا يتجزأ ، وحاربهم على الزكاة حتى أعاد الى شبه الجزيرة العربية الوحدة تحت لواء الاسلام ــ كما كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك ربح الجولة الثانية ..

---

(١٠) ابن الاثير (١٢٨/٢) .

(١١) انظر التفاصيل في الفاروق القائد (٢٣ ــ ٢٩) وقادة فتح الشام ومصر في ترجمة اسامة بن زيد .

وبانتصاره الباهر في هاتين الجولتين ، أعاد الى العرب الوحدة والضبط والنظام ، فأصبحوا قوة جبارة وجدت لها متنفسا في الفتح الاسلامي (١٢) .

ففي سنة اثنتي عشرة هجرية ، كانت جيوش خالد بن الوليد (١٣) والمثنى بن حارثة الشيباني (١٤) تتغلغل في انحاء العراق متنقلة من نصر الى نصر ، حتى وصلت الى (الفراض) تخوم الشام والعراق والجزيرة (١٥) .

وفي سنة ثلاث عشرة هجرية (٦٣٤م) ، كانت جيوش المسلمين وعلى رأسها خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعكرمة بن أبي جهل (١٦) يدكون معاقل الروم في ارض الشام وينتصرون في معركة (اليرموك) (١٧) اول معركة حاسمة من معارك الفتح الاسلامي .

في تلك السنة ، مات القائد الاعلى الثاني لجيوش المسلمين بعد ان بدأ بالفتح بداية موفقة منفذا خطة القائد الاعلى الاول محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه .

فماذا فعل القائد الاعلى الثالث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتنفيذ خطة الرسول القائد في حمل رسالته السامية الى الشرق والغرب ؟؟

الفتح الاسلامي بقيادة عمر

١ ـ الفاتح :

كان عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عهد الفتح الاسلامي الذهبي ، فقد حالف النصر اعلام المسلمين فيه ، فامتدت دولتهم حتى جاوزت الافغان الى قرب حدود الصين شرقا ، والى الاناضول وبحر قزوين شمالا ، والى تونس وما وراءها من افريقية الشمالية غربا ، والى بلاد النوبة جنوبا (١٨) .

---

(١٢) انظر تفاصيل ذلك في الفاروق القائد (٢٥ ـ ٢٩) .
(١٣) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٤٧ ـ ٢٠٩) .
(١٤) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٥ ـ ٤٤) .
(١٥) انظر مادة (فراض) في معجم البلدان (٦/٣٥٠) وانظر ابن الاثير (٢/١٥٣) عن فتح الفراض
(١٦) انظر ترجمتهم في كتاب : قادة فتح الشام ومصر .
(١٧) انظر ابن الاثير (٢/١٥٤ ـ ١٦٠) .
(١٨) الفاروق عمر (٢/٢٠٠) .

لقد فتح عمر العراق وايران واكثر مناطق ارمينية وبلاد الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الاردن وفلسطين، ومصر وليبيا والنوبة،وخاضت جيوش المسلمين في ايامه ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الاسلامي : معركة (القادسية) التي فتحت للعرب المسلمين ابواب العراق والاهواز ، ومعركة (بابليون) ،التي فتحت لهم أبواب مصر وليبيا والنوبة ، ومعركة (نهاوند) ، التي فتحت لهم ابواب أيران كلها ... كل هذا الفتح العظيم ، انجز خلال عشرة أعوام من سنة ثلاث عشرة للهجرة الى سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، فقد قبض ابو بكر الصديق رضي الله عنه بعد مغيب الشمس من مساء الاثنين لاحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة (١٩) ، فتولى عمر الخلافة ، وتوفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية (٢٠) ، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام (٢١) .

هذا النجاح في الفتح ، كان بفضل قيادة عمر الفذة ، تلك القيادة التي امتازت بميزتين ظاهرتين : الاولى ، مقدرته المدهشة على اختيار القادة العامين والقادة المرؤوسين ؛ والثانية ، قابليته الموهوبة والمكتسبة في القيادة العليا والقيادة التعبوية ايضا ، فكيف كان ذلك (٢٢) ؟

٢ ـ اختيار القادة :

ما هي المزايا التي كان عمر يريد ان تتوفر في القائد الذي يؤمّره على جيش من جيوش المسلمين .

ان يكون صحابيا ، لأنهم كانوا لا يؤمّرون في الفتوح الا الصحابة (٢٣)، فكان عمر لا يولي الا الصحابة ولا يرضى ابدا ان يعمل صحابي بأمرة غير صحابي (٢٤) .

---

(١٩) الفاروق عمر (٩١/١) . وفي العبر (١٦/١) ان ابا بكر توفي لثمان بقين من ذي القعدة. اما في شذرات الذهب (٢٤/١) ، فجاء : انه توفي في جمادى الآخرة . وانظر البدء والتاريخ (١٦٧/٥) .

(٢٠) الطبري (٢٦٥/٣) واليعقوبي (١٣٧/٢) وابن الاثير (٢٠/٣) .

(٢١) ابن الاثير (٢٠/٣) . وكان حكمه عشر سنين قمرية لا شمسية .

(٢٢) انظر التفاصيل في الفاروق القائد (٣١-٣٣) .

(٢٣) الاصابة (٣٠٩/١) و(١٩٤/٢) و(٢٣٥/٤) .

(٢٤) قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٠) .

وكان عمر يفضل السابقين الاولين من الصحابة على غيرهم ، الا ان يقصّر بهم عملهم، فكان يفضل عليهم حينذاك من برز بأعماله من الصحابة(٢٥) .

وكان عمر يفضّل ان يكون القائد مكيثا غير متهور ، يعرف الفرص وينتهزها ويعرف كيف ومتى يقاتل ومتى يكف عن القتال (٢٦) . قال عمر لسليط بن قيس (٢٧) : « لولا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها الا الرجل المكيث (٢٨) .

وكان عمر رضي الله عنه يريد ان يكون القائد قويا مسيطرا، ذا شخصية نافذة ، فاذا وجد رجلا اقوى من رجل فضّل الاقوى على القوي ؛ فقد استعمل على الشام معاوية بن ابي سفيان وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس ، فقال : « اني لم اعزله عن سخطة ،ولكني اريد رجلا اقوى من رجل » (٢٩) . وكان يقول : « اني لأتحرّج ان استعمل الرجل وانا أجد اقوى منه » (٣٠) .

وكان يريد القائد شجاعا راميا ، فحين وجّه سعد بن أبي وقاص (٣١) الى العراق قائدا عاما ، قال : « انه رجل شجاع رام » (٣٢) .

وكان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين ، أمّر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه (٣٣) . وكان عمر لا يرضى ان يؤمّر اهل الوبر على اهل المدر (٣٤) ، فقد قال لعتبة بن غزوان (٣٥) : « من استعملت على اهل البصرة ؟» ، فقال : « مجاشع بن مسعود » ، قال : « أتستعمل رجلا من اهل الوبر على أهل المدر ؟!» (٣٦) .

تلك هي المزايا التي كان عمر يريد توفرها في القائد : ماض مجيد ناصع في الحرب وفي خدمة الاسلام ، له تجربة عملية في الحروب ، مكيث غير

---

(٢٥) انظر التفاصيل في الفاروق القائد (٣٤ – ٣٥) .
(٢٦) ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٢٧) انظر ترجمته في هامش ص (٢١٣) من كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة الفقرة (٢)
(٢٨) البلاذري (٢٥١) .
(٢٩) ابن الاثير (٢/٢١٧) .
(٣٠) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥) .
(٣١) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٢١ – ٢٦٨) .
(٣٢) البلاذري (٢٥٥) .
(٣٣) ابن الاثير (٣/١٩) .
(٣٤) الوبر : بفتحتين للبعير واحدها : وبرة . والمدر : أهل الحضر .
(٣٥) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧٧ – ٢٨٦) .
(٣٦) ابن الاثير (٢/١٨٩) .

متهور ، يعرف الفرص ويدرك الوقت والمكان المناسبين لنشوب القتال والكف عنه ، قوي الشخصية ، مسيطر على رجاله ، شجاع رام ، عالم فقيه ، وتلك هي نفس المزايا التي يلاحظها علماء فن الحرب قديما (٣٧) ، وحديثا (٣٨) .

لذلك نجح عمر ونجح قادة عمر في مهمة قيادة الجيوش الاسلامية نجاحا ، كان ولا يزال وسيبقى اعجوبة من اعاجيب تاريخ الحرب (٣٩) .

قيـــادة عمر

١ ـ الشورى :

ملاك النظم الحكومية كلها نظام الشورى الذي اقامه عمر على أحسن ما يقام عليه في زمانه ، فجمع عنده نخبة من الصحابة للمشاورة والاستفتاء ، وضنّ بهم على العمالة في أطراف الدولة تنزيها لاقدارهم وانتفاعا برأيهم واعتزازا بتأييدهم له ومعاونتهم اياه ، فقد قيل له : « ما لك لا تولي الاكابر من أصحاب رسول الله عليه السلام ؟! » فقال : « أكره أن أدنسهم بالعمل » (٤٠) .

جعل موسم الحج موسما عاما للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في اقطار الدولة من أقصاها الى أقصاها : يفد فيه الولاة والعمال لعرض حسابهم وأخبار ولاياتهم ، ويفد فيه أصحاب المظالم والشكايات لبسط ما يشكيهم ، ويفد فيه الرقباء الذين كان يبثّهم في أنحاء البلاد لمراقبة الولاة والعمال .

كان عمر يستشير جميع هؤلاء ويشير عليهم ، ويستمع لهم ويسمعهم ، ويتوخى في جميع ذلك تمحيص الرأي وابراء الذمة والخلوص الى التبعة السليمة من العقابيل (٤١) .

لقد كانت الشورى عنده مبدأ لا يحيد عنه للاغراض السلمية والحربية على حد سواء .

علم عمر باجتماع الفرس على (يزدجرد) ، فخرج عمر من المدينة حتى نزل على ماء يدعى (ضرار) فعسكر به ، ولا يدري أحد ما يريد : أيسير أم

---

(٣٧) انظر مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٧) والاحكام السلطانية للماوردي (٦) .
(٣٨) انظر الرسول القائد (٤٢٧ ـ ٤٢٩) .
(٣٩) انظر تفاصيل بحث اختيار القادة في الفاروق القائد (٢٣ ـ ٣٦) .
(٤٠) طبقات ابن سعد (٢٨٣/٣) .
(٤١) عبقرية عمر (١٥٠ ـ ١٥١) .

يقيم ! وأحضر عمر الناس وأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق ، فقال العامة : « سر وسر بنا معك » . ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسل الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان قد استخلفه على المدينة ، والى طلحة وكان على المقدمة فرجع ، والى الزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وكانا على المجنبتين ، فاستشارهم فاجمعوا على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود ، فان كان الذي يشتهي فهو الفتح ، والا أعاد رجلا وبعث آخر ، ففي ذلك غيظ العدو ، فجمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم ، وقد رأيت ان أقيم وأبعث رجلا ، فأشيروا عليّ برجل (٤٢) ؛ وأخيرا استقر الرأي على تولية سعد بن أبي وقاص (٤٣) .

وكان عمر لا يوافق على انسياح الجيش الاسلامي في بلاد فارس ، ويتمنى أن يكون بين العرب وبين بلاد العجم جبل من نار ، لا يخلصون منه الى البلاد العربية ، ولا يخلص العرب منه الى بلاد الفرس (٤٤) .

واستشار عمر أهل الرأي في الانسياح ، وكان ممن استشارهم الأحنف ابن قيس التميمي والهرمزان ، وأخيرا اذن في الانسياح في بلاد فارس (٤٥) .

لقد كان عمر يؤمن ايمانا عميقا بالشورى ... حتى الخلافة جعلها شورى بين الرجال الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض (٤٦) ، ولم يول رجلا بعينه .

وبلغ من ايمانه بالشورى ، أنه كان يستشير حتى العدو الذي لا يأمنه ، كما فعل في سماع رأي (الهرمزان) في أمر الحرب الفارسية (٤٧) بل كان يدعو حتى الاحداث يستشيرهم لحدة عقولهم (٤٨) .

لقد كان عمر يحسن فن الاستشارة .

---

(٤٢) ابن الاثير (٢/١٧٢ — ١٧٣) ، وانظر تفاصيل ذلك في : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٣١ — ٢٣٢) .

(٤٣) انظر الطبري (٣/٤) ومروج الذهب على هامش ابن الاثير (٥/١١٦) وتاريخ عمر بن الخطاب (٧٦) . وانظر البلاذري (٢٥٥) .

(٤٤) انظر ابن الاثير (٢/٢٠١) .

(٤٥) انظر التفاصيل في الطبري (٣/١٨٤ — ١٨٥) وابن الاثير (٢/٢١٣) .

(٤٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٣٦) .

(٤٧) انظر عبقرية عمر (١٥٢) .

(٤٨) انظر عبقرية عمر (١٥٢) .

٢ ـ المعلومات :

كان عمر يحرص على الحصول على المعلومات من الوافدين عليه ومن القادة والامراء وسائر الناس الذين يحضرون الحج ومن منابع المعلومات الاخرى .

كان يطالب قادته دائما ان يطلعوه على تفاصيل المعلومات عن العدو وعن الارض التي يقاتلون عليها . كتب الى سعد بن أبي وقاص قبيل معركة القادسية ، يقول : « اكتب اليّ أين بلغ جمعهم ، ومن يلي مصادمتكم ، فانه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم ؛ فصف لي منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين (المدائن) صفة كأني أنظر اليها ، واجعلني من أمركم على الجلية ... » ، فكتب اليه سعد يذكر تفاصيل دقيقة عن طبيعة الارض وعن العدو وقائده (٤٩) .

وكان جواب عمر على رسالة سعد هذه : « جاءني كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينفض (٥٠) الله لك عدوك ، واعلم ان لها ما بعدها ؛ فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم (المدائن) ، فانه خرابها ان شاء الله » (٥١) .

لقد كان عمر يحيط علما بتفاصيل ودقائق المعلومات عن جيوشه وعن جيوش عدوه وعن طبيعة الارض ، فكان لذلك يصدر قراراته العسكرية على هدى وبصيرة .

٣ ـ الحرص :

كان عمر رضي الله عنه ، يحرص غاية الحرص على مصائر جيوشه ، فقد كان يخشى الله أن يسأله عن كل اهمال يؤدي الى ضياع الارواح ، كما ان تكوينه الطبيعي وخلقه ونفسيته كانت نموذجا رفيعا للحرص على مصائر الناس .

---

(٤٩) الطبري (١١/٣) .

(٥٠) نفض الشيء نفضا ونفضانا : تحرك في ارتجاف واضطراب . ويقال : نفضوا الى العدو ، اي نهضوا . انظر المعجم الوسيط (٩٤٥/٢) .

(٥١) الطبري (١٢/٣) .

قال مرة : « فوالله ما استطيع أن أصلي وما استطيع ان أرقد ، واني لأفتتح السورة فما أدري في أولها أنا أو في آخرها ... من همّي بالناس ، منذ جاءني هذا الخير » (٥٢) ، أي منذ توليت امر المسلمين .

وبعث عمر بن الخطاب جرير بن عبدالله البجلي (٥٣) على الجيش ، فسقطت رِجْل رَجُل مسلم من البرد ، فبلغ عمر امره فأرسل الى جرير : « يا جرير مستمعا ! انه من يسمع يسمع الله به » ، يعني انك خرجت في البرد ليقال : قد غزا في البرد (٥٤) .

وكتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر ، فذكر جموعا من الروم وشدّة، فكان يوقظ أحد أصحابه فيقول : « قم فصل ، فاني لأقوم فأصلي واضطجع فما يأتيني النوم » (٥٥) .

وكان عمر يخلف الغزاة في أهليهم ، فيقوم على أمرهم كله (٥٦) . وكان يقدّر المجاهدين حق قدرهم ويكبر المضحين منهم اعظم الاكبار . قال عبدالله ابن عمر : « بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ، فرفع رأسه فنظر الى رجل في وجهه ضربة ، فسأله ، فأخبره ان اصابته في غزاة كان فيها ، فقال : « عدوا له ألفا » ، فأعطي الرجل الف درهم . ثم قال : عدّوا له ألفا ، فأعطي الف درهم أخرى . ثم قال له ذلك اربع مرات ، كل ذلك يعطيه الف درهم ، فاستحى الرجل من كثرة ما اعطي ، فخرج ! فسأل عمر عنه ، فقيل له : انا رأينا انه استحى من كثرة ما تعطيه ، فخرج . فقال عمر : اما والله لو انه مكث ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم : رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه » .

وكان عمر حين يتوقع اصطدام جيوشه بالعدو ، يعيش في دوامة من القلق والاضطراب من شدة حرصه على مصائر المسلمين . قال السائب بن الاقرع الثقفي : « ... وقدمت على عمر ، وكان قد قدّر الوقعة ، فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار ... فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار ، فأتيته فقال : ما وراءك ؟! فقلت : خيرا يا امير المؤمنين ! فتح الله عليك واعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن، فقال عمر : انا لله وانا اليه راجعون.. ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه ... فلما رأيت ذلك وما لقي ، قلت :

---

(٥٢) تاريخ عمر لابن الجوزي (٥٢) .
(٥٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٢٤ ـ ٣٣٩) .
(٥٤) تاريخ عمر (٨٨) .
(٥٥) تاريخ عمر (٥٥) .
(٥٦) تاريخ عمر (٤٧) .

يا امــير المؤمنين ! مــا أصيب بعده رجــل تعرف وجهه . فقــال : اولئك المستضعفون من المسلمين ، ولكن الذي أكرمهم بالشهادة ، يعرف وجوههم وأنسـابهم ، وما يصنع اولئك بمعرفة عمر ؟؟!! » (٥٨) .

لقد كان عمر في حرصه نسيج وحده .. انه كان لا ينام ولا ينيم حرصا على مصائر المسلمين (٥٩) .

٤ ـ الفطنة وبعد النظر :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد كان يكون في الامم قبلكم محــدثون ، فان يكن في امتي منهم احــد ، فان عمر بن الخطــاب منهم » ، والمحدثون هم الملهمون (٦٠) .

لقد كان عمر يرى الراي ، فينزل به القرآن ، وما قال الناس في شيء وقال عمر فيه ، الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر (٦١) .

وكانت له فراسة عجيبة نادرة ، يعتمد عليها ويرى ان : « من لم ينفعه ظنه ، لم تنفعه عينه » ، وتروى له روايات في امر هذه الفراسة ، قد يصدق منها القليل وتتسرب المبالغة الى الكثير ، ولكنها على كلتــا الحالتين تنبئنــا بحقيقة لا شك فيها ، وهي أنه اشتهر بالفراسة وحب التفرس والاستنباط بالنظرة العارضة (٦٢) .

روى سالم بن عبد الله عن ابيه قال : « ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط : اني لأظنه كذا ، الا كان كما يظن . بينما عمر جالس اذ مر به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظني او ان هذا على دينه في الجاهليــة او قد كان كاهنهم في الجاهلية . فقال الرجل : ما رايت كاليوم استقبل به رجل مسلم . فقال : أني أعزم عليك الاّ ما اخبرتني ! فقال : كنــت كاهنهــم فــي الجاهلية » (٦٣) .

وقد عاشره اناس من الدهاة فخبروه وحذروه ! قال المغيرة بن شعبة (٦٤)

---

(٥٨) ابن الاثير (٦/٣) وانظر الخراج (٤١) .
(٥٩) انظر تفاصيل حرصه في : الفاروق القائد (٤١ ـ ٤٧) .
(٦٠) شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم (١٥٠/٥) وفتح الباري بشرح البخاري (٤٠/٧ ـ ٤١) .
(٦١) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٤٧ ـ ٤٨) .
(٦٢) عبقرية عمر (٢٧) .
(٦٣) تيسير الوصول (٢٦٧/٢) .
(٦٤) انظر ترجمته في : قيادة فتح العراق والجزيرة (٢٨٧ ـ ٤١١) .

لعمرو بن العاص: « أانت كنت تفعل او توهم عمر شيئا فيلقنه عنك ؟ والله ما رايت عمر مستخليا بأحد الا رحمته كائنا من كان ذلك الرجل ! كان عمر والله أعقل من ان يُخدع وأفضل من ان يَخدع » . ووصف عمر نفسه فقال: « لست بالخب (٦٥) ، ولكن الخب لا يخدعني » (٦٦) .

ولكن أعظم ما يدل على بُعد نظره وحدّة ذكائه ــ فيما ارى ــ هو : تركه السواد في العراق غير مقسوم ووضعه الخراج عليه (٦٧) ، وتركه ارض مصر غير مقسومة (٦٨) ايضا ، لتكون تلك الارض للمسلمين كافة لا لأفراد منهم . وتدوين الدواوين (٦٩) ، وفكرته الملهمة في تقسيم المال ، فقد قال : « لو استقبلت من امري ما استدبرت ، لأخذت فضول اموال الاغنياء، فقسّمتها على الفقراء المهاجرين » (٧٠) . وكثرة فتوحاته ، وحثه ابا بكر الصديق على جمع القرآن الكريم (٧١) .

تلك انجازات مصيرية خالدة ، كل انجاز منها دليل قاطع على ذكاء خارق وبعد نظر فذ ، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عمر : « ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر » (٧٢) .

٥ ــ الشجاعة :

قصة اسلام عمر معروفة مشهورة (٧٣) ، وقد فتّ اسلامه في عضد قريش ، لأن اسلامه عزز المسلمين بمنصر جديد قوي غاية القوة .

وقد أباح باسلامه الى أنقل قريش حديثا ، فاذاعه هذا فورا بين الناس، فلما علمت قريش باسلامه قاتلته ، وقاتلهم وحده غير هيّاب (٧٤) .

وبعد اسلام عمر ظهر الاسلام ودعي اليه علانية ، وجلس المسلمون حول

---

(٦٥) الخب : الخادع الغشاش .
(٦٦) عبقرية عمر (٦٢) وانظر العقد الفريد (٢/٦٨) .
(٦٧) تاريخ عمر (٦٨) والخراج (٣٢ ــ ٤٦) .
(٦٨) فتوح مصر والمغرب (١٢٢) .
(٦٩) انظر التفاصيل في الخراج (٤٩ ــ ٥٦) والبلاذري(٢٩٨ و٤٣٥) وابن الاثير (١٩٤ــ١٩٦) .
(٧٠) المحلى لابن حزم (٦/١٥٨) .
(٧١) كتاب المصاحف للسجستاني (٦) .
(٧٢) الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (١٧) . انظر مفتاح كنوز السنة (٣٥٧) .
(٧٣) انظر تفاصيل قصة اسلامه في طبقات ابن سعد (٣/٢٦٨) وسيرة ابن هشام (١/٣٦٥ ــ ٣٦٦) وتاريخ الخلفاء (٦٤ ــ ٦٨) والرياض النضرة (١/٢٤٨ ــ ٢٥٨) وعيون الاثر (١/١٢١ ــ ١٢٦) والسيرة الحلبية (١/٣٦٧ ــ ٣٦٨) وابن خلدون (٢/٩) والاستيعاب (٣/١١٤٥) .
(٧٤) انظر تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام (١/٣٧٠) .

البيت حلقا وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم ، وردوا عليه بعض ما يأتي به (٧٥) . قال عبد الله بن مسعود : « ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر» وقال محمد بن عبيد : « لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي بالبيت ، حتى أسلم عمر ، فلما اسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي » (٧٦) . وقال عبد الله بن العباس : « أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب (٧٧) .

وحين أسلم عمر قال : « يا رسول الله ! السنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟!» ، قال : « بلى والذي نفسي بيده ! انكم على الحق ان متم وان حييتم » ، فقال : ففيمَ الاختفاء ؟! والذي بعثك بالحق لنخرجن» ، فخرج المسلمون في صَفين : في احدهما حمزة وفي الآخر عمر ، حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش الى حمزة والى عمر ، فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها، فسمى النبي صلى الله عليه وسلم عمر يومئذ : الفاروق (٧٨) .

وردّ عمر جوار خاله العاص بن هشام ، لأنه رأى المسلمين يُضربون وهو لا يُضرب ، فما زال يَضرب ويُضرب حتى اظهر الله الاسلام (٧٩) .

وحين اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة الى المدينة المنورة ، هاجر عمر علنا ، فما تبعه احد (٨٠) .

وفي غزوة (بدر) الكبرى ، قتل عمر خاله العاص بن هشام بن المغيرة (٨١) ، وثبت يوم (أحد) ، وفي غزوة (حُنين) ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن عشرة فقط من اصحابه وآل بيته (٨٢) .

تلك هي نماذج من شجاعته النادرة ، ولكن هل تحتاج شجاعة الفاروق الى دليل (٨٣) ؟

لا عجب بعد ذلك ان يقول عنه عبد الله بن مسعود : « كان اسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت امارته رحمة » (٨٤) .

---

(٧٥) طبقات ابن سعد (٢٦٩/٣) .
(٧٦) طبقات ابن سعد (٢٧٠/٣) .
(٧٧) تاريخ الخلفاء (٧٨)
(٧٨) تاريخ عمر (٧) .
(٧٩) تاريخ عمر (٨) .
(٨٠) تاريخ الخلفاء (٧٨) والرياض النضرة (٢٥٨/١) .
(٨١) سيرة ابن هشام (٢٧٧/٢) .
(٨٢) جوامع السيرة لابن حزم (٢٣٨ ــ ٢٣٩) .
(٨٣) انظر تفاصيل عن شجاعته في كتاب : الفاروق القائد (٥٢ ــ ٥٨) .
(٨٤) طبقات ابن سعد (٢٧٠/٣) .

٦ ــ القابلية البدنية :

كان عمر يأخذ باذن الفرس ويأخذ بيده الاخرى اذنه ، ثم ينزو على متن الفرس (٨٥) ، وكان يصارع في سوق (عكاظ) ، وكان ضخما طويلا جسيما (٨٦) ، يسرع في مشيته (٨٧) ، غليظ القدمين والكفين ، مجدول اللحم (٨٨) ، وكان فارسا ماهرا (٨٩) .

لقد كان عمر مفتول العضل ، قوي الشكيمة ، حاد الطبع ، سريع الغضب (٩٠) ، وكان ماهرا في الفروسية ، مدربا تدريبا ممتازا على استعمال السلاح .

رأى عمر رجلا غليظ البطن ، فقال : « ما هذا ؟! » ، قال : « بركة من الله ! » ، فقال : « بل عذاب » (٩١) . ومن اقواله : « تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا » ، اي تزيوا بزي العرب من معد ابن عدنان (٩٢) .

لقد كان عمر جنديا ممتازا من كافة الوجوه .

٧ ــ تحمل المسؤولية :

كان عمر يتحمل مسؤوليته كاملة ، ويشعر شعورا عميقا بثقل أعبائها.

كان يتحمل المسؤولية قبل توليه الحكم وبعد ان اصبح اميرا للمؤمنين.

كان يبدي رأيه صريحا حتى للرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل : فقد أبدى رأيه في اتخاذ مقام ابراهيم مصلّى ، وفي أمر الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي اجتماع نسائه على الغيرة ، وفي اسرى بدر ، وفي تحريم الخمر (٩٣) ، كل ذلك يدل على انه كان ذا رأي سديد يتحمل بشجاعة مسؤولية ابدائه ونتائجه .

---

(٨٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣) .

(٨٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٥) .

(٨٧) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٦) .

(٨٨) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٠) وانظر العقد الفريد (٣/٦٨) .

(٨٩) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٦)

(٩٠) حياة محمد (١٥٨) .

(٩١) تاريخ عمر (١٤٤) .

(٩٢) عبقرية عمر (٣٥٠) .

(٩٣) انظر تاريخ عمر (١٣ ــ ١٤) وتاريخ الخلفاء (٨٣ ــ ٨٥) .

وبعد ان اختار الله رسوله صلى الله عليه وسلم اليه ، اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر الصديق ، فأتاهم ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح . وبعد مناقشات حادة قال عمر لأبي بكر : «أبسط يدك أبايعك»، فبسط يده فبايعه عمر وبايعه الناس(٩٤). قال عمر : « ... ان مبايعة ابي بكر فلتة ، الا ان الله وقى شرها » (٩٥).

وتولى ابو بكر الخلافة ، فدعا الناس الى الجهاد في ساحات ارض الشام ، وطلب راي أهل الراي في ذلك ، فكان عمر أسبقهم الى اجابته (٩٦).

وبعد تولي عمر الخلافة : قال : « لو علمت ان احدا من الناس اقوى على هذا الامر مني، لكنت قد امرته فتضرب عنقي احب الي من ان أليه» (٩٧).

وفي خلافته كان اول من كتب التاريخ الهجري ، وهو اول من جمع القرآن في المصحف ، وهو اول من سن قيام رمضان ، وهو اول من جمع الناس على قيام رمضان وكتب به الى البلدان ، وهو اول من ضرب في الخمر ثمانين ، وهو اول من استقضى القضاة في الامصار ، وهو اول من دوّن الدواوين (٩٨) ... وهو أول من منع الصدقات عن المؤلفة قلوبهم (٩٩) ، واول من امضى الطلاق الثلاث بكلمة واحدة (١٠٠) ، ونهى عن نكاح المتعة، ودرأ الحد بالضرورة ، وقرر مبدأ المساواة امام القضاء (١٠١) ، واجتهد في تفصيل ما لم يرد عنه نص صريح في كتاب الله (١٠٢) .

لقد كان يعرف تماما عظم مسؤولياته وضخامتها حاكما للناس ، عليه حقوق وواجبات لا تحصى .

كان يعسّ ليلا ، ففرض عطاء لكل مولود في الاسلام ، وكان لا يفرض الا للفطيم (١٠٣) ، وحمل الزاد على ظهره للجائعين (١٠٤) ، وحرّم السمن واللبن وكل طعام لذيذ على نفسه في عام الرمادة حين أمحل الناس (١٠٥) ، وداوى

---

(٩٤) ابن الاثير (١٣٤/٢) .
(٩٥) تاريخ الخلفاء (٤٥) .
(٩٦) انظر التفاصيل في : الفاروق عمر (٨٥/١) .
(٩٧) تاريخ عمر (٤١) .
(٩٨) تاريخ عمر (٤٣) .
(٩٩) الفاروق عمر (٢٨٣/٢) .
(١٠٠) الفاروق عمر (٢٨٤/٢ — ٢٨٥) .
(١٠١) الفاروق عمر (٢٩٤/٢)
(١٠٢) الفاروق عمر (٢٩٥/٢)
(١٠٣) انظر قصة عسسه ليلا وفرضه لكل مولود في الاسلام في تاريخ عمر (٤٨ — ٤٩)
(١٠٤) انظر قصة العائلة الجائعة في تاريخ عمر (٤٩ — ٥٠)
(١٠٥) انظر قصة ذلك في تاريخ عمر (٥٠ — ٥١)

ابل الصدقة بنفسه ، فقال له الاحنف بن قيس : « يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ؟!» ، فقال عمر : « وأي عبد هو أعبد مني ومن الاحنف ؟! انه من ولي امر المسلمين ، فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة واداء الامانة » (١٠٦) . قال سالم بن عبد الله : « ان عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دبر البعير ويقول : اني خائف ان أسأل عما بك » (١٠٧) .

وخطب عمر مرة فقال : « والذي بعث محمدا بالحق ، لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات ، خشيت ان يسأل الله عنه آل الخطاب » (١٠٨) .

انني لا أعرف احدا في تاريخ العالم كله ، حمل مسؤوليته كاملة بهذا الحرص الشديد عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه ، مثل عمر .

لقد أتعب عمر نفسه ، وأتعب غيره (١٠٩) .

٨ ـ معرفة مبادىء الحرب :

أ ـ كان عمر احد خريجي مدرسة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في ممارسة فنون الحرب ومعاناة اهوالها دفاعا عن حرية نشر الاسلام.

كان عمر قبل اسلامه كأي عربي ليس غريبا على ساحات الوغى وأخبار الحروب ، ولكن معلوماته الابتدائية تلك عن المعارك صقلها وهذبها بالممارسة الفعلية وبالتوجيه العملي والنظري لسيد القادة وقائد السادة عليه الصلاة والسلام .

كانت لعمر طبيعة موهوبة للجندي الممتاز ، فاجتمع لديه بعد تجاربه الطويلة للحرب بعد اسلامه ، الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، وبذلك اصبح جنديا ممتازا وقائدا ممتازا له مزايا الجندي المثالي والقائد المثالي علما وعملا.

شهد عمر تحت لواء الرسول القائد المشاهد كلها (١١٠) ، وقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من المسلمين في شعبان سنة سبع

---

(١٠٦) تاريخ عمر (٥٢)
(١٠٧) تاريخ عمر (٧٢)
(١٠٨) الطبري (٢٧٣/٣)
(١٠٩) انظر تفاصيل تحمل عمر للمسؤولية في : الفاروق القائد (٥٩ ـ ٧٢)
(١١٠) اسد الغابة (٥٩/٤)

من مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلا الى (عجُز) (١١١) هوازن ، فخرج وخرج معه دليله من بني هلال ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأتى الخبر هوازن ، فهربوا ، فانصرف عمر راجعا الى المدينة (١١٢). فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة اميال ، قال له الدليل : « هل لك في جمع آخر من (خثعم) ؟» ، فقال عمر : « لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، انما أمرني بقتال هوازن (١١٣) .

هذه الغزوة تدلنا على ثلاث نتائج عسكرية : الاولى ان عمر اصبح مؤهلا للقيادة ، والا لما ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه الى منطقة بالغة الخطورة والى قبيلة من أقوى القبائل العربية واشدها شكيمة .

والثانية ، ان عمر الذي كان يكمن نهارا ويسير ليلا ، مشبع بمبدأ المباغتة ، اهم مبادىء الحرب على الاطلاق .

والثالثة ، ان عمر ينفذ اوامر قائده الاعلى نصا وروحا ولا يحيد عنها قيد شعرة ، وهذا هو روح الضبط العسكري الذي هو روح الجندية في كل زمان ومكان .

ب ــ وبعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وتولي ابي بكر الصديق ، كان عمر احد جنود بعث اسامة بن زيد (١١٤) ، وحين اراد ابو بكر انفاذ هذا البعث الى واجبه حسب اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ، شيَّع هذا الجيش ، فقال لقائده اسامة : « ان رأيت ان تعينني بعمر، فافعل ! » (١١٥) ، فكان عمر بعد ذلك ابرز عضو من اعضاء المجلس الاعلى للقيادة العامة في عهد ابي بكر الصديق .

كان ابو بكر في عهده يستشير عمر في اختيار القادة الذين يوليهم قيادة جيوش المسلمين(١١٦)، وكان يستشيره في تسيير الجيوش الى الجهاد (١١٧)، وكان يستشيره عند اعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) لجيوشه، فكان عمر يعاونه في كل ذلك أعظم المعاونة .

---

(١١١) عجز : محل بينه وبين مكة اربع ليال بطريق صنعاء يقال له : تربة . انظر السيرة الحلبية (٢١٠/٣) . وفي معجم البلدان (٣٧٤/٢) : ان تربة على مسافة يومين من مكة .

(١١٢) طبقات ابن سعد (١١٧/٢) والسيرة الحلبية (٢١٠/٣)

(١١٣) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢)

(١١٤) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢)

(١١٥) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢)

(١١٦) انظر الطبري (٥٨٦/٢) وابن الاثير (١٥٤/٢)

(١١٧) الفاروق عمر (٨٥/١)

ج ـ وبعد وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان اول ما عمل عمر ان ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني الى اهل فارس ، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها الصديق أبو بكر . ثم أصبح فبايعه الناس ، فعاد فندب الناس لقتال الفرس . وتتابع الناس على البيعة ثلاثة ايام ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب احد الى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه اليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس الى العراق ، فكان اول منتدب ابو عبيد بن مسعود الثقفي (١١٨) ، فأمَّره على الجيش لأنه كان أول الناس انتدابا (١١٩) .

وامر المثنى بن حارثة الشيباني بالتقدم الى أن يقدم عليه اصحابه ، وامر باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة (١٢٠) ، فكان بعث ابي عبيد اول جيش سيَّره عمر (١٢١) .

لقد طبق عمر بذلك مبدأ التحشد .

وكان مما اوصى به عمر ابا عبيد : « انك تقدم على ارض المكر والخديعة والخيانة والجبرية .. تقدم على قوم تجرّأوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، فاحرز لسانك ولا تفشينّ سرك ، فان صاحب السر ما يضبطه متحصن ولا يؤتى من وجه يكرهه ، واذا ضيعه كان بمضيعة » (١٢٢) .

وهذا يدل على ان عمر كان يعرف تفاصيل دقيقة عن الحالة الاجتماعية لعدوه ، لذلك اوصى ابا عبيد بالحذر واليقظة وكتمان السر .

وندب عمر الناس الى المثنى ، وكان فيمن ندب قبيلة (بجيلة) (١٢٣)، فدعاهم الى غزو العراق (١٢٤) ، وكتب الى أهل الردة فلم يأته احد الا رمى به المثنى (١٢٥) .

---

(١١٨) انظر ترجمة ابي عبيد بن مسعود الثقفي في : فتح العراق والجزيرة (٢١٢–٢٢٠)
(١١٩) الطبري (٦٣١/٢) وابن الاثير (١٦٦/٢) وتاريخ عمر (٦٧)
(١٢٠) ابن الاثير (١٦٦/٢)
(١٢١) ابن الاثير (١٦٦/٢)
(١٢٢) ابن الاثير (١٦٨/٢)
(١٢٣) انظر جمهرة انساب العرب (٣٨٧ ــ ٣٩٠)
(١٢٤) البلاذري (٢٥٣) وانظر الطبري (٦٤٦/٢)
(١٢٥) ابن الاثير (١٦٩/٢)

لقد طبق عمر في ذلك مبدأين من مبادىء الحرب المهمة : مبدأ التحشد، وذلك بحشد اكبر عدد من القوات في ربوع العراق ، ومبدأ (توخي الهدف) ، وذلك بالاصرار على فتح العراق مهما يكلفه الامر ومهما تكن الظروف والاحوال.

وقبل معركة (القادسية) حشد عمر لسعد بن ابي وقاص كل ما استطاع حشده من طاقات مادية ومعنوية ، فلم يدع عمر ذا رأي ولا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا، ولا وجيها من وجوه الناس، الا سيَّره الى سعد (١٢٦).

وكتب عمر الى سعد تعليمات تفصيلية عن : وجوب قتال المسلمين الفرس في مناطق حدود الارض العربية على ادنى حجر من ارض العرب ، ولا يقاتلوهم في عقر دارهم (١٢٧) حتى يسهل على المسلمين الانسحاب بسهولة في حالة اندحارهم . وكتب الى سعد عن ضرورة التمسك بالمثل الاسلامية العليا ، وعن الترفق بالمسلمين في المسير ، وعن ضرورة ادامة الجنود أسلحتهم والاعتناء بخيولهم ، وعن الاساليب التعبوية من اذكاء العيون الى اخراج الطلائع ومفارز الاستطلاع ، وعن ضرورة الصبر على الجلاد ، وعن اتخاذ التدابير الامينة للمحافظة على قواته من مباغتة العدو لها ، وعن ضرورة معرفة طبيعة العدو الذي يقاتله وطبيعة الارض التي يقاتل عليها عدوه .. الخ (١٢٨) .

ان اجراءات عمر قبل معركة القادسية ، تمثل ذروة تطبيق مبدأ (التحشد) ، كما ان وصيته لسعد بالقتال على حدود بلاد العرب تطبيق لمبدأ (الامن) ومبدأ (المرونة) (١٢٩) .

اما وصيته سعدا ورجاله بتقوى الله وطاعته ، والابتعاد عن المعاصي، فتمثل اسمى غاية لتطبيق مبدأ (ادامة المعنويات) .

اما وصاياه لسعد عن الحذر واليقظة، والمسير، والاستراحة الاسبوعية، وادامة سلاح الجيش وخيوله ، والمحافظة على اهل الذمة ، واذكاء العيون واختيارهم ، واتخاذ التدابير التعبوية للامن ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن ارض المعركة ، والحذر من مباغتة العدو لجيشه ، والحزم ... الخ فدليل على معرفة عمر لتفاصيل دقائق التعبية الصغرى، واهتمامه الشديد بتطبيق مبدأ (الامور الادارية) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود) .

---

(١٢٦) ابن الاثير (٢/١٧٣ — ١٧٤)
(١٢٧) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٧٨)
(١٢٨) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٧٩ — ٨٠)
(١٢٩) الفاروق القائد (٨٠) .

وبعد فتح (انطاكية) من أرض الشام ، كتب عمر الى ابي عبيدة بن الجراح : «رتّب بانطاكية جماعة من المسلمين ، وأجعل بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء» (١٣٠) ، وهذا تطبيق عملي لمبدأ (الامن) .

ولما فرغ سعد من امر (القادسية) ، أقام بها بعد الفتح شهرين، وكاتب عمر فيما يفعل ، فكتب اليه عمر بالمسير الى (المدائن) ، وان يخلّف الناس والعيال ب (العتيق) (١٣١) ، وأن يجعل معهم جندا كثيفا ، وان يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم (١٣٢) . وفي هـذه الاوامر المختصرة طبّق عمر مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ومبدأ (التعرض) ، ومبدأ (تحشيد القوة) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود) ومبدأ (الامن) ومبدأ (ادامة المعنويات) ، ومبدأ (الامور الادارية) . ولا أعلم رسالة قليلة الكلمات كثيرة الفائدة مثل هذه الرسالة الموجزة .

لقد كان عمر جنديا ممتازا وقائدا مجربا ، يعرف تفاصيل التعبيـة الصغرى ، ويتحلى بمزية الضبـط المتين ، ويعرف مزايا رجاله ، ويوليهم المناصب استنادا الى تلك المزايا فقط ، ويطبق جميع مبادىء الحرب المعروفة بشكل مثالي وبكل حرص في الحرب .

لقد كان قائدا فذا لا يتكرر على تعاقب الايام والعصور الا نادرا ... وقد لا يتكرر أبدا (١٣٣) .

٩ ـ اعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) :

أ ـ الخطط السوقية ، هي الخطط التي يعدّها القائد الاعلى لادارة الحرب في (ساحة الحرب) (١٣٤) كلها ، ويكون لهذه الخطط السوقية تأثير على نتائج الحرب في مختلف (ساحات الحركات) (١٣٥) و(الجبهات) (١٣٦) و(مناطق الحركات) (١٣٧) .

---

(١٣٠) ابن الاثير (١٩٢/٢)

(١٣١) العتيق : قرية كانت بين اذربيجان وبغداد استولت عليها دجلة وخربتها . انظر مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (٢٣٥/٢) الطبعة الاولى ، ولم اجد للعتيق ذكرا في معجم البلدان . وارى انها في موضع قريب من القادسية ، لان النساء والعيال يجب ان يكونوا في منطقة امينة بعيدة عن ساحة المعركة .

(١٣٢) ابن الاثير (١٩٦/٢)

(١٣٣) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٧٢ ـ ٨٤)

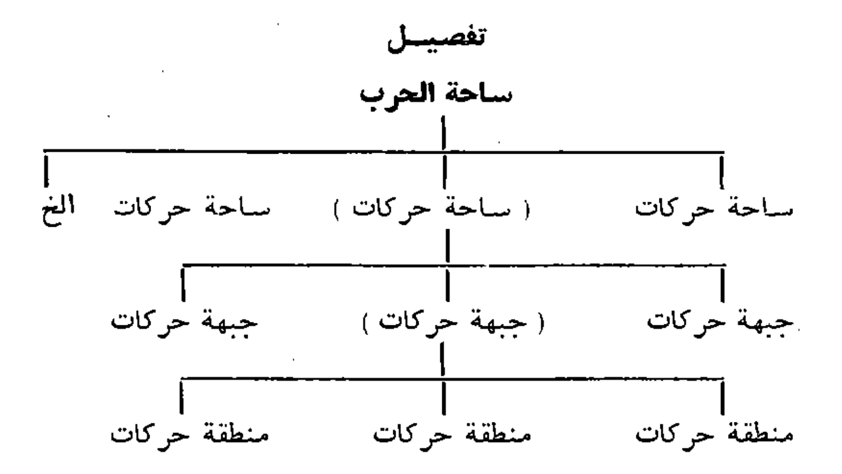
(١٣٤) ساحة الحرب : جميع البلاد التي يحتمل ان يتقابل فيها الفريقان المتخاصمان في البر والبحر .

(١٣٥) ساحة الحركات : هي الساحة التي يتمكن احد الخصمين من القتال فيها .

(١٣٦) الجبهة : هي عدة مناطق حركات داخلة في حدود جغرافية معينة .

(١٣٧) منطقة الحركات : هي قسم من ساحة الحركات .

تفصيل



كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو القائد الاعلى في ايام خلافته، فكان ـ لذلك ـ المسؤول الاول عن اعداد الخطط السوقية ، ويشمل ذلك أعداد هذه الخطط من الناحيـة العسكرية ، واصدار الوصايا أو الاوامر لتنفيذها ، وامداد جيوشه بالامدادات من الرجال والمعدات لادامة الحرب ، وتزويد تلك الجيوش بالامور الادارية ، ومراقبة وصول تلك المواد الادارية الى جيوشه ، والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب وفي كل مكان ، واختيار القادة العامين والقادة المرؤوسين القادرين على تنفيذ اوامره ووصاياه نصا وروحا ...

لقد أنجز عمر كل واجباته هذه قائدا أعلى بشكل يدعو الى التقدير العميق والاعجاب الشديد ، فكان عهده عهدا ذهبيا للفتح الاسلامي العظيم.

ب ـ كان دستوره في الحرب ان يضع الاسس العامة، ويعهد في تنفيذها الى ذوي خبرة وامانة ، ولا يتخلى عن تبعته العظمى في مصائر الحرب كل التخلي اعتمادا على القائد وحده ، اذ ليس القائد هو المسؤول الوحيـد عن المصير .

فاذا رأى القائد العام رأيا وخالفه عمر في رأيه ، أعانه بالمدد والمشورة على الاخذ بالراي الذي دعاه اليه ، وابطل معاذيره بتوضيح الامر واعانته عليـه .

لقد كان الى جانب السهر على الميادين عامة ، لا يغل يد القائد فيمـا يحسن ان تنطلق فيه ، فاذا تجاوز الامر سياسة الحرب العامة من فتـح الميادين وفك الحصار ، فمن حق القائد عنده ان يختـار لنفسه ولا ينتظر الرجوع اليه ، وان يجري في ادارة المعركة على الوجه الذي تمليه عليه ضرورة

الساعة (١٣٨) .

ج ـ ان التاريخ ليذكر لنا نماذج حية رائعة عن خطط عمر السوقية التي اصدرها الى قادته : اوامر جازمة صريحة ، ووصايا حاسمة واضحة .

بعد معركة (اليرموك) في ارض الشام ، استخلف ابو عبيدة بن الجراح على اليرموك بشير بن كعب الحميري ، وسار حتى نزل بـ (الصُفّر) (١٣٩) ، فأتاه الخبر ، ان الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا بـ (فِحل) (١٤٠) . وأتاه الخبر ايضا بأن المدد قد اتى اهل دمشق من حمص ، فكتب الى عمر في ذلك ، فأجابه : بأن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم ، ويشغل أهل (فحل) بخيل تكون بازائهم ، واذا فتح دمشق سار الى (فحل) ، فاذا فتحت عليهم سار هو وخالد بن الوليد الى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص بالاردن وفلسطين (١٤١) .

تلك هي الخطة السوقيـة لعمر التي بموجبهـا فتحت ارض الشام (سورية والاردن ولبنان وفلسطين) ، ومنها يتضح أن عمر بدأ بـ (هدف الحركات الخطير) (١٤٢) وهو مدينة دمشق عاصمة البلاد ، وبعد فتحهـا تتوجه الجيوش الى الاهداف الثانوية . ولكي يحرم الروم وحلفـاءهم من تعاون قواتهم في مختلف مناطقها عند محاولة فتح دمشق ، امر عمر ابا عبيدة ابن الجراح بتخصيص قوات من الفرسان لمشاغلتهم .

لقد ادى تطبيق هذه الخطة السوقية البارعة الى فتح ارض الشام بسهولة ويسر .

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة امر عمر ابا عبيدة بن الجراح، ان يصرف جند العراق الى العراق ـ وهم الذين شهدوا معركة (اليرموك) والذين جاءوا من العراق الى الشام مع خالد بن الوليد ـ وامرهم بالحث الى سعد بن أبي وقاص (١٤٣) ، وذلك لحشد اكبر قوة ممكنة في الزمان والمكان المناسبين ، فكان لحضور هؤلاء معركة (القادسية) اثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة .

---

(١٣٨) عبقرية عمر (١٥٥ ـ ١٥٦)

(١٣٩) الصفر : موضع بين دمشق والجولان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٧)

(١٤٠) فحل : اسم موضع بالشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٤٠) .

(١٤١) ابن الاثير (٢/١٦٤)

(١٤٢) هدف الحركات الخطير : هو الهدف الذي متى ما تم الاستيلاء عليه تنتهي الحرب، او ان العدو يضطر الى قبول الصلح ، وتؤلف عواصم البلاد هدف الحركات الخطير .

(١٤٣) الطبري (٢/٦٢٧) .

وكتب الى سعد بن ابي وقاص بعد اختياره لحرب فارس : « اذا انتهيت الى (القادسية) ، وهو منزل رغيب خصيب ، دونه قناطر وانهار ممتنعة ، فتكون مسالحك (١٤٤) على أنقابها (١٤٥) ، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجراع (١٤٦) بينها ، ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانك اذا أحسوك (١٤٧) انفصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدّهم وجدّهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله وقوّيتم الامانة ، رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابدا ، الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الاخرى ، كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من ادنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنتم عليها اجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل، حتى يأتي الله بالفتح» (١٤٨).

انها خطة سوقية فذة مضمونة النجاح في حالتي النصر والاندحار .

وفي سنة سبع عشرة هجرية (٦٣٨م) قصد الروم ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بـ (حمص) ، فأشار خالد بن الوليد بالمناجزة، واشار آخرون بالتحصين ومكاتبة عمر ، فأطاعهم ابو عبيدة وكتب الى عمر بذلك . وكان عمر قد اتخذ في كل مصر من امصار المسلمين المهمة خيولا على قدره من فضول اموال المسلمين ، عدة للحوادث الطارئة ، فكان بالكوفة من الخيول اربعة آلاف فرس ، وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي (١٤٩) ونفر من اهل الكوفة ، فلما سمع عمر بقصد الروم لأبي عبيدة بن الجراح في حمص، كتب الى سعد بن ابي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو (١٥٠) وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فان ابا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم اليهم في الجد والحث » ، وكتب اليه ايضا : « سرّح سهيل بن عدي (١٥١) الى (الجزيرة) في الجند ، وليأت (الرقّة) ، فان أهل (الجزيرة) هم الذين استثاروا الروم على أهل (حمص) ، وسرّح عبد الله

---

(١٤٤) المسالح : جمع مسلحة ، وهي الحامية الامامية او المركز الذي تقيم فيه قوة عسكرية ، وهي كالمخفر في الاصطلاحات الحديثة .

(١٤٥) أنقاب : جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل ، وهنا تعني الطرق التقربية للعدو الى قوات المسلمين .

(١٤٦) الجراع : جمع أجرع ، وهي الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل . انظر المعجم الوسيط (١١٨/١) .

(١٤٧) حس الشيء حسا : استأصله ، وحسوهم : استأصلوهم قتلا .

(١٤٨) عبقرية عمر (١٥٤) .

(١٤٩) ترد ترجمته في : قادة فتح المشرق .

(١٥٠) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٠١ – ٣٢٣)

(١٥١) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٣٦ – ٤٤١)

ابن عبدالله بن عتبان (١٥٢) الى (نصيبين) ثم ليقصد (حرّان) و (الرها) ، وسرّح الوليد بن عقبة (١٥٣) على عرب (الجزيرة) من ربيعة وتنوخ، وسرّح عياض بن غنم (١٥٤) ، فان كان قتال فقد جعلت امرهم جميعا الى عياض ابن غنم » (١٥٥) . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص خبر زحف جيوش المسلمين الى بلادهم تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم ، فخرج ابو عبيدة الى الروم وقاتلهم ، ففتح الله على المسلمين (١٥٦) .

لقد كانت خطة عمر السوقية هذه خطة رائعة حقا .

وعندما اطمأن عمر الى انتصار جنده في معركة (نهاوند) الحاسمة ، أمر ابا موسى الاشعري ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه امره ، ودفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ، ولواء (أردشير خره) الى مجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء (اصطخر) الى عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء (فسا) و (دارا بجرد) الى سارية بن زنيم الكناني ، ولواء (كرمان) الى سهيل بن عدي ، ولواء (سجستان) الى عاصم ابن عمرو التميمي ، ولواء (مكران) الى الحكم بن عمير التغلبي ، وأمدهم عمر بنفر من اهل الكوفة في جموع (١٥٧) ... فكانت هذه الخطة السوقية لعمر هي القاضية على مقاومات الفرس في بلادهم وتطهير ارض فارس من كل مقاومة ، لأن قوات الفرس المتفرقة لم تجتمع لتكوّن قوة ضاربة ، اذ شغل المسلمون كل قسم منها في منطقته فحالوا دون تعاونها .

وفي فتح مصر أشفق عمر على جيش عمرو بن العاص ، فبعث الزبير بن العوام (١٥٨) في اثني عشر الفا (١٥٩) ، وبذلك استطاع عمرو فتح ارض وادي النيل .

هذه بعض خطط عمر السوقية للفتح : خطة لفتح العراق ، وخطة لفتح ارض الشام ، وخطة لفتح بلاد فارس ، وخطة لفتح مصر ذلك الفتح الذي امتد من مصر الى ليبيا وارض النوبة .

---

(١٥٢) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٢ — ٤٤٨)
(١٥٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٩ — ٤٦٨)
(١٥٤) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٢٥ — ٤٣٥)
(١٥٥) الطبري (١٥٤/٣) وابن الاثير (٢٠٥/٢)
(١٥٦) الطبري (١٥٤/٣)
(١٥٧) ابن الاثير (٢١٤/٢)
(١٥٨) انظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر .
(١٥٩) فتوح مصر والمغرب (٩٢) وانظر كتاب الولاة والقضاة (٨)

وتلك امثلة فذة من خططه السوقية للفتح (١٦٠) .

د ـ واذا كانت خطط عمر السوقية قد كتب لها النجاح فلأنه بناها على اسس قوية : اجتماعية وسياسية واقتصادية .

لقد حرم ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من مشاركةالمجاهدين في شرف الجهاد من اجل حماية حرية نشر الاسلام ، فقد كتب الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم : « استنفروا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزّون احد ارتدّ ، حتى ارى رأيي » ، فلم يشهد الايام في عهد ابي بكر مرتد (١٦١) .

اما عمر ، فقد استفتح خلافته بقوله : « انه لقبيح بالعرب ان يملك بعضهم بعضا ، وقد وسع الله عز وجل وفتح الاعاجم » ، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والاسلام الا امراة ولدت لسيدها ، وجعل فداء كل انسان سبعة ابعرة وستة ابعرة الا حنيفة وكندة ، فانه خفف عنهم لقتل رجالهم ، فتتبع النساء بكل مكان ، وفدوهنّ (١٦٢) . كما أمر عمر باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة (١٦٣) ، وندب أهل الردة فأقبلوا سراعا من كل أوب ، فرمى بهم الشام والعراق (١٦٤) .

لقد كان عمر يرى ان العرب هم مادة الاسلام ، وانهم هم مادة الفتح الاسلامي قادة وجنودا ، فلا بد من استنفار كل قادر على حمل السلاح منهم لحمل الرسالة الخالدة الى العالم . لذلك استمال قلوب العرب بكل ذلك ، واراد ان يشعروا كل الشعور بعزتهم وكرامتهم ، وبذلك استطاع تطبيق مبدأ (التحشد) على العرب كافة وبعثهم الى ساحات القتال جيوشا ومددا .

هـ ـ وكانت الوحدة السياسية لبلاد العرب ، بعض ما شُغل به عمر في خلافة ابي بكر الصديق ، فلما استخلف كان تثبيت هذه الوحدة وتوطيد دعائمها اول ما اتجه اليه همه . وقد هداه تفكيره الى ان هذه الوحدة لن تكون سليمة الا ان تصفو من كل شائبة ، وذلك بأن يكون الجنس العربي كله متحدا في موطنه وعقيدته كاتحاده في لغته . لذلك كان من اول ما استفتح به عهده ان اجلى نصارى (نجران) عن شبه الجزيرة ، وعوّضهم عن أرضهم

---

(١٦٠) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٨٥ ـ ٩٨)
(١٦١) الطبري (٢/٥٥٠) و(٢/٥٥٤)
(١٦٢) الطبري (٢/٥٤٩) وابن الاثير (٢/١٤٧)
(١٦٣) ابن الاثير (٢/١٦٦)
(١٦٤) الطبري (٢/٦٣٤)

مثلها في العراق ارضا كأرضهم بـ (نجران) ، وان تحسن معاملتهم (١٦٥)، كذلك فعل بمن بقي من اليهود بـ (خيبر) او بـ (فدك) : أجلاهم عن ارضهم الى الشام ، وعوّضهم عنها بمال يعدل قيمتها ، ولم يسيء الى احد منهم . بذلك خلصت شبه الجزيرة العربية من كل عقيدة الا الاسلام ، فتوطدت فيها قواعد الوحدة التي قصد اليها امير المؤمنين .

لقد استند عمر في اجلاء اليهود والنصارى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا يجتمع ببلاد العرب دينان » ، وان عمر خافهم على المسلمين (١٦٦) ، وان نصارى (نجران) بعد ان استخلف عمر أصابوا الربا وكثروا فخافهم على الاسلام فأجلاهم (١٦٧) .

ولكن لا يكفي لتثبيت دعائم الوحدة في بلاد العرب الاّ يبقى بها دين غير الاسلام ، اذا بقي من الفوارق بين اهلها من العرب ما يجعلهم يشعرون بان بعضهم اكثر حرية من بعض او أوفر كرامة من بعض . وقد بقيت بعض الفوارق بينهم بسبب الردة والحروب التي قضت عليها ، فلا بد من القضاء على هذه الفوارق ، فأمر عمر باشراك المرتدين بالجهاد ، كما أمر بردّ السبي من العرب الى عشائرهم ورد حريتهم اليهم (١٦٨) .

و ــ وشرع عمر بتنظيم الناحية الاقتصادية في الدولة ، فأمر بتدوين الدواوين (١٦٩) ، ومن نتائج ذلك ، ان كل جندي يقاتل في الجبهات المختلفة اصبح له عطاء مضمون يجعله قرير البال على أهله وذويه في مدينته او في صحرائه ، وهذا له تأثير معنوي كبير عليه ، لأن الجندي الذي لا يطمئن كل الاطمئنان الى الحالة المعاشية لاهله لا يقاتل كما ينبغي .

ولكن لا بد للجيوش من موارد ثابتة تديم الامور الادارية لهم في ايام الفتح وبعده ، لذلك ابى عمر ان يقسم ارض السواد في العراق على الفاتحين، كما أبى ان يقسم ارض مصر ، وكتب الى عمرو : « لا تقسمها وذرهم يكون خراجا وفيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم » (١٧٠) . وبذلك أصبح خراج الاراضي وجزية الرؤوس وما كان بمعناها ، موارد ثابتة للدولة تصرف على عمارة الدين والمصالح العامة ، ومنها رواتب الولاة والقضاة واهل الفتوى من العلماء ، وعلى الجيش واصلاح الطرق وعمارة المساجد والرباطات

---

(١٦٥) الخراج (٨٧ ــ ٨٨)

(١٦٦) الخراج (٨٧)

(١٦٧) البلاذري (٧٧)

(١٦٨) انظر الفاروق عمر (٢/٢٠٤ ــ ٢٠٥)

(١٦٩) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (١٠٣ ــ ١٠٩)

(١٧٠) فتح مصر والمغرب (١٢٤)

للجهاد والقناطر والجسور وسد الثغور واصلاح الانهار العامة (١٧١) .

وكان عمل عمر هذا ، كما يقول الامام ابو يوسف في الخراج : « والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الارضين بين من افتتحها ، عندما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك ، توفيقا من الله كان له فيما صنع وفيه الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته عموم النفع لجماعتهم ، لان هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الاعطيات والارزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد ، ولما امن رجوع اهل الكفر الى مدنهم اذا خلت من المقاتلة والمرتزقة (١٧٢) .

ز ــ ولم تقف همة عمر على تأمين ركوب المقاتلين ورواتبهم وتأميم الارض المفتوحة لتكون رصيدا لا ينضب لرواتب الجيوش وتسليحهم وتنقلهم، بل ذهبت همة عمر الى أبعد من ذلك : تأمين السكن لهم .

ففي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨م) أمر ببناء (الكوفة) و (البصرة) . كما اختط عرفجة بن هرثمة البارقي (١٧٣) مدينة (الموصل) ، وكان بها الحصن وبيَع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيَع ، فأنزل عرفجة العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع (١٧٤) .

كما أن عرفجة نزل (حديثة الموصل) (١٧٥) وكانت قرية فيها بيعتان ، فحصرها واختطها قبل الموصل الحدباء (١٧٦) .

وبنى أبو مدلاج التميمي (حديثة الفرات) (١٧٧) في أيام عمر ، وكان عمر قد بعثه على رأس جيش يستقري ما فوق الفرات (١٧٨) .

واختط عمر (الفسطاط) في مصر وأسكنها المسلمين (١٧٩) .

---

(١٧١) انظر اشتراكية الاسلام للسباعي (٢٠٨) الطبعة الثانية ، وانظر النزعة الاشتراكية في الاسلام (١٨٧) .

(١٧٢) الخراج (٣١ ــ ٣٢) وانظر ما جاء عن ذلك في : الفاروق القائد (١٠٩ ــ ١١٢).

(١٧٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ ــ ٤٢٢)

(١٧٤) البلاذري (٣٢٧) ومعجم البلدان (٣/٢٣٤)

(١٧٥) حديثة الموصل : بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٣٤) والمشترك وضعا (١٢٣) .

(١٧٦) معجم البلدان (٣/٢٣٤)

(١٧٧) مدينة حديثة الفرات : مدينة على فراسخ من الانبار ، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء محيط بها. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٣٥) والمشترك وضعا (١٢٣)

(١٧٨) معجم البلدان (٣/٢٣٥)

(١٧٩) فتح مصر والمغرب (١٣٣ ــ ١٣٤) ومعجم البلدان (٦/٣٧٩ ــ ٣٨٤) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٤) واحسن التقاسيم (١٩٧) ، وانظر زبدة كشف الممالك (٣٠) والبلدان لابن الفقيه (٥٩) .

وبنى معاوية بن أبي سفيان في عهد عمر مدينة (جبلة) (١٨٠) ، وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين (حمص) ، وشحنها معاوية بالرجال، وبنى حصنا خارجا عن الحصن الرومي، وسكن المسلمون هذه المدينة (١٨١).

وبنى عثمان بن أبي العاص (توّج) (١٨٢) في ايران ، وبنى المساجد وجعلها دارا للمسلمين ، وأسكنها (عبد القيس) وغيرهم ، وذلك في أيام عمر بن الخطاب (١٨٣) .

وكانت هذه المدن الجديدة ، قواعد متقدمة للفتح ، ومعسكرات كبرى للجيوش الاسلامية ، ومواطن للمسلمين استقروا فيها وعوائلهم وذووهم .

ج ــ وذهب عمر الى مدى ابعد من ذلك في الحرص على راحة المجاهدين وامورهم كافة ، فقد كتب الا تحبس الجيوش بعيدة عن عوائلهم أكثر من أربعة اشهر (١٨٤) .

بل كان عمر يخلف الغزاة في أهليهم (١٨٥) .

ذلك هو عمر بن الخطاب امير المؤمنين والقائد الاعلى للجيوش الاسلامية ؛ يعد الخطط السوقية لجيوشه ، ويسهر على تنفيذ تلك الخطط ، ويحشد أكبر عدد ممكن من الرجال قبل خوض المعارك ليضمن لهم النصر ، ويمد جيوشه بالامدادات المتعاقبة ، ويوحّد العرب في شبه الجزيرة العربية ليطمئن الى سلامة قاعدته الامينة ، ويؤمّن العطاء ، ويضمن السكن للجنود ولعوائلهم ، ولا يترك الجنود بعيدين عن أهليهم أكثر من أربعة اشهر حفاظا على معنوياتهم ومعنويات عوائلهم ، ويخلف الغزاة في أهليهم ... ولست اعرف قائدا أعلى كانت القيادة العليا بعض مهامه فعل مثل ما فعل عمر في سبيل جيوشه ماديا ومعنويا .

لقد طبق عمر : الحرب الاجماعية (١٨٦) قبل أربعة عشر قرنا ، فلا يزعم أحد أن الالمان كان أول من طبقوها في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) .

---

(١٨٠) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٥٣) .

(١٨١) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٥٣) والمشترك وضعا (٩٥ ــ ٩٦) .

(١٨٢) توج : مدينة بفارس قرب كازرون . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٢٦)

(١٨٣) معجم البلدان (٢/٤٢٦)

(١٨٤) تاريخ الخلفاء (٩٦) ، وهناك رواية ان مدة بقاء المجاهد لا تزيد عن ستة اشهر .

(١٨٥) تاريخ عمر (٤٧)

(١٨٦) الحرب الاجماعية : او الحرب الاعتصابية ، من التعابير العسكرية الحديثة ، ومعناها : حشد الامة ومرافقها المادية والمعنوية للحرب. انظر الامة في الحرب للمشير لودندروف

لقد وضع المسلمون : (الضمان الاجتماعي) للجنود قبل أن تحلم بــه اوروبة وامريكا بأربعة عشر قرنا ، فلا يقولن قائل : ان من مزايا بعض الدول الحديثة في أوروبة وامريكا ، هو ضمان الرواتب للجنود ولأسرهم في حياتهم وبعد موتهم ، وضمان سكناهم وراحتهم في كل ارض يحلثونها ، فقد كــان نصيب المسلمين من كل ذلك في عهد عمر أوفر نصيب (١٨٧) .

ان اعمال عمر العسكرية يمكن ان تكون مثلا أعلى لكل قائد أعلى ، ويمكن أن تكون أعماله دروسا في الكليات العسكرية وكليات الاركان في كل مكــان. انها أروع ما سجله التاريخ العسكري في صفحاته للامم كافة ، وستبقى نموذجا اعلى يحتذيه كل قائد في أية أمة بكل زمان ومكان (١٨٨) .

١٠ ــ حرب عادلة :

الحرب في الاسلام حرب عادلة من دون شك ، والشواهد على ذلك ما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية (١٨٩) ، وما طبقه الرسول القائــد عمليا في الحرب (١٩٠) .

ان تعاليم الحرب في الاسلام تحتم : الوفاء بالعهود ، وتجريــم الغــدر والخيانة في الظاهر والخفاء ، واحترام حقوق الانسان ، وتكريــم النــاس والدعوة الى الاخاء الشامل ، واعتبار الفضيلة والتقوى أساس العلاقــات الدولية في الحرب والسلم ، والرحمة في الحرب ، والعدالة المطلقة والمعاملــة بالمثل (١٩١) ؛ وافســاح الطريق للدعوة الجديدة ، ومنع الفتنــة في الدين ، واقرار السلام (١٩٢) .

تلك هي بعض تعاليم الحرب في الاسلام ، فكيف وضعها عمر موضــع التنفيــــذ ؟

كان مما أوصى به سعدا بعد تعيينه قائدا عاما في العراق : « . . . فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه ، فأنه الامر » (١٩٣)

وحين علم سعد باجتماع الجيوش الفارسية كتب الى عمر ، فكتب اليه عمر بأن يرسل وفدا مفاوضا الى كسرى (يزدجرد) . وذهب الوفد ، وكان من

---

(١٨٧) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع الجزء الثاني ص (٦٥٠)
(١٨٨) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٨٥ ــ ١١٩)
(١٨٩) انظر : القتال في الاسلام ، في كتاب : الرسول القائد (٢٧ ــ ٤٦)
(١٩٠) انظر الرسول القائد (٤٢١ ــ ٤٨٣)
(١٩١) انظر كتاب : آثار الحرب في الفقه الاسلامي (١٢٥ ــ ١٣١)
(١٩٢) الفن الحربي في صدر الاسلام (٧٠ ــ ٧٢)
(١٩٣) انظر نص الوصية في الطبري (٣/٥٠٤) وابن الاثير (٢/١٧٣)

بين أعضائه النعمان بن مقرن المزني ، فكان مما قاله لكسرى : « ... فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كله ، فان ابيتم ، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية ، فان ابيتم فالمناجزة ؛ فان أجبتم الى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان بذلتم الجزي قبلنا ومنعناكم ، والا قاتلناكم » ... وبعد نقاش بين الجانبين عاد الوفد الى سعد ، وقد اشتد ذلك على الملك وجلسائه (١٩٤) .

وهكذا لم يدّخر عمر وسعاً لتجنب ويلات الحرب .

وبعد معركة (جَلُولاء) (١٩٥) بعث سعد بالاخماس الى عمر . وقدم الخمس على عمر فقال : « والله لا يجنّه سقف حتى أقسمه » . وأصبح الصباح وجاء عمر وكشف عن المال ، فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟! فوالله ان هذا لموطن شكر » فقال عمر : « والله ما ذاك يبكيني ، وبالله ما أعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا الا القى الله بينهم بأسهم » (١٩٦) .

ان عمر لم يكن ينظر الى الحرب كوسيلة لجمع الغنائم والمال ، بل انه رأى ببصيرته النافذة أثر الغنى السيء على النفوس ، فهو يفشي بين الناس العداوة ، وهو يشيع بينهم الترف ، ولن يكون بعد العداوة والترف الا التردي والانهيار .

وسأل عمر (الهرمزان) حين قدم عليه مع وفد : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم ؟ » ، فقالوا : « ما نعلم الا وفاء » (١٩٧) .

وكتب عمر الى النعمان بن مقرن قبل معركة (نهاوند) : « اذا لقيتم العدو فلا تفروا ، واذا غنمتم فلا تغلوا » (١٩٨) .

وكتب عمر الى سعد بن أبي وقاص : « ... فان لاعب أحد منكم احدا من العجم بأمان أو قرفه (١٩٩) باشارة او بلسان ، كأن لا يدري الاعجمي ما

---

(١٩٤) ابن الاثير (٢/١٧٥ ـ ١٧٦)

(١٩٥) جلولاء : موضع على نهر ديالي ، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ ، بين بعقوبا وخانقين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٢٥) .

(١٩٦) ابن الاثير (٢/٢٠٢)

(١٩٧) ابن الاثير (٢/٢١٢ ـ ٢١٣)

(١٩٨) الخراج (٤٠) . والغل : الخيانة .

(١٩٩) قرف قرفا : كذب وخلط .

كلّمه به وكان عندهم أمانا ، فأجروا له ذلك مجرى الامان ، واياكم والضحك، والوفاءَ الوفاء ، فان الخطأ بالوفاء بقية ، وان الخطأ بالغدر الهلكة ، وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ريحكم واقبال ريحهم ، واعلموا أني احذركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم » (٢٠٠) .

وهكذا يأمر عمر بامضاء الامان ، حتى ولو كان باشارة عابرة ... ويأمر بالوفاء ويحث عليه ، ويعتبر حتى الخطأ في الوفاء كرامة وفضيلة ، والخطأ بالغدر هلكة ومهانة .

وكان عمر يقول عند عقد الالوية لقادته : « .... ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثّلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور (٢٠١) ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوَقّوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارات » (٢٠٢) .

وحاصر المسلمون (جنديسابور) بالاهواز سنة سبع عشرة هجرية ، فأقاموا عليها يقاتلون أهلها ، فلم يفجأ المسلمين الا وقد فتحت ابوابها وخرج أهلها ، فسألهم المسلمون فقالوا : « رميتم بالامان ، فقبلنا وأقررنا بالجزية » . وسأل المسلمون فاذا عبد يدعى (مكنفاً) كان أصله من (جنديسابور) هو الذي رمى اليهم بالامان ، فقال المسلمون : « هو عبد ! » ؛ فقال أهل المدينة : « لا نعرف العبد من الحر ، وقد قبلنا الجزية وما بدّلنا ! فان شئتم فاغدروا » ؛ فكتب المسلمون الى عمر فأجاز أمانهم ، فأمّنوهم وانصرفوا عنهم (٢٠٣) .

انه اجاز امان عبد ، تصرف من تلقاء نفسه متحيزا الى أهل مدينته بدون علم المسلمين قادة وجنودا ... ومع ذلك اجاز عمر امانه !!

ان عمر كان يخوض غمار حرب عادلة ، لها بواعث معروفة ولها أهداف معلومة ، لذلك كانت حربه حربا انسانية بكل ما في الانسانية من معان !.

١١ ــ الثقة المتبادلة :

أ ــ كان عمر موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به منذ أسلم عمر حتى التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى .

---

(٢٠٠) الطبري (١٢/٣)
(٢٠١) الظهور : الغلبة. من قولهم : ظهر على عدوه ، اي غلبه .
(٢٠٢) العقد الفريد (٦٦/١)
(٢٠٣) ابن الاثير (٢١٤/٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل خير من عمر » (٢٠٤) . وقال : «ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه » (٢٠٥) . وقال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين ،الا النبيين والمرسلين (٢٠٦) » . واستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة فقال : « يا أخي ! لا تنسانا من دعائك » (٢٠٧) .

ذلك مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعمر .

ب ــ أما ثقة ابي بكر بعمر ، فقد كان عمر ساعده الايمن ووزيره الاول ومستشاره الاقدم وصديقه الحميم .

حين أنفذ أبو بكر الصديق جيش أسامة بن زيد قال لاسامة : « ان رأيت ان تعينني بعمر، فافعل» ، فأذن أسامة لعمر بالبقاء الى جانب ابي بكر (٢٠٨) .

وكان عمر على القضاء طيلة عهد ابي بكر الصديق ، وقد مكث سنة لا يأتيه رجلان (٢٠٩) .

ولما ثقل ابو بكر وحضرته الوفاة ، استخلف عمر ، فدخل عليه من يقول : « ماذا تقول لربك اذا قدمت عليه غدا ، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب ؟ » ، فقال ابو بكر : « أجلسوني ! أبالله ترهبونني ؟! أقول : استخلفت عليهم خيرهم » (٢١٠) .

جـ ــ أما ثقة الناس بعمر ، فقد ذكر عبدالله بن عباس قال : « اني لواقف في قوم يدعون الله لعمر بن الخطاب وقد وُضع على سريره ، اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : « يرحمك الله ! ان كنت لأرجو أن يجعلك مع صاحبيك ، لاني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفتُ فاذا هو علي بن أبي طالب » (٢١١) .

---

(٢٠٤) تيسير الوصول (٣/٢٦٦) وقد أخرجه الترمذي .
(٢٠٥) تيسير الوصول (٣/٢٦٦ ــ ٢٦٧)
(٢٠٦) اخرجه الترمذي ، انظر تيسير الوصول (٣/٢٦٨ ــ ٢٦٩)
(٢٠٧) تاريخ عمر (١٦)
(٢٠٨) ابن الاثير (٢/١٢٧)
(٢٠٩) ابن الاثير (٢/١٦١)
(٢١٠) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٤)
(٢١١) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٣٣)

وقال علي بن أبي طالب : « ما خلّفت أحدا أحبّ اليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك » ... الحديث (٢١٢) ، وهو يقصد عمر .

وقالت أم أيمن يوم أصيب عمر : « اليوم وهن الاسلام » . وقال طارق بن شهاب : « كان رأي عمر كيقين رجل » . وقال عبد الرحمن بن غنم يوم مات عمر : « اليوم أصبح الاسلام موليا ! ما رجل بأرض فلاة يطلبه العدو فأتاه آت فقال له : خذ حذرك بأشد فرارا من الاسلام اليوم » (٢١٣).

وجاء عبدالله بن سلام وقد صلّي على عمر فقال : « والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء عليه . نعم اخو الاسلام كنت يا عمر ، جوادا بالحق ، بخيلا بالباطل ، ترضى حين الرضى ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ، طيّب الظرف ، لم تكن مداحا ولا مغتابا » (٢١٤).

وقال عبدالله بن مسعود : « كان عمر حصنا حصينا للاسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر انثلم الحصن ، فالناس يخرجون من الاسلام » (٢١٥) .

وقال حذيفة بن اليمان : « ما يحبس البلاء عنكم فراسخ الا موته في عنق رجل كتب الله عليه أن يموت » ، يعني : عمر (٢١٦) .

لقد أجمع الناس على غزارة علمه والمعية فهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين ، وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين ، واكرامه أهل الفضل والخير ، ومحاسنه اكثر من أن تستقصى (٢١٧) ، سريرته خير من علانيته (٢١٨) خير الناس وأقواهم عليهم (٢١٩) .

د ـ اما ثقة عمر بنفسه ، فقد خطب يوما فقال : « ليعلم من ولي هذا الامر من بعدي ، أن سيريده عنه القريب والبعيد . اني لأقاتل الناس عن نفسي قتالا ، ولو علمت أن أحدا من الناس أقوى عليه مني ، لكنت أقدّم فتضرب عنقي احب الي من أن أليه » (٢٢٠) .

---

(٢١٢) فتح الباري بشرح البخاري (٣٩/٧)
(٢١٣) طبقات ابن سعد (٣٦٩/٣)
(٢١٤) طبقات ابن سعد (٣٦٩/٣)
(٢١٥) طبقات ابن سعد (٣٧١/٣)
(٢١٦) طبقات ابن سعد (٣٧٣/٣)
(٢١٧) القسم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (٥/٢)
(٢١٨) القسم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (١١/٢)
(٢١٩) القسم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (١٢/٢)
(٢٢٠) طبقات ابن سعد (٢٧٥/٣)

وخطب يوما فقال : « يا أيها الناس ! اني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدّكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم (٢٢١) .

وكان اذا قيل له : اتق الله ، فرح وشكر قائله ، وكان يقول : « رحم الله من أهدى اليّ عيوبي » (٢٢٢)

لقد كان عمر يثق بنفسه ، ويعرف قيمتها ، ويعتمد على شمائلها ، لا على المظاهر الزائفة والدعاوى الفارغة .

هـ ـ بل أن عمر كان موضع ثقة حتى أعدائه ، فقد حضر أبو عبيدة ابن الجراح حصر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب ؛ فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، فسار عن المدينة المنورة واستخلف عليها علي بن أبي طالب (٢٢٣) .

١٢ ـ المحبة المتبادلة :

كان عمر يحب رؤساءه ويحب مرؤوسيه ، ويبادلونه حبا بحب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال : لا شيء الا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فقال : انت مع مَن أحببت . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من احببت . قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي أياهم وأن لم أعمل بمثل أعمالهم » (٢٢٤) .

وقال أنس بن مالك : « كان صالحو السلف يعلّمون اولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلّمونهم السورة من القرآن » (٢٢٥) .

وقال أبو بكر الصديق : « ما على ظهر الارض أحب الي من عمر » (٢٢٦)

وعن أبي وائل قال : « قدم علينا عبدالله بن مسعود فنعى الينا عمر ، فلم أر يوما أكثر باكيا ولا حزينا منه » (٢٢٧) .

---

(٢٢١) الطبري (٢٨٢/٣) . والموجود في كتب اللغة : اضطلاعا لا استضلاعا .
(٢٢٢) الرياض النضرة (٦٥/٢)
(٢٢٣) الطبري (١٠٤/٣) وابن الاثير (١٩٣/٢)
(٢٢٤) فتح الباري بشرح البخاري (٤٠/٧)
(٢٢٥) تاريخ عمر (١٧٩)
(٢٢٦) تاريخ الخلفاء (٨١)
(٢٢٧) تاريخ عمر (٨١)

١٣ ـ الشخصية النافذة :

كان عمر شخصية قوية في قريش قبل اسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك : بأبي جهل او بعمر بن الخطاب » ، فكان أحبهم الى الله عمر (٢٢٨) .

ولما أسلم عمر ظهر الاسلام ودعي اليه علانية ، فما زال المسلمون أعزة منذ أسلم عمر (٢٢٩) ، وقد قاتل المشركين بمكة حتى تركوا المسلمين يصلّون بالبيت العتيق (٢٣٠) .

وهاجر عمر علنا ، قال علي بن ابي طالب : « ما علمت أحدا هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب ... » (٢٣١) .

لقد كان مهيبا ، قال سعد بن ابي وقاص : « استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن ؛ فلما أستأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ؛ فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ! فقال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن . ثم قال عمر : أيعدوات أنفسهن ! اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلن : نعم ، انت اغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجاً الا سلك فجاً غير فجك » (٢٣٢) .

وكلّم نفر من المسلمين عبد الرحمن بن عوف فقالوا : « كلّم عمر ابن الخطاب ، فانه قد أخشانا ، حتى والله ما نستطيع أن نديم اليه ابصارنا » . وذكر عبد الرحمن ذلك لعمر ، فقال : « او قد قالوا ذلك ؟ والله لقد لنتُ حتى تخوّفت الله في ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خفت الله في ذلك . وأيم الله ، لأنا أشد منهم فرقاً من الله منهم مني » (٢٣٣) .

ولقي رجل من قريش عمر فقال : « لِنْ لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة ! » ،

---

(٢٢٨) تيسير الوصول (٢٦٦/٣) وطبقات ابن سعد (٢٦٧/٣)
(٢٢٩) طبقات ابن سعد (٢٧٠/٣)
(٢٣٠) طبقات ابن سعد (٢٧٠/٣)
(٢٣١) تاريخ الخلفاء (٧٨)
(٢٣٢) فتح الباري بشرح البخاري (٣٧/٧ ـ ٣٨) وشرح النووي على مسلم (١٤٩/٥ـ١٥٠)
(٢٣٣) تاريخ عمر (١٠٠)

فقال : « أفي ذلك ظلم ؟! » فقال : « لا ! » ، قال : « فزادني الله في صدوركم مهابــة » (٢٣٤) .

وعن عبدالله بن العباس قال : « مكثت سنة وانا أريد ان أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فلا أستطيع أن أسأله هيبة » (٢٣٥) .

لقد فرضت سجايا عمر الفذة شخصيته على النفوس : ذكــي لامــع الذكاء ، وعاقل حكيم ، وقوي في الحق ، وزاهد في الدنيا ، وحريص على مصائر الناس ، لا يخشى في الله لومة لائم ، يملأ منصبه ولا يملؤه منصبه !

١٤ ـ الماضي الناصع المجيد :

أبو عمر هو الخطاب بن نفيل من بني عدي ، وينسب الى عدي فيقال : العدوي (٢٣٦) . وأمه حَنْتَمَــة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي (٢٣٧) ؛ ويكنى عمر : أبا حفص (٢٣٨) .

وبنو عدي بطن من عشرة أبطن من قريش ، انتهى اليها الشرف قبــل الاسلام (٢٣٩) ، وكانت الى عمر السفارة في الجاهلية (٢٤٠) ، فكانت قريش اذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا ، واذا نافرهم منافر او فاخرهم مفاخر ، بعثوه منافرا او مفاخرا (٢٤١) .

كان بعد اسلامه يدعى : الفاروق ، لأنه أعلن الاسلام ونادى به والناس يخفونه ، ففرق بين الحق والباطل ؛ وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا وامرأة بمكة ، فكمّلهم عمر أربعين (٢٤٢) .

كان عمر كريم الاب والام ، يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليــه وسلم في الجد السابع من جهة ابيه (٢٤٣) ، ويجتمع معه من جهة أمــه في

---

(٢٣٤) تاريخ عمر (١٠٠)

(٢٣٥) تاريخ عمر (١٥٥)

(٢٣٦) المعارف (١٧٩)

(٢٣٧) الاستيعاب (١١٤٤/٣) وفيه : ان من ذكر ان حنتمة بنت هشام بن المغيرة فهو مخطىء . وانظر القسم الاول من : تهذيب الاسماء واللغات (٣/٢)

(٢٣٨) الاستيعاب (١١٤٤/٣)

(٢٣٩) سيرة ابن هشام (١٤٣/١)

(٢٤٠) الاصابة (٢٧٩/٤)

(٢٤١) تاريخ الخلفاء (٧٤) وبلوغ الارب (١٥٠/١)

(٢٤٢) المعارف (١٨١)

(٢٤٣) اسد الغابة (٥٢/٤) وجمهرة انساب العرب (١٥٠)

الجد السادس (٢٤٤) .

ولد بمكة قبل حرب الفجار الاعظم (٢٤٥) ، وفي رواية أخرى أنه ولد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ، أي في سنة (٥٨٤م) (٢٤٦) .

شدّ ازر الاسلام في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان وزيره ومستشاره المقرّب ، وكان من المهاجرين الاولين وممن صلى الى القبلتين وشهد سائر المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبت في (أحد) ويوم (حنين) . أعز الله به الاسلام ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم : عبقريا ومحدّثا وسراج أهل الجنة وفاروقا ، وقد بشّره بالجنة (٢٤٧) .

والى عمر يرجع الفضل في تولية أبي بكر الصديق الخلافة ، وحسم النزاع الذي أوشك أن يتفاقم بين المهاجرين والانصار على اثر التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى .

وكان عمر الوزير الاول لأبي بكر الصديق ، وساعده الايمن في حرب الردة وفي حروب الفتح .

وكان عمر في أيام خلافته ، أول من وضع النظام السياسي للدولة الاسلامية ونظّم ادارتها ، وكانت سياسته ترمي الى تماسك بلاد العرب ، وادخال القبائل بعضها في بعض لتكون أمة واحدة هي الامة العربية (٢٤٨) المسلمة .

ولما اتسعت الدولة الاسلامية في عهده ، قسّم البلاد أقساما ادارية كبيرة ، ليسهل حكمها والاشراف على موارد ثروتها ، وعيَّن لهذه الولايات عمالا او ولاة لادارتها .

وفي عهده توطدت دعائم الاسلام ، واتسعت رقعة دولته ، فمهد بذلك السبيل لامتداد نفوذ الاسلام من الصين شرقا الى أعماق أوربة غربا الى حدود سيبيريا شمالا الى المحيط جنوبا .

لقد كان لعمر ماض مجيد في كل ادوار حياته : مرؤوسا ورئيسا ، محكوما وحاكما ، قاضيا ومشرعا ، اداريا وقائدا ، في السر والعلانية ، في الحرب والسلم ، في الناس وفي اهله . . . في كل عمل من أعماله الخاصة والعامة .

---

(٢٤٤) اسد الغابة (٥٢/٤) وجمهرة انساب العرب (١٤٤)

(٢٤٥) اسد الغابة (٥٢/٤) . وانظر تفاصيل حرب الفجار في ايام العرب قبل الاسلام (٣٢٢ – ٣٣٧)

(٢٤٦) انظر : زعماء الاسلام (٢٥)

(٢٤٧) الرياض النضرة (٣/٢)

(٢٤٨) زعماء الاسلام (٢٣)

عمـر فـي التاريـخ

كان عمر يقول : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فانه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا انفسكم اليوم ... تزينوا للعرض الاكبر » (٢٤٩) .

وكتب الى أبي موسى الاشعري بالبصرة : « أما بعد . فان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، وان أشقى الرعاة عند الله عز وجل من شقيت به رعيته ، واياك أن ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت الى خضرة في الارض فرعت فيها تبغي بذلك السمن ، وانما حتفها في سمنها ، والسلام عليك » (٢٥٠) .

« لم أر عبقريا يفري فريه » (٢٥١) ، كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها الا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الامم وقيادة الرجال (٢٥٢) .

لقد أتعب الخلفاء من بعده حقا ، وقد مضت القرون ولم تلد النساء مثله ، ولا أراها ستلد مثل عمر .

انه كان أعظم فاتح في تاريخ الاسلام دون منازع ، وكان اسلامه حداً فاصلا بين عهدين للاسلام : عهد الدعوة سرا قبل اسلامه ، وعهد الدعوة جهرا بعد اسلامه .

وله أعمال خالدة أكثر من أن يحصرها العد .

ومع ذلك قال وهو على فراش الموت : « ليتني أخرج منها كفافا لا أجر ولا وزر » (٢٥٣) .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الفارس المغوار ، البطل الكرّار ، القوي الامين ، القاضي العادل ، الحاكم العبقري ، الفقيه المحدّث ، العالم العامل ، الذكي الالمعي ، النابغة العبقري ، التقي النقي ، الخليفة الورع ، المجتهد المشرّع ، الفاروق عمر بن الخطاب العدوي القرشي .

---

(٢٤٩) صفة الصفوة (١٠٩/١)

(٢٥٠) حلية الاولياء (٥٠/١)

(٢٥١) فتح الباري بشرح البخاري (٣٦/٧) وشرح النووي على مسلم (١٤٧/٥) . وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم . ويفري فريه : أي يعمل عمله .

(٢٥٢) عبقرية عمر (١٠)

(٢٥٣) طبقات ابن سعد (٣٥١/٣) .

الخـــاتمة

هذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كوّن (قوة) هائلة ، وأقـام (وحدة) رصينة ، وأسس (دولة) عظيمة ، وانشـأ (حضارة) خالـدة ، وحمل (رسالة) واجبة الاداء للعالم .

انه مثل أعلى للحاكمين حتى يهتدوا بهديه ، ويسلكوا طريقه ، فذلك (وحده) سيؤدي بهم الى نفس النتائج التي حققها لامته وللعالم كله .

وهو مثل أعلى للمحكومين ، حتى يعرفوا كيف يكون الحاكم الصالح الذي يعمل لبلاده (حقا) ويرفع شأنها بين الامم .

ان صلاح الرعية لا يكون الا بصلاح الراعي ، فليصلح الراعـي نفسـه أولا ، وحينذاك ستصلح الرعية أنفسها حتما .

لقد أصلح عمر ما بينه وبين الله ، فأصلح الناس ما بينهم وبين اللـه وما بينهم وبين عمـر : أخلص في عملـه فأخلصوا ، وعفّ فعفـّوا ، وكفّ فكفّوا ، وعدل فعدلوا ، ونسي نفسه في سبيل مصالحهم فنسوا أنفسهم في سبيل بلدهم وأمتهم وفي سبيل اللـه .

فلينظر الرعاة كيف يحكمون بهدي من دينهم وتاريخهـم ليريحـوا ويستريحوا ، فكفى تجارب وكفى محاولات .

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب اقفالها ؟!

والحمد لله الذي يسّر لي التفرغ لبعث تاريخ حيـاة قادة الفتـح الاسلامـي ، فله وحده الفضل والمنّة ، وصلى الله على سيد القادات وقائد السادات ، مؤسس الجيش الاسـلامي الاول ، ومخطط الفتـح الاسلامـي الاول ، وعلى آله وصحبه اجمعين .

المُصْطَلَحَاتُ الجُغْرَافِيَّة وَالعَسْكَرِيَّة

تفسير مصطلحات الألفاظ الجغرافية والعسكرية

١ ــ الغايـــة

جاءت بعض الالفاظ الجغرافية والعسكرية في هذا الكتاب ، وفي غيره من أجزاء : قادة الفتح الاسلامي .

وهذه هي معانيها ، لكي لا نضطر على تفسيرها في كل موضع ترد فيه حذرا من الاطالة اذا فسرناها في كل تلك المواضع .

٢ ــ الجغرافيـــة

البريـد :

فيه خلاف : ذهب قوم الى انه بالبادية اثني عشر ميلا ، وبالشام وخراسان ستة أميال .

والبريد : الرسول ، وابراده ارساله . وكل ما بين المنزلين بريد (١) .

الفرسـخ :

١ ــ الفرسخ = ثلاثة أميال .
٢ ــ الميل = اربعة آلاف ذراع .
٣ ــ الذراع = أربعة وعشرون اصبعا .
٤ ــ الاصبع = ست حبات شعير بطون بعضها الى بعض (٢) .

الاقليـم :

جمعها : أقاليم ، وهي كلمة عربية ، سمي اقليماً لانه مقلوم من الارض التي تتاخمه ، أي مقطوع ، ومنه : قلّمت ظفري ، وبه سمي القلم ، لانه مقلوم ، أي مقطوع .

وللأمم في هيئة الاقليم وصفاتها اصطلاحات أربع :

---

(١) انظر معجم البلدان (١/٣٤ ــ ٣٥) .
(٢) انظر معجم البلدان (٢/٣٥ ــ ٣٦)

الاول : اصطلاح العامة وجمهور الامة ، وهو الجاري على ألسنة الناس دائما ، وهو أن يسمُّوا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى اقليما ، نحو الصين وخراسان والعراق والشام ومصر وافريقية ونحو ذلك ، فالأقاليم على هذا كثيرة لا تُحصى .

والثاني : لأهل الاندلس خاصة ، فانهم يسمُّون كل قرية كبيرة جامعة اقليمـا ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح الا خواصهم . فاذا قال الاندلسي : أنا من اقليم كذا ، فانما يعني بلدة أورستاقاً بعينه .

والثالث : للفُرس قديما ، فقد قسَّموا المعمورة الى سبعة أقاليم ، كل اقليم سبعمائة فرسخ في مثلها .

والرابع : وعليه اعتماد أهل الرياضة والحكمة والتنجيم ، وهو عندهم يمتد من الشرق الى الغرب ، وقسَّموا الارض الى سبعة أقاليم (٣) .

الكورة :

اسم فارسي بحت ، وهو كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة كقولهم : دارا بجرد مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل ، بجملته كورة دارا بجرد ؛ ونحو نهر الملك : فانه نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصبّ في دجلة عليه نحو ثلاثمائة قرية ، ويقال لذلك جميعه : كورة نهر الملك (٤) الخ .

المخلاف :

اكثر ما يقع في كلام أهل اليمن ، وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التبع لهم والانتقال لهم ، وهو واحد مخاليف اليمن وهي كورها . ولكل مخلاف اسم يعرف به ، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت بـه وعمرته فغلب عليه اسمها . ومخلاف البلد سلطانه (٥) .

الاستان :

كلمة فارسية ، والاستان والكورة واحد ، جمعها : أساتين . كانت رقعة فارس خمسة أساتين ، أحدها استان دارا بجرد ، ثم ينقسم الاستان

---

(٣) انظر معجم البلدان (١/٢٤ – ٣٢)
(٤) معجم البلدان (١/٣٦) .
(٥) معجم البلدان (١/٣٦ – ٣٧)

الى الرساتيق ، وينقسم الرستاق الى الطساسيج ، وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى ، مثال ذلك : (اصطخر) استان من أساتين فارس ، و (يزد) رستاق من رساتيق اصطخر ، و (نائين) وقرى معها طسوج من طساسيج رستاق يزد ، و (نياستانه) قرية من قرى طسوج (نائين) . و (شهرستان) و (طبرستان) و (خوزستان) مأخوذة من الاستان ، فخفّف بحذف الالف (٦) .

والاستان هو (اللواء) في التقسيمات الادارية في العراق والمحافظة في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية .

الرستاق :

كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن ، وهو أخص من الكورة والاستان (٧) (قضاء في المصطلح الحديث)

الطسوج :

هو أخص واقل من الكورة والرستاق والاستان (٨) (ناحية في المصطلح الحديث) .

الجند :

يرد ذلك في قولهم : جند قنسرين ، وجند فلسطين ، وجند حمص ، وجند دمشق ، وجند الاردن ، فهي خمسة أجناد وكلها بالشام ، ولم يستعمل ذلك في غير ارض الشام . وهي كتعبير كورة في فارس (٩) .

اباذ :

يكثر مجيئه في اسماء بلدان وقرى ورساتيق كقولهم : أسد آباذ ، ورستم اباذ ، فأسد رجل واباذ اسم العمارة بالفارسية ، فمعناه : عمارة أسد وعمارة رستم (١٠) .

---

(٦) معجم البلدان (٣٧/١) ، أقول : الاستان أو الكورة هو اللواء ، والرستاق هو القضاء ، والطسوج هو الناحية ، في المصطلحات الادارية المعمول بها في العراق .

(٧) معجم البلدان (٣٧/١ – ٣٨) .

(٨) معجم البلدان (٣٨/١) .

(٩) معجم البلدان (٣٨/١) .

(١٠) معجم البلدان (٣٨/١) .

السكـة :

هي الطريق المسلوكة التي تمرّ فيها القوافل من بلد الى آخر . فاذا قيل : من بلد كذا الى بلد كذا سكة ، انما يعنون الطريق ، واذا قيل : من بغداد الى الموصل خمسة سكك ، فيعنون ان القاصد من بغداد الى الموصل يمكنه أن يأتيها من خمس طرق (١١) .

المصر :

يرد بقولهم : مَصَّرت مدينة كذا في زمن كذا ، وقولهم : مدينة كذا مصرت الامصار (١٢) .

٣ ــ العسكريــة

الصلح :

يرد في قولنا ــ مثلا ــ فتح بلد كذا صلحا أو عنوة ، ومعنى الصلح من الصلاح ، وهو ضد الفساد ، والصلح في هذه المواضع ضد الخلف . ومعناه : ان المسلمين كانوا اذا نزلوا على حصن أو مدينة وخافهم أهله فخرجوا الى المسلمين وبذلوا لهم عن ناحيتهم مالاً أو خراجاً او وظيفة يوظفونها عليهم ويؤدونها في كل عام على رؤوسهم وأرضهم أو مالا يعجلونه لهم ، اي انها لم تفتح عن غلبة (١٣) .

السلـم :

السلم الصلح ، والسَّلم بالتحريك ، هو الاستسلام والقاء المقادة الى ارادة المسلمين ، فكأنه والصلح متقاربان .

والسلم من السلامة ، أي أنه اذا اتفق الطرفان واصطلحا سلم بعضهم من بعض (١٤) .

---

(١١) معجم البلدان (٣٨/١) .
(١٢) معجم البلدان (٣٩/١) .
(١٣) معجم البلدان (٤٠/١) .
(١٤) معجم البلدان (٤٠/١) .

العنــوة :

تقول : فتح بلد كذا عَنوة ، وهو ضد الصلح . والعنوة : أخذ الشيء بالغلبـــة (١٥) .

الحرب :

الحرب صراع مسلّح بين دولتين أو بين فريقين من الدول ، ويكـون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المحاربة . فالحرب لا تكون الا بين الدول ، أما النضال المسلّح الذي قد يقع بين بعض الجماعات داخل دولة ما ، أو الذي تقوم به جماعة من الافراد ضد دولة أجنبية فلا يعتبـر حرباً ولا شأن للقانون الدولي العام به ، بل هو يخضع لاحكام القانون الجنائي للدولة التي يحدث فيها . كذلك لا يعتبر حرباً بالمعنى الدولي ، النضـــال المسلح الذي يقوم به اقليم ثائر في وجه حكومة الدولة التي يتبعها او الذي تقوم به احدى الدول الاعضاء في دولة تعاهدية ضد الحكومة المركزية (١٦) .

الجهــاد :

الجهاد في اللغة : بذل الجهد وهو الوسع والطاقة ، أو المبالغة في العمل من الجهـد . والجهاد مصدر جاهدت العدو جهادا اذا قاتلته قتالا .

والجهاد : استفراغ الوسع في مقاتلة العدو .

والجهاد ثلاثة أنواع : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس .

والجهاد غلب في عرف الشرع على جهاد الكفار ، وهو دعوتهـم الـى الدين الحق وقتالهم ان لم يقبلوا ، أو هو بذل الوسع والطاقة في سبيل اللـه عزّ وجل بالنفس والمال واللســان (١٧) .

---

(١٥) معجم البلدان (١/٤٠) .

(١٦) آثار الحرب في الفقه الاسلامي (٢٥) .

(١٧) نفس المصدر (٢١ ــ ٢٢) .

الجزيـــة :

الجزية هي الضريبة التي توضع على الرؤوس (١٨) ، واسمها مشتق من الجزاء ، والاصل فيها قوله تعالى : (حتى يعطوا الجزية عن يـــد وهـــم صـاغرون) (١٩) .

والجزية لا تجب الا على الرجال الاحرار العقلاء من أهل الذمـــة : اليهود والنصارى والمجوس والصائبة (٢٠) ، ولا تؤخذ من المسكين الذي يُتصدق عليه ولا من مُقعد ولا من أعمى لا حرفة له ، ولا من المترهبين وأهل الصوامع ان لم يكونوا ذوي يسار (٢١) .

الخـراج :

هو ما حصل من ريع الارض او كرائها أو اجرة غلام ونحوها ، ويختص غالباً بضريبة الارض (٢٢) .

الفـيء :

الفيء هو خراج الارض (٢٢) ، والفيء اسم لما غلب المسلمون عليـــه من بلاد العدو قسرا بالقتال وجعـل موقوفاً عليهم (٢٣) . والفـيء هو أرض العنوة (٢٤) .

الغنيمـــة :

الغنيمة ، ما غنم من أموال المشركين من الاراضي والاموال (٢٥) . وانها الاموال التي اخذت من المشركين بالقتال (٢٦) .

---

(١٨) الماوردي (١٤٢) .
(١٩) سورة التوبة (٩ : ٢٩) . انظر تفسيرها في ابن كثـير (١٤٤/٤) والبغـوي (١٤٤/٤ ـ ١٤٧) والكشاف للزمخشري (٣٠/٢) والبيضاوي (٦٥/٣) .
(٢٠) الماوردي (١٤٤) والخراج (١٤٥) .
(٢١) الخراج (١٤٦) والام للشافعي (٩٧/٤-٩٨) وقادة فتح العراق والجزيرة (٤٧٨-٤٧٩).
(٢٢) آثار الحرب في الفقه الاسلامي (٥٣٥) .
(٢٣) الخراج (٢٨) .
(٢٤) الخراج في الدولة الاسلامية (١٠٩ ـ ١١٠) .
(٢٥) معجم البلدان (٤٣/١) .
(٢٦) الخراج في الدولة الاسلامية (١١٠) .

الصدقــة :

هي زكاة أموال المسلمين من الذهب والورق والابــل والبقــر والغنم والحب والثمر (٢٧) .

الخمس :

الخمس هو خمس غنائم اهل الحرب ، ويكون حكمه الى الامام ان رأى أن يجعله فيمن سمى الله جعله ، وان رأى ان الافضل للمسلمين ان يضعه في بيت مــالهم لنائبــة تنوبهم ومصلحة تعنّ لهم مثل سد ثغر واعداد سلاح وخيل وأرزاق ... الخ (٢٨) .

مبادىء الحرب :

هي الجوهر الذي ينشىء في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب ، وهي العنصر الذي يتكوّن منه مسلك القائد في أعمالــه بصورة طبيعية وغير متكلفة (٢٩) ، وهذه المبادىء هي :

١ ــ اختيار المقصد وادامته :

في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح . أن المقصد النهائي هو تحطيم ارادة العدو على القتال . يجب أن توجّه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الاعلى ، ولكن لكل منها لــه مقصد محدود يجب ان ُيعرف بوضوح (٣٠) .

٢ ــ التعــــرّض :

هو الهجوم على العدو لسحقه ، ولا يتــمّ الحصول علــى النصر الا بالتعرّض وحده (٣١) .

---

(٢٧) معجم البلدان (٤٣/١) .
(٢٨) معجم البلدان (٤٤/١) .
(٢٩) الرسول القائد (٣١٢) .
(٣٠) الرسول القائد (٣١٢) .
(٣١) الرسول القائد (٣١٣) .

٣ ــ المباغتــة :

المباغتة أقوى العوامل وأبعدها أثرا في الحرب ، وتأثيرها المنوي عظيم جدا ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقــع في تفكير القائد الخصم (٣٢) .

والمباغتة القيام بحركة عسكرية لا يتوقعها العدو في الزمان والمكــان والاسلــوب . اي ان تقوم بحركة في وقت لا يتوقّعه العدو ، أو في مكــان لا يتوقّعه ، أو بأسلوب لا يتوقّعه سواء كان ذلك بسلاح جديـــد أو بخطــة عسكرية مبتكــرة .

٤ ــ تحشيد القوة :

هو حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية واستخدامها في المكان والزمان الجازمين (٣٣) .

٥ ــ الاقتصاد بالمجهــود :

هو استخدام اصغر القوات للامن او لتحويل انتباه العدوالى محــل آخر ، أو صدّ قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة .

ان الاقتصاد بالمجهود يدلّ على الاستخدام المتوازن للقوى ، والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على التحشد المؤثر في الزمــان والمكان الحاسمين (٣٤) .

٦ ــ الامــن :

هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات (٣٥) .

٧ ــ المرونــة :

هي قوة الحركةوقوة العمل السريع في الحركة والقرارات والخطط(٣٦) .

---

(٣٢) الرسول القائد (٣١٤) .
(٣٣) الرسول القائد (٣١٦) .
(٣٤) الرسول القائد (٣١٧) .
(٣٥) الرسول القائد (٣١٨) .
(٣٦) الرسول القائد (٣١٩) .

٨ ـ التعاون :

هو توحيد جهود الصنوف كافة والقطعات لبلوغ الفرض المطلوب وهو النصر (٣٧) .

٩ ـ ادامة المعنويات :

المحافظة على المعنويات العالية والعمل على استمراريتها .

١٠ ـ الامور الادارية :

هي ادامة القطعات بالسلاح والعتاد والقضايا الصحية والنقلية والرواتب والمسكن والتجهيزات والارزاق ... الخ .

الحياد :

هو الحالة القانونية التي توجد فيها الدولة التي لا تشتبك في حرب قائمة ، وتستبقي علاقاتها السلمية مع الطرفين المتحاربين .

الهدنة :

اتفاق بين الطرفين المتحاربين بوقف القتال مدة يتفق عليها فيما بينهما، والهدنة اما هدنة عامة أو هدنة محلية أو جزئية . فالهدنة العامة يسري فيها وقف القتال على جميع القوات المتحاربة ويشمل جميع مناطق القتال . والهدنة المحلية او الجزئية ، هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربة دون بعضها الآخر .

الحصار :

الاحاطة بقرية او بلد سواء كانت محصنة او غير محصنة ، مدافعا عنها أو غير مدافع ، لمنع الدخول والخروج منها ، حتى تضطر على التسليم .

المبادأة :

تعبير يقصد به من الناحية العسكرية السبق بالعمل لاجبار العدو على تبديل خطته .

---

(٣٧) الرسول القائد (٣٢٠) .

القاعــدة :

هي المنطقة التي يستند اليها الجيش قبل شروعه بالحركات . والقاعدة نوعان : قاعدة الحركات وقاعدة التموين ، وتتوحدان على الاغلب ويندر ان تكونا منفصلتين .

خطوط المواصلات :

هي الخطوط التي تربط الجيش بقاعدته .

الضبط :

اصطلاح عسكري يقصد به ، الحالة النفسية التي تساعد الفرد على عمل واجبه باعتبار انه ملزم بأدائه سواء كان مراقبا او غير مراقب . او القدرة على حبس بعض الانفعالات غير الاعتيادية كالخوف والغضب والجوع ... الخ . وانجاز العمل المطلوب بحرص وامانة في الحالات الصعبة .

وهو اطاعة الاوامر نصا وروحا عن طيبة خاطر وبأمانة واخلاص .

التعبية والسَوْق :

١ ــ التعبية هي الاعمال العسكرية في المعركة .
٢ ــ السوق (ستراتيجي) ، هو الاستفادة من المعارك للحصول على الفرض من الحرب .

٣ ــ ذلك هو تعريف (السوق) و (التعبية) بصورة موجزة للغاية تعطي (فكرة) للمدنيين فقط ، اذ أن لكل من هذين الاصطلاحين تعريفات كثيرة طويلة تستغرق كثيرا من كتب فنّ الحرب .

ومن ذلك يتضح أن (السَوْق) يعني نتائج الحرب كلها ، بينما التعبية تعني نتائج معركة واحدة محلية (٣٨) .

---

(٣٨) الرسول القائد (١٢٥) .

المصادر والمراجع

المصادر

القرآن والتفسير ومعاجم القرآن

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ـ الامام الطبري ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر .

٣ ـ تفسير ابن كثير ـ الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧ هـ .

٤ ـ تفسير البغوي ـ الامام البغوي ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧ هـ ـ مطبوع في القسم الادنى من صفحات تفسير ابن كثير .

٥ ـ تفسير الكشاف ـ الامام أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري ـ مطبعة بولاق ـ مصر ـ ١٣١٩ هـ ـ الطبعة الثانية .

٦ ـ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) ـ الامام البيضاوي ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ـ مصر ـ ١٣٣٠ هـ .

٧ ـ تفسير المنار ـ السيد محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار ـ مصر ـ ١٣٢٥ هـ ـ الطبعة الاولى .

٨ و ٩ ـ تفسير الجلالين ـ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي ـ مطبعة حجازي ـ القاهرة ـ مطبوع على هامش القرآن الكريم .

١٠ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ مطبعة دار احياء الكتب العربية ـ مصر ـ الطبعة الثانية .

١١ ـ تفسير القرآن الكريم ـ الشيخ محمود شلتوت ـ مطبعة دار القلم ـ مصر ـ ١٣٧٩ هـ ـ الطبعة الثانية .

١٢ ـ التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي ـ مطبعة دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ١٣٧٣ هـ ـ الطبعة الثانية .

١٣ ـ التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ـ حنفي أحمد ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٠ م .

١٤ ـ تفسير سورة النور ـ أبو الاعلى المودودي ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٣٧٩ هـ .

١٥ ـ فضائل القرآن ـ الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ـ

مطبعة المنار ـ مصر ـ ١٣٤٧ هـ ـ في نهاية الجزء الثامن من تفسير ابن كثير .
١٦ ـ القرآن والقتال ـ الشيخ محمود شلتوت ـ مطبعة دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ١٩٥١ م .
١٧ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ وضعه بالفرنسية جول لابوم وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٤٣ هـ ـ الطبعة الاولى .
١٨ ـ دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن ـ ناظم صالح ـ المطبعة الحميدية ـ مصر ـ ١٣٢٢ هـ .
١٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٤ هـ .
٢٠ ـ المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته ـ محمد فارس بركات ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ ١٣٧٧ هـ .
٢١ ـ كلمات القرآن (تفسير وبيان) ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ الطبعة الثانية .
٢٢ ـ كتاب المصاحف ـ الحافظ السجستاني ـ المطبعة الرحمانية ـ مصر ـ ١٣٥٥ هـ .

الحديث الشريف

٢٣ ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ الامام ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٣٠١ هـ .
٢٤ ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ـ الحسين بن المبارك ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٤٧ هـ .
٢٥ ـ شرح النووي على مسلم ـ الامام النووي ـ المطبعة الكستلية ـ مصر ـ ١٢٨٣ هـ .
٢٦ ـ مسند الامام احمد بن حنبل ـ الامام احمد بن حنبل ـ المطبعة الميمنية ـ مصر ـ ١٣١٣ هـ .
٢٧ ـ سنن ابن ماجه ـ الامام ابن ماجه ـ المطبعة العلمية ـ مصر ـ ١٣١٣ هـ .
٢٨ ـ سنن الترمذي ـ الامام الترمذي ـ مطبعة بولاق ـ مصر ـ ١٢٩٢ هـ
٢٩ ـ المنتقى من أخبار المصطفى ـ عبد السلام بن تيمية الحرّاني ـ مطبعة حجازي ـ مصر ـ ١٣٥١ هـ ـ الطبعة الاولى .
٣٠ ـ تيسير الوصول ـ ابن الربيع الشيباني ـ المطبعة السلفية ـ مصر ـ ١٣٤٦ هـ .

٣١ ـ مفتاح كنوز السنّة ـ وضعه بالانكليزية الدكتور فنسنك وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة مصر ـ مصر ـ ١٣٥٢ هـ .

الفقــه وعلوم الديــن

٣٢ ـ الأم ـ الامام الشافعي ـ مطبعة بولاق ـ مصر ـ ١٣٢٢ هـ ـ الطبعة الاولـــى .
٣٣ ـ الخراج ـ الامام أبو يوسف ـ المطبعة السلفية ـ مصر ـ ١٣٤٦ هـ
٣٤ ـ الخراج ـ قدامة بن جعفر البغدادي ـ أعادت مكتبـة المثنى ببغداد طبعه ـ ١٩٦٣ م .
٣٥ ـ المحلى ـ ابن حزم الاندلسي ـ المطبعة المنيرية ـ مصر ـ ١٣٥٠ هـ .
٣٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ ابن القيّم الجوزية ـ مطبعة البابي الحلبي ـ ١٣٦٩ هـ .
٣٧ ـ كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكـام المحاربين مـن كتاب اختلاف الفقهاء ـ محمد بن جرير الطبري ـ مطبعة ليدن ـ ١٩٣٣ م .
٣٨ ـ سفرة الزاد لسفرة الجهاد ـ أبو الثناء شهاب الدين الالوسي ـ مطبعة دار السلام ـ بغداد ١٣٣٣ هـ .
٣٩ ـ الاحكام السلطانية ـ الماوردي ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ ١٩٦٤ هـ .

الســـــيَر

٤٠ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ـ أبو محمد عبد الملك بن هشام ـ مطبعة حجازي ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ .
٤١ ـ عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ مطبعة القدسي ومطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٥٦ هـ .
٤٢ ـ جوامع السيرة ـ ابن حزم الاندلسي ـ مطبعة دار المعارف ـ مصر .
٤٣ ـ السيرة الحلبية ـ علي الحلبي الشافعي ـ مطبعة مصطفى محمد ـ مصر .
٤٤ ـ مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الشيـخ عبدالله ابن الشيخ محمد عبد الوهاب ـ المطبعة السلفية ـ مصر ـ ١٣٧٩ هـ
٤٥ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ مطبعة دار بيروت وصادر ـ بيروت ـ ١٣٧٦ هـ .
٤٦ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ الامام أحمد بن علي الكنابي العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر ـ ١٣٢٣ هـ .

٤٧ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عزالدين ابن الاثير ـ المطبعة الاسلامية ـ طهران ـ ١٣٧٧ هـ .
٤٨ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبد البر ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة .
٤٩ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ الامام الذهبي ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٢٥ هـ .
٥٠ ـ أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا ـ ابن حزم الاندلسي ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف ـ مصر .
٥١ ـ أسماء الصحابة الرواة ـ ابن حزم الاندلسي ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف ـ مصر .
٥٢ ـ المعارف ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ مصر ـ ١٩٦٠ م.
٥٣ ـ تهذيب ابن عساكر ـ المطبعة العربية ـ دمشق ـ ١٣٥١ هـ .
٥٤ ـ تهذيب التهذيب ـ الامام ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٢٦ هـ .
٥٥ ـ صفة الصفوة ـ الامام ابن الجوزي ـ مطبعة حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٥٥ هـ .
٥٦ ـ خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ـ صفي الدين أحمد الخزرجي ـ المطبعة الخيرية ـ مصر ـ ١٣٢٢ هـ .
٥٧ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ـ أبو جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري ـ مطبعة دار التأليف ـ مصر ـ ١٣٧٣ هـ .
٥٨ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ـ الحافظ الاصبهاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٥١ هـ .
٥٩ ـ تهذيب الاسماء واللغات ـ الامام النووي ـ المطبعة المنيرية ـ مصر .
٦٠ ـ الولاة والقضاة ـ أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ـ مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ـ ١٩٠٨ م .
٦١ ـ الوزراء والكتاب ـ أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ـ مطبعة حنفي ـ مصر ـ ١٣٥٧ ـ الطبعة الاولى .
٦٢ ـ ذيل المذيل ـ الامام الطبري ـ المطبعة الحسينية ـ مصر ـ طبع في آخر تاريخ الطبري .
٦٣ ـ تجريد أسماء الصحابة ـ عز الدين بن الاثير ـ مطبعة دائرة المعارف النظامية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣١٥ هـ ـ الطبعة الاولى .
٦٤ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٦٧ هـ ـ الطبعة الاولى .

٦٥ ـ الحلة السيراء ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الابار ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ مصر ـ ١٩٦٣ م .
٦٦ ـ سير اعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٢ م .
٦٧ ـ طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ـ دار المعارف ـ مصر .
٦٨ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك) ـ الامام محمد بن جرير الطبري ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر ـ ١٣٤٧ هـ .
٦٩ ـ تاريخ ابن الاثير (الكامل) ـ عز الدين بن الاثير ـ مطبعة ذات التحرير ـ مصر ـ ١٣٠٣ هـ .
٧٠ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ مطبعة ذات التحرير ـ مصر ـ ١٣٠٣ هـ ـ طبع على هامش ابن الاثير .
٧١ ـ البلاذري (فتوح البلدان) ـ أبو الحسن البلاذري ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٩٥٩ م .
٧٢ ـ فتوح الشام ـ الواقدي ـ مطبعة دار العهد الجديد ـ مصر ـ ١٣٧٣ م .
٧٣ ـ تاريخ ابي الفدا (المختصر من اخبار البشر) ـ ابو الفدا ـ المطبعة الحسينية ـ مصر ـ ١٣٢٥ هـ .
٧٤ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن يعقوب ـ مطبعة الفري ـ النجف ـ ١٣٥٨ هـ .
٧٥ ـ تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ مطبعة بولاق ـ مصر ـ ١٢٨٤ هـ .
٧٦ ـ مقدمة ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ مطبعة مصطفى محمد ـ مصر .
٧٧ ـ تاريخ عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ مصر .
٧٨ ـ البداية والنهاية ـ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
٧٩ ـ شذرات الذهب ـ ابن العماد الحنبلي ـ مطبعة القدس ـ مصر ـ ١٣٥٠ هـ .
٨٠ ـ دول الاسلام ـ شمس الدين الذهبي ـ مطبعة حيدر آباد الدكن ـ الهند .
٨١ ـ تاريخ الاسلام ـ شمس الدين الذهبي ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
٨٢ ـ البدء والتاريخ ـ المنسوب لابن البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي ـ طبع باريس ـ ١٩١٦ م .
٨٣ ـ العبر في خبر من غبر ـ الحافظ الذهبي ـ مطابع حكومة الكويت ـ الكويت ـ ١٩٦٠ م .

٨٤ ـ تاريخ الخلفاء ـ الامام السيوطي ـ المطبعة المنيرية ـ مصر ـ ١٣٥١هـ
٨٥ ـ فتوح مصر والمغرب ـ ابن عبد الحكم ـ مطابع لجنة البيان العربي ـ مصـــر .
٨٦ ـ تاريخ الخميس ـ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ـ مطبعة عثمان عبد الرزاق ـ مصر ـ ١٣٠٢ هـ ـ مصر ـ الطبعة الاولى .
٨٧ ـ ذكر أخبار أصبهان ـ مطبعة ليدن ـ ١٩٣١ .
٨٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ بن تغري بردي الاتابكي ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ مصر ـ ١٣٤٨ هـ .
٨٩ ـ الامامة والسياسة ـ ابن قتيبة الدينوري ـ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٧٧ هـ .
٩٠ ـ الاستقصا لدول المغـرب الاقصا ـ أبو العباس أحمـد بن خالـد الناصري ـ مطبعة دار الكتاب العربي ـ الدار البيضاء في المغرب ـ ١٩٥٤ .
٩١ ـ ايران في عهد الساسانيين ـ كرستنسن ـ ترجمة الدكتور يحيـى الخشاب ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ م .

الجغرافيـــة

٩٢ ـ المسالك والممالك ـ الاصطخري ـ مطبعة دار القلم ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ .
٩٣ ـ المسالك والممالك ـ ابن خرداذبة ـ أعادت طبعـه مكتبـة المثنـى ببغداد ـ ١٩٦٣ م .
٩٤ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر ـ ١٣٢٣ هـ .
٩٥ ـ المشترك وضعا والمفترق صقعا ـ ياقوت الحمـوي ـ طبـع سنـة ١٨٤٦ م وأعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦٣ م .
٩٦ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا القزويني ـ مطبعـة دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ .
٩٧ ـ تقويم البلدان ـ أبو الفدا ـ مطبعة باريس بدار الطباعة السلطانية ـ باريس ـ ١٨٤٠ هـ .
٩٨ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ المقدسي المعروف بالبشاري ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٩٠٦ م .
٩٩ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري مطبعة الجمهورية ـ باريس ـ ١٨٩٤ م .

١٠٠ ـ البلدان ـ أبو بكر احمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٨٩١ م .
١٠١ ـ البلدان ـ احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٨٩١ م .
١٠٢ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ طبع باريس ـ ١٨٩٢
١٠٣ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع .
١٠٤ ـ صفة المغرب ـ أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي ـ مطبعة بريل ـ ليدن .
١٠٥ ـ أطلس العالم الاسلامي ـ هاري هازار ـ مطبعة مصر ـ القاهرة .
١٠٦ ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ لسترنج ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد .

الانســـــاب

١٠٧ ـ جمهرة انساب العرب ـ ابن حزم الاندلسي ـ مطبعة دار القلم ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ .
١٠٨ ـ نسب قريش ـ المصعب الزبيري ـ دار الطباعة ـ مصر ـ ١٩٥٧ م .
١٠٩ ـ أنساب الاشراف ـ البلاذري ـ مطبعة دار المعارف ـ مصر .
١١٠ ـ الانساب المتفقة ـ ابن القيسراني ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ أعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد ـ ١٩٦٣ م .
١١١ ـ نهاية الارب في معرفة انساب العرب ـ أبو العباس أحمد القلقشندي ـ تحقيق ابراهيم الابياري ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ـ الطبعة الاولى .

الادب

١١٢ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ـ المطبعة الازهرية ـ مصر ـ ١٣٤٦ هـ .
١١٣ ـ الكامل ـ أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ مصر ـ ١٣٤٧ هـ .
١١٤ ـ رغبة الآمل في شرح كتاب الكامل ـ سيد علي المرصفي ـ مطبعة النهضة ـ مصر ـ ١٣٤٦ هـ .
١١٥ ـ عيون الاخبار ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب ـ مصر ـ ١٣٤٣ هـ .
١١٦ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ١٣٧٥ هـ ـ الطبعة الرابعة .
١١٧ ـ الاغاني ـ الاصبهاني ـ دار الفكر ـ بيروت .

١١٨ ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي
١١٩ ـ بلوغ الارب ـ محمود شكري الآلوسي ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ مصر ـ الطبعة الثالثة .
١٢٠ ـ الغرباء ـ يوسف محمد البلوي ـ المطبعة الوهبية ـ مصر ـ ١٢٨٧ هـ

المعاجـــم

١٢١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ مطبعة بولاق ـ مصر ـ ١٣٠١ هـ .
١٢٢ ـ ترتيب القاموس المحيط ـ طاهر احمد الزاوي ـ مطبعة الرسالة ـ مصر ـ ١٩٥٩ م .
١٢٣ ـ تاج العروس .
١٢٤ ـ مختار الصحاح ـ محمد بن ابي بكر الرازي ـ المطبعة الاميرية ـ القاهرة ـ ١٣٣٤ هـ ـ الطبعة الخامسة .
١٢٥ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بمصر ـ مطبعة مصر ـ مصر ـ ١٣٨٠ هـ .

متفرقــة

١٢٦ ـ رحلة ابن جبير ـ محمد بن أحمد بن جبير ـ مطبعة حنفي ـ مصر ـ ١٣٥٦ هـ .
١٢٧ ـ الاصنام ـ ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ـ المطبعة الاميرية ـ القاهرة ـ ١٣٣٢ هـ .
١٢٨ ـ مختصر سياسة الحروب ـ الهرثمي ـ مطبعة مصر ـ القاهـرة ـ ١٩٦٤ م .
١٢٩ ـ حلية الفرسان وشعار الشجعان ـ علي بن عبد الرحمن بن هذيـل الاندلسي ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٥١ .
١٣٠ ـ نوادر المخطوطات ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ المجموعة الثانية ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٧١ هـ .

المراجع

التاريخ والسير

١ ـ الفتوحات الاسلامية ـ زيني دحلان ـ مطبعة مصطفى محمد ـ مصر ـ ١٣٥٤ هـ .
٢ ـ فجر الاسلام ـ أحمد أمين .
٣ ـ أيام العرب في الجاهلية ـ محمد احمد جاد المولى ورفقاؤه .
٤ ـ الخلفاء الراشدون ـ عبد الوهاب النجار ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٠ .
٥ ـ أخبار عمر ـ علي الطنطاوي واخوه ـ مطابع دار الفكر ـ دمشق ـ ١٣٧٩ هـ ـ الطبعة الاولى .
٦ ـ أيام العرب في الاسلام ـ محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي .
٧ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية .
٨ ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٥٢ م .
٩ ـ الصدّيق ابو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ مطبعة مصر ـ القاهرة ـ ١٣٧٧ هـ .
١٠ ـ في منزل الوحي ـ محمد حسين هيكل ـ الطبعة الاولى .
١١ ـ عبقرية الصديق ـ عباس محمود العقاد ـ مطبعة المعارف ـ مصر ـ ١٩٤٣ م .
١٢ ـ عبقرية عمر ـ عباس محمود العقاد ـ ١٣٧٩ هـ ـ الطبعة السادسة .
١٣ ـ عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد ـ مطابع دار الهلال ـ مصر .
١٤ ـ زعماء الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ـ المطبعة النموذجية ـ مصر ـ ١٩٥٣ م ـ الطبعة الاولى .
١٥ ـ الشخصيات البارزة التاريخية ـ أحمد فريد رفاعي ـ مطبعة المعارف ـ مصر ـ ١٣٥٢ هـ ـ الطبعة الاولى .
١٦ ـ الشيخان ـ طه حسين ـ مطابع دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٠ م .
١٧ ـ عثمان ـ طه حسين ـ مطابع دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة الاولى .
١٨ ـ علي وبنوه ـ طه حسين ـ مطابع دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة الاولى .
١٩ ـ شهداء الاسلام في عهد النبوة ـ علي سامي النشار ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
٢٠ ـ الامبراطورية الاسلامية ـ محمد حسين هيكل ـ مصر ـ الطبعة الاولى .

٢١ ـ خريجو مدرسة محمد ـ ابراهيم الواعظ ـ بغداد ـ الطبعة الاولى .
٢٢ ـ عمر بن الخطاب ـ محمد صبيح ـ دار القاهرة ـ مصر ـ ١٩٥٨ م .
٢٣ ـ غزوة أحد ـ محمد أحمد باشميل ـ مطبعة دار الكتب ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ ـ الطبعة الثانية .
٢٤ ـ الرسول القائد ـ محمود شيت خطاب ـ مطبعة دار القلم ـ القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ ـ الطبعة الثالثة .
٢٥ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ مطبعة دار القلم ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ ـ الطبعة الاولى .
٢٦ ـ قادة فتح الشام ومصر ـ محمود شيت خطاب ـ بيروت ـ ١٣٨٥هـ ـ الطبعة الاولى .
٢٧ ـ الفاروق القائد ـ محمود شيت خطاب ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٣٨٤ هـ ـ الطبعة الاولى .

الكتب الاسلامية

٢٨ ـ الجهاد في الاسلام ـ حامد مصطفى ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ـ الطبعة الاولى .
٢٩ ـ الجهاد في الاسلام ـ محمد شديد ـ مؤسسة المطبوعات الحديثة ـ مصر ـ الطبعة الاولى .
٣٠ ـ نظم الحرب في الاسلام ـ جمال الدين عياد ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى .
٣١ ـ شريعة الحرب في الاسلام ـ محمد المراوي ـ طبعه على الرونيو .
٣٢ ـ نظام السلم والحرب في الاسلام ـ مصطفى السباعي ـ مطابع دار الكشاف ـ بيروت .
٣٣ ـ الفن الحربي في صدر الإسلام ـ عبد الرؤوف عون ـ مطابع دار المعارف ـ مصر .
٣٤ ـ آثار الحرب في الفقه الاسلامي ـ وهبة الزحيلي ـ مطابع دار الفكر ـ دمشق ـ ١٣٨٢ هـ .
٣٥ ـ الخراج في الدولة الاسلامية ـ محمد ضياء الدين الريس ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى .
٣٦ ـ الاسلام والسلام العالمي ـ سيد قطب ـ مطبعة الاعتماد ـ مصر ـ الطبعة الثانية .
٣٧ ـ الجزية والاسلام ـ دانيل دينيت ـ الطبعة الاولى .
٣٨ ـ الشرع الدولي في الاسلام ـ نجيب الارمنازي ـ الطبعة الاولى .
٣٩ ـ السلام والحرب في الاسلام ـ محمد فرج ـ مصر ـ الطبعة الاولى .
٤٠ ـ الجندية ـ واقع ومثال ـ أمين الخولي ـ دار المعرفة ـ مصر ـ ١٩٦٠

٤١ ــ القادة الرسل ــ أمين الخولي ــ مصر ــ الطبعة الاولى .
٤٢ ــ منهاج الحكم في الاسلام ــ محمد اسد ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الاولى .
٤٣ ــ النظريات السياسية الاسلامية ــ محمد ضياء الدين الريس ــ مطبعة لجنة البيان العربي ــ مصر ــ ١٩٥٢ م ــ الطبعة الاولى .
٤٤ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ محمود شلتوت ــ مطبعة دار القلم ــ مصر .
٤٥ ــ من توجيهات الاسلام ــ محمود شلتوت ــ مطبعة الازهر ــ مصر .
٤٦ ــ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ــ عباس محمود العقاد ــ مطبعة مصر ــ مصر ــ ١٣٧٦ هـ .
٤٧ ــ اشتراكية الاسلام ــ مصطفى السباعي ــ دار المطبوعات العربية ــ دمشق ــ الطبعة الثانية .
٤٨ ــ نظرات في كتاب اشتراكية الاسلام ــ محمد الحامد ــ مطبعة العلم ــ دمشق ــ ١٣٨٢ هـ .
٤٩ ــ النزعة الاشتراكية في الاسلام ــ انور الخطيب ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الاولى .
٥٠ ــ مبادىء الاسلام ــ ابو الاعلى المودودي ــ المطبعة الهاشمية ــ دمشق ــ ١٣٧٣ هـ .
٥١ ــ الاشتراكية في الاسلام ــ طه المدور ــ الطبعة الاولى .
المودودي ــ دار الفكر ــ دمشق .
٥٢ ــ نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ــ ابو الاعلى
٥٣ ــ الادارة الاسلامية في عز العرب ــ محمد كرد علي ــ مطبعة مصر ــ القاهرة ــ ١٩٣٤ م .
٥٤ ــ السياسة الشرعية ــ ابن تيمية .

قوانين وحضارة

٥٥ ــ التشريع الجنائي الاسلامي ــ عبد القادر عودة ــ مصر ــ الطبعة الاولى .
٥٦ ــ قانون الحرب والحياد ــ سامي جنينة ــ مصر ــ الطبعة الاولى .
٥٧ ــ مبادىء القانون الدولي العام ــ محمد حافظ غانم ــ مصر ــ الطبعة الاولى .
٥٨ ــ الحضارة العربية ــ ي. هل ــ سلسلة الالف كتاب ــ الطبعة الاولى ــ مصر .
٥٩ ــ حضارة الاسلام ــ جوستاف ــ جروينباوم ــ مصر ــ الطبعة الاولى .

عسكريـــة

٦٠ ـ الجغرافية العسكرية ـ طه الهاشمي ـ بغداد ـ الطبعة الاولى .
٦١ ـ القضايا الادارية في الميدان ـ محمود شيت خطاب ـ بغداد ـ مطبعة الجيش ـ الطبعة الاولى .
٦٢ ـ الامة في الحرب ـ المشير فون لودندروف ـ مطبعة الشعب ـ بغداد ـ ١٩٥٦ م .
٦٣ ـ نظامات الخدمة السفرية ـ كتاب رسمي ـ مطبعة الجيش ـ بغداد .
٦٤ ـ ادارة الحرب ـ كتاب رسمي ـ مطبعة الجيش ـ بغداد .
٦٥ ـ فوج مشاة في المركة ـ كتاب رسمي ـ مطبعة الجيش ـ بغداد .
٦٦ ـ الفرقة في المركة ـ كتاب رسمي ـ مطبعة الجيش ـ بغداد .
٦٧ ـ محاضرات كلية الاركان العراقية ـ محاضرات رسمية ـ بغداد .
٦٨ ـ محاضرات دورة الاقدمين في انكلترا ـ محاضرات رسمية ـ انكلترا .

مجـــــلات

٦٩ ـ مجلة مجلس الدولة الصادرة سنة ١٩٦٠ م في مقال : ميثاق الامم والشعوب في الاسلام ـ مصر .
٧٠ ـ مجلة الرسالة المصرية ـ العددان (٤٩٣ و ٤٩٥) ـ مقالان عن التلباثي ـ عباس محمود العقاد ـ القاهرة .
٧١ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الجزء (٢) المجلد الرابع ـ مقال عن جيش المسلمين في عهد بني امية ـ محمود شيت خطاب ـ المجمع العلمي العراقي ـ بغداد .
٧٢ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد الخامس ـ مقال : القتال في الاسلام ـ محمود شيت خطاب ـ المجمع العلمي العراقي ـ بغداد .
٧٣ ـ المجلة المصرية للقانون الدولي ـ المجلد الخامس ـ ١٩٤٩ م ـ مقال القانون الدولي العام في الاسلام ـ محمد عبدالله دراز ـ القاهرة .
٧٤ ـ المجلة المصرية للقانون الدولي ـ المجلد الرابع عشر ـ ١٩٥٨ م ـ مقال : نظرية الحرب في الاسلام ـ محمد أبو زهرة ـ القاهرة .

المصادر الاجنبيـة

75 — The sprit of Islam — By Sayed Amir Ali.
76 — Life of Mahomet — By Sir William Muire.
77 — Mohammad — By Margaliouth
78 — Quran and war — By Maulvi Sadr-ud-Din.
79 — War and religion — By Muhammad Marmaduke Pickthal.
80 — The Battafielde of the Prophet Muhammad — By Muhammad Hamidullah.
81 — Encyclopedia Brilannica.
82 — Chamber's Encyclopedia
83 — Islam's contribution to the peace of the world — By A. Haque.

الفهارس

الأعـــلام

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

الخرائط

الموضوعات

الصفحة

آثار المؤلف

الكتب العسكرية :

١ ــ القضايا الادارية في الميدان ــ مطبعة الجيش ــ بغداد ١٩٥٢
٢ ــ التدريب الفردي ليلا ــ مطبعة شفيق ــ بغداد ــ ١٩٥٤

كتب التاريخ الاسلامي الصادرة :

٣ ــ الرسول القائد ــ الطبعة الاولى ــ بغداد ــ ١٩٥٨
الطبعة الثانية ــ بيروت ــ ١٩٦٢
الطبعة الثالثة ــ دار القلم ــ القاهرة ــ ١٩٦٤
٤ ــ قادة فتح العراق والجزيرة ــ دار القلم ــ القاهرة ــ ١٩٦٤
٥ ــ قادة فتح بلاد فارس ــ دار الفتح ــ بيروت ــ ١٩٦٥
٦ ــ الفاروق القائد ــ مطبعة العاني ــ بغداد ــ ١٩٦٥
٧ ــ المهلّب بن ابي صفرة الازدي ــ مطبعة العاني ــ بغداد ــ ١٩٦٤
٨ ــ الاحنف بن قيس التميمي ــ مطبعة المجمع العلمي العراقي ــ بغداد ــ ١٩٦٥
٩ ــ قتيبة بن مسلم الباهلي ــ مطبعة المجمع العلمي العراقي ــ بغداد ــ ١٩٦٥
١٠ ــ مقالات وبحوث في :
أ ــ مجلة المجمع العلمي العراقي .
ب ــ مجلة المجمع العلمي في الشام .
ج ــ مجلة الرسالة المصرية .
د ــ المجلة العسكرية العراقية .
هـ ــ مجلة « المسلمون » .
و ــ مجلة الحج في الحجاز .
ز ــ مجلة التمدن الاسلامي في دمشق .

كتب التاريـخ الاسلامي التي ستصدر تباعا :

١١ ـ قادة فتح الشام ومصر ـ يصدر قريبا عن دار الفتح ـ بيروت
١٢ ـ قادة فتح المغرب (ليبيـا ـ تونس ـ الجزائـر ـ المغرب) ويصدر قريبا .
١٣ ـ قادة فتـح المشرق .
١٤ ـ قادة فتح الاندلس والبحار .
١٥ ـ قادة فتح اوروبة .
١٦ ـ الصديق القائـد .
١٧ ـ الامام القائد .
١٨ ـ القادة الراشدون .
١٩ ـ الفتح الاسلامي .
٢٠ ـ الحرب والسلام في الاسلام .
٢١ ـ قادة النبي .
٢٢ ـ سفراء النبـي .
٢٣ ـ شهداء الاسلام في عهد النبي .
٢٤ ـ كرامة العلماء .

كتب لغويـة :

٢٥ ـ المصطلحات العسكرية في الآثار الجاهلية .
٢٦ ـ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم .
٢٧ ـ المصطلحات العسكرية في الحديث الشريف .
٢٨ ـ المصطلحات العسكرية في مصادر التاريخ الاسلامي .
٢٩ ـ المصطلحات العسكرية في الادب العربي بعد الاسلام .
٣٠ ـ المصطلحات الحضارية في القرآن الكريم .

تاريـخ الحرب :

٣١ ـ المشير فون رونشتد ـ مترجم عن الانكليزية .

دار الفتح
للطباعة والنشر
بيروت ـ ص. ب ٤٢٩٥ ـ بناية اللعازارية
الجديدة أ ـ ٤ الطابق الرابع ـ رقم ١٠
تلفون : ٢٥٣٠٩٧

عنوان المؤلف
الأعظمية ـ بغداد
الجمهورية العراقية

هذا الكتاب

- هذا هو الكتاب الثاني من كتب « قادة الفتح الاسلامي » ، يصدر بعد الكتاب الاول عن : « قادة فتح العراق والجزيرة » .

- وقد اعتزمت بمشيئة الله أن أقدم قريباً الكتاب الثالث عن : « قادة فتح الشام ومصر » والكتاب الرابع عن : «قادة فتح المغرب» ، الذي يشتمل على سِيَر قادة فتح ليبيا وتونس والجزائر والمغرب .

- ولئن جعل الله في العمر بقية ، وأمدّني بعون من عنده ، أخرجت ثلاثة كتب أخرى عن : «قادة فتح المشرق» ، و «قادة فتح الاندلس والبحار» ، و « قادة فتح اوروبة » ، وبذلك تتكامل سبعة كتب عن سير القادة الفاتحين الذين حملوا رايات الاسلام شرقاً وغرباً ، وضمّوا بلداً جديداً أو بلداناً جديدة ـ لأول مرة ـ الى الدولة الاسلامية .

- وهذا الكتاب يحتوي على سير القادة العرب المسلمين الذي ثلّوا عرش كسرى في عقر داره بلاد الفرس ، فأصبح المسلمون قادة العالم وسادة الدنيا قروناً طويلة .

- لقد كان العرب في الجاهلية ـ وعلى رأسهم الغساسنة ـ في العراق العربي ، يدينون للاكاسرة في عقر ديار العرب بالولاء والطاعة ، وينظرون الى الفرس نظرة الإكبار والمهابة ، فتبدّل العرب بالاسلام من حال الى حال .

- ان قصة حياة هؤلاء القادة تبهر العقول والابصار ، ولعل جهادهم يخرس الاصوات المنكرة المريبة التي تعمل جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد لنا تاريخاً وتراثاً من وراء الحدود .

- وستقرأ في هذا الكتاب سِيَر قادة فتح بلاد فارس ، الذين نشروا الاسلام في ربوعها وجعلوا منها قاعدة أمامية للفتح الاسلامي الذي امتد الى الصين شرقاً والى سيبيريا شمالاً والى البحر العربي جنوباً ...

المؤلف

الثمن
٧٠٠ قرشاً لبنانياً
٩٠٠ قرشاً سورياً
٩٠٠ فلساً او مليماً
أو ما يعادل ذلك من العملات الأخر[ى]

مطبعة شركة الطبع والنشر اللبنانية
بيروت